الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور محمد ابراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئـــة

هذا هو الجزء الثانى من كتاب « الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل » لأبى محمد على ابن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ .

تحدث فيه أبو محمد عن الأناجيل الأربعة ، وعن الرسائل التى يقدسها النصارى ، ويستمدون منها عقيدتهم ، وقد أثبت بالبرهان القاطع أن هذه الأناجيل ليست من عند الله ، ولا يصحُّ أن تكون أساسًا يُعتمد عليه فى التماس العقيدة والدين .

وقد أقرَّ النصارى أنفسهم أولهم وآخرهم ، أريوسيهم وملكِيُّهم ، نسطوريُّهم ويعقوبيُهم ، بارونيهم وبولفانيهُّم – أن هذه الأناجيل تواريخ ألّفها أربعة رجالٍ معروفون فى أزمان مختلفة .

فالأول : ألّفه « متَّى » اللاوانى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام .

والثانى : ألّفه « مرقس » الهارونى تلميذ شمعون بن يونا المسمَّى « باطرة » بعد اثنين وعشرين عامًا من رفع المسيح .

والثالث : ألّفه « لوقا » الطبيب الأنطاكى تلميذ « شمعون باطره » بعد تأليف « مرقس » .

والرابع : تاريخ ألّفه « يوحنا بن سبذاى » تلميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة .

وليس لهم بعد هذه الأناجيل كتب يعظمونها إلا « الأفركسيس » وهو كتاب ألّفه « لوقا » الطبيب المذكور فى أخبار الحواريين ، وأخبار صاحبه « بولس » البنياميني وسيرهم . وكتاب « الوحى والإعلان » الذى ألّفه « يوحنا بن سبذاى » ذكر فيه ما رآه من الأحلام وخرافات كثيرة .

والرسائل القانونية : وهى سبع رسائل ، ثلاث منها ليوحنا بن سبذاى ، ورسالتان لباطرة ، ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، والسابعة لأخيه « يهوذا بن يوسف » . ورسائل بولس : وهى خمس عشرة رسالة .

ووضع لهم الملك « دكريد » كتابًا من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطاركتهم كان يسير عليه نصارى الأندلس .

فجميع نقل النصارى يرجع إلى ثلاثة فقط وهم : بولس ، ومارقس ، ولوقا وهؤلاء الثلاثة لم ينقلوا إلّا عن خمسة فقط وهم : باطرة ، ومتّى ، ويوحنا ، ويعقوب ويهوذا .

وكل هؤلاء أثبت أبو محمد أنهم أكذب البريّة وأخبثهم .

فالذين آمنوا برسالة المسيح فى حياته مائة وعشرون رجلًا وامرأة فقط ، وكل من آمن به كان مستترا يدعو إلى دينه سرًّا ، ومن أظهر دينه قتل أو رجم أو صلب ، وبقى النصارى على هذا الحال مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلّا فصولًا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم .

فلما تنصَّر « قسطنطين » ملك الروم أظهر النصارى دينهم ، وكشفوا أمرهم ، فانتشر فيهم دخول « المنّانية » تقية ، ولم يكن فيهم غير منّانية مدلّسون عليهم فأمكنهم بذلك أن يدخلوا من الضلال ما شاءوا . وبالنظر السَّريع إلى ما ورد فى الأناجيل يتضح التناقض بينها وبين التوراة من جهة ، وبين كل إنجيل وإنجيل من جهة أخرى ، بل فى الإنجيل الواحد يظهر التضارب والتباين ، وقد ضرب أبو محمد أمثلة كثيرة نشير إلى بعضها فى هذه المقدمة .

ففى التوراة : لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة ولد له ولد كشبهه وجنسه يسمى « شيث » .

وفى الأناجيل : لما أتى لآدم مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث ...

وفى التوراة : فلما عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد « إينوش » .

وعند النصارى : لما عاش شيث مائتى سنة وخمس سنين ولد « إينوش » .

وأورد « أبو محمد » كثيرًا من هذه المناقضات .

وبين التوراة وإنجيل متَّى تناقض واضح فى سلسلة نسب المسيح ، ففيهما اختلاف فى العدد ، واختلاف فى الأسماء ، وسقْط لبعض الأسماء ، فإن صدقت كتب اليهود فقد كذب « متّى » ، وإن صدق « متَّى » فقد كذبت التوراة .

وفى أول إنجيل « متَّى » نسب المسيح بن داود بن إبراهيم ، ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم .!! والمسيح عنده ليس هو ولد يوسف أصلًا ، فهم يقولون إنه ابن الله من مريم ، وإنه إله وابن إله وامرأة .

فقد تناقض مع نفسه ، وناقض العيسوية من اليهود ، والآريوسية والمقدونية من النصارى فهم يقولون كالمسلمين : إنه عبد آدمى حلقه الله تعالى فى بطن مريم عليها السلام من غير ذكر .

ويختلف إنجيل « لوقا » مع إنجيل « متّى » فى نسب يوسف النجار ، فمتَّى ينسبه إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام ، و« لوقا » ينسبه إلى آباء آخرين .

وفى الأناجيل كثير من الحمق والباطل :

ففى إنجيل « لوقا » أن إبليس فاد المسيح فانقاد له المسيح ، ثم طلب إليه أن يلقى نفسه من فوق صنخرة عالية ، والله سيحفظه ، فلم يستجب . وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ملكًا عظيمًا فلم يستجب !!

فكيف ينقاد المسيح – وهو إله على زعمهم – إلى أبليس ؟! وكيف يمنِّيه إبليس بملك أشياء – وهو صاحب الملك فى نظرهم ، وواهب الملك لإبليس ولغيره !!.

ومن التناقض بين إنجيل « متّى » وإنجيل « مرقس » :

يقول « متَّى » : إن أول صحبة « باطرة » وأخيه « أندرياش » للمسيح كانت بعد سجن يحيى بن زكريا » .

ويقول « مرقس » : « إن أول صحبتهما له كانت قبل أن يسجن يحيى بن زكريا » .

واختلفت الأناجيل فى تحديد الموضع الذى التقيا فيه بالمسيح .

وأورد أبو محمد نصوصًا كثيرة يكذب بعضها بعضا ، فالمسيح يقول : « ما جئت لأنقض التوراة بل جئت لأتممها » .. وأكّد فى غير موضع أن ما جاء فى التوراة لا يُنْسخ ثم ينسب إليه ما يخالف ذلك ، وما يدعو إلى نقض ما جاء فى التوراة ، ونسخ ما ورد فيها من أحكام .

فالمسيح يحرِّم الطلاق إلَّا لزنى ، ويحرّم الزواج بالمطلقة ، والتوراة تبيح الطلاق ، ففى التوراة : « من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق » .

وفى إنجيل « بولس » نهى عن الختان ، وفى التوراة تأكيد على ضرورة الختان .

وباطرة : أباح أكل لحم الخنزير وكل حيوان حرّمته التوراة .

ونقضوا شرائع التوراة من تحريم السبت ، وأعياد اليهود ، وغير ذلك .

وفى التوراة أمر بالقصاص ، ونُسِب إلى المسيح أنه قال : « قد قيل العين بالعين ، والسِّنُّ بالسن ، وأنا أقول : لا تكافئوا أحدًا بسيئة ، ولكن من لطمك على خدّك الأيمن فانصب له الآخر » .

وفى التوراة – التى قال عنها المسيح : « لا تبيد منها (ياء) واحدة قبل أن تبيد السماء والأرض أو حرف واحد – فيها : « أنَّ مَنْ صُلب فى خشبة فهو ملعون » وفى الأناجيل كلها : أن المسيح صلب فى خشبة هو وباطرة ، وشمعون ، وأندرياش وفلبسُّ ، وبولس » فعلى قول المسيح – المفترى عليه – أنه هو وأصحابه ملعونون .

وفى إنجيل « متَّى » أن المسيح قال لهم : ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم : يا أبانا السماوى تقدّس اسمك » ، ثم قال بعد ذلك : « وقد علم أبوكم أنكم ستحتاجون إلى جميع هذا » وفى آخر الإنجيل قال : « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم » فمن أين خصوه بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ..؟ !!

وينسب إلى المسيح : » أنه قال : إنما جئت لألقى فى الأرض السلام والمحبة » ثم ينسب إليه أنه قال : ما جئت لأصنع فى الأرض سلاما ، ولكنى جئت لأفرق بين المرأة وزوجها ، وبين الابن وأبيه .

والتناقضات كثيرة تجل عن الحصر ، ويمكن أن نشير إجمالًا إلى ما جاء خاصًّا بالمسيح عليه السلام ، فهو فى أناجيلهم مرة : ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف النجار ، وثالثة هو ابن داود ، وهو ابن الإنسان مرة ، وهو إله يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو الله والله فيه ، ومرة هو فى تلاميذه وهم فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ومرة لا يحكم على أحد ، ولا تنفذ إرادته ، ومرة هو نبى وغلام ، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولّاه هو ، وصار يشرّف الله تعالى ، ويعطى مفاتيح السماوات ، ويولى أصحابه خطة التحريم والتحليل فى السماوات وفى الأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعطش ويشرب ، ويعرق من الخوف ، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تيناً يأكله ، ويفشل فيركب حمارة ، ويؤخذ فيلطم وجهه ، ويضرب رأسه بالقصبة ، ويبزق فى وجهه ، ويضرب ظهره بالسياط ، وتمر به الشرُط ويتهكمون به ؛ ويُسقى الخل فى الحنظل ، ويصلب بين سارقين ، وتسمّر يداه ، ومات ودفن ، ثم يحيا بعد الموت ، ولم يكن له همّ إذ عاد إلى

الحياة بعد الموت حين اجتمع بأصحابه إلّا أن يطلب شيئًا يأكله فأطعموه الحوت المشوى ، وسقوه العسل ، ثم انطلق إلى شغله .

هذا كله ورد فى أناجيلهم .

أمّا كتبهم الأخرى فحافلة بالكذب والكفر والهوس .

ففى رسائل يوحنا اللّاهوتى يتحدث عن المسيح بعد صلبه – على زعمهم – فيقول : إنه رآه فى وسط سبعة منابر من ذهب ، متسربلًا بثوب إلى الرجلين ، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيره ، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين ، فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى علىَّ قائلا لا تخف ، أنا هو الأول والآخر . فهل هذا القول إلا استخفاف وتماجن أهكذا يكون الإله فى نظرهم !!

وفى رسائل يهوذا ويعقوب ، يقولون : « قال الله والد ربنا المسيح ، وفعل الله والد سيدنا المسيح » كأنهم يخبرون عن نسب من الأنساب ، وولادة من الولادات !!! ويقول « بولس » فى إحدى رسائله : « إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم » وسائر التلاميذ كانوا مختونين فوجب أن المسيح لا ينفعهم ، فإن كان بولس صادقًا فإن المسيح لن ينفعهم ، وإن كان كاذبًا فكيف يأخذون دينهم عن كذّاب ..؟ !!

ومن هوسهم قولهم : « إن المسيح أتى ليأخذ بجراحة آلامنا ، وبكلومه ذنوبنا » وهذا كلام لا مدلول له فأىّ ألم أخذ المسيح بجراحه ، وكيف تؤخذ ذنوب الناس بكلومه وفى طيات هذا القول دعوة إلى ارتكاب الذنوب ، وعمل الآثام دون خوف ، مادام المسيح سيكفر عن هذه الخطايا ، ويأخذ بكلومه ذنوب الناس .. أين هذا التماجن من قول الله تعالى : وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى » . (فاطر : ١٨) ومن قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينه » (المدثر : ٣٨) .

ومضى ابن حزم يفند ما ورد فى الأناجيل ، وفى رسائل القديسين – على زعمهم – ويثبت بالدليل والبرهان أنها محرّفة مبدّلة ، ولا يمكن أن تكون من عند الله – جلَّ الله تعالى – عن هذا التناقض .

ثم يتحدَّث ابن حزم بعد ذلك عن المتشابه فى القرآن الكريم ، ويذكر ما أورده بعض اليهود والنّصارى من اعتراضات ، ويردُّ عليها بالأدلة النقلية والعقلية التى تبدّد كل شك ، وتمحو كلَّ غموض .

من ذلك ما ردّدوه من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن ، فبعض القرَّاء يزيد حرفا ، وبعضهم يسقطه . وبعض الصحابة والتابعين قرءوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدّلة لا يستحل جمهور المسلمين القراءة بها .

وأنَّ مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحف المسلمين ، وأن عثمان بن عفان أبطل قراءات كثيرة صحيحة وأسقطها حين كتب المصحف الذى جمع المسلمين عليه .

والرَّوافض يزعمون أنَّ أصحاب النبى عليه السلام بدّلوا القرآن ، وأسقطوا منه وزادوا فيه ... وغير ذلك من الاعتراضات التى انبرى لها ابن حزم ووضَّحها ، وأزال ما دار حولها من لبس وغموض .

فقد بيَّن أنَّ القراءات كلّها منقولة « نقلًا صحيحًا فبأىِّ قراءة من هذه القراءات قرأنا القرآن فهى قراءة صحيحة لأن الخلاف بينها لا يعدو أن يكون خلافًا فى اللهجات العربية .

وأمّا أننا لا نستحل ما قرأه الصحابة والتابعون بالزيادة أو بالنقص – فهذا صحيح ، لأن الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ ، ونحن لا نقلدهم فى شىءٍ مما قالوه ، وإنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله ﷺ بالمشافهة أو بالسماع لما ثبت من عدالتهم وصدقهم ، أمَّا ما قالوه برأى أو بظن فلسنا مكلفين به .

وأمّا ما قيل من أن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا فباطلٌ وظنٌّ لا يقوم على دليل ، لأن مصحف عبد الله بن مسعود فيه قرآته ، وهى قراءة عاصم المشهورة عند المسلمين .

وما قيل من أن مصحف عثمان مختلف عن بقية المصاحف فهذا باطل أيضًا لأن عثمان لم يل الخلافة إلا وكل بلدٍ من بلاد المسلمين فيها مصحف – وإنما خشى عثمان أن يأتى فاسق يسعى فى كيد الدّين ، أو يهِم واهم فيبدّل شيئًا من المصحف عمدًا – فيكون اختلافاً يؤدى إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجتَمعًا عليها ، وبعث بها إلى الأمصار ...

وأمَّا دعوى الرَّوافض تبديل القرآن فالرَّوافض ليسوا من المسلمين بل هم فرقة ضلّت وزاغت عن الدّين .

ثم تحدَّث أبو محمد عن نقل القرآن الكريم وكيف تمَّ ، وأثبت أنه نقل صحيح متواتر لم يتهيأ مثله لليهود فى نقل التوراة ، كما لم يتهيأ للنصارى فى نقل الإنجيل .

وذكر فصولًا اعترض بها جهال الملحدين على ضعفة المسلمين ، وحَمَل على بعض المسلمين الذين لا يفقهون من الأحاديث غير ما يتعلق بالإسناد ، وجمع الغرائب دون أن يتعمقوا فى فقه المعنى ، وتعرّف الأحكام .

ففى أيام ابن حزم كثر اشتغال الناس بعلم الفلك ، والنجوم ، ونسب إليها بعضُهم أمورًا تتعلَّق بحياة الإنسان ومصيره ، ووهبوها النطق والقدرة والتدبير ولم يجد هؤلاء الملحدون من علماء الدين فى عصره من تمكنه ثقافته وعلمه من الرَّد عليهم وتفنيد حججهم .. فرأى أبو محمد أنَّ من عظيم الأجر أن يتصدَّى لهذه الفئة ، ويبين لهم ما أشكل عليهم ، ويوضح للمسلمين وَهَن ما أوردوه .. فبين أن هذه الكواكب مخلوقات لا تنطق ولا تدبّر وإن كان لها تأثير فى العالم فلا يعدو أن يكون تأثيرها كتأثير النار فى الإحراق ، والماء فى الرِّى ، والسمّ فى إفساد المزاج ، والطعام فى التغذية ، والفلفل فى حذو اللسان ، والإهليج فى القبض .. وكل ذلك غير ناطق والكواكب والأفلاك تجرى هذا المجرى فلا تدبير لها ولا تصرف .

وتعرّض أبو محمد للحديث عن كروية الأرض ، فساق أدلة من القرآن والسنة على أنها كروية ، ومن ذلك قول الله تعالى : « يكوِّرُ اللَّيلَ على النهارِ ، ويكوِّر النهارَ على الليل » . (الزمر : ٥) .

وقوله تعالى : « كلٌّ فى فلك يسبحون » (الأنبياء : ٣٣) .

فقد أخبر سبحانه وتعالى أن الشمس والقمر والنجوم تسبح فى الفلك ، ولم يخبر أن لها سكونًا ، فلو لم تستدر لكانت على آباد الدّهور بل فى الأيَّام اليسيرة تغيب عنَّا حتَّى لا نراها أبدًا . ولو مشت على طريق واحد وخط مستقيم أو معوج غير مستدير لكنَّا أمامها أبدًا . وهذا باطل بالمشاهدة ، فصحَّ بما نراه من كرورها من غرب إلى شرق ، ومن شرق إلى غرب أنها دائرة ضرورة .

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : « والشَّمسُ تجرى لمستقرٍّ لها » (يس : ٣٨) فقال عليه السلام : « مستقرُّها تحت العرش »[١] .

وقد علمنا أن مستقر الشيء هو موضعه الذى يلزم فيه ، ولا يخرج عنه ، وإن مشى فيه من جانب إلى جانب .

وتحدث أبو محمد عن الملل المخالفة لدين الإسلام ، التى تخالف عقيدة التوحيد ، فأثبت فسادها وبطلانها ، وبيَّن بالبراهين القطعية إثبات الأشياء ووجودها ، وحدوثها كلها جواهر وأعراضا ، ثم إنَّ لها محدِثًا واحداً مختاراً لم يزل لا شيء معه ، وأنه فعل لا لعلة ، وترك لا لعلّة بل كما شاء لا إله إلَّا هو . ثم أقام الدليل على صحة النبوّات ، ثم على صحة نبوّة محمد عليه السلام ، وأنَّ ملته هى الحق ، وكل ملة سواها باطل ، وأنه آخر الأنبياء عليهم السلام ، وملّته آخر الملل وخاتمها .

وتحدث أبو محمد حديثًا ضافيًا عن الفرق الإسلامية : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ، والشيعة ، وذكر ما تميزت به كل فرقة وعمدتها فيما اتجهت إليه .

فالمرجئة عمدتهم الكلام على الإيمان والكفر ما هما ؟ وعن الوعيد ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

والمعتزلة عمدتهم الكلام فى التوحيد ، وصفات البارى ، ويزيد بعضهم الكلام فى القدر ، والتسمية بالفسق والإيمان والوعيد .

والشيعة عمدتهم الكلام فى الإمامة ، والمفاضلة بين أصحاب النبى عليه السلام وعليهم الرضوان – واختلفوا فيما عدا ذلك .

والخوارج عمدتهم : الكلام فى الإيمان والكفر ما هما ؟ والوعيد ، والإمامة واختلفوا فيما عدا ذلك .

وقد تحدَّث أبو محمد عن كل فرقة ، وناقشهم فى آرائهم ، وانتهى إلى أن أهل السنة هم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدع والضلال .

ولم يقف أبو محمد عند هذا الحدِّ بل تحدَّث عن كلِّ موضوع من الموضوعات التى أثارت الشبه والاعتراضات فأورد فيه آراء الفرق الإسلامية ، ثم أنهى الحديث فيه ببيان الرأى الصحيح بسنده الوثيق .

فتكلّم فى التوحيد ، ونفى التشبيه ، وأسماء الله تعالى ، وانتهى فى ذلك إلى أنه لا يجوز أن يسمَّى الله تعالى ولا أن يخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شيء من خلقه ، ولكنا نقول : إنه تعالى لا يجهل شيئًا أصلًا ، وهذه صفة لا يستحقها أحدٌ دونه تعالى . ونقول : لا يغفل ألبتة ، ولا يضل ، ولا يسهو ولا ينام ، ولا يتحيّر ، ولا ينحلُّ ، ولا يخفى عليه متوهَّم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، ولا ينسى ، وكل هذا لا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلًا . ثم نقر بما جاء به القرآن والسنة لا نزيد فيه ولا ننقص ، ولا نحيله ، فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه .

وتكلم أبو محمد عن كل ما ورد فى القرآن أو فى السنة منسوبا إلى الله تعالى ، من الوجه ، واليد ، والعين ، والجنب ، والقدم ، والتنزل فبيّن أن ذلك كله يراد به ذات الله تعالى لا ما تقوله المجسّمه والمشبهة فهو مثل قوله تعالى : « وما ملكت أيمانكم » فهو لا يريد اليمين حقيقة ولكنه يقصد و « ما ملكتم » .

ثم تحدث عن الماهية فقال : ما هية الله هى أنيته نفسها – ولا جواب لمن سأل : ما هو

البارى ؟ غير ما أجاب به موسى عليه السلام على فرعون حين سأله وما رب العالمين ؟ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » . لأن الله حمد منه هذا الجواب ومدحه .

وختم حديثه فى هذا الجزء بالحديث عن : السخط ، والرضا ، والعدل ، والصدق ، والملك ، والخلق ، والجود ، والإرادة ، والسخاء ، والكرم ، وما يخبر عنه بالقدرة عليه ، وكيف يصح السؤال فى ذلك كله .

ولم يختلف فى تناوله هذه الصفات ، فهو يورد الآراء المختلفة لذوى النحل ثم ينهى ذلك بالرّد عليها ، وبيان الرأى الصحيح الذى يعتمد على البراهين النقلية والعقلية .

بقى أن نختم هذه المقدّمة بأننا حرصنا كل الحرص على تقديم هذا الكتاب للقارىء فى صورة خالية من الأخطاء ، ومن السقط ، ومن التحريف – على قدر جهودنا المتواضعة .

وقد عنينا فى هذا الجزء وفى بقية الأجزاء بالترجمة للأعلام التى وردت فيه ترجمات مختصرة ، وأرشدنا إلى مراجع هذه الترجمات ليستزيد من أراد الاستزادة ، كما عنينا بضبط الألفاظ المشتبهة ، والأعلام ، ونقيناه من الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى الطبعتين السابقتين (أ ، ب) .

هذا فضلا عن التبويب والتنسيق ، والتنظيم ، والعناية بالترقيم ، وغير ذلك مما يحبب القارىء فى قراءته ، وييسر له السبيل إلى المعنى .

والله سبحانه وتعالى – ينفع بهذا العمل – ويجعل قطوفه دانية الجنى ، قريبة التناول إنه سميع مجيب .

المحققـان

ابتداء ذكر الأناجيل

قال أبو محمد : وأما الإنجيل وكتب النصارى فنحن إن شاء الله عزّ[1] وجل موردون[2] من الكذب المنصوص فى أناجيلهم ومن التناقض الذى فيها أمرًا لا يشك كل من رآه فى أنهم لا عقول لهم وأنهّم مخذولون جملة .

وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مُسْكَةُ عقل ، ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان فى أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عزّ وجلّ ،ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك فى التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء[3]، التى عند اليهود لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التى بأيديهم منزلة من[4] الله عز وجل على موسى عليه السلام . فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم فى ذلك . وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها لأنّهم لا يدعون أنّ الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح ، ولا أن المسيح عليه السلام[5] أتاهم بها ، بل كلهم أولهم عن آخرهم أريوسيهم ، وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبهم ومارونيهم[6]، وبولقانيّهم لا يختلفون فى[7] أنها أربعة تواريخ ألّفها أربعة رجال معرفون فى أزمان مختلفة .

فأوّلها تاريخ ألّفه متّى اللاّوانى (تلميذ المسيح) بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام

---

(١) فى (أ ، ب) : تعالى بدلا من (عر وجل) .
(٢) فى (خ) : [موردون ما من الكذب] بزيادة [ما] .
(٣) فى (أ ، ب) : عليهم السلام .
(٤) فى (أ ، ب) : [من عند الله] .
(٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عليهم السلام) .
(٦) ترجمنا لهذه الطوائف فى الجزء الأول .
(٧) فى (أ ، ب) « مس » بدلًا من « فى » .

وكتبه بالعبرانية فى بلد يهوذا[٨] بالشام يُكوِّن نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط ، والآخر تاريخ ألّفه مارقش الهارونى[٩] (تلميذ شمعون[١٠] بن يونا[١١] المسمّى باطْرة) بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح[١٢]. وكتبه باليونانية فى بلد أنطاكية[١٣]، من بلاد الروم ويقولون : إن شمعون المذكور هو ألّفه ثم محا اسمه من أوله ، ونسبه إلى تلميذه مارقش ، يُكوِّن أربع عشرة[١٤] ورقة بخط متوسط ، وشمعون المذكور تلميذ المسيح .

والثالث تاريخ ألّفه لوقا[١٥] (الطبيب الأنطاكى تلميذ شمعون باطْرة[١٦]) كتبه باليونانية فى بلدة إقاية[١٧]، بعد تأليف مارقش المذكور يُكوِّنُ مِنْ قدر إنجيل[١٨] متّى .

والرابع تاريخ ألّفه يوحنا[١٩] بن سبذاى تلميذ المسيح ، بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية فى بلد استيه[٢٠] يكوّن أربعًا وعشرين ورقة بخط متوسط ، ويوحنا هذا نفسه هو ترجم إنجيل متّى صاحبه من العبرانية إلى اليونانية .

ثم ليس النصارى كتاب قديم يعظّمونه بعد الأناجيل[٢١] إلّا الأفركسيس وهو كتاب ألّفه لوقا

---

(٨) يهوذا : أحد حوارى يسوع ، خانه وأسلمه إلى أعدائه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة ، شنق نفسه بعد خيانته . وهو غير (يهوذا) الرسول أحد الرسل الاثنى عشر ، فهذا يدعى تداوس أولباس ويكتنى بآخر يعقوب تمييزًا له عن يهوذا الاسخريوطى الذى أسلم المسيح لخصومه (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٩) مارقس : هو المسمّى فى الإنجيل الحالى (مرقس) ، وإنجيله الحالى مكون من ثلاث وثلاثين صفحة ، وعدد أصحاحاته ستة عشر إصحاحًا .

(١٠) فى (أ) : شمعون الصفا .

(١١) فى (أ) : توما .

(١٢) فى (أ) : عليه السلام .

(١٣) أنطاكية : بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة ، أول من بناها « انطيخس » وهو الملك الثالث بعد الإسكندر وهى قصبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء ، وعذوبة الماء ، دخلها الرشيد فى بعض غزواته فاستطابها ، ولكنه خرج منها بنصيحة من أهلها ، وبها قبر حبيب النجار الذى نزل فيه قول الله تعالى : « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى » وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم (معجم البلدان : ٢٦٩/١) .

(١٤) فى (أ ، ب) : أربعا وعشرون ورقة .

(١٥) إنجيل لوقا الحالى مكون من تسع وثمانين صفحة ، وأربعة وعشرين إصحاحًا .

(١٦) فى (أ ، ب) : بزيادة (أيضًا) .

(١٧) إقاية :

(١٨) أى يبلغ مقداره إنجيل متّى ، وقد أشار أبو محمد إلى أن إنجيل متّى ثمان وعشرون ورقة ، ولكن إنجيل متّى الحالى مكون من ثمانية وعشرين إصحاحًا ، وعدد صفحاته ست وخمسون صفحة .

(١٩) إنجيل يوحنا مكون من واحد وعشرين إصحاحًا ، وعدد صفحاته أربع وأربعون صفحة .

(٢٠) فى (ب) : (أشنيه) بالشين . وأستيا : بالفتح ثم السكون وكسر التاء وياء وألف من أشهر مدن الغُور بضم المعجمة ، وهى جبال بين هراة وغزنة (معجم البلدان ظ/١٧٦) .

(٢١) فى (أ ، ب) : (الأناجيل الأربعة) .

الطبيب المذكور ، فى أخبار الحواريين[٢٢] وأخبار صاحبه بولش[٢٣] البنياميني ، وسيرهم وقتلهم يكوّن نحو خمسين ورقة بخط مجموع .

وكتاب الوحى والإعلان[٢٤] ألّفه يوحنا بن سبذاى المذكور ، وهو كتاب فى غاية السخف والركاكة ، ذكر فيه مارأى[٢٥] من الأحلام وإذ أسرى به وخرافات بارده .

والرسائل القانونية وهى سبع رسائل فقط منها ثلاث رسائل ليوحنا بن سبذاى المذكور ، ورسالتان لباطرة شمعون المذكور ، ورسالة واحدة ليعقوب ابن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهودى بن يوسف تكوّن كل رسالة من ورقة إلى ورقتين فى غاية البرد والغثاثة . ورسائل بولش تلميذ شمعون باطرة وهى خمس عشرة رسالة تكوّن كلها نحو أربعين ورقة ، مملوءة حمقا ورعونة وكفرًا ، ثم[٢٦] كتاب لهم بعد ذلك فلا خلاف بينهم[٢٧] أنه من تأليف المتأخرين من أساقفتهم ، وبطاركتهم كمجامع البطاركة والأساقفة الكبار البتة ، وسائر مجامعهم الصغار وفقهم فى أحكامهم الذى عمله لهم « ذكريد[٢٨] » الملك وبه يعمل نصارى الأندلس ، ثم لسائر النصارى أحكام أخرى[٢٩] أيضاً عملها لهم من شاء الله تعالى أن يعملها من أساقفتهم لا يختلفون فى هذا كله ، إنه كما قلنا : ثَمَّ أخبار شهدائهم فقط فجميع نقل[٣٠] النصارى أوله عن آخره حيث كانوا هو راجع إلى الثلاثة الذين[٣١] سمينا فقط ، وهم بولش ومارقش ولوقا ، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط ، وهم باطره ومتّى ويوحنا ويعقوب ويهوذا ولا مزيد .

وكل هؤلاء فأكذب البرية وأخبثهم على ما نبين بعد هذا[٣٢] إن شاء الله تعالى . على أن بولش حكى فى الأفركسيس وفى إحدى رسائله ، أنه لم يبق مع باطرة إلا خمسة عشر يوما ، ثم لقيه

---

(٢٢) الحواريون هم : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وأندراوس ، وفيلبس ، وتوما ، وبرثولماوس ، ومتّى ، وعقوب بن حلفَى ، وسِمْعان الغيور ، ويهوذا أخو يعقوب . وقد ترجم عنوان الكتاب ترجمة حالية تحت اسم أعمال الرسل بدلًا من أخبار الحواريون . (راجع أعمال الرسل فى الكتاب المقدس : الإصحاح الأول · طظ ، ذظ) . ولكن القرآن الكريم لم يذكر أسماءهم .

(٢٣) بولش البنياميني · هو بولس الرسول كما فى الإنجيل الحالى .

(٢٤) كتاب الوحى والإعلان · جاء فى الترجمة الحالية ضمن الكتاب المقدس بعنوان : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، ويقع فى اثنين وعشرين إصحاحًا .

(٢٥) فى (أ ، ب) : « ما رآه فى الأحلام » .

(٢٦) فى (أ ، ب) · « ثم كل » .

(٢٧) فى (أ ، ب) : « فى أنه » .

(٢٨) فى (أ ، ب) : ركويد .

(٢٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أخرى)

(٣٠) فى (ح) · (نفل) بالفاء المفردة .

(٣١) فى (أ ، ب) : (الدى) . وقد أورد النديم فى مقالته الأولى الفن الثانى فصلًا عن الكلام على التوراة التى فى يد اليهود وأسماء كتبهم وأخبار علمائهم ومصنفيهم ، كما أورد فصلا آخر عن (الكلام على إنجيل النصارى وأسماء كتبهم وعلمائهم ومصنفيهم ، فليرجع إليه من أراد الوضوح والاستزادة الفهرست المقالة الأولى – الفن الثانى ص ٢٥ فى الطبعة دانشكاه طهران) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : « ذلك » .

مرة أخرى وبقى معه أيضًا يسيرًا ، ثم لقيه الثالثة فأخذا جميعًا وصلبًا إلى لعنة الله . إلا أن الأناجيل الأربعة والكتب التى ذكرنا أن عليها معتمدهم فإنها عند جميع فرق النصارى فى شرق البلاد[٣٣] وغربها على نسخة واحدة ، ورتبة واحدة ، لا يمكن أحد أن يزيد فيها كلمة ولا أن ينقص منها أخرى ، إلا افتضح عند جميع النصارى . لأنها مبلغة كما هى إلى مارقس ولوقا ويوحنا لأن يوحنا[٣٤] هذا هو الذى نقل إنجيل متى عن متّى ورسائل بولش مبلغة كذلك إلى بولش .

واعلموا أن أمر النصارى أضعف من أمر اليهود بكثير لأن اليهود كانت لهم مملكة ، وجمع عظيم مع موسى عليه السلام وبعده ، وكان فيهم أنبياء كثير ، ظاهرون آمرون مطاعون ، كموسى[٣٥] وهرون ويوشع[٣٦] وشموال[٣٧] وداود وسليمان عليهم السلام . وإنّما دخلت الداخلة فى التوراة بعد سليمان عليه السلام ، إذ ظهر فيهم الكفر وعبادة الأوثان ، وقتل الأنبياء وحرق التوراة ونهب البيت مرة بعد مرة ، واتصل كفر جميعهم إلى أن تلفت دولتهم على ذلك .

وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط ، هكذا فى الإفركسيس ، ونسوة منهن امرأة وكيل هردوس وغيرها ، كن ينفقن عليه أموالهن ، هكذا فى نص إنجيلهم وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين فى حياته ، وبعده يدعون إلى دينهم[٣٨] سرا لا يكشف منهم[٣٩] أحد وجهه إلى الدعاء إلى ملته ، ولا يظهر دينه ، وكلّ من ظفر به منهم فإنّه[٤٠] قتل بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار ، وأشطيبن الذى يسمونه بكر الشهداء وغيره ، وإما صلب كما صلب باطرة وانددرياش أخوه وشمعون أخو يوسف النجار ، وفلبش[٤١] وبولش وغيرهم[٤٢] أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا

---

(٣٣) فى (أ ، ب) : « شرق الأرض » .

(٣٤) فى (أ ، ب) : « هو الذى » .

(٣٥) فى (خ) : « لموسى » .

(٣٦) يوشع : هو ابن نون من أنبياء بنى إسرائيل بعثه الله نبيا ، فدعا بنى إسرائيل وأخبرهم أنه نبى ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فقاتلهم يوم الجمعة قتالًا شديدًا حتى أمسوا وغربت الشمس ، ودعا الله تعالى فردت عليه الشمس فهزم الجبارين (الطبرى : ٢٢٧/١) نقلا عن هامش الملل والنحل جـ ٢ ص ١٠ نشر مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٨م .

(٣٧) ورد فى الكامل لابن الأثير : تحت اسم (أشموئيل) وذكر أنه ابن بالى.، وقد بعثه الله فى بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وأخذ التابوت منهم ، وضرب جالوت ملك الكنعانيين الجزية ، فدعو الله أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه ، فأرسل إليهم أشموئيل ومعناه (سمع الله دعائى) ، وقدور فى الكتاب المقدس تحت اسم « صموئيل » . وقد دعا الله أن يرسل إليهم ملكا قويا يقاتلون معه جالوت ، فاستجاب الله دعاءه وأرسل إليهم لجالوت فحاربوا تحت لوائه وانتصروا . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة فى قوله تعالى « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . . (الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١) البقرة . وخبر هذا النبى ورد فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ١٢١/١ - ط : دار الكتاب العربى ببيروت ١٩٦٧ .

(٣٨) فى (أ ، ب) : (دينه) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (أحد منهم) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فإنه) .

(٤١) فى (أ ، ب) : (مليش) .

(٤٢) فى (أ ، ب) : « وغيرهما » وهو خطأ .

وطوما[٤٣] وبرتلوما ويهوذا بن يوسف النجار ، ومتّى . أو بالسم كما قتل يوحنا بن سيذاى ، وبقوا[٤٤] على هذه الحال لا يظهرون ألبتة ، ولالهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة ، بعد رفع المسيح عليه السلام .

وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم ، وخزيًا لهم ، فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك ، فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم ، واجتمعوا وأمنوا ، وكان سبب تنصره أن أمه هلانى كانت بنت نصرانى فعشقها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين ، فربته على النصرانية سرًّا ، فلما مات أبوه وولى هو أظهر النصرانية ، بعد أعوام كثيرة من ولايته ، ومع ذلك فما قدر على إظهارها حتى رحل عن رومية مسيرة شهر إلى القسطنطينية وبناها ، ومع ذلك فإنما كان أريوسيا هو وابنه بعده يقولان : إن المسيح عبد مخلوق ، نبى الله تعالى فقط وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل ، لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يوجد[٤٥] إلا سرًّا تحت السيف ، لا يقدر أهله على حمايته ، ولا على المنع من تبديله ، ثم لما ظهر دينهم بتنصر[٤٦] قسطنطين كما ذكرنا فشا فيهم دخول المنّانية تقية[٤٧] ولم يكن فيهم غير[٤٨] منانية مدلسون عليهم ، فأمكنهم بهذا أن يُدخلوا[٤٩] من الضلال ما أحبّوا ، ولا يمكن ألبتة أن ينقل أحد عن شمعون باطرة ولا عن يوحنا ، ولا عن متّى ولا مارقش[٥٠] ولا لوقا[٥١] ولا بولش[٥٢] آية ظاهرة ، ولا معجزة فاشية[٥٣]، لما ذكرنا أنهم كانوا مختفين مستترين مظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره ، طول حياتهم . إلى أن ظفر بهم فقتلوا .

وكل ما يضيفه النصارى إلى هؤلاء من المعجزات فأكذوبات موضوعة ، لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد ، كالذى تدّعى اليهود لأحبارهم ، ورءوس مثانيهم ،وكالذى تدعيه المنانية لمانى سواء بسواء[٥٤] وكالذى تدّعيه الزوافض لمن يعظمونه وكالذى تدّعيه طوائف من المسلمين لقوم صالحين

(٤٣) فى (أ ، ب) : (طومار) .
(٤٤) فى (أ ، ب) : (فبقوا) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : « يؤخذ » بدلا من (يوجد) .
(٤٦) فى (أ ، ب) : « تنصُّر » وهوتحريف .
(٤٧) فى (أ ، ب) : « بغته » وهو تحريف .
(٤٨) فى (خ) : غير ما بطريارك منانية » الخ . وفى الأصل : « وكان فيهم »؟.
(٤٩) فى الأصل : « أم يدخلوا بهذا من الضلال فيما أحبوا » .
(٥٠) فى (أ ، ب) : « عن » .
(٥١) فى (أ ، ب) : « عن » .
(٥٢) فى (أ ، ب) : « عن » .
(٥٣) فى (أ ، ب) : باهرة .
(٥٤) فى (خ) : سقطت كلمة (بسواء) .

كإبراهيم(٥٥) بن أدهم ، وأبى مسلم(٥٦) الخولانى ، وشيبان(٥٧) الراعى ، وغيرهم وكل ذلك كذب وإفك وتوليد لأن(٥٨) من ذكرنا فإنما نقله راجع إلى من لا يدرى ، ومن لا يقوم بكلامه حجة . ولا صح برهان سمعى ولا عقلى بصدقه .

وهكذا كان أصحاب مانى مع مانى إلا أنه ظهر نحو ثلاثة أشهر إذ مكر به بهرام بن(٥٩) بهرام الملك ، وأوهمه أنه قد آمن به حتى ظفر بجميع أصحابه ، فصلب مانى وصلب جميع(٦٠) أصحابه ، إلى لعنة الله . فكل معجزة لم تنقل نقلا يوجب العلم الضرورى كافة عن كافة حتى تبلغ إلى المشاهدة فالحجة لا تقوم بها على أحد ، ولا يعجز عن توليدها من لا تقوى(٦١) له .

قال أبو محمد : معتمد النصارى كله الذى لا معتمد لهم غيره فى(٦٢) قولهم بالتثليث ، وأن المسيح إلاه وابن الله ، واتحاد اللاهوت(٦٣) بالناسوت ، والتحامه به إنما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما فى كتب اليهود ، كالزبور وكتاب أشعيا ، وكتاب أرميا ، وكلمات يسيرة من التوراة ، وكتب(٦٤) سليمان ، وكتاب زخريا ، وقد نازعهم اليهود فى تأويلها فحصلت دعوى مقابلة لدعوى ، وما كان هكذا فهو باطل وممّوه(٦٥)، لأنَّ التوراة وكتب الانبياء بأيديهم وبأيدى اليهود سواء ، لا يختلفون فيها ليصححوا نقل اليهود لسواد تلك الكتب ، ثم يجعلوا

---

(٥٥) إبراهيم بن أدهم : هو ابن منصور التميمى أبو إسحاق ، زاهد كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد ، وجال فى العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من العلماء ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين ، جاءه عبد لأبيه يحمل عشرة آلاف درهم إليه ، ويخبره أن أباه قد مات فى بلخ ، وخلف له مالاً عظيما ، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ، ولم يعبأ بمال أبيه . مات فى سوفنن (حصن من بلاد الروم) توفى عام ١٦١ هـ (الأعلام : ٢٤/١) .

(٥٦) هو : عبد الله بن ثوب الخولانى ، تابعى ، فقيه ، عابد ، زاهد ، نعته الذهبى بريحانة الشام ، أصله من اليمن ، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبى ﷺ ، ولم يره ، فقدم المدينة فى خلافة أبى بكر ، وهاجر إلى الشام ، وفى أكثر المصادر : كانت وفاته بدمشق سنة ٦٢ هـ ، وقبره بداريا ، وكان يقال له : أبو مسلم حكيم هذه الأمة (الأعلام : ٢٠٣/٤) .

(٥٧) هو : شيبان أبو محمد الراعى ، كان فى العبادة فائقًا ، وبالتوكل على ربه عز وجل واثقا ، حدث أحمد بن نصر عن محمد بن حمزة المرتضى قال : كان شيبان الراعى إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل ، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه ثم يعود إليها فيجدها على حالتها لم تتحرك .

(حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء : للحافظ الأصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، المجلد ٣١٧/٨) .

(٥٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (كل) .

(٥٩) هو بهرام بن هرمز مزين سابور : قتل مانى الزنديق ، وقد حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، ثم ولى ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز .

(٦٠) فى (أ ، ب) : وصلبهم كلهم .

(٦١) فى (أ ، ب) : (من لا يقوم له) .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (من) بدلا من (فى) .

(٦٣) فى (أ ، ب) : « اللاهوتية بالناسوتية » .

(٦٤) فى (أ ، ب) : « كتاب سسليمان » .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (وموهوا بأن) .

تلك الألفاظ[٦٦] حجة لهم ، دعواهم وتأويلهم ليس بأيديهم حجة غير هذا أصلًا . ولا جملة سوى هذه .

وقد أوضحنا بحول الله وقوته فساد أعيان تلك الكتب ، وأوضحنا أنها مفتعلة مبدلة لكثرة ما فيها من الكذب ، وأوضحنا[٦٧] فساد نقلها وانقطاع الطريق منهم إلى من نسبت إليه تلك الكتب بما لا يمكن أحد دفعه ألبتة بوجه من الوجوه . وبيَّنا أيضًا[٦٨] بحول الله وقوته فساد نقل النصارى جملة ، وإقرارهم بأن أناجيلهم ليست منزلة ولكنها[٦٩] مؤلفة لرجال ألفوها فبطل كل تعلق لهم والحمد لله رب العالمين .

* * *

ثم نورد إن شاء الله تعالى تكذيبهم فى دعواهم أن التوراة عند اليهود وعندهم سواء ، ونورد ما يخالفون فيه نص التوراة التى بأيدى اليهود ؛ حتى يلوح لكل أحد كذب دعواهم الظاهرة فى[٧٠] تصديقهم لنصوص التوراة التى عند اليهود . وترى[٧١] تكذيبهم لنصوصها ، فيبطل بذلك تعلقهم بما فيها ، وبما[٧٢] نقل اليهود ، إذ لا يصح لأحد الاحتجاج بتصحيح ما يكذب .

ثم نذكر بعون الله وقوته مناقضات الأناجيل والكذب الفاحش المفضوح الموجود فى جميعها ، وبالله تعالى التوفيق .

فيرتفع الإشكال جملة فى ذلك ويستوى فى معرفة بطلان كل ما بأيدى الطائفتين كل من اغترّ بكتبانهم لما فضحناه منا ومنهم من الخاصة والعامة ، ومن سائر الملل أيضًا ، ويصحح عند كل من طالع كلامنا هذا أن الذين كتبوا الأناجيل وألفوها[٧٣] كانوا كذابين ، مجاهرين بالكذب لتكاذبهم فيما أوردوه فيها من الأخبار ، وأنهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغترّبهم والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام ، السالم من كلّ غش ، البرىء من كل توليد ، الوارد من عند الله تعالى لا من عمل[٧٤] أحد دونه .

---

(٦٦) فى (أ ، ب) : (التى فيها الحجة لهم) .
(٦٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (أيضًا) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : [آنفا] .
(٦٩) فى (أ ، ب) : « ولكنها كتب » .
(٧٠) فى (أ ، ب) : (من) بدلا من (فى) .
(٧١) فى (خ) : (وقوى تكذيبهم) .
(٧٢) فى (أ ، ب) : (وبما فى) .
(٧٣) فى (خ) : (والقوها) وهو تصحيف .
(٧٤) فى (أ ، ب) : « لا من عند » .

« ذكر ما تثبته النصارى بخلاف نص التوراة وتكذيبهم لنصوصها التى بأيدى اليهود »

وادعاء بعض علماء النصارى أنهم اعتمدوا فى ذلك على التوراة التى ترجمها السبعون شيخًا ، لبطليموس لا على كتب عزرا الوراق ، و اليهود مؤمنون بكلتا النسختين ، والخلاف عند النصارى موجود فيهما .

قال أبو محمد : فى توراة اليهود التى لا اختلاف فيها بين الربانية والعنانية والعيسوية منهم : « لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة سنة ، ولد له ولد كشبهه وجنسه وسماه شيث[1]» .

وعند النصارى بلا خلاف[2] من أحد منهم ولا من جميع فرقهم « لما أتى لآدم[3] مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث ». وفى التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا : « فلما[4] عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد إينوش[5]» وعند النصارى كلهم : « لما عاش شيث مائتى سنة وخمس سنين ولد إينوش ».

وفى التوراة[6] عند اليهود كما ذكرنا : « أن إينوش لما عاش تسعين سنة ولد قِينَان[7]» وعند النصارى كلهم « أن إينوش لما عاش تسعين سنة ومائة[8] ولد قينان » وفى التوراة[9] عند اليهود كما ذكرنا : « أن قينان لما عاش سبعين سنة ولد مهللال[10]» وعند النصارى كلهم « أن قينان

---

(١) سفر التكوين : (الإصحاح ٥/٦) .

(٢) فى (أ ، ب) : (بلا اختلاف بين) .

(٣) فى (أ ، ب) : (على آدم) .

(٤) فى (أ ، ب) : (لما) .

(٥) فى (أ ، ب) : (نيوش) . وفى التوراة الحالية : (أنوش) (راجع سفر التكوين : الإصحاح ٥/٦ ، ٧) .

(٦) فى (أ) : التى عند اليهود . فى (ب) : (عند التى) .

(٧) سفر التكوين : (٥/٩) .

(٨) فى (أ ، ب) : التى عند .

(١٠) فى التوراة الحالية اسمه : (مَهْلَلْئِيل) راجع سفر التكوين : ٥/١٢ ، ١٣) .

لما عاش مائة سنة وسبعين سنة ولد مهللال » وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا : « أن مهللال لما بلغ خمسًا وستين سنة ولد يارد[١١]» وعند النصارى كلهم : « أن مهللال لما بلغ مائة سنة وخمسًا وستين ولد يارد » واتفقت الطائفتان[١٢] فى عمر يارد إذ[١٣] ولد له خنوخ[١٤] وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن خنوخ لما بلغ خمسًا وستين سنة ولد له[١٥] مَتُوشالخ وأن جميع عمر خنوخ كان ثلاثمائة سنة وخمسًا وستين سنة ، وعند النصارى كلهم أن خنوخ لما بلغ مائة سنة وخمسًا وستين سنة ، ولد متوشالخ وأن جميع عمر خنوخ كان خمسمائة سنة وخمسًا وستين سنة . ففى هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين فى موضعين .

أحدهما : سن خنوخ إذ ولد له متوشالخ والثانى كمية عمر خنوخ ، واتفقت الطائفتان على عمر متوشالخ إذ ولد له لامخ[١٦]، وعلى عمر لامخ إذ ولد له نوح ، وعلى عمر نوح إذ ولد له سام وحام ، ويافث ، وعلى عمر سام إذ ولد له أرفخشاذ[١٧].

وفى التوراة التى أن عند اليهود كما ذكرنا أن أرفخشاذ لما بلغ خمسًا وثلاثين سنة ولد له متشالخ[١٨] وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمسًا وثلاثين سنة . وعند النصارى كلهم ان أرفخشاذ لما بلغ مائة سنة وخمسًا وثلاثين سنة ولد له قينان ، وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة ، وأن قينان لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له شالخ ، فبين الطائفتين فى هذا الفصل وحده اختلاف فى ثلاثة مواضع .

أحدها : عمر أرفخشاذ جملة ، والثانى : سن أرفخشاذ إذ ولد له ولده . والثالث : زيادة النصارى من[١٩] أرفخشاذ وشالخ قينان وإسقاط اليهود له ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن شالخ لما بلغ ثلاثين سنة ولد له عابر[٢٠] وأن عمر شالخ كان أربعمائة سنة وثلاثين سنة ، وعند النصارى كلهم أن شالخ لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له عابر ، وأن عمر شالخ كله كان أربعمائة سنة وستين سنة .

---

(١١) فى (خ) (يازد) بالزاى . وفى التوراة الحالية (يَارَد) (التكوين : ٥/١٦ – ١٨) .
(١٢) فى (خ) : الطائفة .
(١٣) فى (خ) : (وإذ) .
(١٤) فى التوراة الحالية اسمه : (أَخْنُوخ) (سفر التكوين : ٥/١٨ – ٢١) .
(١٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (له) .
(١٦) فى التوراة الحالية : (لامك) (سفر التكوين : ٥/٢٦ ، ٢٨) .
(١٧) فى التوراة الحالية : أَرْفَكشاد .
(١٨) فى (أ ، ب) [شالخ] بالخاء . ولكن اسمه فى التوراة الحالية : [شَالَح] بالحاء المهملة .
(١٩) فى (أ ، ب) (بين) بدلًا من (من) .
(٢٠) سفر التكوين : (١١ : ١٤) .

ففى هذا الفصل تكاذب من(٢١) الطائفتين فى موضعين :

أحدهما : سن شالخ إذ ولد له عابر والثانى : كمية عمر شالخ : وعند اليهود كما ذكرنا فى التوراة أن قالع(٢٢) إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له « راغو(٢٣)» وعند النصارى كلهم أن قالع لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له « راغو » وفى توراة اليهود كما ذكرنا أن راغو لما بلغ اثنين وثلاثين سنة ولد له ساروع(٢٤) وعند النصارى كلهم أن راغو لما بلغ مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة ولد له شاروع ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن شاروع إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور . وكان عمر شاروع كله مائتى عام وثلاثين عاما . وعند النصارى كلهم ، أن شاروع إذ بلغ ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ناحور ، وأن عمر شاروع كله كان ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ،ففى هذا الفصل بين الطائفتين تكاذب فى موضعين :

أحدهما : عمر شاروع جملة والثانى : سن شاروع إذ ولد له ناحور ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن ناحور لما بلغ تسعا وعشرين سنة ولد له تارَحْ(٢٥)، وأن عمر ناحور كله كان مائة سنة وثمانيا وأربعين سنة . وعند النصارى أن ناحور لما بلغ تسعا وسبعين سنة ولد له تارح ، وأن عمر ناحور كله كان مائتى عام وثمانية أعوام ، ففى هذا الفصل بين(٢٦) الطائتين تكاذب فى موضعين :

أحدهما : عمر ناحور كله والثانى : سن ناحور إذ ولد له تارح . وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن تارح كان عمره كله مائتى عام وخمسة أعوام ، وعند النصارى كلهم أن نارح كان عمره كله مائتى عام وثمانية أعوام .

قال أبو محمد : فتولد بين الطائفتين(٢٧) من الاختلاف المذكور زيادة(٢٨) ألف عام وثلاثمائة عام وخمسين عامًا عند النصارى ، فى تاريخ الدنيا على ما هو عند اليهود فى تاريخها ، وهى تسعة عشر موضعًا كما ذكرنا(٢٩) فوضح اختلاف التوراة عندهم .

ومثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عزَّ وجل أصلًا ، ولا من قول نبى ألبتة . ولا من قول صادق عالم من عرض الناس ، فبطل بهذا بلا شك أن تكون التَّوراة وتلك

---

(٢١) فى (أ ، ب) (بين) .
(٢٢) فى (أ ، ب) (فالغ) وفى التوراة الحالية (فالَج) : (سفر التكوين : ١١/١٧ ، ١٨) .
(٢٣) فى التوراة الحالية اسمه : (رَعُو) (تكوين : ١١/١٨ ، ١٩) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : (شاروع) بالشين . واسمه فى التوراة الحالية : (سَرُوج) تكوين : ١١/٢٠ .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (تارخ) بالخاء ، وهو فى التوراة الحالية المهملة .
(٢٦) فى (أ ، ب) : (تكاذب بين) . (راجع سفر التكوين : من الإصحاح الخامس إلى الإصحاح ١١) .
(٢٧) فى (أ ، ب) : (فتولد من الاختلاف المذكور بين) .
(٢٨) فى (أ ، ب) : (زيادة عن) .
(٢٩) فى (أ ، ب) : (كما أوردنا) .

الكتب منقولة نقلا يوجب صحة العلم . لكن نقلا فاسدًا مدخولًا مضطربًا . ولابدّ للنصارى ضرورة من أحد خمسة أوجة ، لا مخرج لهم عن أحدها .

إما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة وأنها صحيحة عن موسى عليه السلام عن الله تعالى ، ولكتبهم وهذه طريقتهم فى الحجاج والمناظرة ، فإن فعلوا فقد أقرّوا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب ، إذ خالفوا قول الله عز وجل وقول موسى عليه السلام ، أو يكذبوا موسى(٣٠) فى ما نقل عن الله تعالى وهم لا يفعلون ذلك(٣١).

أو يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم ، فيبطل تعلقهم بما فى تلك الكتب مما يقولون إنه إنذار بالمسيح عليه السلام ، إذ لا يجوز لأحد أن يحتج بما لا يصح نقله .

أو يقولوا كما قال بعضهم : إنهم إنما عوّلوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخًا ، الذين ترجموا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس . فإن قالوا هذا فإنهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين :

إما أن يكونوا صادقين فى ذلك ، أو يكونوا كاذبين فى ذلك ، فإن كانوا كاذبين(٣٢) فقد سقط أمرهم والحمد لله رب العالمين ، إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب .

وإن كانوا صادقين فى ذلك فقد حصلت توراتان مختلفتان(٣٣) متكاذبتان متعارضتان ؛ توراة السبعين شيخًا وتوراة عزرا . ومن الباطل المحال(٣٤) الممتنع كونهما جميعًا حقًا من عند الله عز وجل . واليهود والنصارى كلهم مصدق مؤمن بهاتين التوراتين معًا ، سوى توراة السامرة(٣٥) فلابد ضرورة من أن تكون إحداهما حقًا ، والأخرى مكذوبة . فأيهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة ، ولا خير فى أمة تؤمن بيقين الباطل ، ولئن(٣٦) كانت توراة السبعين شيخًا هى المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوء كذّابين ملعونين ، إذ حرّفوا كلام الله وبدلوه ، ومَنْ هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه ولا قبول نقله ، ولئن(٣٧) كانت توراة عزرا المكذوبة فقد

---

(٣٠) فى (أ ، ب) : (عليه السلام) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (هذا) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : (فى ذلك) .
(٣٣) فى (أ ، ب) : (متخالفتان) .
(٣٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (المحال) .
(٣٥) فى (أ ، ب) : السامرية . والسامرة : لهم توراة خاصة تخالف توارة اليهود ، ولا يعرف زمن ظهورها ، وقد اجتهد العلماء فى تحديد زمانها فلم يوفقوا له ، والذى يعرف أنه كان إلى القرن السادس عشر مجهولًا ، وفى السابع عشر جلب العالم « أيسريوس » نسخا منها من الشرق ، وفى الوقت نفسه جلب المسيو « هارلى دوسانس » سفير فرنسا لدى تركيا نسخة منها مع كتب أخرى . (دائرة معارف القرن العشرين) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (وإن) .
(٣٧) فى (أ ، ب) : (وإن) . وقد ذكر النديم فى فهرسته أن جميع ما أنزل الله تعالى من الكتب مائة كتاب وأربعة وقد أنزل الكتاب الخامس على موسى وعو عشرة صحائف ، ثم نزل التوراة على موسى عليه السلام بعد الصحف بزمان فى عشرة ألواح ، فلما نزل موسى من الجبل ووجد أصحابه قد عبدوا العجل رمى بها فتكسرت ثم ندم فسأل الله عز وجل أن يردها عليه فأوحى الله له أنى أردها فى لوحين ، وفعل الله ذلك فأحد اللوحين لوح الميثاق ، والآخر لوح الشهادة (الفهرست : الفن الثانى من المقالة الأولى) .

كان كذّابا إذ حرف كلام الله ولا يحل أخذ شيء من الدين عن كذاب ولابد من أحد الأمرين .

أو تكون كلتاهما كذبًا وهذا هو الحق اليقين الذى لا شك فيه لما قدمنا ممّا فيها[٣٨] من الكذب ، الفاضح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة وسقطت الطائفتان معًا ، وبطل دينهم الذى إنما مرجعه إلى هذه[٣٩] الكتب المكذوبة . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

قال أبو محمد : فتأملوا هذا الفصل وحده ، ففيه كفاية فى تيقن بطلان دين الطائفتين فكيف سائر[٤٠] ما أوردناه .. إذا استضاف إليه .. ؟ !!

وفى التوراة وعند اليهود وعند النصارى اختلاف آخر اكتفينا منه بهذا القدر ، والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام المنقول إلينا نقل الكواف ، إلى رسول الله ، المعصوم ﷺ ، البرىء من كل كذب وكل[٤١] محال ، الذى تشهد له العقول بالصحة[٤٢].

* * *

(٣٨) فى (خ) : (فيه كذب) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (تلك) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : (بسائر) .
(٤١) فى (أ ، ب) : (ومن كل) .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (والحمد لله رب العالمين) .

« ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة والكذب الظاهر الموجود [1] فيها » .

قال أبو محمد : أول ذلك[2] أن أول مبدأ إنجيل متى اللوانى ، الذى هو أول الأناجيل بالتأليف والرتبة ، مُصَحِّفٌ نِسبةَ يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم وإبراهيم ولَدَ إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، وليهوذا وُلِدَ مِنْ ثامار[3]: فارض[4] وتارح ، ثم إن فارض ولد حصروم[5]، وحصروم ولد إدام[6]، وإدام ولد عميناذاب[7]، وعميناذاب ولد نحشون[8]، ونحشون ولد أشلومون[9] وأشلومون ولد له من راحاب : بوعز ، وبوعز ولد له مِنْ ذوث[10]: عوبيذ[11]، وعوبيذ ولد له أيشاى[12]، وإيشاى ولد له داود الملك ، وولد داود الملك أشلومون[13]، وأشلومون ولد رحبعام[14]، ورحبعام ولد أبيوب[15]، وأبيوب ولد أشا[16]، وأشا ولد يهوشافاط ، ويهوشافاط ولد يهورام[17]، ويهورام

---

(١) فى (أ ، ب) : (الموضوع) .
(٢) فى (أ ، ب) زيادة (مبدأ الخلق) وهى زيادة تخل بالمعنى .
(٣) فى (أ ، ب) : ثامان .
(٤) فى إنجيل متى الحالى اسمهما : « فَارِص وزَارَح » (الإصحاح ٣/١) .
(٥) فى (أ ، ب) : حضروم بالضاد ، ولكن اسمه فى إنجيل متى الحالى : (حَصْرُون) (الإصحاح : ٣/١) .
(٦) فى (أ ، ب) : إرام ، ولكنه فى إنجيل متى (أرام) بفتح الهمزة .
(٧) فى إنجيل متّى : (عميناداب) بالدال المهملة .
(٨) فى إنجيل متى : (نَحْشُون) بالنون والحاء . وفى (أ ، ب) زاد (الخارج من مصر أخو زوجة هارون) .
(٩) فى إنجيل متى : (سلمون) .
(١٠) فى إنجيل متى اسمها (رَاعُوث) . وفى (أ ، ب) : (روث) .
(١١) اسمه فى إنجيل متى : (عُوبيد) بالدال المهملة .
(١٢) فى إنجيل متى : (يسَّى) .
(١٣) فى إنجيل متى : (سليمان) .
(١٤) فى (أ ، ب) : (رجيعام) .
(١٥) فى إنجيل متى : (أبيًّا) .
(١٦) فى إنجيل متى : (آسا) بالسين المهملة .
(١٧) فى إنجيل متى : (يورام) .

ولد أحزياهو(١٨)، وأحزياهو ولد يوثام ، ويوثام ولد أحاز ، وأحاز ولد أحزياهو(١٩)، وأحزياهو ولد منشا(٢٠)، ومنشا ولد آمون ، وأمون ولد يوشيَّاهو(٢١)، ويوشياهو ولد يخنيا(٢٢)، وإخوته وقت الرحلة إلى بابيل(٢٣)، وبعد ذلك ولد لنحنيا صلشاييل(٢٤)، ولصلشاييل ولد زربابيل(٢٥)، وزربابيل ولد أبيوب(٢٦)، ولأبيوب ولد الياجيم(٢٧)، ولألياجيم ولد آزور(٢٨)، وآزور ولد صدوق ، وصدوق ولد أجيم(٢٩)، واجيم ولد اليوث(٣٠)، واليوث ولد العَزار(٣١)، والعَزار ولد شان(٣٢)، وشان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف خطيب(٣٣) مريم التى ولدت يسوع الذى يدعى مسيحًا ، فصار من إبرهيم إلى داود أربعة عشرأبا(٣٤). ومن داود إلى وقت(٣٥) الرحلة أربعة عشرأبا ، ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأبا ، فجميع الموالد من إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودا .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل خلاف لما فى كتب(٣٦) اليهود والتوراة ، التى هى عندهم فى النقل كالتوراة ، وهما كتاب ملاخيهم(٣٧)، وكتاب وبراهياشيم(٣٨) فقال ههنا تارح بن يهوذا . وفى التوراة زارح بن يهوذا ، وهذا اختلاف فى الإسم ، وكذب من أحد الخبرين ، والأنبياء لا يكذبون .

وقال ههنا احزياهو بن بهورام ، وفى كتب اليهود أحزيا بن يورام ، وهذا اختلاف فى الأسماء ووحى الله تعالى لا يحتمل هذا ، فأحد النقلين كاذب بلا شك . وقال ههنا يوثام بن أحزياهو وفى كتب اليهود المذكورة يوثام بن عزريا ، بن أمصيا بن يواش(٣٩) بن أحزيا ، فأسقط ثلاثة آباء

(١٨) فى إنجيل متى : (عُزيًّا) .
(١٩) فى إنجيل متى : (حِزْقيا) . وفى (أ ، ب) (أحزيا) بدون (هو) .
(٢٠) فى إنجيل متّى : (منسَّى) .
(٢١) فى إنجيل متى : (يُوشِيًّا) بدون (هو) .
(٢٢) فى إنجيل (يَكُنْيَا) . وفى (أ ، ب) : (ولد نحنيا) .
(٢٣) فى إنجيل متى : (عند سبى بابل) .
(٢٤) فى إنجيل متى : (شَأَلْتِيئيل) .
(٢٥) فى إنجيل متى : (زَرُبَّابل) . وفى (أ ، ب) : (روبابيل) .
(٢٦) فى إنجيل متى : (أَبِيهُود) . وفى (أ ، ب) : (أبيوس) .
(٢٧) فى إنجيل متّى : (أَلِيَاقيم) .
(٢٨) فى إنجيل متى : (عَازور) .
(٢٩) فى إنجيل متّى : (أخيم) بالخاء .
(٣٠) فى إنجيل متى : (أَلِيُود) .
(٣١) فى إنجيل متّى : (أَلِيعَازَر) .
(٣٢) فى إنجيل متى : (مَتَّان) . (أ ، ب) : (مثان) .
(٣٣) فى إنجيل متّى : (رَجُل مريم) .
(٣٤) فى إنجيل متى : (جيلًا) .
(٣٥) فى إنجيل متى : (إلى سبى بابل) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (فى التوراة وكتب اليهود) .
(٣٧) فى (أ ، ب) : ملاخيم .
(٣٨) فى (أ ، ب) : (وبراهياميم) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (ابن أس) .

مما فى كتب اليهود وهذا عظيم جدا . فإن صدقوا كتب اليهود وهم مصدقون لها[٤٠] فقد كذب متّى وجهل .

ولئن صدقوا متى فإن كتب اليهود كاذبة ، لا بدّ من أحد ذلك . فقد حصلوا على التصديق بالشيء وضدّه معًا . وقال ههنا : أحزياهو بن أحاز بن يوثام . وفى كتب اليهود المذكورة حزقيا ابن أحاز بن يوثام ، وهذا اختلاف فى الاسم . والوحى لا يحتمل هذا . فأحد النقلين كاذب بلاشك . وقال ههنا : يخنيا[٤١] بن يوشياهون بن امون ، وفى كتب اليهود التى ذكرنا يخنيا بن الياقيم ابن يوشيا بن آمون ، فأسقط متى الياقيم وخالف فى اسم يوشيا بن آمون[٤٢]، وهذا عظيم وكما قدمنا من كذبهم ولابدّ . إذ يصدقون بالشيء والضدِّ له معًا . وهم لا يختلفون فى أن متّى رسول معصوم أجلّ عند الله من موسى ومن سائر الأنبياء كلهم عليهم السلام ، وهو قد قال فى أول كلمة من إنجيله : « مصحف نسبة المسيح بن داود بن إبرهيم » ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم الذى هو[٤٣] عندهم ربيب إلههم زوج أمه . فكيف يقول : إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتى بنسبة يوسف النجار ؟ والمسيح عند هذا التيس البوَّال ليس هو ولد يوسف أصلًا . فقد كذب هذا القدر كذبًا لا خفاء به ، ولا مدخل للمسيح فى هذا النسب أصلًا بوجه من الوجوه . إلا أن يجعلوه ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا ولا نحن ولا جمهور اليهود .

أما هم فيقولون : إنه ابن الله من مريم ، وإنه إله وابن إله وامرأة ، تعالى الله عن هذا . وأما نحن والعيسوية من اليهود معنا ، والآريوسية والبولقانية والمقدونية من النصارى ، فنقول إنه عبد آدمى خلقه الله تعالى ، فى بطن مريم عليها السلام ، من غير ذكر .

وأما جمهور اليهود[٤٤] فيقولون إنه لغير رَشْدَةٍ حاشا له من ذلك ، بل إن طائفة قليلة من اليهود يقولون انه ابن يوسف النجار ، وما نرى متّى إلا شاهدًا لقولهم ومحققًا له . وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا يوسف النجار إلى داود .. ؟ ولو أنه ذكر نسبة[٤٥] أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر ، لكنه لم يذكر نسب مريم أصلًا ، ثم لم يَستح النذل من أن يحقق ما ابتدأ به[٤٦]، فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال : من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبا ، فجميع المواليد من إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ، فأكدَّ هذا الملعون كذبه

---

(٤٠) فى (أ ، ب) : (بها) .
(٤١) فى (أ ، ب) : (نحليا) .
(٤٢) فى (خ) : سقطت كلمة (ابنّ آمون) .
(٤٣) فى (أ ، ب) : (عندهم هو) .
(٤٤) فى (أ ، ب) : (لعنهم الله) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : (نسب) .
(٤٦) فى (خ) : (يحقق ابتدأ) .

وأن[٤٧] المسيح ولد يوسف ، لابد ضرورة من أحدهما ، وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبا .. ؟ والمسيح ليس هو ابنا لأحدهم ، ولا هم آباء له . وكيف يكون من إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ولا مدخل للمسيح فى تلك الولادات إلا كمدخله فى ولادات أهل الهند ، وأهل الصين وأهل طلطفه[٤٨]، وسقر وسقرال ولا فرق .. ؟

هذه فضائح الدهر ومالا يأتى به إلا أفحش[٤٩] البرية .ونعوذ بالله من الخذلان . ثم كذب آخر وجهل زائد ، وهما قوله فمن[٥٠] إبرهيم إلى داود أربعة عشر أباً .

قال أبو محمد : هذا كذب إنما هم على ما ذكرنا ثلاثة عشر : إبرهيم وإسحق ، ويعقوب ، ويهوذا ، وزارح ، وحصروم ، وآرام ، وعميناذاب ، ونحشون ، واشلومون ، وبوعز ، وعوبيذ ، وانشأى فهؤلاء ثلاثة عشر أبا . ثم داود ولا يجوز ألبتة أن يعد داود فى آباء نفسه ، فيجعل أبا لنفسه وهذه ملحَنة ، ثم قال : ومن داود إلى الرحلة أربعة عشر أبا ، وليس كذلك لأن نحنيا هو الراحل بنص قول متّى ، وأنه لم يولد له على قوله صلثيال[٥١] إلا بعد الرحلة ، فهم : أشلومون ورحبعام[٥٢] وأبيوب[٥٣] وأشا ، ويهوشافاظ ، ويهورام وأحزياهو ، ويوثام ، وأحاز ، وأجزياهو ، ومنشا[٥٤] وآمون ويوشاهو ويخنيا .

وقد عدّ داود قبل فإن عدّة ههنا فقد حققوا الكذب فى الفصل الذى قبله ، وإن لم يعدوه[٥٥] ههنا فقد كذبوا فى هذا العدد[٥٦] الثانى ، أو جعلوا يخنيا أبا لنفسه وهذا هوس .

ثم قال : ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبا ، وهذا فصل جمع كذبتين عظيمتين .

إحداهما : أنه إذا عد صلثيال من بعده إلى يوسف النجار فليسوا إلا اثنى عشر رجلا فقط . وهم صلثيال[٥٧] وأبيوب والياجيم ، وازور ، وصدوق ، واجيم واليوث ، والعزار ، وزربابيل[٥٨]، وماثان ، ويعقوب ويوسف . فإن عدّ فيهم يخنيا كانوا ثلاثة عشر ، وهو يقول أربعة

---

(٤٧) فى (خ) : (أو أن) .
(٤٨) فى (أ ، ب) : (أهل طلعة) .
(٤٩) فى (أ ، ب) : (أبخس) .
(٥٠) فى (أ ، ب) : (فبين) .
(٥١) فى (أ ، ب) : (صلثائيل) .
(٥٢) فى (أ ، ب) : (ورجيعام) .
(٥٣) فى (أ ، ب) : (وأبيوس) .
(٥٤) فى (أ) : (وميشا) .
(٥٥) فى (أ ، ب) : (وإن عدوه هناك) .
(٥٦) فى (خ) : (سقطت كلمة العدد) .
(٥٧) فى (أ ، ب) : (وروبابيل) .
(٥٨) فى (أ ، ب) : لم يذكر (زربابيل) .

عشر فاعجبوا لهذا الحمق ولهذا الضلال ، واعجبوا من رعونة كل(٥٩) من جاز هذا عليه واعتقده ديناً ..؟ !

ثم إن كان عنى أنهم آباء المسيح فيوسف والد المسيح وكفى ، وهذا(٦٠) عندهم كفر ، فقد كفر متّى أو كذب وجهل لابد من أحد ذلك ، ثم قوله فمن إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ، وهذا كذب فاحش وجهل مفرط ، لأنه إذا عَدَّ إبرهيم ومن بعده إلى يوسف ، وعد يوسف أيضًا فإنما هم أربعون فقط . فإن عدَّ المسيح وجعله ولد يوسف لم يكونوا أيضًا إلا واحدًا وأربعين فقط . فاعجبوا ممن يدين الله تعالى بهذا الحمق واحمدوه على السلامة .

هذا إلى الكذب المفضوح الذى فى نسب داود عليه السلام إلى بخشون(٦١) بن عميناذاب ، لأن بخشون بنص توراتهم هو الخارج من مصر ، وهو مقدم بنى يهوذا ، ولم يدخل بنص التوراة أرض القدس . لأن كل من خرج من مصر ابن عشرين سنة فصاعدًا ، ماتوا كلهم فى التيه بنص التوراة .فإذا عدّت الولادات من أشلومون بن بخشون الذى دخل أرض القدس(٦٢) إلى داود عليه السلام وجدوا أربعة فقط . وهم داود بن إنشاى(٦٣) بن عوبيذ ابن يوعز(٦٤) بن أشلومون ، الداخل مصر المذكور ولا يختلفون يعَنى اليهود والنصارى معًا ، أن من دخول أشلومون المذكور مع يوشع وبنى إسرائيل الأرض المقدسة إلى مولد داود عليه السلام خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة . فيجب على هذا أن يقول : إن أشلومون لم يدخل الأرض المقدسة إلا(٦٥) ابن أقل من سنة ، وإنه لم يولد لكل واحد منهم ولده المذكور إلا وله مائة سنة ونيف وأربعون سنة ، وكتبهم تشهد ككتاب ملاجيم(٦٦) وديراهيّاميم(٦٧) وغيرهما ، ونقطع أنه لم يعش أحد من بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام مائة سنة وثلاثين سنة إلا يهوياراع(٦٨) الكوهين(٦٩) الهارونى وحده . فكم هذا الكذب وهذا الإفضاح فيه .. ؟ وهذه الشهرة العظيمة لا ينفكون من كذبة إلا إلى أخرى ، ومن سوأة إلا إلى سوأة ، ونعوذ بالله من البلاء . فاعجبوا لما افتتح به هذا الكذاب كتابه (٧٠).. ؟؟ وتأليفه ماذا جمع هذا الفصل على صغره وأنه أسطار يسيرة من الكذب والجهل .. ؟

(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .
(٦٠) فى (أ ، ب) : (وكفى بهذا عندهم كفرا) .
(٦١) فى (أ ، ب) : (بخشون) بالخاء .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (المقدس) .
(٦٣) فى (أ) : (ابن آشان) .
(٦٤) فى (أ ، ب) : (بوعر) بالراء المهملة .
(٦٥) فى (أ ، ب) : « إلا وهو أقل » .
(٦٦) فى (أ ، ب) : (ملاخيم) بالخاء .
(٦٧) فى (أ ، ب) : (براهياميم) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : « يهوراع » .
(٦٩) فى (أ ، ب) : (الكوهن) .
(٧٠) فى (أ) : سقطت كلمة (كتابه) .

« وأحسن ما فى خالد وجهه .. فقس على الغائب بالشاهد » .

ثم ذكر لوقا الطبيب فى الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام ، فقال : إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار ، المنسوب إلى على(٧١) إلى ناثان(٧٢)، إلى لاوى ، إلى مَلْكِى إلى يمتاع(٧٣) إلى يوسف إلى متَّاثيا إلى حاموص(٧٤) إلى ناحُوم إلى أشلا(٧٥) إلى أبجا(٧٦) إلى ماهاث(٧٧) إلى متشيا(٧٨) إلى صمغى(٧٩) إلى يصداق(٨٠) إلى يهندع(٨١) إلى يوحنا إلى رشا(٨٢) إلى زربابيل(٨٣) إلى صلشيال(٨٤) إلى ملكى(٨٥) إلى نادى(٨٦) إلى مـرا(٨٧) إلى أربـع(٨٨) إلى قرصام(٨٩) إلى اليمدان(٩٠) إلى هار(٩١) إلى يشوع(٩٢) إلى اليعزار(٩٣) إلى يوريم(٩٤) إلى ماثا(٩٥) إلى لاوى(٩٦) إلى شمعون(٩٧) إلى يهوذا(٩٨)

* * *

(٧١) فى الانجيل الحالى للوقا : (هَالى) (راجع إنجيل لوقا : الإصحاح ٣/ من ٢٣ – إلى آخره) .
(٧٢) فى الإنجيل الحالى (مَتْثَات) (المرجع السابق) .
(٧٣) فى إنجيل لوقا : (يَنَّا) .
(٧٤) فى إنجيل لوقا : (عَامُوس) .
(٧٥) فى إنجيل لوقا : (حَسْلِى) .
(٧٦) فى إنجيل لوقا : (نَجَّاىَ) . وفى (أ ، ب) (أنحا) وهو تحريف .
(٧٧) فى إنجيل لوقا : (مَآث) . وفى (أ ، ب) : (فاهاث) .
(٧٨) فى إنجيل لوقا : (مَتَّاثيا) . وفى (أ ، ب) : (منيشا) .
(٧٩) فى لوقا : (شِيمْعِى) . وفى (أ ، ب) : (صمغا) .
(٨٠) فى لوقا : (ابن يوسف) . وفى (أ ، ب) : (مصداق) .
(٨١) فى لوقا : (ابن يهوذا) .
(٨٢) فى لوقا : (رِيسَا) .
(٨٣) فى لوقا : (زَرُبَّابَل) . وفى (أ ، ب) : (روبابيل) .
(٨٤) فى لوقا : (شَأَلْتِيل) .
(٨٥) فى لوقا : (ابن نِيرِى) .
(٨٦) فى لوقا : (ابن أَدّمى) . وفى (أ ، ب) : (بادى إلى ملكى) .
(٨٧) فى لوقا : (ابن قُصَم) .
(٨٨) فى لوقا : (ابن أَلْمُودام) . وفى (أ ، ب) : (اليران) .
(٨٩) فى لوقا : (ابن عِير) .
(٩٠) فى لوقا : (ابن يُوسِى) .
(٩١) فى لوقا : (ابن أَلِيعَازر) .
(٩٢) فى لوقا : (ابن يُورِيم) .
(٩٣) فى لوقا : (ابن مَتْثَات) .
(٩٤) فى لوقا : (ابن لاوى) .
(٩٥) فى لوقا : (ابن شِمْعون) .
(٩٦) فى لوقا : (ابن يهوذا) .
(٩٧) فى لوقا : (ابن يوسف) .
(٩٨) فى لوقا : (ابن يونان) .

إلى يوسف[٩٩] إلى يونا[١٠٠] إلى الياجيم[١٠١] إلى ملكان[١٠٢] إلى أنسان[١٠٣] إلى عيشاع[١٠٤] إلى مناثا[١٠٥] إلى ناثان[١٠٦] إلى داود[١٠٧] النبى عليه السلام ، ثم ذكر نسب داود كما نسبه[١٠٨] متّى حرفًا حرفًا .

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ما أفحشها وأوحشها ، وأقذرها وأوضرها ، وأرذلها وأنذلها ، متّى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار[١٠٩] .. ؟؟ ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأبا . ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متّى حتى يخرجه إلى ناثان بن داود ، أخى سليمان بن داود ، ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبًا فيكذب متّى أو لوقا ، ولابد أن يكون كلا النسبتين كذبًا فيكذب الملعونان لوقا[١١٠] ومتّى جميعًا ، ولا يمكن ألبتة أن تكون كلا النسبتين حقًا ، ولوقا عندهم – لوّق الله صورهم وألاق وجوهم ولقّاهم البلاء ، وألقى عليهم الدمار واللعنة ، فى الحالة[١١١]– فوق جميع الأنبياء عليهم السلام فهذه صفة أناجيلهم . فاحمدوا الله تعالى أيها المسلمون[١١٢] على السلامة والعصمة .

وقال بعض أكابر من سلف منهم من مُضِلّيهم : إن أحد هذين النسبتين هو نسب الولادة ، والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبنّاه على ما كان فى قديم زمن بنى إسرائيل من أن من مات ولا ولد له تزوج[١١٣] أخوه امرأته ، وينسب[١١٤] إلى الميت من ولدت من هذا

---

(٩٩) فى لوقا : (ابن أَلِيَاقيم) .
(١٠٠) فى لوقا : (ابن مَلَيَا) .
(١٠١) فى لوقا : (ابن مَيْنان) .
(١٠٢) فى لوقا : (ابن متّاثا) .
(١٠٣) فى لوقا : (ابن ناثان) .
(١٠٤) فى لوقا : (ابن داود) .
(١٠٥) فى لوقا : (ابن يسّى) .
(١٠٦) فى لوقا : (ابن عوبيد) .
(١٠٧) فى لوقا : (ابن لوعز) .
(١٠٨) فى (أ ، ب) : كما ذكره .
(١٠٩) راجع إنجيل متى الإصحاح الأول . وفيه « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس ، فيوف رجاها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرًا ، ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذ ملاك الرب قد ظهر له فى حلن قائلا : يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . . الخ (الفقرات من ١٨ – ٢٤) .
وهذا يخالف ما قرره ابن حزم ، فلعل الإنجيل قد تعرّض لتغيير وتبديل آخر . .
(١١٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لوقا ومتى) .
(١١١) فى (أ ، ب) : (فى الجلالة) .
(١١٢) فى (أ ، ب) : (المؤمنون) .
(١١٣) فى (أ ، ب) : وتزوج آخر .
(١١٤) فى (أ ، ب) :(نسب) .

الحى ، فقلنا لمن عارضنا منهم بهذا الهوس ، من لك بهذا ؟ وأين وجدته للوقا أو لمتّى ؟ والدعوى لا يعجز عنها أحد وهى باطلة ، إلا أن يُعضِّدها برهان . وبعد هذا فأىّ النسبتين هو نسب الولادة .. ؟ وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة ؟ فأيهما قال قلب عليه قوله ، وقيل له هذه دعوى بلا برهان . فإن قال : إن لوقا لم يقل إن فلانا ولد فلانا كما قاله متّى لكن قال : المنسوب إلى على قلنا : وهكذا قال فى آباء على أبا فأبا إلى داود ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى نوح ثم إلى آدم عليهم السلام سواء سواء ، فى اسم بعد اسم وفى أب بعد أب ولا فرق . أفَتَرى نسب داود إلى إبرهيم ، وإبرهيم إلى نوح ، ونوح إلى آدم ، كان أيضًا على الإضافة لا على الحقيقة.. ؟ كما قلت فى نسب يوسف إلى على ، هذا عجب .فإذ لا سبيل إلى ما يصحح[115] هذه الدعوى فهى كذب ، ووضح الكذب فى أحد النسبين ضرورة عيانًا ، والحمد لله رب العالمين .

(١١٥) فى (أ ، ب) : (تصحيح) .

« فصـــل »

وفى الباب الثالث من إنجيل متى فلحق يسوع – يعنى المسيح – بالمفاز وساقه الروح إلى هنالك ، ولبث به[١١٦] ليقيس إبليس نفسه فيه ، فلما أن صام[١١٧] أربعين يوما بلياليها – جاع فوقف إليه الجساس وقال له : إن كنت ولد الله فأمر هذه الجنادل تصير لك[١١٨] خبزا . فقال : يسوع قد صار مكتوبًا بأن عيش المرء ليس بالخبز وحده ، لكن فى كل كلمة تخرج من فم الله تعالى .

وبعد هذا أقبل إليه[١١٩] إبليس فى المدينة المقدسة[١٢٠]، وهو واقف فى أعلى بنيانها وقال له : إن كنت ولد الله فترام من فوق ، فإنه قد صار مكتوبًا بأنه سيبعث ملائكته[١٢١] يرفدونك ، ويدفعون عنك ، حتى لا يصيب قدمَك مكروه ، فأجابه يسوع وقال له : قد صار مكتوبًا أيضًا ألا يقيس أحد العبيد[١٢٢] إلاهه . ثم عاد إليه إبليس وهو فى أعلى جيل منيف فأظهر له زينة جميع الدنيا . وشرفها وقال له : إنى سأملكك كل[١٢٣] ما ترى إن سجدت لى . فقال له يسوع : اذهب يا منافق مقهقرا ، فقد كتب إلا يُعْبَد أحدٌ غيرُ السَّيِّد الإله ،[١٢٤] ولا يُخدمَ سواه ، فتأيس عنه إبليس عند ذلك وتنحى عنه ، وأقبلت الملائكة وتولت خدمته[١٢٥].

---

(١١٦) فى (أ ، ب) : (فيه) .
(١١٧) فى (أ ، ب) : « مضى » بدلًا من (صام) .
(١١٨) فى (خ) : سقطت « لك » .
(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت (إليه) .
(١٢٠) فى (خ) : سقطت « المقدسة » .
(١٢١) فى (أ ، ب) : « ملائكة » .
(١٢٢) فى (خ) : « السيد » .
(١٢٣) فى (خ) : سقطت كلمة ' كل » .
(١٢٤) فى (أ ، ب) : « الهه » .
(١٢٥) راجع إنجيل متى (الإصحاح الرابع الفقرات من ظ – ١١) .

وفى الباب الرابع من إنجيل لوقا : « فانصرف يسوع من الأردن محشوًا من روح القدس ، وقاده الروح إلى القفار ، ومكث به(١٢٦) أربعين يوما ، وقايسه إبليس فيه ، ولم يأكل شيئًا فى تلك الأربعين يوما ، فلما كملها جاع فقال له إبليس : إن كنت ابن الله فأمر هذا الحجر أن يصير خبزًا فأجابه يسوع وقال له : قد(١٢٧) صار مكتوبًا أنه ليس عيش الآدمى فى الخبز وحده إلا فى كل كلمة لله ، ثم قاده إبليس إلى جبل منيف عال ، وعرض عليه ملك جميع الدنيا فى(١٢٨) وقته . وقال له : سأملكك هذا السلطان ، وأبرأ إليك(١٢٩) بعظمته لأنى قد ملكته وأنا أعطيه من وافقنى ، فأن سجدت لى كان لك أجمع . فأجابه يسوع(١٣٠): قد صار مكتوبًا أن تعبد السيد إلاهك ، وتخدمه وحده ، ثم ساقه إلى برشلام(١٣١) وصعده ووقفه على صخرة البيت فى أعلاه وقال له : إن كنت ولد الله فتسيب(١٣٢) من ههنا ، لأنه مكتوب أنه(١٣٣)، يبعث ملائكته لحرزك وحملك فى الأكف حتى لا تعثر بقدمك فى حجر ، ولا يصيبك مكروه ، فأجابه يسوع وقال له : قد كتب أيضًا أن لا تقيس السيد إلاهك(١٣٤)» .

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل عجائب لم يسمع بأطم منها .

أولها :إقرار الصادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح عليه السلام مرة إلى جبل منيف وانقاد له ومضى معه ، وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة(١٣٥) ببيت المقدس ، فما تراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده ، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعًا سامعًا ، فما تراه إلا منصرفًا تحت حكم الشيطان وهذه والله منزلة رذلة جدًا ، أو يكون قاده كرهًا فهذه منزلة المصروعين ، الذين يتخبطهم الشيطان من المس ،وحاشا للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إلهٍ بزعمهم .. ؟ وما سمع قط بأحمق من هذا الهوس ،ونحمد الله تعالى على عظيم نعمته ثم الطامّة الأخرى ، كيف يطمع إبليس عند هؤلاء النوكى فى أن يسجد له خالقه وفى أن يعبده ربه وفى أن يخضع له من فيه روح

(١٢٦) فى (أ ، ب) : « فيه » .
(١٢٧) فى (خ) : سقطت كلمة (قد) .
(١٢٨) فى (أ ، ب) : « من » بدلًا من (فى) .
(١٢٩) فى (أ ، ب) : « وقال له » .
(١٣٠) فى (أ ، ب) : (وأنزلك) .
(١٣١) فى التوراة الحالية (أورشليم) راجع (إنجيل لوقا : ٩/٤) .
(١٣٢) فى (أ ، ب) : « فتسبب » وهو تحريف .
(١٣٣) فى (أ ، ب) : « أن يبعث ملائكة » .
(١٣٤) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح ٤ الفقرات من ظ – ١٤) .
(١٣٥) فى (أ ، ب) : « صخرة فى » .
(١٣٦) فى (أ ، ب) : (لم) .

اللاهوت .. ؟ أم كيف يدعو إبليس ربه وإلهه إلى أن يعبده .. ؟والله إنى لأقطع أن كفر إبليس وحمقه لما[١٣٦] يبلغا قط هذا المبلغ . فهذه آبدة الدهر ، ثم عجب آخر كيف يُمَنِّى إبليس رب الدنيا وخالقها وخالقه[١٣٧]، ومالكها ومالكه ، وإلهها وإلهه فى أن يملكه زينة الدنيا .. ؟ فهذه كما تقول عامتنا « أعطه من خبزة كسيرة » ما هذه الوساوس التى لا ينطق بها الإلسانٌ مَن حقّه سكنى المارستان ؟ أو عيَّار كافر مستخف بقوم نوكى يوردهم ولا يصدرهم !! ما شاء الله كان .

فإن قالوا : إنما دعا الناسوت وحده وإياه عنى إبليس[١٣٨].

قلنا : فإن اللَّاهوت والناسوت عندكم متَّحدان بمعنى أنهما صارا شيئًا واحدًا ، والمسيح عندكم إله معبود وقد قلتم ههنا : إن إبليس قاد المسيح فانفقاد له المسيح ، ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له ، ومّناه إبليس بملك الدنيا ، وقال للمسيح وقال له المسيح أو قال ليسوع وقال له يسوع ، وعلى قولكم إنه إنما خاطب الناسوت وحده[١٣٩] فإنما دعا نصف المسيح ونصف يسوع ، وإنما منّى بزينة الدنيا نصف المسيح ، فقد كذب لوقا ومتى على كل حال ، وأهل الكذب هما فكيف ونص كلامهما – جُذَّت ألسنتهما فى لظى – يمنع من هذا .. ؟ ويوجب أن إبليس إنما دعا اللاهوت لأنه قال له : إن كنت ابن الله فافعل كذا ، ولو لم يكن[١٤٠] فى الأناجيل إلا هذا الفصل الأبخر وحده[١٤١] لكفى ، فكيف وله فيها نظائر جمَّه .. ؟ !! ونحمد الله على السلامة .

---

(١٣٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وخالقه) .
(١٣٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (وحده) .
(١٣٩) فى (أ) : سقطت كلمة (وحده) .
(١٤٠) فى (أ ، ب) : « ولو لم يكن هذا » بزيادة (من هذا) .
(١٤١) فى (خ) : سقطت كلمة (وحده) .

« فصــل »

قال أبو محمد : وذكر فى الفصل الذى تكلمنا عليه أن المسيح عليه السلام أحشى[١٤٢] من روح القدس ، وفى أول باب من إنجيل لوقا أن يحيى بن زكريا أحشى من روح القدس فى بطن أمه ، وأن أم يحيى احشيت أيضًا من روح القدس[١٤٣]، فما ترى للمسيح من روح القدس إلا كالذى ليحيى ، ولأم يحيى من روح القدس ولا فرق فأى فضل له عليهما .

---

(١٤٢) فى (أ ، ب) : « احتشى » . وفى إنجيل (فرجع من الأردن ممتلئًا) (٤/١) .
(١٤٣) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح الأول الفقرات من ٨ - ١٦) .

لقاء باطرة وأندرياش بالمسيح

« فصــل »

قال أبو محمد : وفى الباب الثالث من إنجيل متّى فلما بلغه عن[١٤٤] حبس يحيى بن زكريا تنحى إلى جلجال ، وتخلى من مدينة الناصرة ، ورحل وسكن فى كفر « ناحوم » ، على الساحل فى زابلون[١٤٥] وتفتالى ، ليتم قول شِعْيا النبى حيث قال : أرضُ زابلون وتفتالى وطريق البحر خلف الأردن وجلجال الأجناس ، وكل من كان بها فى ظلمة يبصرون نورًا عظيمًا ، ومن كان ساكنًا فى ظلل الموت فيها يطلع النور عليهم ، ومن ذلك الموضع ابتدأ يسوع بالوصية ، وقال : توبوا فقد تدانى ملكوت السماء . وبينا[١٤٦] هو يمشى على ريف[١٤٧] بحر جلجال إذ بصر بأخوين . أحدهما : يدعى شمعون المسمى باطرة . والآخر : اندرياش وهما يدخلان شباكهما فى[١٤٨] البحر ، وكانا صيادين فقال لهما : اتبعانى اجعلكما صيادى الآدميين ، فتخليا وقتهما[١٤٩] من شباكهما واتَّبعاه ، ثم تحرك من ذلك الموضع وبصر بأخوين أيضًا[١٥٠] وهما يعقوب ويوحنا ابنى سيذاى ، فى مركب مع أبيهما يعدان شباكهما فدعاهما ، فتخليا ذلك الوقت من شباكهما ومن أبيهما ومتاعهما ، واتَّبعاه . هذا نص كلام متّى فى إنجيله حرفًا[١٥١] حرفًا .

---

(١٤٤) فى (أ ، ب) : سقطت (عن) .
(١٤٥) فى (أ ، ب) : (رابلون) بالراء .
(١٤٦) فى (خ) : (وبيناه) .
(١٤٧) فى (أ ، ب) : (ريف البحر بحر حلجال) .
(١٤٨) فى (خ) : سقطت كلمة (فى) .
(١٤٩) فى الأصل : (فتخلبا وقتهما ذلك) .
(١٥٠) فى (خ) : سقطت كلمة (أيضًا) .
(١٥١) إنجيل متى : (الإصحاح الرابع الفقرات من ١٣ – ٢١) وفيه اختلاف فى الأسماء فيحيى فى التوراة يوحنا ، وباطره هو بطرس والأخوان هما : سمعان وأندراوس .

وفى أول باب من إنجيل مارقش قال : فبعد أن ثل بيحيى أقبل يسوع إلى جلجال ملك الله ، وقال : إن الزمان قد تمَّ وتدانى ملك الله ، فتوبوا وتقبلوا الإنجيل . فلما خطر جوار بحر[١٥٢] جلجال ، نظر إلى شمعون واندرياش وهما يدخلان شباكهما فى البحر ، وكانا صيادين ، فقال لهما : يسوع اتبعانى أجعلكما صيادين للآدميين ، فتركا ذلك[١٥٣] الشبكة واتبعاه ، ثم تمادى قليلا وأبصر يعقوب ابن سيذاى ، وأخاه يوحنا وهما فى المركب يهندمان شباكهما[١٥٤]، فدعاهما فتركا والدهما مع العمالين بأجرة فى المركب ،واتبعاه . هذا نص كلام مارقش فى إنجيله[١٥٥] حرفًا حرفًا .

وقال فى الباب الرابع من إنجيل لوقا : وبينما الجماعات يومًا تزدحم عليه رغبة فى استماع كلام الله ، وكان فى ذلك الوقت واقفًا على ريف بُحَيرَة بُشيرات[١٥٦] إذ بصر بمركبين فى البحيرة ،قد نزل عنهما أصحابهما لغسل شباكهم ، فدخل يسوع أحدهما الذى كان لشمعون[١٥٧]، وسأله أن يتنحى به عن الريف قليلًا ، فقعد فى المركب وجعل يوصى الجماعات منه ، فلما أمسك عن الوصية قال لشمعون : لج وألقوا جرافاتكم للصيد[١٥٨]، فقال له شمعون : يا معلم قد عنينا طول الليل ولم نصب شيئًا ، ولكن سنلقى الجرافة بأمرك وقولك : فلما ألقاها قبَضت على حيتان كثيرة جليلة ، فكادت تنقطع الجرافة من كثرتها ، فاستعانوا بأصحاب المركب الثانى ، وسألوهم أن يعينوا على إخراجهم لها ، فاجتمعوا عليها وشحنوا منها المركبين حتى كادا أن يغرقا . فلما بصر بذلك شمعون الذى يدعى باطرة سجد ليسوع ،وقال : اخرج عنِّى يا سيدى لأنى إنسان مذنب .

وكان قد حارو كل من كان معه لكثرة ما (جمعا) من الحبتان ، وحار يعقوب ويوحنا ابن سيذاى[١٥٩]، قال يسوع لشمعون : لا تخف فإنك ستصطاد اليوم الآدميين ، فأخرجوا إلى الريف الآخر مركبهم ، وتخلوا من جميع ما كان معهم[١٦٠] وابتعوه ، هذا نص كلام لوقا[١٦١] فى إنجيله حرفًا حرفًا .

وفى أول باب من إنجيل يوحنا بن سيذاى قال : وفى يوم آخر كان يحيى بن زكريا المعمد

---

(١٥٢) فى (خ) : سقطت كلمة (بحر) .
(١٥٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (الوقت) .
(١٥٤) فى (أ ، ب) : (شبكتهما) .
(١٥٥) راجع إنجيل مَرْقس (الإصحاح الأول . الفقرات من ٩ — ٢١) .
(١٥٦) فى (خ) : بحيزه « بيشرات » . وفى إنجيل « لوقا » (بحيرة جَنِّيَارَت) (الإصحاح ١/٥) .
(١٥٧) فى إنجيل لوقا : (لِسمْعَان) المرجع السابق .
(١٥٨) فى (أ ، ب) : (الصيد) وهو تحريف ظاهر .
(١٥٩) فى إنجيل لوقا : (ابنا زَبْدى) (الإصحاح ١٠/٥) .
(١٦٠) فى (أ ، ب) : (لهم) .
(١٦١) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح الخامس . الفقرات من ١ — ١٢) .

واقفًا ومعه تلميذان من تلاميذه ، فبصر يسوع ماشيًا فقال : هذا خروف الله فسمع ذلك منه التلميذان ، واتّبعا يسوع فالتفت إليهما يسوع إذ رآهما يتبعانه وقال لهما : ما الذى طلبتما .. ؟ قالا له يا معلم أين مسكنك ؟ فقال لهما : أقبلا فأبصراه فتوجها معه ورأيا مسكنه وباتا عنده ذلك اليوم .

وكانوا(١٦٢) فى الساعة العاشرة وكان أحد التلميذين اللذين اتبعاه أندرياش(١٦٣) أخو شمعون المسمى باطرة ، أحد الاثنى عشر فلقى أخاه شمعون ، وهو أحد اللَّذَيْن سمعا من يحيى واتبعاه ، إذ نظر إليه وقال له : وجدنا المسيح . ثم أقبل إليه به فلما بصر به المسيح قال له : أنت شمعون بن يونا ، وأنت تسمى كيفا(١٦٤) وترجمته الحجر . وهذا نص كلام يوحنا فى إنجيله(١٦٥) حرفًا حرفًا .

* * *

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها ، اتفق متى ومارقش ، على أن أول ما كانت صحبة شمعون باطرة ، وأخيه أندرياش ابنى يونا للمسيح عليه السلام ، فإنها كانت بعد أن سجن يحيى بن زكريا عليه السلام ، إذ وجدهما المسيح وهما يدخلان شبكتهما فى البحر للصيد ، وقال لوقا : إنه وجدهما أول ما صحباه ، إذ وجدهما قد نزلا من المركب لغسل شباكهما ، وأنهما كانا قد تعبا طول الليل ولم يصيدا شيئًا .

وقال يوحنا : إن أول ما صحباه إذ رآه أندرياش أخو شمعون باطرة وهو واقف مع يحيى بن زكريا ، وأنه كان تلميذًا ليحيى ، وأن يحيى حينئذ كان يعمد الناس ، فلما سمع اندرياش قول يحيى إذ رأى المسيح هذا خروف الله ، ترك يحيى وصحب المسيح ، وذلك فى الساعة العاشرة ، وبات عنده تلبك الليلة ، ثم مضى إلى أخيه شمعون باطرة وأخبره ، وأتى به إلى المسيح فصحبه ، وهى(١٦٦) أول صحبته له فبعضهم يقول : أول صحبة باطرة وأخيه أندرياش للمسيح كانت بعد سجن يحيى بن زكريا ،وهو قول متى ومارقش.، وبعضهم يقول : إن أول صحبة شمعون باطرة واندرياش للمسيح كانت قبل أن يسجن يحيى بن زكريا(١٦٧) وهو قول يوحنا ، وبعضهم يقول : أول

(١٦٢) فى (أ ، ب) : (وكانا) .
(١٦٣) فى إنجيل يوحنا (أَنْدَرَاوُس أخو سِمْعان بطرس) .
(١٦٤) فى إنجيل يوحنا (تدعى صما) .
(١٦٥) راجع إنجيل يوحنا - (الإصحاح الأول . الفقرات من ٣٥ - ٤٢) .
(١٦٦) فى (خ) : (وهو) .
(١٦٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « ابن زكريا » .

صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ وجدهما يدخلان شبكتهما للصيد جميعًا ، فتركاها وصحباه من حينئذ ، وهو قول متّى ومارقش .

وبعضهم يقول : أول صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ رآه أندرياش وهو واقف مع يحيى ، وهو تلميذ ليحيى يومئذ ، فرأى المسيح ماشيًا فقال يحيى : هذا خروف الله ، فترك أندرياش يحيى وصحب المسيح من حينئذ ، ثم مضى إلى أخيه شمعون وعرفه أنه وجد المسيح وأتى به إليه فصحبه من حينئذ ، وهو قول يوحنا . فهذه أربع كذبات فى نسق .

إحدهما : فى الوقت الذى كان ابتدا صحبتهما للمسيح فيه .

والأخرى فى الموضع الذى كانت فيه أول صحبتهما للمسيح عليه السلام .

والثالثة : فى رتبة صحبتهما للمسيح أمعا(١٦٨) أم أحدهما قبل الثانى .. ؟

والرابعة : فى صفة الحال التى وجدهما عليها أول ما صحباه وبالضرورة ندرى أن أحد هذه الاختلافات الأربعة كذب بلا شك ، ومثل هذا لا يمكن ألبتة أن يكون من عند الله عزّ وجل ، ولا من عند نبى ولا من عند صادق ، بل من كذَّاب عيّار لا يبالى بما حدث ، وأغرب شىء فى ذلك قولهم كلهم : إن يوحنا بن سيذاى هو ترجم إنجيل متّى من العبرانية إلى اليونانية ، فإذا رأى هذه القصص فى إنجيل متّى بخلاف ما عنده فلابد ضرورة من أن يكون عرف أن قول متّى كذب(١٦٩) أو عرف أنه حق ، لابدّ من أحدهما ضرورة .

فإن كان قول متّى كذبا فقد استجاز يوحنا أن يورد الكذب عن صاحبه المقدس ، الذى هو عندهم أكبر من موسى ، ومن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وإن كان قول متّى حقًا فقد قصد يوحنا إيراد الكذب فيما أخبر هو به فى إنجيله ، لابدَّ من أحدهما ، ولقد كانت هذه وحدها تكفى فى بيان أن الأناجيل من عمل كذابين ملعونين ، شاهت وجوههم ، وحاقت بهم لعنةُ الله تعالى .

---

(١٦٨) فى (أ) : (معا) .

(١٦٩) فى (خ) : سقط من قوله (أو عرف أنه حق إلى قوله : كذبا) .

فصــل

وفى الباب الرابع من إنجيل متّى ، أن المسيح قال : لتلاميذه : لا تحسبوا أنى أتيت[١٧٠] لنقض التوراة وكتب الأنبياء ، إنما اتيت لإتمامها آمين . أقول : لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد « يا » واحدة ، ولا حرف واحد من التوراة ، حتى يتم الجميع فمن حلّل عهدًا من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله ، فسيدعى فى ملكوت السموات صغيرًا ، ومن أتمه وحضر الناس على إتمامه فسيدعى فى ملكوت السموات عظيمًا[١٧١].

وفى الباب السادس عشر من إنجيل متّى : ستحول السموات والأرض ولا يحول كلامى .

قال أبو محمد : وهذه نصوص تقتضى التأبيد وتمنع من النسخ جملة ، ثم لم يمض بعد الفصل الأول المذكور إلا أسطار يسيرة حتى ذكر متّى أنه قال لهم :المسيح[١٧٢] قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق . قال : وأنا أقول لكم : من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق . وهذا نقض لحكم التوراة الذى ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لإتمامها .

ثم يحكون عن بولش الملعون أنه نهى عن الختان ، وهو أوكد شرائع التوراة ، وعن شمعون

---

(١٧٠) ى (أ) : « جئت » .

(١٧١) راجع إنجيل متى – (الإصحاح ١٧/٥ – ٢٠) .

(١٧٢) الذى ى إنجيل متى : « قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلق . قال لهم : إنّ موسى من أجل فساد قلوبكم أذن لكن أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا . وأقول لكم : إن من طلقّ امرأته إلا بسبب الزنا ، وتزوج بأخرى يزنى ، والذى يتزوّج بمطلقة يزنى . . الخ (الإصحاح ٣/١٩ – ١٢) .

باطرة المسخوط أنه أباح أكل الخنزير ، وكل حيوان وطعام حرمته التوراة ، ثم هم قد نقضوا شرائع التوراة كلها أولها عن آخرها .

من السبت وأعياد اليهود وغير ذلك ، وهم مع هذا العمل لا يختلفون فى أن المسيح وجميع تلاميذه بعده[١٧٣] لم يزالوا يلتزمون السبت وأعياد اليهود وفصحهم إلى أن ماتوا على ذلك ، وأن المسيح إنما أخذ ليلة الفصح وهو يفصح على سنة اليهود ، وشريعتهم فكيف هذا .. ؟ ولابد لهم من أن يضيفوا الكذب إلى المسيح جهارًا إذْ[١٧٤] أخبر أنه لمْ يأت لنقض التوراة ثم نقضها ، فصح أنه أتى لما أخبر أنه لم يأت له من نقضها ، وهذا كذب لا مرحل[١٧٥] عنه . ولا بدّلهم من أن يقروا أن المسيح مسخوط ، يدعى فى ملكوت السموات صغيرًا لا عظيمًا لأنه هكذا أخبر[١٧٦] عن من حلّل عهدًا صغيرًا من عهودها ، وهو قد حل عهودًا كبارًا من عهودها ، إذ حرم الطلاق وقد أباحته التوراة ونهى عن القصاص ، الذى جاءت به التوراة وقال قد قيل : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لا تكافؤوا أحدًا بسيئة ، ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الآخر[١٧٧].

* * *

قال أبو محمد : ولابد لهم من أن يشهدوا على أنفسهم أولهم عن آخرهم ، وسالفهم عن خالفهم[١٧٨] بمعصية الله تعالى ومخالفة المسيح ، وأنهم يدعون فى ملكوت السموات صغارًا ، إذ نقضوا حكم التوراة ، أولها عن آخرها ، ولا يمكنهم ههنا دعوى النسخ ألبتة ،لأنهم حكوا كما أوردنا عن المسيح أنه قال : أقول لكم : إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد « يا » واحدة ولا حرف واحد ، من التوراة حتى يتم الجميع . فمنع من النسخ جملة ،وإن فى هذا لعجبًا لا نظير له ، وحمقًا وضلالًا ما كنا نصدق بأن أحدا يدين به ، لولا أنا[١٧٩] شاهدناهم ونسأل الله السلامة .

ثم ذكر فى الباب الثامن عشر من إنجيل متى أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر بأجمعهم وفى جملتهم يهوذا الاشكريوطا الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما : كل ما حرمتموه على[١٨٠]

(١٧٣) فى (خ) : سقطت كلمة (بعده) .
(١٧٤) فى (خ) : (إذا) .
(١٧٥) فى (أ ، ب) : (لا مدخل) وهو تحريف .
(١٧٦) فى (أ ، ب) : (أخبر هو) .
(١٧٧) فى (أ ، ب) : [الأيسر] .
(١٧٨) فى (خ) : سقطت (عن خالفهم) .
(١٧٩) فى (خ) : (ولو أننا شاهدناهم) .
(١٨٠) فى (أ ، ب) : (فى) بدلًا من (على) .

الأرض يكون محرمًا فى السماء ، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محللا فى السماء .

وفى الباب السادس عشر من إنجيل متّى أنه قال هذا القول لباطرة وحده .

قال أبو محمد : وهذا تناقض عظيم ، كيف يكون التحليل والتحريم للحواريين ، أو لباطرة مع قوله إنه لم يأت لتبديل التوراة لكن لإتمامها .. ؟ وأنه من نقض عهدًا من عهودها صغيرًا دُعى فى ملكوت السموات صغيرًا ، وأن السماء والأرض تبيدان قبل أن تبيد من التوراة « يا » واحدة أو حرف واحد ، ولئن كان صدق فى هذا فإن فى نص التوراة أن الله قد لعن من صُلب فى خشبة ، وهم يقولون إنه صلب فى خشبة ، ولا شك فى أن باطرة وشمعون أخوا يوسف ، وأندرياش أخو باطرة ، وفليش وبولش صلبوا فى الخشب . فعلى قول المسيح عليه السلام لا يبيد شىء من التوراة حتى يتم جميعها ، فكل هؤلاء ملعونون بلعنة الله تعالى . فاعجبوا لضلال هذه الفرقة المخذولة ، فما سمع بأطمّ من هذه الفضائح أبدًا(١٨١).

(١٨١) سقطت كلمة (أبدًا) من (خ) .

« فصــل »

وفى الرابع[١٨٢] من إنجيل متّى :أن المسيح قال لهم أنا أقول لكم : كل من سخط على أخيه بلا سبب فقد استوجب القتل ، وإن أضرت إليك عينك اليمنى فافقأها وأذهبها عن نفسك ، فذهابها عنك أحسن من إدخال جميع[١٨٣] جسدك الجحيم . وإن أضرّت يدك اليمنى إليك فابرأ منها ، فذهابها منك أحسن من إدخال جميع[١٨٤] جسدك النّار .

قال أبو محمد : وهذه شرائع يقرّون أن المسيح عليه السلام أمرهم بها كلهم[١٨٥] بلا خلاف من أحد منهم لا يرون القضاء بشىء منها ، فهم على مخالفة المسيح بإقرارهم ، وهم لا يرون الختان ، والختان كان ملة المسيح ، وكان مختونا . والمسيح وتلاميذه لم يزالوا إلى أن ماتوا يصومون صوم اليهود ، ويفحصون فحصهم ، ويلتزمون السبت إلى أن ماتوا ، وهم قد بدّلوا هذا كله ،وجعلوا مكان السبت الأحد وأحدثوا صومًا آخر[١٨٦]، « بعد أزيد من مائة عام بعد رفع المسيح ، فكفى بهذا كله ضلالا وكفرًا ، وليس منهم أحد يقدر على إنكار شىء من هذا .

فإن قالوا : إن المسيح أمرهم باتباع أكابرهم قلنا : لا عليكم ، أرأيتم لو أن بطارقتكم اليوم أجمعوا على إبطال ما أحدثته بطارقتكم بعد مائة عام من رفع المسيح وأحدثوا صيامًا آخر ويوما آخر

---

(١٨٢) فى (أ ، ب) : (وفى الرابع عشر) وقد جاء هذا النص فى إنجيل متى الحالى فى (الإصحاح الخامس لا الرابع ولا الرابع عشر : الفقرات من ٢٢ – ٣١) .

(١٨٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جميع) .

(١٨٤) فى (أ) : سقطت كلمة (جميع) .

(١٨٥) فى (أ ، ب) : (وكفهم) وهو تحريف ظاهر .

(١٨٦) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (بعد أن أزيد إلى صيامًا آخر) .

غير يوم الأحد وفصحا آخر ، وردّوكم[١٨٧] إلى ما كان عليه المسيح من تعظيم السبت وصوم اليهود ، وفصحهم أكان يلزمكم اتباعهم ؟ فإن قالوا : لا ، قلنا :ولم ؟ وأى فرق بين اتباع أولئك — وقد خالفوا ما مضى[١٨٨] عليه — الحواريين وبين اتباع هؤلاء فيما أحدثوه آنفا ؟ فإن قالوا : إن أولئك لعنوا ومنعوا من تبديل ما شرعوا . قلنا لهم : وأىّ لعن وأى منع أعظم من منع المسيح من تبديل شىء من عهود التوراة ؟ ثم قد بدّله من أطعتموه فى تبديله له ، فقد صار منع من بعد المسيح أقوى من منع المسيح .

وإن قالوا : نعم كنا نتبعهم . أقرّوا أن دينهم لا حقيقة له ، وأنه إنما هو اتباع ما شرعه أكابرهم ، من تبديل ما كانوا عليه . ويقال لهم : أرأيتم إن أحدث بعض بطارقتكم شرائع وأحدث الآخرون منهم شرائع[١٨٩] أخرى ، ولعنت كل طائفة منهم من عمل بغير ما شرعت ، كيف تكون الحال ؟ فأىّ دين أنتن وأوسخ ، أو أضل أو أفسد ، مِنْ دينٍ هذه صفته ؟ ولقد كان لهم فيما أوردناه فى هذا الفصل كفاية فى بطلان كل ما هم عليه لو كان لهم مسكة عقل ، وحق لكل دين مرجعه إلى متّى الشرطى ويوحنا المستخف ، ومارقش المزيد[١٩٠] ولوقا الزنديق ، وباطرة اللعين ، وبولش المدسوس[١٩١] للإضلال لهم فى دينهم أن تكون هذه صفته ، والحمد لله على عظيم نعمته علينا .

---

(١٨٧) فى (خ) : زيادة (ويقال لهم : أرأيتم لو أن غيرهم ردوكم) .
(١٨٨) فى (أ ، ب) : (ما نص) .
(١٨٩) العبارة فى الأصل (وأحدث الآخرون منهم آخر) والمعنى عليه لا يستقيم .
(١٩٠) فى (أ ، ب) : (المرتد) .
(١٩١) فى (أ ، ب) : (الموسوس) .

« فصـــل »

وفى الباب الخامس من إنجيل متّى : أن المسيح عليه السلام قال لهم : ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم : يا أبانا السماوى تقدس اسمك ثم قال بعد ذلك[١٩٢]: وقد علم أبوكم أنكم ستحتاجون[١٩٣] إلى جميع هذا . وفى آخر الإنجيل أنه قال لهم : إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ، إلهى وإلهكم فما ترى للمسيح من البُنُوة لله تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق ، فمن أين خصوه[١٩٤] بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ؟ إلا أن كذبوه فى هذا القول . فليختاروا أحد الأمرين ولا بد . ثم من أين خصوا كل من سوى المسيح بأن الله تعالى إلهه ، ولم يقولوا : إن الله إله المسيح كما قال هو بلسانه ، فلابدّ ضرورة من الإقرار بأن الله هو إله المسيح ، وأن سائر الناس أبناء الله أو يكذبوا[١٩٥] المسيح فى نصف كلامه ،وحسبك بهذا فسادًا وضلالًا تعالى الله أن يكون أبا لأحد ، أو أن يكون له ابن لا المسيح ولا غيره ،بل هو تعالى إله المسيح ، وإله كل من هو غير المسيح أيضًا .

---

(١٩٢)فى (خ) : سقطت كلمة (ذلك) .
(١٩٣) فى (خ) : ستحاجون .
(١٩٤) فى (أ ، ب) : (حصره) .
(١٩٥) فى (خ) : (أو مكذبوه) .

« فصـــل »

وكثيرًا ما يحكمون[196] فى جميع الأناجيل فى غير ما موضع أنه إذا أخبر المسيح عن نفسه سمى نفسه ابن الإنسان ، ومن المحال والحمق أن يكون إله[197] ابن إنسان ، أو أن يكون ابن إله وابن إنسان معًا ، أو أن يلد إنسان إلها ، ما فى الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا . ونعوذ بالله من الضلال .

---

(١٩٦) فى (أ ، ب) : (يحكون) .
(١٩٧) فى (أ ، ب) : (الإله) .

إحياء المسيح الموتى بإذن الله

« فصــل »

وفى الباب التاسع من إنجيل متّى « فبينا يسوع يقول هذا[١٩٨]: أقبل إليه أحد أشراف ذلك الموضع وقال له : إن ابنتى توفيت وأنا أرغب إليك أن تذهب إليها ، وتمسها بيديك[١٩٩] لتحيا » ثم ذكر أنه لما دخل بيت القائد ونظر[٢٠٠] بالنوائح والبواكى قال لهن : اسكتن فإن الجارية لم تمت ولكنها راقدة ، فاستهزأت الجماعة به . ولما خرجت الجماعة عنها دخل عليها فأخذ بيدها ثم أقامها حية[٢٠١]. وذكر هذه القصة نفسها فى الباب السابع من إنجيل لوقا ، إلا أنه قال فيها : إن أباها قال له قد أشرفت على الموت وأنه نهض معه فلقيه رسول يخبره بأن الجارية قد ماتت ، فلا تُعَنّه وأن المسيح قال لأبيها : لا تخف وآمن فتحيا . فلما بلغ البيت لم يدخل مع نفسه فى البيت إلا باطرة ويحيى ويعقوب وأبوى الجارية ، وكانت الجماعة تبكى وتلتدم[٢٠٢] فقال لهم : لا تبكوا فإنها راقدة وليست ميتة ، فاستهزؤوا به معرفة ، بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال يا جارية قومى فانصرف[٢٠٣] فيها روحها ،وقامت من وقتها وأمرت[٢٠٤] بأن تطعم طعامًا وحارأبوها[٢٠٥] وأمرهما ألا يعلم[٢٠٦] أحد

---

(١٩٨) فى (أ ، ب) : (إذ) .
(١٩٩) فى (أ ، ب) : (بيدك) .
(٢٠٠) فى (أ ، ب) : (وأبصر) .
(٢٠١) إنجيل متى : (الإصحاح ٩ الفقرات من ١٨ – ٢٦) .
(٢٠٢) تلتدم . وفى إنجيل لوقا (ويلطمون) . واللدم : اللطم والضرب بشىء ثقيل (قاموس) .
(٢٠٣) فى (أ ، ب) :(فانصرف عنها زوجها) وهو تحريف .
(٢٠٤) فى (أ ، ب) : (وأمر) .
(٢٠٥) فى (أ ، ب) : « وجاء أبواها » .
(٢٠٦) فى (أ) : (ألا يعلما) (راجع إنجيل لوقا : الإصحاح ٨ الفقرات من ٤١ – ٥٦) .

بما فعل . وذكر مثل ذلك فى الباب الخامس من إنجيل(٢٠٧) مارقش .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل مصائب جمة أحدها : كان يكفى فى أنه إنجيل موضوع مكذوب اولها حكايتهم عن المسيح أنه كذب جهارًا إذ قال لهم لم تمت إنما هى(٢٠٨) راقدة ليست ميتة فإن كان صادقًا فى أنها ليست ميتة ، فلم يأت بآية ولا بعجيبة ، وحاشى لله أن يكذب نبى فكيف إله .. ؟ !! وليس لهم أن يقولوا : إن الآية هى إبراؤها من الإغماء ، لأن فى نص إنجيلهم أنه قال لأبيها : آمن فتحيا ابنتك ، فلابد من الكذب فى أحد القولين .

والثانية : أن متَّى ذكر أن أباها جاء إلى المسيح وهى قد ماتت وأخبره بموتها ودعاه ليحيها ، ولوقا يقول : إن أباها أتى إلى المسيح وهى مريضة لم تمت وأتى به ليبرئها بعد ، وأن الرسول لقيه فى الطريق وقال له : لا تُعَنِّه فقد ماتت ، فأحد النذلين كاذب بلا شك ، فعليهما لعائن الله وسخطه فلا يجوز أخذ الدين عن كذاب .

والثالثة ، انفراد المسيح عن الناس عند مجيئة بهذه الآية حاشى ، أبويها وثلاثة من أصحابه ، ثم استكتامه إياهم ذلك ، والآيات لا يطلب لها الخلوات ولا تستر عن الناس ، وفى الأناجيل مثل هذا كثير ، من أنه لم يقدر فى بعض الأوقات على آية مرة بحضرة بلاطس ، ومرة بحضرة اليهود ، وأنه قال لمن طلب منه آية : إنكم لا ترون آية إلا آية يونس عليه السلام ، إذ بقى فى بطن الحوت ثلاثا ، وما كان هكذا فإنما هى أخبار مسترابة وكذبات مفتعلة ، ونقل عن من لا خير فيه ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٠٧) راجع إنجيل مرقس : (الإصحاح الخامس الفقرات من ٢٢ - ٤٣) .
(٢٠٨) فى (أ ، ب) : (حية راقدة) .

أسماء الحواريين وإعطائهم سلطاناً

« فصــل »

وفى الباب العاشر من إنجيل متَّى أن المسيح جمع إلى نفسه اثنى عشر رجلًا من تلاميذه ، وأعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة ، أن ينفوها وأن يبرءوا كل مرض وهذه أسماؤهم .

أولهم(٢٠٩) شمعون المسمّى باطرة ، واندرياش أخوه ، ويعقوب بن سيذاى ، ويحيى(٢١٠) أخوه ، وفلبش(٢١١) وبرتلوما وطوما ومتّى بن الجابى(٢١٢) ويعقوب ويهوذا أخوه ، وشمعون الكنعانى ، ويهوذا الاشكريوطا الذى دل عليه بعد ذلك فبعث يسوع هؤلاء الاثنى(٢١٣) عشر ، وقال لهم : لا تسلكوا فى سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين ، ولكن اختصروا(٢١٤) إلى الضأن التالفة من بنى إسرائيل .

ففى هذا الفصل طامتان إحداهما : قوله : إنه أعطى أولئك الإثنى عشر وسماهم بأسمائهم كلهم سلطانًا على الأرواح النجسة ، وأن يبرءوا كل مرضى ، وسمى فيهم يهوذا ولم يَدع للإشكال وجها ، بل صرح بأنه الذى دلّ عليه بعد ذلك اليهود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم ،وضربوه بالسياط ، ولطموه والتهوا(٢١٥) به ، وكذبوه لعنهم الله تعالى ، فكيف يجوز أن يقرب الله تعالى ويعطى

---

(٢٠٩) فى (خ) : سقطت كلمة (أولهم) .

(٢١٠) فى (أ ، ب) : (ويوحنا) بدلًا من يحيى .

(٢١١) فى (أ ، ب) : (وفلبس) .

(٢١٢) فى (أ ، ب) : (ومتى الحالى) بغير (أين) .

(٢١٣) أسماء الأثنى عشر كما وردت فى إنجيل متى هى : الأول سِمْعان الذى يقال له بطرس ، وأندراوس أخوة ، فيلُبّس ، برثولماوُس ، توما ومتى العشار ، يعقوب بن حَلْفى ، ولبّاوس الملقب تدّاوس وسِمْعان القانوى ، ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه (الإصحاح العاشر : ٤/١) .

(٢١٤) فى (أ ، ب) : (احتضروا) بالتاء المثناة والضاد .

(٢١٥) فى (أ ، ب) : (واستهزءوا به) .

السلطان على الجن والإبراء من كل مرضى .. ؟ من يدرى أنه هو الذى يدل عليه ويكفر بعد ذلك ، هذا مع قول يوحنا : (من سرقة يهوذا[٢١٦] وخبث باطنه) فى إنجيله أن يهوذا المذكور كان سارقًا ، وأنه كان يخطف كل ما يهدى إلى المسيح ، ويذهب به فلابد ضرورة من أحد وجهين بلا ثالث أصلًا .

إما أن يكون المسيح اطلع على ما اطلع عليه يوحنا من سرقة يهوذا وخبث باطنه ، وأعطاه مع ذلك الآيات المعجزات ، وجعله واسطة بينه وبين الناس ، وجعل له أن يحرم ويحلّل فيكون ما حلل وحرم محرَّما ومحللًا فى السموات ، فهذه مصيبة وترفيع[٢١٧] بالكفار ، وتقديم لمن لا يستحق وسخرية بالدّين ، وليس هذا صفة إله ولا من فيه خير ، أو يكون خفى على المسيح من خبث نية يهوذا ما عرف غيره ، فهذه عظيمة من[٢١٨] إله يجهل ما خلق . فهل سمع قط بأحمق من هذه القصص وممن يعتقدها حقًا .. ؟ !!

والثانية : قوله لا تسلكوا فى سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين ، واختصروا إلى الضأن المبددة من نسل إسرائيل ، وأنه لم يبعث إلا إلى الضأن التالفة من بنى إسرائيل ، وهذا إنما أمرهم بأن يكملوه بعد رفعه بإقرارهم كلهم ، أنه طول كونه فى الأرض لم يفارقه أحد منهم ، ولا نهضوا داعين إلى بلد آخر ألبتة ، فقد خالفوا أمره[٢١٩] وعصوه ؛ لأنهم[٢٢٠] لم يذهبوا إلا إلى الأجناس ، فهم عصاة لله تعالى فساق بإقرارهم .

---

(٢١٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله : من سرقة يهوذا وخبث باطنه .
(٢١٧) فى (أ ، ب) : (وتوقيع) .
(٢١٨) فى (أ ، ب) : (أن يكون الإله) .
(٢١٩) فى (أ ، ب) : (خالفوه) .
(٢٢٠) فى (خ) : (لأنه) .

« فصــل »

وفى هذا الباب نفسه[٢٢١] أن المسيح قال لتلاميذه : وإذا طُلبتم فى هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى آمين ، أقول لكم : لا تستوعبوا مدائن بنى إسرائيل ، حتى يأتى ابن الإنسان – يعنى رجوعه إلى الدنيا – ظاهرًا بعد رفعه إلى جميع الناس[٢٢٢].

وفى الباب السابع من إنجيل مارقش ، وفى أول الباب التاسع من إنجيل لوقا ، أن المسيح قال لهم : إن من هؤلاء الوقوف بعض قوم لا يذوقون الموت ، حتى يروا ملك الله مقبلًا بقدرة[٢٢٣].

قال أبو محمد : وكذب هذا القول[٢٢٤] قد ظهر علانية ، فقد استوعبوا مدائن بنى إسرائيل وغيرها ، ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل أن يموت كل من بحضرته يومئذ ، وحاشا لله أن يكذب نبى ، فكيف إله ..؟ !! وفى هذا الفصل وحده كفاية لو كان عقل[٢٢٥] فى أن الذين كتبوا هذه الأناجيل كانوا كذابين قوم سوء ، فإن قالوا : فإن فى صحيح حديثكم أن نبيكم ﷺ قال وأشار إلى غلام بحضرته من بنى النجار إن استكمل هذا عمره أدرك الساعة ،

---

(٢٢١) فى (أ) : بإقرارهم .

(٢٢٢) النص كما فى إنجيل متّى : « ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان (الإصحاح ١٠/٢٣) .

(٢٢٣) النص كما فى إنجيل مرقس : « الحق أقول لكم : إن من القيام ها هنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى (الإصحاح ٨/٣٩) .

(٢٢٤) فى (أ ، ب) : المقول .

(٢٢٥) فى (أ ، ب) : (لو كان ثم عاقل) .

فمات ذلك الغلام فى حد الصبا[٢٢٦] وإنه كان يقول للأعراب إذا سألوه متى تقوم الساعة ؟ فيشير إلى أصغرهم ويقول : إن استكمل[٢٢٧] هذا عمره لم يأته الموت حتى تقوم الساعة » قلنا : هذا الغلط غلط فيه قتادة[٢٢٨] ومعبد[٢٢٩] بن هلال ، فحدثا به عن أنس[٢٣٠] على ما توهماه من معنى الحديث ، ورواه ثابت بن مسلم[٢٣١]، البنانى عن أنس كما قاله رسول الله ﷺ بلفظه[٢٣٢] فقال : قامت عليكم ساعتكم » وهكذا رواه الثقات أيضًا عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى ﷺ كما رواه ثابت عن أنس وقالت : إنه عليه السلام قال إن هذا لا يستوفى عمره حتى تقوم عليه ساعتكم يعنى وفاة أولئك المخاطبين له ، وهذا هو الحق الذى لا شك فيه ، ولا خلاف من [٢٣٣] أن ثابتا البنانى أثقف لألفاظ الأخبار من قتادة ومعبد ، فكيف وقد وافقته أم المؤمنين .. ؟ ونحن لا ننكر غلط الراوى[٢٣٤] إذا قام البرهان على أنه خطأ ، وقد صح فى القرآن والأخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وابنه وغيرهما عن النبى ﷺ أنه لا يدرى أحد[٢٣٥] متى تقوم الساعة ، غير الله تعالى » ولو قال النصارى واليهود مثل هذا فى نقلة كتبهم ما عنفناهم ، ولا أنكرنا عليهم وجود الغلط فى نقلهم ، وإنما ننكر عليهم أن ينسبوا – يعنى اليهود والنصارى –

---

(٢٢٦) نص الحديث كما حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة ؟ وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد . فقال رسول الله ﷺ : « إن يعش هذا الغلام فعسى ألا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » (صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – الحديث ١٣٧) .

(٢٢٧) فى (أ ، ب) : يستكمل .

(٢٢٨) قتادة : هو أبو الخطاب قتادة ، دعامة بن عزين بن عمر بن ربيعة بن عمرو بن الحرس ابن سدوس البصرى . كان من كبار العلماء التابعين ، قال أبو عبيدة : ما كنا نفقد فى كل يوم راكبًا من ناحية بنى أمية على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر . وقال : قتادة أجمع الناس . قال معمر : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى : « وما كنَّا مقرنين » فلم يجبنى . فقلت : إنى سمعت قتادة يقول (مطيقين) . فسكت . فقلت ما تقول يا أبا عمرو ؟ فقال : حسبك قتادة فلولا كلامه فى القدر – وقد قال ﷺ : « إذا ذكر القدر فأمسكوا » – لما عدلت به أحدًا من أهل دهره . ولد قتادة سنة ٦٠ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ وقيل سنة ١١١ هـ (دائرة معارف القرن العشرين – دار المعارف – بيروت) .

(٢٢٩) هو معبد بن هلال العنزى البصرى . روى عن عقبة بن عامر الجهنى وأنس بن مالك والحسن البصرى ، ونفيع أبى داود الأعمى ، وعن رجل من أهل الشام . روى عنه قتادة . قال الدورى عن ابن معين : مشهور . وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب : دار صادر بيروت ١٩٦٨) .

(٢٣٠) هو : أنس بن مالك بن النضر الخزرجى الأنصارى من أصحاب رسول الله عليه السلام ، وقد كان عمره فى بدء الهجرة النبوية عشر سنين فلهذا لم يقاتل فى بدر . وروى الإمام البخارى أن أنسا رضى الله عنه شهد مع النبى ﷺ ثمانى غزوات ، ثم شهد – بعد التحاق الرسول العظيم بالرفيق الأعلى – سائر الغزوات والفتوح الإسلامية ، وكان من المكثرين لرواية الحديث ، فقد روى له من الحديث ستة وثمانون ومائتا ألف حديث . وسكن البصرة بعد فتحها ، وتوفى بها سنة ٩٣ هـ (الاستيعاب : ١) بتصرف .

(٢٣١) هو أبو محمد البصرى ، قال ابن علية إنه مات سنة ١٢٧ هـ . وقال جعفر بن سليمان سنة ١٢٣ هـ قال ابن حبان فى الثقات : إنه كان من أعبد أهل البصرة ، يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر ، وكان ثقة مأمونا . توفى فى ولاية خالد القسرى (تهذيب التهذيب لابن حجر – دار صادر بيروت) .

(٢٣٢) فى (خ) : سقطت كلمة (بلفظه) .

(٢٣٣) فى (أ ، ب) : (فى أن) .

(٢٣٤) فى (أ ، ب) : (غلط الرواة) .

(٢٣٥) فى (أ ، ب) : لا يدرى متى تقوم الساعة .

إلى الله تعالى الكذب البحت ، ويقطعون أنه من عنده تعالى وننكر على النصارى أن يجعلوا من صح عنه الكذب معصومًا ، يأخذون عنه دينهم ، وأن يحققوا كل خبر متناقض وكل قضية يكذِّب بعضها بعضًا . ونعوذ بالله من الخذلان .

« فصـــل »

وفى هذا الباب نفسه أن المسيح قال لهم : لا تحسبوا أنى جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح إلا السيف وإنما قدمت لأفرق بين المرء وزوجه[٢٣٦] وابنه ، وبين الابنة وأمها ، وبين الكنَّة وختنتها ، وأن يعادى المرء أهل خاصته[٢٣٧].

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل لوقا أن المسيح قال لهم : إنما قدمت لألقى فى الأرض نارًا وإنما إرادتى[٢٣٨] إشعالها ولنغطس[٢٣٩] فيها جميعها ، وأنا بذلك منتصبُ[٢٤٠] إلى تمامه أتظنون أنى أتيت لأصلح بين أهل الأرض[٢٤١]؟ ولكن لأفرق بينهم فيكون خمسة مفترقين فى بيت ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة ، الأب على الولد والولد على الأب والابنة على الأم والأم على الابنة ، والختنة على الكنة والكنة على الختنة[٢٤٢] فهذان فصلان كما ترى .

وفى الباب التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام قال : لهم لم نبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها[٢٤٣].

---

(٢٣٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وزوجه) .

(٢٣٧) هامش مكرر .

(٢٣٨) فى (أ ، ب) : (أراد لى) النص : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضدّ حماتها . وأعداء الإنسان أهل بيته . (إنجيل متّى : الإصحاح ١٠/٤ – ٢٦) .

(٢٣٩) فى (أ ، ب) : (والتعطش) .

(٢٤٠) فى (خ) : (منتصف) .

(٢٤١) فى (أ ، ب) : بزيادة (لا) .

(٢٤٢) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح ١٢/٤٩ – ٥٣) .

(٢٤٣) النص : لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص : إنجيل لوقا : (الإصحاح ٩/٥٦) .

وفى الباب العاشر من إنجيل يوحنا ان المسيح قال : من سمع كلامى ولم يحفظه فلست أحكم أنا عليه فإنى لم آت لأحكم على الدنيا ، وأعاقبها لكن لأسلم(٢٤٤) أهل الدنيا .

قال أبو محمد : هذان الفصلان ضد الفصلين اللذين قبلهما ،وكل واحد من المعنيين يكذب الآخر صراحًا ، فإن قيل إنه إنما أراد(٢٤٥) أنه لم يبعث لتلف الأنفس ، التى آمنت به . قلنا : قد عمّ ولم يخصّ ، وبرهان بطلان تأويلكم هذا من أنه إنما عَنى أنه لم يبعث لتلف النفوس المؤمنة به أنّها(٢٤٦) نص هذا الفصل . فى الباب التاسع من إنجيل لوقاهو كما نورده إن شاء الله تعالى قال عن المسيح : إنه بعث بين يديه رسلًا وجعلوا طريقهم على السامرية ليعدوا له بها فلم يقبلوه لتوجهه إلى برشلام ، فلما رأى ذلك يوحنا ويعقوب قالا له : يا سيدنا أيوافقم أن تدعو فتنزل عليهم نار من السماء وتحرق عامتهم كما فعل إلياس .. ؟(٢٤٧) فرجع إليهم وانتهرهم وقال : الذى أنتم له أرواح لم يبعث الإنسان لتلف الأنفس ، لكن لسلامتها ثم توجهوا إلى حصن آخر .

قال أبو محمد : فارتفع الإشكال وصح أنه لم يعن بالأنفس التى بعث لسلامتها بعض النفوس دون بعض ، لكن عنى كل نفس كافرة به ومؤمنة به لأنه كما تسمعون(٢٤٨) إنما قال ذلك إذا أراد أصحابه هلاك الذين لم يقبلوه ، فظهر تكاذب الكلام الأول ، وحَاشا لله أن يكذب(٢٤٩) المسيح عليه السلام ، لكن الكذب بلا شك من الفساق الأربعة الذين كتبوا تلك الأناجيل المحرّفة المبدلة .

ثم فى هذا الفصل نصٌّ جليٌّ على أنه مبعوث مأمور ، فصح أنه نبى كما يقول أهل الحق إن كانوا صدقوا فى هذا الفصل وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٤٤) فى (أ ، ب) : [إلى تبليغ] .
(٢٤٥) فى (أ) : سقطت كلمة (أراد أنه) .
(٢٤٦) فى (ط) : (إنه نص) .
(٢٤٧) إلياس : هو ابن أخى هارون أخى موسى عليه السلام وقد أشار إليه القرآن فى قوله تعالى : « وزكريا ، ويحيى وإلياس كل من الصالحين » (الأنعام : ٨٥) .
(٢٤٨) فى (أ ، ب) : (لا كما يسمعون) .
(٢٤٩) فى (أ ، ب) : (الرسول المسيح) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور نفسه أن المسيح قال : من قبل نبيا على اسم نبى فإنه يكافأ بمثل أجر النبى(٢٥٠).

قال أبو محمد : وهذا كذب ومحال ، لأنه لا تفاضل للناس عند الله تعالى فى الآخرة ، إلا بأجورهم التى يعطيهم الله تعالى فقط ، لا بشيء آخر أصلًا ، فمن كان أجره فوق أجر غيره فهو بالضرورة أفضل منه ، والآخر بلا شك دون ، ومن كان أجره مثل أجر آخر فهما بلا شك سواء فى الفضل ، هذا يعلم ضرورة بالحس ، فلو كان كل من اتبع نبيًا له مثل أجر النبى لكان أهل الإيمان كلهم فى الآخرة سواء لا فضل لأحد على أحد عند الله تعالى ، وهذا يعلم أنه كذب ومحال بالضرورة ، ولو كان هذا لوجب أن يكون أجر كل كلب(٢٥١) من النصارى مثل أجر باطره والتلاميذ وبولش ومارقش ولوقا ، وليس منهم أحد يقول بهذا ، ولا يدخله فى الممكن فكلهم متفق على أن إلههم كذب ،وحاشا لله من أن يكذب نبى من أنبيائه ، أو رجل صادق من أهل الإيمان وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٥٠) النص : « من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ » (إنجيل متى : الإصحاح ١٠/٤١) .
(٢٥١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كلب) .

الكلام فى يحيى عليه السلام

« فصــل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل متّى أن المسيح عليه السلام قال وقد ذكر يحيى بن زكريا أنا أقول لكم : إنه أكثر من نبى وهو الذى قيل فيه وأنا باعث ملكى بين يديك ليعد لك[٢٥٢] طريقك .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل كذب فى موضعين .

أحدهما : قوله فى يحيى إنه أكثر من نبى وهذا محال ، لأنه لا يخلو يحيى وغير يحيى منس إلا أن يكون رسولا نبيا ، ويحيى رسول بإجماعهم ، وإن كان لم بوح إليه فهذه منزلة يستوى فيها الكافر والمؤمن ، ولا يجوز أن يكون من لا يوحى الله تعالى إليه مثلا لمن[٢٥٣] استخصه عز وجل بالوحى إليه ،فكيف أن يكون أكثر منه .. ؟

والكذبة الثانية : قوله إن يحيى هو الذى قيل فيه وأنا باعث ملكى بين يديك لأن يحيى عليه السلام على هذا[٢٥٤] ملك ، وهذا كذب بحت لأنه إنسان ابن رجل وامرأة ، عاش إلى أن قتل ،

---

(٢٥٢) النص : لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبيا . نعم أقول لكم وأفضل من نبى . فإن هذا الذى كتب عنه . هأنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمذان . ولكن الأصغر فى ملكوت السماوات أعظم منه (إنجيل متى – الإصحاح ٩/١١ – ١٢) فيوحنا هو يحيى .

(٢٥٣) فى (أ ، ب) : [مثل من استخلصه] .

(٢٥٤) فى (أ ، ب) : [على هذا القول] .

وليس هذا صفة الملك ، ويحيى لم يكن ملكًا . وفى هذا الفصل الذى[٢٥٥] بعد هذا أنه قال : إن يحيى آدمى فهذا القول كذب على كل حال ، وحاشا لله أن يكذب نبى ، ولا رجل فاضل ، وصح أن متّى الشرطى النذل هو الذى كذب ، فعليه ما على الكذابين أمثاله .

(٢٥٥) فى (أ ، ب) : (لكن بعد هذا) وهو تحريف .

« فصــل ».

وفى الباب المذكور ، أن المسيح قال لهم : آمين أقول لكم لم يولد أحد من الآدميين أشرف من يحيى المعمَّد ، ولكن من كان صغيرًا وفى ملكوت السماء فهو أكبر منه .

قال أبو محمد : تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم ،وقرة عيون الأعداء ، وقولا(٢٥٦) لا يمكن أن يقوله ولا يَنْطِقُ به صَبِىُ ، يرجى فلاحه ، ولا أمَة وكفاء(٢٥٧) إلا أن تكون مدخولة . العقل ،أثبت أنه لم يولد فى الآدميين أشرف من يحيى .. ؟ وإذا كان كما زعم أن الصغير فى ملكوت السماء أكبر من يحيى ، فكل مؤمن(٢٥٨) يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أفضل(٢٥٩) من يحيى ، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بنى آدم فهو أفضل من يحيى ، وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن . فما هذا الهوس .. ؟ وما هذا الكذب وما هذا العيارة(٢٦٠) السمجة فى الدين .. ؟وكم هذا التناقض .. ؟ والله ما قال المسيح قط شيئًا من هذه الرعونة ، وما قالها إلا الكذاب متَّى ونظراؤه عليهم اللعنة(٢٦١)، فلقد كانوا فى غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين .

---

(٢٥٦) ف (أ ، ب) : (وهو لا يمكن) .
(٢٥٧) ف (أ ، ب) : (وكعاء) بالعين وهو تحريف . والوكفاء الفاسدة (قاموس) .
(٢٥٨) ف (أ ، ب) : (فكل من يدخل) .
(٢٥٩) ف (أ ، ب) : (أكبر) .
(٢٦٠) ف (أ ، ب) : (العباوة) .
(٢٦١) ف (أ ، ب) : (لعنة الله) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور : أن المسيح قال لهم : كل كتاب ونبوة فإن منتهاها إلى يحيى .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل كذبتان على صغره . إحداهما : قوله قيل : إن يحيى(٢٦٢) أكثر من نبى مع ما فى الإنجيل من أن يحيى سُئِل فقيل له(٢٦٣) أنبىٌّ أنت ؟ قال : لا . وقال ههنا ، إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى ، فمرة ليس هو نبيا ، ومرة هو نبى(٢٦٤) الأنبياء ، ومرة هو أكثر من نبى ،تبارك الله كم هذا التخليط والكذب الفاحش .. ؟ !!

والأخرى قوله : فيه إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى ، وليس بعد النهاية(٢٦٥) نبى فهو على هذا آخر الأنبياء .

وفى الباب الرابع عشر من إنجيل متَّى : أن المسيح قال لهم : أنا باعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون ، فقد كذب(٢٦٦) بأن يحيى آخر الأنبياء ، ومنتهى النبوة إليه ، والنصارى مقرُّون بأنه قد كان بعده أنبياء ، وأن نبيا أتى إلى بولش وأنذره بأنه سيصلب . ذكر ذلك لوقا فى الافركسيس . فقد حصلوا على تكذيب المسيح فى قوله وفى بعض هذا كفاية .

---

(٢٦٢) فى (أ ، ب) : (أن يحيى أكبر) .
(٢٦٣) فى (ط) : سقطت كلمة (له) .
(٢٦٤) فى (أ ، ب) : (آخر الأنبياء) .
(٢٦٥) فى (أ ، ب) : (وليس بعد النهاية شيء) .
(٢٦٦) فى (أ ، ب) : (كذب القول) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال لهم : أتاكم يحيى وهو لا يأكل ، ولا يشرب ، فقلتم هو مجنون ، ثم أتاكم ابن الإنسان يعنى نفسه[٢٦٧] فقلتم : هذا جواف[٢٦٨] شروب الخمر ، خليع صديق المستخرجين والمذنبين[٢٦٩].

قال أبو محمد : فى هذا كذب وخلاف[٢٧٠] للنصارى ، أما الكذب ، فإنه قال ههنا : إن يحيى كان لا يأكل ولا يشرب ، حتى قيل فيه : إنه مجنون من أجل ذلك .

وفى الباب الأول من إنجيل مارقش : أن يحيى بن زكريا عليهما السلام هذا كان طعامه الجراد ، والعسل الصحراوى[٢٧١]، وهذا تناقض ، وأحد الخبرين كذب بلا شك ، وأما خلاف قول النصارى فإنه ذكر أن يحيى كان لا يأكل ولا يشرب ، وأن المسيح كان يأكل ويشرب ،وبلا شك[٢٧٢] من أغناه الله عز وجل عن الأكل والشرب من الناس فقد أبانه ورفع درجته على[٢٧٣] من لم يغنه عن الأكل والشرب منهم ، فيحيى أفضل من المسيح بلا شك على هذا .

---

(٢٦٧) ق (أ ، ب) : (يأكل ويشرب) .

(٢٦٨).ق (أ ، ب) · (حوَّاں) .

(٢٦٩) النص : « لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان جاء اسالإنسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر ، محب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبرَّرت من بنيها (إنجيل متى · الإصحاح ١١/١٨ - ١٩) .

(٢٧٠) ق (أ ، ب) : (لقول النصارى) .

(٢٧١) النص · « وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جرادًا وعسلا بريا » (إنجيل مرقس . الإصحاح ط/٦ - ٨) .

(٢٧٢) ق (أ ، ب) : (أن) .

(٢٧٣) ق (أ ، ب) : (عن من) .

وقصة ثالثة : وهى اعتراف المسيح على نفسه بأنه يأكل ويشرب ، وهو عندهم إله فكيف يأكل الإله ويشرب ؟ ما فى الهوس أكثر من هذا . فإن قالوا : إن الناسوت منه هو الذى كان يأكل ويشرب . قلنا : وهذا كذب منكم على كل حال ؛ لأنه إذا كان المسيح عندكم لاهوتًا وناسوتًا معًا فهو شيئان ، فإن كان إنما أكل[٢٧٤] الناسوت وحده فإنما أكل الشيء الواحد من جملة الشيئين ، ولم يأكل الآخر ، فقولوا : إذًا أكل نصف المسيح ، وشرب نصف المسيح ، وإلا فقد كذبتم فى كل حال ، وكذب أسلافكم فى قولهم أكل المسيح ، ونسبتم إلى المسيح الكذب فى خبره[٢٧٥] عن نفسه أنه يأكل ، وإنما يأكل نصفه لا كلّه ، والقوم أنذال بالجملة .

(٢٧٤) فى (أ ، ب) : (يأكل)
(٢٧٥) (بخبره) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال : لا يعلم الولد[٢٧٦] غير الأب ، ولا يعلم الأب غير الولد[٢٧٧]. قال أبو محمد : هذا عجب جدا ؛ لأن المسيح عندهم ابن الله بلا خلاف منهم والله تعالى — عن كفرهم — هو والد المسيح وأبوه ، وهكذا يطلق النذل باطرة فى رسائله المنتنه متى ذكر الله عز وجل قال : الله والد ربنا المسيح آمرا كذا وكذا ، ثم ههنا قال : إن المسيح قال : إنه لا يعلم الأب إلا الابن ، ولا يعلم الابن إلا الأب ، فقد وجب ضرورة أن التلاميذ وسائر النصارى لا يعرفون[٢٧٨] الله تعالى أصلًا ، ولا يعرفون المسيح ألبتة ، فهم جُهَّال بالله تعالى وبالابن ، ومن جهل الله تعالى ولم يعرفه فهو كافر ، فهم كلهم كفار أسلافهم وأخلافهم ، أو كذب المسيح فى هذا الكلام ، أو كذب النذل متّى ، لابد والله من أحدها ، وقد أعاذ الله تعالى عبده ورسوله[٢٧٩] من الكذب ، فبقيت الاثنتان وهما والذى سمك السماء حق ، وأن النصارى لكفار[٢٨٠] جهال بالله عز وجل ، وأن الشرطى متى لكذاب[٢٨١] كافر ملعون ، فعلى جميعهم[٢٨٢]

---

(٢٧٦) فى (أ) : (لا يعلم لولد)

(٢٧٧) النص : « كل شىء دفع إلىّ من أبى ، وليس أحد يعرف الابن إلا الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن » (إنجيل متى : الإصحاح ٢٧ ٢٨) .

(٢٧٨) فى (أ ، ب) (لا يعلمون) .

(٢٧٩) فى (أ ، ب) : (المسيح) .

(٢٨٠) فى (ب) : سقطت كلمة (لكفار)

(٢٨١) فى (أ ، ب) : (منفق جاهل)

(٢٨٢) فى (ب) (ما يستحقون من الله) .

لعنة الله . نعم وفى هذا القول الملعون الذى أضافوه إلى المسيح عليه السلام القطع بأن الملائكة والأنبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف الله تعالى ، فاعجبوا(٢٨٣) لكفر هذا اللعين متى ؟ !! وعظيم حماقته(٢٨٤) ومن قلده فى دينه ونحمد الله على السلامة(٢٨٥) كثيرًا .

(٢٨٣) فى (ب) : (فاعجبوا لعظيم فسق هذا الأحمق متّى) .
(٢٨٤) فى (ب) : (حماقة من قلده) .
(٢٨٥) فى (ح) : سقطت كلمة (على السلامة) .

مطالبة المسيح بآية

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن بعض التورائين قال للمسيح :يا معلم[٢٨٦] إنا نريد أن تأتينا بآية فقال لهم المسيح : يا نسل السوء ، ونسل الزنا تسألون آية ولا ترون[٢٨٧] منها آية غير آية يونس النبى .. ؟ فكما أن يونس كان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ،كذلك يكون ابن الإنسان فى جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها[٢٨٨].

قال أبو محمد : لو لم يكن فى أناجيلهم[٢٨٩] إلا هذا الفصل الملعون وحده لكفى فى بطلان جميع أناجيلهم ، وجميع دينهم . فإنه قد جمع عظيمتين .

إحداهما : تحقيق أنه لم يأت مخالفيه قط بآية ، وإقرار المسيح بذلك بزعمهم ، وأن آياته التى يذكرون إنما كانت خفية وفى السر بحضرة النزر القليل الذين اتبعوه ، ومثل هذا لا يقوم[٢٩٠] حجّة على المخالف ، أو تحقيق الكذب على المسيح فى أنه يخبر أنهم لا يرون آية وهو يريهم الآيات لابد من إحداهما .

(٢٨٦) فى (ح) . سقطت (يا معلم) .
(٢٨٧) فى (ح) : سقطت (ترون) .
(٢٨٨) راجع إنجيل متى : (الإصحاح ١٢ الفقرات من ٣٨ - ٤١) .
(٢٨٩) فى (أ ، ب) : (إنجيلهم) .
(٢٩٠) فى (أ ، ب) : (لا تقوم به حجة) .

والفصل الثانى وهو الطامة الكبرى ، حكايتهم عن المسيح أنه قال عن نفسه : كما بقى يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها ، كذلك يبقى هو فى جَوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها ، وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها ؛ لأنهم مجمعون فى جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة[٢٩١] فى دخول ليلة السبت ، وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد ، فلم يبق فى جَوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ، ويومًا ويسيرًا من يوم ثان فقط ، وهذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح ، لابد منها أو كذب أصحاب الأناجيل ، وهم أهل الكذب وحسبنا الله .

---

(٢٩١) فى (أ ، ب) : (مع) بدلًا من (فى) .

« فصــل »

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل متَّى أن المسيح قال : » يشبه ملكوت السماء بحبة ، خردل ، ألقاها رجل فى فدانه ، وهى أدق الزراريع[٢٩٢]،فإذا أنبتت استعلت على جميع البقول والزراريع ، حتى ينزل فى أغصانها طير السماء ويسكن إليها[٢٩٣]» .

قال أبو محمد : حاشا للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام ؛ لكن النذل الذى قاله كان قليل البصارة بالفلاحة ، وقد رأينا نبات الخردل ، ورأينا من رآه فى البلاد البعيدة ، فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئًا منه يمكن أن يقف عليه طائر ، ومثل هذه المسامحات[٢٩٤] لا تقع لنبى أصلًا فكيف لله عزَّ وجل .

---

(٢٩٢) فى (أ ، ب) : (كنها) .

(٢٩٣) النص : « يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتى وتآوى فى أغصانها » (إنجيل متى . الإصحاح ١٣/ ٣١ - ٣٢) .

(٢٩٤) لعلها : (السخافات) فهى التى تلائم أسلوب ابن حزم .

النبى لايعدم حرمته إلا فى بلده

« فصـــل »

وفى آخر الباب المذكور أنَّ المسيح رجع إلى بلاده ،وجعل يوصى جماعتهم بوصايا يعجبون منها ، وكانوا يقولون : من أين أوتى هذه العلوم ، وهذه القدرة ؟ أما هذا ابن الحدّاد وأمه مريم ، وإخوته يعقوب ، ويوسف ، وشمعون ، ويهوذا ، وأخواته ، أما هؤلاء كلهم عندنا فمن أين أوتى هذا .. ؟ وكانوا يشكون فيه . فقال لهم يسوع : « ليس يعدم النبى حرمته إلَّا فى بيته وبلده[٢٩٥] » ولتشكُّكهم وكفرهم لم يطلع فى ذلك الموضع عجائب كثيرة .

وفى الباب الخامس من إنجيل مارقش قال : وكانت الجماعة تسمع منه وتعجب[٢٩٦] العجب الشديد من وصيته ، ويقولون : من أين أوتى هذا ؟ وما هذه الحكمة التى رزقها ؟ ومن أين هذه الأعاجيب التى ظهرت على يديه ؟ أليس هوَ ابن الحدّاد ، وابن مريم أخو يوسف ويعقوب وشمعون ويهوذا ؟ أليس أخواته هنَّ هاهنا معنا ؟ وكان يقول لهم يسوع : لا[٢٩٧] يكون نبى بغير حرمة إلَّا فى وطنه وبين عشيرته ، وفى أهل بيته ، وليس كان يقوى أن يفعل هنالك آية ، لكن وضع يديه على مرضى قليل فأبرأهم[٢٩٨].

---

(٢٩٥) النص : « ولما جاء الى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا » . وقالوا من أين هذا هذه الحكمة والقوّات ، أليس هذا ابن النجار ، أليست أمه تدعى مريم . وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذ ، أو ليست أخوته جميعًا عندنا ، فمن أين لهذا هذه كلها ، فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم . (انجيل متى – الإصحاح ١٣ – الفقرات من ٥٤ – ٥٨) .

(٢٩٦) فى (أ ، ب) : (وتعجب منه) .

(٢٩٧) فى (أ ، ب) : (ليس يكون)

(٢٩٨) راجع إنجيل مرقس – الإصحاح السادس – الفقرات من ١ – ٦) وفيه : « أليس هذا النجار ابن مريم » .

وفى الباب الثانى من إنجيل لوقا ؛ « فلما دخل الوالد المسيح البيت » وبعد هذا بيسير قال : « فكان يعجب منه أبوه وأمه[٣٠٠] » وبعده بيسير قول مريم أمه له : « وقد طلبك أبوك وأنا معك[٣٠١] » .

وفى الباب السابع منه : أقبلت إليه أمه[٣٠٢] وإخوته .

وفى الباب الثانى[٣٠٣] من إنجيل يوحنا : وبعد هذا نزل إلى قفر ناحوم ، ومعه أمه وإخوته وتلاميذه .

وفى الباب السابع من إنجيل يوحنا : وكان إخوته لا يؤمنون به .

قال أبو محمد : فى هذه الفصول ثلاث طوام نذكرها طامة طامة إن شاء الله تعالى .

أولها : اتفاق الأناجيل الأربعة على أنه كان له والد معروف من الناس ، وإخوة وأخوات سمّى الإخوة بأسمائهم ، وهم أربعة رجال سوى الأخوات ، ولا نقول[٣٠٤] فى ذلك إلّا على إقرارٍ منهم[٣٠٥]: بأن له والدًا طلبه معها ، وهو يوسف الحدَّاد أو النجار ، فأمّا أُمُّه فقد اتفقنا نحن واليهود ، وجمهور النصارى على أنها حملت به حمل النساء ، وولدته كما تلد النساء أولادهنَّ ، إلّا طائفة من النصارى قالت : لم تحمل به ، لكن[٣٠٦] دخل من أذنها وخرج من فرجها فى الوقت كالماء فى الميزاب ، ولكن بقى علينا أن نعرف : كيف تقول أمّه عليها السلام عن النجار أو الحدَّاد إنّه أبوه ووالده ؟ فإن قالوا : إنَّ زوج الأم يسمَّى فى اللغة أبا قلنا : هبكم أن هذا كذلك ؟! كيف العمل فى هؤلاء الذين اتفقت عليهم الأناجيل على أنهم إخوته وأخواته ، وإنّما هم أولاد يوسف النجّار أو الحدَّاد .. ؟ وما وجد فى اللغة العبرانية أن[٣٠٧] أنّ الربيب من غير الأم يسمَّى أخا ، إلّا أن يقولوا : إنّ مريم ولدته من النجّار ، فقد قال هذا طائفة من قدمائهم منهم :

---

(٢٩٩) فى (أ) : (الباب الثامن) .
(٣٠٠) انجيل لوقا – الإصحاح الثانى – الفقرات من ٢٧ – ٣٤ .
(٣٠١) إنجيل لوقا – الإصحاح ٢ – الفقرات ٤٨ .
(٣٠٢) فى (أ) : سقطت كلمة (أمه) .
(٣٠٣) فى (أ ، ب) : (الباب الثامن عشر) .
(٣٠٤) فى (أ ، ب) : « ولا يعوّل » .
(٣٠٥) فى (أ ، ب) : (أمه) .
(٣٠٦) فى (أ ، ب) : (ولكن) .
(٣٠٧) فى (ح) : سقطت كلمة (وجد) وكلمة (العبرانية أن) .
(٣٠٨) فى (أ ، ب) : (يليان) .

« بيّار[٣٠٨]» مطران « طليطلة[٣٠٩]» ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى مما يقول هؤلاء الكفرة أن يكون لإله معبود أمٌّ أو خال أو خاله ، أو ابن خاله أو ربيب ، أو أخت ، أو أخ ، وتبًّا لعقول يدخل هذا فيها من أن لله تعالى ربيبًا هو زوج أمه .

وليس يمكنهم أن يقولوا : إنّما أراد كتّاب الأناجيل أنّهم إخوته فى الإيمان والدِّين ، لأن « يوحنا » قد رفع الإشكال فى ذلك وقال : « معه إخوته وتلاميذه » فجعلهم طبقتين :

وقال أيضًا : إن إخوته كانوا لا يؤمنون به ، وتالله لولا أننا شاهدنا النّصارى ما صدّقنا أن من يلعب بعذرة[٣١٠]، وما يخرج من أسفله[٣١١] يصدِّق بشىء من هذا الحمق ، ولكن تبارك من أرادنا بهذا أنه لا ينتفع أحد ببصره ولا بسمعه ، ولا بتمييزه إلّا أن يهديه خالق الهدى والضلال . نسأل الله الذى هدانا لملّة الإسلام البيضاء الواضحة السليمة من كل ما ينافره العقل - ألّا يضلّنا بعد إذ هدانا حتى نلقاه على ملّة الحق ، ونحلة الحق ، ومذهب الحق ، ناجين من ملل[٣١٢] الكفر ، ونِحَل الضلال ، ومذاهب الخطّاء[٣١٣].

وكلُّ ما أوردناه[٣١٤] بيان واضح ، فى أنَّ الذين ألَّفوا الأناجيل كانوا عيَّارين ، مستخفيّن بمن أضلّوه ، متلاعبين بالدِّين .

والثانية[٣١٥]: إقرارهم بأن المسيح لم يكن يقوى فى ذلك المكان على آية ، ولو كان لهم عقل لعلموا أن هذه ليس صفة إله يفعل ما يشاء ، بل صفة عبد مخلوق مدبّر لا يملك من أمره شيئًا ، كما قال لرسول الله ﷺ :

« قل إنّما الآيات عند الله[٣١٦]» .

الثالثة : إقرارهم أن المسيح علبه السلام سمعهم ينسبونه إلى ولادة الحدَّاد ، وأنه أبوه ، ولم ينكر ذلك عليهم .

---

(٣٠٩) طليطلة : عاصمة مقاطعة فى أسبانيا بإقليم قشتالة الجديد ، يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان ، ازدهرت كعاصمة بعد ٥٠٧ ق م . بلغت قمة ازدهارها إبان حكم العرب من ٧١٢ إلى ١٠٨٥ م باعتبارها حاضرة للأمير ثم عاصمة لمملكة مستقلة بعد ١٠٣١ م . ومركزًا للثقافة العربية والأسبانية واليهودية إبان حكم العرب ، وملوك قشتالة الذين اتخذوها مقرًا لهم . ومن معالمها العربية جسر القنطرة عبر نهر تاجه . وهى مركز عظيم من مراكز الفن الإسلامى . اشتهرت فى العصر الإسلامى وبعده صناعة التحف المعدنية . (الموسوعة الميسرة) .

(٣١٠) فى الأصل (بقدره) بالقاف ، وهو تحريف لا يتفق مع اطراد الأسلوب .

(٣١١) فى (أ ، ب) : (سفله)

(٣١٢) فى (أ ، ب) : (من خلل) .

(٣١٣) فى (أ) : (الخطأ) .

(٣١٤) فى (أ ، ب) : (وفى كل ما أوردنا) .

(٣١٥) فى (أ ، ب) : (والطامة الثانية) .

(٣١٦) سورة : الأنعام : ١٠٩ .

فقد حققوا عليه أحد شيئين لا ثالث لهما ألبتة : إمّا أنه سمع الحق من ذلك فلم ينكره ، وفى هذا ما فيه من خلاف قولهم جملة .

وإمّا أنه سمع الباطل والكذب فأقرّ عليه ولم ينكره . وهذه صفة سوء وتلبيس فى الدين .

قال أبو محمد : وفى هذه الفصول مما لم يطلق الله تعالى أيديهم على تبديله من الحق قوله : « لا يعدم النبى حرمته إلّا فى وطنه ، وأهل بيته » .

فيا عقول الأطفال ، ويا أدمغة الأوز : لو عقلتم أما كنتم(٣١٧) تقولون فيه ما قال فى نفسه ، وما يشهد(٣١٨) العيان بصدقه وصحته(٣١٩) فيه ؟! وتتركون الرعونة التى لم تقدروا منذ ألف عام بيان ما تعتقدونه منها بقلوبكم ، ولا قدرتم على العبارة(٣٢٠) عنها بألسنتكم ، وكلما رمتم وجها من وجوه النّوك انفتق عليكم باب من لا قبل لكم به ونعوذ بالله من الضلال .

---

(٣١٧) فى (أ ، ب) : « أما كان يكفيكم أن تقولوا » .
(٣١٨) فى (أ ، ب) : (وما شهد) .
(٣١٩) فى (خ) : لا توجد كلمة (وصحته) .
(٣٢٠) فى الأصل [العبارة] بالدال – وهو تحريف .

تضارب الأقوال حول باطرة

« فصـــل »

وفى الباب السادس عشر من إنجيل « متّى » أن المسيح قال لباطرة : إليك أبرأ بمفاتيح السماوات ، فكل ما حرَّمته فى الأرض يكون محرَّمًا فى السماوات ، وكل ما حلّلته على الأرض يكون حلالًا فى السماوات(٣٢١)» .

وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه : متّصلا بالكلام المذكور : « اتبعنى يا مخالف ، ولا تعارضنى فإنك جاهل بمرضاة الله تعالى ، وإنّما تدرى مرضاة الآدميين(٣٢٢)» .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : فى هذا الفصل على قلته – وإنه قليل ومنتن كبعض ما يشبهه ممّا يكره ذكره – سوأتان عظيمتان :

إحداهما : أنه بريء إلى باطرة النذل بمفاتيح السماوات ، وولّاه خطة إلاهية لا تجوز لغير الله

---

(٣٢١) النص : « وأنا أقول لك أيضًا · أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا فى السماوات ، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولًا فى السماوات » (إنجيل متى – الإصحاح ١٦/١٨ – ٢٠) وباطره هو بطرس .

(٣٢٢) النص : « فأخذه بطرس إليه ، وابتدأ ينتهره قائلًا : حاشاك يا ربّ ، لا يكون لك هدا ، فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان ، أنت مَعْثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكنِ بما للناس » (انجيل متى ١٦٠ /٢٢ ، ٢٣) .

تعالى وحده ، لا شريك له ، من أنَّ كلّ ما حرَّمه فى الأرض[٣٢٣] كان حرامًا فى السماوات وكلّ ما حلّله فى الأرض[٣٢٤] كان حلالًا فى السماوات .

والثانية : أنه آثر براءته إليه بمفاتيح السماوات ، وتوليته له خطة الربوبية ، إمَّا شريكا لله تعالى فى التحريم والتحليل ، وإمَّا منفردًا دونه عزَّ وجل بهذه الصفة .

قال له فى الوقت : « إنه مخالف معارض له[٣٢٥] جاهل بمرضاة الله تعالى ، (مخالف له[٣٢٦]) لا يدرى إلَّا مرضاة الآدميين » .

فوالله لئن كان صدق فى الآخرة لقد خرق[٣٢٧] فى الأولى ؛ إذ ولَّى ما لا ينبغى إلَّا لله تعالى جاهلًا بمرضاة الله تعالى ، مخالفًا له لا يدرى إلَّا مرضاة[٣٢٨] الناس ، وإنَّ هذه لسوأة الأبد ؛ إذ مَنْ هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف ، أو بيت زبل . ولئن كان صدق وأصاب فى الأولى لقد كذب فى الثانية ، ووالله ما قال المسيح قط[٣٢٩] ما ذكروا عنه فى الأولى ، لأنها مقالة كافر شرٍّ خلق الله تعالى ، وما يبعد أنه قال له الكلام الثانى ، فهو والله كلام حق ، يشهد[٣٣٠] به اللعين الكافر « باطرة » شاه وجهه ، وعليه سخط الله وغضبه .

ثم عجب ثالث : أننا قدذكرنا قبلُ أن فى الباب الثامن عشر[٣٣١] من إنجيل « متى » أنّ المسيح أشرك مع « باطرة » فى هذه الخطة التى أفرده بها هاهنا سائر الاثنى عشر تلميذًا ، ومن[٣٣٢] جملتهم السّارق ، الكافر ، الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما أخذها منهم ، وأنّه قال لجميعهم : « ما حرَّمتموه فى الأرض كان حرامًا فى السّماوات ، وما حللتموه فى الأرض كان حلالًا فى السماوات » .

فيا ليت شعرى كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولَّاهم من ذلك ، فأحلَّ بعضهم شيئًا وحرَّمه آخر منهم ؟

كيف يكون الحال فى السماوات وفى الأرض ؟

---

(٣٢٣) فى (ح) : سقطت كلمة (فى الأرض) .
(٣٢٤) فى (خ) : سقطت كلمة (فى الأرض) .
(٣٢٥) فى (خ) : لا توجد كلمة (له) .
(٣٢٦) فى (خ) : زيادة (مخالف له) وقد حذفت من (أ) .
(٣٢٧) فى الأصل (حرق) وهو تحريف .
(٣٢٨) فى (أ ، ب) : (رضاء) .
(٣٢٩) فى (أ ، ب) : (شيئًا مما ذكروا) .
(٣٣٠) فى (أ ، ب) : « يشهد المنافق على اللعين به باطرة » .
(٣٣١) فى (أ) : (الثانى عشر) ، (راجع انجيل متى . الإصحاح ١٨ / ١٨ ، ١٩) .
(٣٣٢) فى (أ ، ب) : (وفى) بدلًا من (من) .

لقد يقع أهلها مع هؤلاء السفلة فى سَفل وفى حرمةٍ وحل معًا .

فإن قيل : لا يجوز أن يختلفوا . قلنا : سبحان الله وأىّ خلاف أعظم من تحليل يهوذا إسلامه إلى اليهود ، وأخذه ثلاثين درهمًا رشوة على ذلك ، إلا إن كان عزله عن خطته الإلاهية بعد أن ولّاه إيّاها ، فلعمرى إنَّ من قدر أن يوليها إنه لقادر على أن يعزل(٣٣٣) عنها ، ولعمرى لقد رذلت هذه المنزلة عند هؤلاء الأرذال حقًا إذ وليها(٣٣٤) السرّاق ومن لا خير فيه ، ثم يعزلون عنها بلا مؤونة ، تعالى الله ، والله لو دكّت الجبال والأرض دكًّا ، وخرَّت السماوات العلى ، وصعق بكل ذى روح عند سماع كفر هؤلاء الخسَّاس ، لما كان ذلك بكثير(٣٣٥). وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولا يخلو هذا القول من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمَّا أنه أراد أن « باطرة » والتلاميذ المولين هذه الخطة لا يحلّلون شيئًا ، ولا يحرِّمون إلَّا بوحى من الله عزّ وجل .

فإن كان هذا فقد كذب فى قوله الذى ذكرنا قبل أنَّ كل نبوَّة فمنتهاها إلى يحيى بن زكريّا عليهما السلام ، لأن هؤلاء أنبياء على هذا القول .

وإمَّا أنه أراد : أنه قد جعل لباطرة ولأصحابه ابتداءً الحكمَ فى التحريم والتحليل من عند أنفسهم بلا وحيٍ من الله تعالى .

فيجب على(٣٣٦) هذا أنهم متى حرَّموا شيئًا حرّمه الله تعالى اتباعًا لتحريمهم ، ومتى حلّلوا شيئًا حلَّله الله تعالى اتّباعا لتحليلهم .

فلئن كان هذا فإنها لحظة خسف ، وترى (٣٣٧) « باطرة » وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكاّما على الله تعالى ، وقد(٣٣٨) صار عزّ وجلّ تابعًا لهم . وحاشا لله تعالى من هذا كله ، وما نرى « باطرة » المنتن وأصحابه الأرذال (٣٣٩) حصلوا من مفاتيح السماوات ، ومن خطة الألوهية إلاّ على حلق اللّحى (٣٤٠) ، وإنها أحق لحِّى بالنتف . وعلى ضرب الظهور بالسياط والصلب ، أمّا باطرة دبره إلى فوق ، ورأسه إلى أسفل . والحمد لله رب العالمين .

(٣٣٣) فى (أ ، ب) : (العزل) .
(٣٣٤) فى (أ ، ب) : (يليها) .
(٣٣٥) فى (أ ، ب) : (بكبير) .
(٣٣٦) فى (خ) : (من هذا) .
(٣٣٧) فى (أ ، ب) : (وبرى لباطرة النذل) .
(٣٣٨) فى (أ ، ب) : (ولقد) .
(٣٣٩) فى (أ ، ب) : (الردلة) وفى (ط) (الردالة) .
(٣٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت : (وإنها حق لحى)

(بيان أن ما يسميه النصارى بالحواريين هم غير الحواريين المنصوص عليهم فى القرآن)

قال أبو محمد : ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمّونهم النصارى ، ويزعمون أنهم كانوا حواريّين للمسيح عليه السلام كباطرة و « متّى » الشرطى ، و « يوحنا » و « يعقوب » و « يهوذا » الأخسّاء لم يكونوا[1] قط مؤمنين ، فكيف حواريّين ؟ بل كانوا كذابين كفارًا[2] مستخفّين بالله إمّا مقرين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك ، غالين فيه كغلوّ السابئية ، وسائر الفرق الغالية فى علىٍّ رضى الله عنه ، وكقول الخطابية[3] بألوهية أبى الخطاب ، وأصحاب الحلّاج بألوهية الحلّاج ، وسائر كفار الباطنية[4] عليهم اللعنة من الله والغضب . وإمّا مدسوسين

---

(١) فى (أ) : (لم يكونوا فقط)

(٢) سقطت كلمة (كفارًا) .

(٣) الخطابية : طائفة من الشيعة أتباع أبى الخطاب الأجدع الذى تتلمذ لجعفر الصادق ، وزعم أن الألوهية حلت فيه ، كما حلت فى أستاذه من قبل ، واستباح مع أتباعه ما حرَّم الله ، فتركوا الفرائض ، وشهد بعضهم لبعض زورًا ، وقد تبرأ منهم جعفر ، وحاربتهم الدّولة ، وأسر أبو الخطاب وقتل (٧٥٥ م) . وتفرق أتباعه ، وامتزجت دعوته بالإسماعيلية ، وتطلق الخطابية اليوم أيضًا على أتباع محمود خطاب السبكى الذى دعا إلى التمسك بصريح السنة ، وجدّد مذهبًا عمليًا قريبًا من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأتباعه فى مصر . (الموسوعة العربية الميسرة - بتصرف - الطبعة الثانية ١٩٧٢ م) .

(٤) الباطنية : هم عدد من الفرق المنتمية إلى الإسلام ، ولكنها ابتعدت عنه لآرائها المتطرفة ، فهى تؤول القرآن الكريم تأويلًا يناقض تعاليم الإسلام ، ومن مبادئهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأول والنفس هو الثانى ، وهما مدبرًا هذا العالم وسموهما الأول والثانى . وقولهم هذا هو قول المجوس الذين يضيفون الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عنهما بالأول والثانى ، وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن ، ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا يبغى أن تجمر المساجد كلها . والباطنية هم الذين أشاروا على الرشيد أن يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة ، وأن تصير الكعبة بيت نار . ومن مؤسسى الباطنية : ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان ، وحمدان قرمط (راجع الفرق بين الفرق : للبغدادى - بتصرف ص٢٨٢ ، ٢٨٣) .

من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم ، كانتصاب عبد الله بن سبأ(٥) الحميرى ، والمختار(٦) بن أبى عبيد ، وأبى عبد الله(٧) العجّانى ، وأبى زكريا(٨) الخياط ، وعلىٍّ النجار(٩) وعلى ابن الفضل(١٠) الجنيد . وسائر دعاة القرامطة(١١) والمشارقة لإضلال شيعة علىٍّ رضى الله عنه ، فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف ، وسلّم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة .

وأمّا الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقًّا نَدينُ(١٢) الله تعالى بمحبتهم ولا ندرى أسماءهم ، لأن الله تعالى لم يسمهم لنا ، إلّا أننا نبتُّ ، ونوقن ، ونقطع ، أن « باطرة »

---

(٥) عبد الله بن سبأ : هو رأس الطائفة السبئية ، وكانت تقول بألوهية على . أصله من اليمن ، قيل كان يهوديًا وأظهر الإسلام ، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ، ودخل دمشق فى أيام عثمان ، فأخرجه أهلها فانصرف إلى مصر ، وجهر ببدعته ، ومن مذهبه رجعة النبى فكان يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب برجوع محمد ، يقال له : ابن السوداء لسواد أمه . ويقال للسبئية الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون ، وإنما موتهم طيران نفوسهم فى الغلس ، ويقولون بالتناسخ والرجعة . قال أبو حجر العسقلانى : ابن سبأ من غلاة الزنادقة أحسب أن عليًا حرقه بالنار ابن عساكر ٤ / ٤٢٨ .

(٦) المختار بن أبى عبيد : (١ - ٦٧ هـ) : هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى أبو إسحاق ، من زعماء الثائرين على بنى أمية ، انقطع إلى بنى هاشم ، ولما قتل الحسين سنة ٦١ هـ انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد أمير البصرة فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه ، ونفاه إلى الطائف ، ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ عاهد عبد الله بن الزبير واستأذنه فى التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته فذهب ولكنه وجه همه لقتال من قاتلوا الحسين ، وتتبع قتلة الحسين فقتل منهم شمر بن ذى الجوشن الذى قتل الحسين ، وعظم خبره حتى شاع فى الناس أنه ادعى النبوة - ومما كتب فى سيرته أخبار المختار لأبى مخنف لوط بن يحيى الأزدى (الأعلام : للزركلى) .

(٧) أبو عبد الله العجانى : هو أبو عبد الله العردى من الباطنية ويدّعى علم النجوم ، ويتعصب للمجوس ، وصنف كتابًا ذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمد (ص) بوافق الألف للعاشر وهو نوبة المشترى والقوس ، وقال عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية ، ويستولى على الأرض كلها ، وزعم أنه يملك مدة سبع قرنات ، (الفرق بين الفرق للبغدادى ، ص ٢٨٦) . ولم نجد بين الفرق التى أشار إليها ابن حزم من تسمى باسم (العجانى) فلعل هذا تحريف وقع فى اسمه ، وقد طال البحث عنه فى شتى المصادر والمراجع فلم نعثر على من تسمّى بهذا الاسم ، فوجدنا (العردى) هو الذى ذكر فى كثير من المصادر كشذرات الذهب للمسعودى ، والملل والنحل للشهرستانى ، والفرق بين الفرق للبغدادى .

(٨) أبو زكريا الخياط : الذى عثرنا عليه هو أبو الحسين الخياط ، وقد أورده النديم فى الفهرست ضمن أرباب المعتزلة الذين ألفوا الكتب ، واشتهروا بالاعتزال بعد واصل بن عطاء ، ومنهم : بشر بن خالد ، وعلى الأسوارى ، وعيسى بن صبيح ، وجعفر بن حرب ، وغيرهم ، ولم نجد من كنى بهذه الكنية (أبو زكريا) فرجح عندنا أنه هو أبو الحسين الخياط هذا ، وقد بحثنا فى كثير من المظان عن أبى زكريا هذا (راجع المقالة الخامسة - الفن الأول من الفهرست للنديم ص ٢٢٠) .

(٩) على النجار : هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، أبو عبد الله ، كان من جملة المجبرة ومتكلميهم واختير رئيسًا لفرقة النجارية، وله مع النظام مجالس ومناظرات ، وله كتب الاستطاعة والإرجاء والقضاء والقدر ، وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه (فهرست النديم : ٢٢٨) .

(١٠) هو أبو على محمد بن احمد بن الحفيد ، من أكابر الشيعة الإمامية ، وله من الكتب كتاب نور اليقين ونصرة العارفين ، كتاب تبصرة العارف ونقد الزائف ، وقد أورده النديم فى مقالته الخامسة الفن الخامس حين تحدث عن الإسماعيلية ، وأورد أسماء المصنفين لكتبهم ، وأسماء هذه الكتب (فهرست النديم ٢٤٦) ولهذا يصحح العلم على هذا النحو .

(١١) القرامطة : هم أصحاب دعوة انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية ٩٠١ هـ بزعامة أحد الإسماعيليين ، زعزعت العالم الإسلامى ثم انتهى أمرها حينما اصطدمت بالحملات الصليبية ، كان رأس الطريقة القرمطية داعيًا إسماعيليًا اسمه « حمدان » ولقبه قرميطى أى أحمر العينين ، انتشرت هذه الدعوة فى اليمن حينما بعث ميمون القداح الكوفى أحد دعاة ولد عبيد الله المهدى الفاطميين باثنين من الدعاة إلى اليمن هما : على بن الفضل ، ومنصور بن حسن ، ونجح على بن الفضل نجاحًا كبيرًا ، واستولى على ذمار وصنعاء ، وتغلب على جيوش الإمام الهادى . واستباح علىٌّ كثيرًا من الحرمات ، وادّعى النبوة ، ولم يهدأ الحال إلا بقتله مسمومًا ، واستمرت مبادئهم حتى قضى عليها الإمام ابن حميد الدين بعد توليه الملك ، واستولى على ما كان لديهم من مخطوطات لشرح مذهبهم وتعاليمهم (الموسوعة الميسرة ط ثانية) . والحديث عنها مفصل فى فهرست النديم : الفن الخامس من المقالة الخامسة : ص ٢٣٩ .

(١٢) فى (أ ، ب) : (لدين الله عز وجل بحبهم) وهو تحريف .

الكذاب ، و « متّى » الشرطى ، و « يوحنا » المستخف ، و « يهوذا » و « يعقوب » النذلين ، و « مارقش » الفاسق ، و « لوقا » الفاجر[١٣]، و « بولش[١٤]» اللعين ما كانوا قط من الحواريين لكن من الطائفة التى قال الله تعالى فيها ، « وكفرت طائفة[١٥]» وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٣) فى (خ) · (القميار) .
(١٤) فى (أ ، ب) : (الجاهل) بدلًا من اللعين
(١٥) سورة الصف : ١٤

تنبؤات المسيح عما يلقاه من أتباعه

« فصـــل »

وفى آخر الباب السادس عشر من إنجيل متى : وأعلم ياسوع من ذلك الوقت تلاميذه بما ينبغى أن يفعله من دخول « برشلام »، وحمل العذاب من أكابر أهلها وعلمائهم ، وقتلهم له ، وقيامه فى الثالث فخلا به « باطرة » وقال له : « تعفى عن هذا يا سيدى ، ولا يصيبك منه شىء[16]» .

وفى الباب السابع عشر من إنجيل متّى : أن المسيح قال لتلاميذه : سيبلى ابن الإنسان فى أيدى الناس ويقتل ويحيا فى الثالث - يعنى نفسه - فحزنوا لذلك حزنًا شديدًا[17].

وفى أول الباب الثامن من إنجيل مارقش : أن المسيح قال لتلاميذه : « إن ابن الإنسان سيبلى فى أيدى الآدميين ، ويقتلونه ، فإذا قتل يقوم فى اليوم الثالث[18]» .

وأنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام .

وفى قرب آخر الباب الثامن من إنجيل لوقا : أن المسيح قال للاثنى عشر تلميذًا « إنا نصعد[19]» إلى « برشلام » ونكمل كل ما نبأت به الأنبياء عليهم السلام عن ابن الإنسان ،

---

(١٦) راجع النص فى انجيل متى الإصحاح ١٦ الفقرات من ٢١ - ٢٣

(١٧) النص فى انجيل متى الحالى (الإصحاح ١٧ / ٢٢ ، ٢٣) .

(١٨) انجيل مرقس - الإصحاح ٨ الفقرات : ٣١ - ٣٣) .

(١٩) فى (أ ، ب) : (أنا متصعد) .

ويسيرون[٢٠] به إلى الأجناس يستهزئون به ويجلدونه ، ويبصقون فيه . وبعد جلدهم إياه يقتلونه ، ويحيا فى اليوم الثالث[٢١]» .

فلم يفهموا عنه ممّا ألقى شيئًا ، وكان هذا عندهم معقّدًا لا يفهمونه .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : فى هذه الفصول ثلاث كذبات من طوامّ الكذب[٢٢].

إحداها : اتفاق الأناجيل المذكورة كما أوردنا على أن المسيح أخبرهم عن نفسه أنه يقتل ، وجميع الأناجيل الأربعة متفقة عند ذكرهم لصلبه على أنه مات على الخشبة حتف أنفه ، ولم يقتل أصلًا ، إلّا أن فى بعضها أنه طعنه بعد موته أحد الشّرط برمح فى جنبه ، فخرج من الطعنة دم وماء .

وفى هذا إثبات الكذب على المسيح ، واتفاقهم كما أوردنا على أنه أخبرهم بأنه يقتل ، واتفاقهم كلهم على أنه لم يقتل ، وهذه سوأة جدًّا . وحاشا لله أن يكذب نبىٌّ أو ينذر بباطل . هذه علامة الكذابين ، لا علامة أهل الصدق .

وثانيها[٢٤]: اتفاق الأناجيل المذكورة – كما أوردنا – على أنّه قال : « ويقوم فى الثالث » . ثم اتفقت الأناجيل كلها على أنه « لم يحىَ » ولا قام إلّا فى الليلة الثانية ، وأنه دفن فى آخر يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وحسبك أنهم ذكروا أنه لم يحنط استعجالًا لئلا تدخل عليهم ليلة السبت ، وأنه قام[٢٥] ليلة الأحد قبل الفجر ، وهذه كذبة ثالثة[٢٦] فاحشة نسبوها إلى المسيح ، وحاشا له من[٢٧] مثلها .

وكذبة ثالثة[٢٨]: وهى إخبار (متّى) أنهم فهموا مراده بهذا القول ، وأنهم حزنوا حزنًا شديدًا لذلك ، وأنَّ « باطرة » قال له : « تعفى عن هذا يا سيدى ، ولا يصيبك منه شىء » . وأخبار

---

(٢٠) فى (ح) : (وتبرءوں به إلى الأحناس)
(٢١) انجيل لوقا – (الإصحاح ٩ الفقرات : ٢٠ – ٢٢) .
(٢٢) فى (أ) : (الكذاب) .
(٢٣) فى (ب) (لا تماقهم) .
(٢٤) فى (ح) : (وثانية) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (أقام) .
(٢٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ثالثة) .
(٢٧) فى (ح) : (منها) .
(٢٨) حقها أن تكون (وكذبة رابعة)

« مارقش » و « لوقا » أنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام ، وهذا كذب[٢٩] فاحش لا يجوز أن يقع من صادقين ، فكيف من معصومين ؟! فلاح يقينا عظيم كذب[٣٠] الذين وضعوا هذه الأناجيل . وأنهم كانوا فسّاقا لا خير فيهم . وبالله تعالى التوفيق .

(٢٩) في (أ ، ب) : (تكاذب)
(٣٠) في (أ ، ب) : (الكذب من الذين) .

دعوة المسيح أتباعه إلى الإيمان

« فصـــل »

وفى الباب السابع عشر من إنجيل متَّى : أن المسيح قال لتلاميذه : « لئن كان لكم إيمان على قدر حبّة الخردل ، لتقولـن للجبل ارحل من هنا فيرحل ، ولا يتعاصى عليكم شيء » وقبله متصلا به أن تلاميذه عجزوا عن إبراء رجل به جن ، وأن المسيح أبرأه ، وأن تلاميذه قالوا له : لم عجزنا نحن عن برائه قال : تشكُّككـم .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل متَّى[31]: أنَّ المسيح دعا على شجرة تين خضراء فيبست من وقتها . فعجب التلاميذ ، فقال لهم المسيح : « آمين أقول لكم ، لئن آمنتم ولم تشكُّوا ليس تفعلون هذا فى التينة وحدها ، لكن متى قلتم لهذا الجبل : انقلع ، واطَّرِح فى البحر لم يقف لكم » .

* * *

(٣١) لم ترد هذه العبارات و الإصحاح الحادى عشر من إنجيل متى وإنما وردت فى الإصحاح الحادى والعشرين (راجع الإصحاح ٢١ – الفقرات من ١٨ – ٢٢) والنص كما جاء فى هذا الإصحاح : « وفى الصبح إذ كان راجعًا إلى المدينة جاع ، فنظر شجرتين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط فقال لها : لا يكن منك ثمر بعدُ إلى الأبد ، فيبست التينة فى الحال ، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضًا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون » .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال لتلاميذه : من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعلها أنا ، وسيفعل أعظم منها[٣٢]» .

قال أبو محمد : فى هذه الفصول ثلاث[٣٣] طوام من الكذب عظيمة .

لا يخلوا التلاميذ المذكورون ثم هؤلاء الأشقياء بعدهم إلى اليوم ، من أن يكونوا مؤمنين بالمسيح عليه السلام أو غير مؤمنين ، ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن كانوا مؤمنين فقد كذب المسيح فيما وعدهم به فى هذه الفصول جهارًا . – وحاشا له من الكذب – وما منهم أحد قط قدر على أن تأتمر له ورقة ، فكيف على قلع جبل وإلقائه فى البحر ؟!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا ، كفارٌ ، ولا خير فى كافر ، ولا يجوز أن يصدَّق كافر ، ولا أن يُؤخذ الدِّين عن كافر .

ولابدَّ لهم من أن يجيبوا إذا سألناهم : أفى قلوبكم مقدار حبة خردل من إيمان أم لا ؟ وتؤمنون بالمسيح أم لا ؟

إن قالوا : نعم . نحن مؤمنون به ، والإيمان فى قلوبنا .

قلنا : فقد[٣٤] كذب المسيح يقينا فيما أخبر به من أنَّ من آمن[٣٥] وفى قلبه مقدار حبة خردل من إيمان يأمر الجبل بأن ينقلع فينقلع ، والله ما فيكم أحدٌ يقدر على تيبيس شجرة بدعائه ، ولا على قلع جبل من موضعه .

وإن قالوا : ليس فى قلوبنا قدر حبة خردل من إيمان ، ولا نحن مؤمنون به ، قلنا : صدقتم والله حقًا . وشَهِدُوا على أَنْفُسِهِم « وضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرون[٣٦]» صدق الله عزَّ وجل ، وأنبياؤه عليهم السلام – وكذب « متَّى » و « باطرة » و « يونَّحنا » و « مارقش » و « لوقا » ، وسائر النصارى الكذَّابين .

---

(٣٢) النص كما جاء فى الإصحاح الحادى عشر : « من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حيًّا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » (راجع الإصحاح ١١ – ٢٦ ، ٢٧) .

(٣٣) فى (خ) : لم تذكر كلمة (ثلاث) .

(٣٤) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (فقد) .

(٣٥) فى (أ ، ب) : (ومن أن من فى قلبه) .

(٣٦) الآية : قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون · الأعراف ٥٣ وفى الآية ٣٧ من السورة نفسها : « وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » .

ولقد قلت هذا لبعض علمائهم فقال: إنما عنى شجرة الخردل التى تعلوا على جميع الزراريع حتى يسكن الطير فيها .

فقلت له : لم يقل فى الإنجيل[٣٧] مثل شجرة الخردل ، إنما قال مثل حبة الخردل ، وقد وصفها المسيح بإقرارهم بأنها أصغر[٣٨] الزراريع .

وأيضًا : فإنه ليس إلا مؤمن أو كافر . وأمّا الشّاك : فإنه متى دخل الإيمان شكٌّ بطل ، وحصل صاحبه فى الكفر ، فكيف ولم يدعنا المسيح بإقرارهم فى شكٍّ من هذا التأويل الفاسد ، بل زعموا : أنه قال لهم : « لتشكككم لئن كان لكم إيمان قدر حبة خردل لتقولن للجبل ... » .

وقال فى إنجيل يوحنا : كما أوردنا : « لئن آمنتم ولم تشكّوا ... » فإنما أراد بيقين بهذه النصوص : التصديق الذى هو خلاف الشك ، لا غاية العمل الصالح .

وقال : كما أوردنا فى إنجيل يوحنا – « من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعل أنا » فعن هذا الإيمان به سألناكم : أفى قلوبكم هو أم لا ؟

فقولوا : ما بدا لكم .

قال أبو محمد : وأما أنا فلو[٣٩] سمعت هذا القول ممّن يدّعى النبوّة لما تردّدت فى اليقين بأنه كذب ، ووالله ما قالها المسيح قط ، وما اخترع هذا الكذب إلّا أولئك السفلة ؛ متّى ويوحنا ، وأمثالهم . والعجب كله : إقرار متّى فى الفصل المذكور كما أوردنا : أن المسيح قال له ولأصحابه : إنهم إنما عجزوا عن إبراء المجنون لتشكّكهم[٤٠]، فشهد[٤١] عليهم بالشك ، وأنه لو كان لهم إيمان لم يعجزوا عن ذلك .

فلا يخلو المسيح عليه السلام فيما حكوا عنه من[٤٢] أن يكون كاذبًا أو صادقًا ، فإن كان كاذبًا : فهذه صفة سوء ، والكاذب لا يكون نبيا ، فكيف إلاهًا ؟ وإن كان صادقًا : فإن الذين أخذوا عنهم دينهم ويسموبهم تلاميذ ، وأنهم فوق الأنبياء – كفَّارٌ شكَّاك . فكيف يأخذون دينهم عن كفّارٍ شكَّاك ؟

---

(٣٧) فى (أ ، ب) : (الأناجيل) .
(٣٨) فى (أ ، ب) : (أدق) .
(٣٩) فى (ح) : (فقد) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : (لتشككهم) .
(٤١) فى (ح) : (لشكهم) .
(٤٢) فى (أ ، ب) : زيادة (الكذب) .

لا مخرج لهم من إحداهما ، ولو لم تكن إلَّا هذه فى أناجيلهم[٤٣] لكفت فى إبطالها ، وإبطال جميع ما هم عليه من دينهم المنتن .

ثم العجب كله ، كيف يشهد عليهم بالشك وهم يحكون أنه قد ولَّاهم خطة الإلهية وولَّاهم رتبة الربوبية فى أنّ كل ما حرَّموه فى الأرض كان حرامًا فى السماوات ، وكل ما حلّلوه فى الأرض كان حلالًا فى السماوات . فكيف يجتمع هذا مع هذا ؟

وهل يأتى التناقض مَنْ دِمَاغُه سالم أو فيه آفةٌ يسيرة ؟. بل هذا والله توليد أفّاك كاذب ، واختراع عَّيار متلاعب ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(٤٣) فى (أ ، ب) : (فى أناجيلهم كلها)

« فصــل »

وفى قرب آخر الباب الثامن عشر من إنجيل متّى : أن المسيح قال لتلاميذه : « إذا اجتمع إثنان منكم على أمر فليس يسألان شيئًا على الأرض إلّا أجابهم إليه أبى السَّماوى ، وحيث اجتمع إثنان أو ثلاثة على اسمى فأنا متوسطهم[٤٤]»

قال أبو محمد : هذا الفصل ظريف جدًّا ، وكذبٌ لا يمطل ظهوره ، ولا يخلوا أن يكون عنى بهذه المخاطبة تلاميذه خاصة ، أو كلّ من آمن به ؟

وأىّ الأمرين كان فهو كذب ظاهر ، وما يشك أحدٌ فى أن تلاميذه سألوه أن يجيبهم من دعوة إلى ما دعوه إليه من دينهم ، وأن يخلِّص مَنْ فُتن[٤٥] من أصحابهم[٤٦]، فما أعطاهم شيئًا من ذلك الذى أسماه أباه السَّماوى .

فإن قيل : لم يسألوه قط شيئًا من ذلك .

قلنا : هذه طامَّةٌ أخرى . لئن كان هذا فهم غاشّون للناس غير مريدين لصلاحهم ، بل ساعون فى هلاكهم ، هيهات . هذه منزلةٌ ما أعطاها الله تعالى أحدًا من خلقه .

---

(٤٤) النص كما جاء فى الإنجيل الحالى : « إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السماوات . لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » . (انجيل متى - الإصحاح ١٨ ، الفقرات من ١٩ ، ٢٠) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (وأن يتخلص من فتن) .

(٤٦) فى (أ ، ب) : (أصحابه) .

صدق الله ورسوله ﷺ إذا أخبر[٤٧] أن ربه تعالى قال : سواءٌ عليهم أَسْتَغْفرتَ لهم أمْ لم تَسْتَغْفِرْ لهم لَنْ يَغْفرَ الله لهم[٤٨].

وأنه أخبرنا عليه السلام : أنه دعا ألَّا يجعل بأسنا بيننا بعده[٤٩]، فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك . هذا هو الحق الذى لا نزيد فيه ، والقول الذى صحبه الصدق ، والحمد لله رب العالمين .

لم يفخر بما لم يُعْط ، ولا أنزل نفسه فوق قدرها ﷺ .

---

(٤٧) فى (أ ، ب) : (أخبرنا) .

(٤٨) المنافقون : ٦

(٤٩) ورد هذا الحديث فى مسلم فى باب الفتن . ٣٠ ،وفى ابن ماجه فى باب الفتن : ٩ ، ٢٣ ، وفى الموطأ : ٣٥ ، وفى مسند أحمد : ٥ ، وفى القرآن الكريم تهديد من الله لعباده فى قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيعًا ، ويذيق بعضكم بأس بعض » : ٦٥ الأنعام

الدعوة إلى التسامح

« فصـــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال لهم : « إن أساء إليك أخوك[٥٠] فعاقبه وحدك فيما بينك وبينه ، فإن سمع منك فقد ربحته ، وإن لم يسمع منك فخذ إلى نفسك رجلًا أو رجلين لكيما تثبت كلّ كلمة بشهادة شاهدين أو ثلاثة ، فإن لم يسمع فأعلم بخبره الجماعة ، فإن لم يسمع[٥١] للجماعة فليكن عندك بمنزلة المجوسى والمستخرج .

ثم بعده بأسطار يسيرة قال : وعند ذلك تدانى إليه باطرة وقال له : يا سيدى فإن أساء إلىَّ أخى أتأمرنى أن أغفر له سبعا ؟ فقال له يسوع : لن[٥٢] أقول لك سبعًا ولكن سبعين فى سبعة[٥٣].

قال أبو محمد : هذا ضد قوله فى الثالثة : فليكن عندك بمنزلة المجوس والمستخرج ولا سبيل إلى الجمع بينهما .

---

(٥٠) النص : « وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ، إن سمع منك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع فخذ معك أيضًا واحدا أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة ، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار (الإصحاح ١٨ الفقرات من ١٥ ١٨ من إنجيل متّى) .

(٥١) فى (أ ، ب) (فإن سمع الجماعة) وهذا تحريف وخطأ .

(٥٢) فى (أ ، ب) (لست)

(٥٣) انجيل متى - الإصحاح ١٨ / ٢١ ، ٢٢) .

« فصـــل »

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل متَّى : أنَّ أم ابنى[٥٤] شيذاى أقبلت إليه مع ولديها فخشعا[٥٥]، ورغبت إليه فقال لها : ما تريدين ؟ فقالت : أحبُّ أن تقعدَ ابنيَّ هذين أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فى ملكك .

فقال يسوع : تجهلين السؤال . أيُصبرَّان على شرب الكأس الذى أشرب ؟

فقالا : نصبر . فقال لهما : ستشربان بكأسى وليس إلىَّ مجلسكما عن يمينى وشمالى ء إلَّا من وهب له ذلك أبى[٥٦].

* * *

قال أبو محمد : ففى هذا الفصل بيان أنه ليس إليه من الأمر شىء ، وأنه غير الأب كما يقولون ، بخلاف دينهم ، فإذا هو غير الأب وكلاهما إله ، فهما إلاهان اثنان متغايران ، أحدهما قوىٌّ والآخر ضعيف ، لأنه بإقراره ليس له قدرة على تقريب أحد إلَّا من وهب له ذلك الذى يسمونه أبًا ، وليت شعرى كيف يجتمع ما ينسبون إليه هاهنا من الاعتراف بأنه ليس بيده أن

---

(٥٤) فى (خ) : (البى سيداى) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (فحنت) بدلًا من (فخشعا) .

(٥٦) النص كما جاء فى إنجيل متى الحالى : « حينئذ تقدمت إليه أم ابنى زَبْدِى مع أبيها وسجدت منه شيئًا . فقال لها : مادا تريدين ؟ قال له : قل أن يجلس ابناى هذان ، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك ، فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ قالا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلّا للذين أعد لهم من أبى » (الإصحاح ٢٠ الفقرات من ٢٠ - ٢٤) .

يجلس أحدًا عن يمينه ولا عن شماله .. ؟ وإنما هو بيد الله تعالى مع ما ينسبون إليه من أنه قدر على إعطاء مفاتيح السماوات والأرض لأنذل من وجد وهو « باطرة » ، وأنه يفعل كما يفعله الأب ، وأن الله تعالى قد تبرأ إليه من الحكم ، وأن الله عزَّ وجل ليس يحكم بعد على أحد ، وسائر تلك الفضائح المهلكة مع تكاذبها ، وتدافعها وشهادتها بأنها ليست من عند الله تعالى ، ولا من عند نبى أصلًا ، لكن توليد كاذب[٥٧] كافر وبالله تعالى نعوذ .

* * *

(٥٧) فى (أ ، ب) : كذاب .

« فصــل »

وفى الباب الحادى عشر[٥٨] من إنجيل متَّى : فلمـا تدانى المسيـح من « برشلام » وكان فى موضع يقال له « تتفيا » جوار جبل الزيتون بعث رجلين من تلاميذه ، وقال لهما : اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، وستجدان فيه حمارة مربوطة بفلوها فحلَّا عنهما ، وأقبلا إلىَّ بهما ، فإن تعرضكما أحد فقولا : إن السيّد يريدها فيدعكما من وقته.، وكان ذلك ليتم به قول النبى القائل لابنه صهيون : سيأتيك ملكك متواضعًا على حمارة وابن أتان . فتوجه التلميذان وفعلا كما أمرهما به ، وأقبلا بالحمارة وفلوها ، وألقوا ثيابهم عليها ، وأجلسوه من فوقها[٥٩].

* * *

وفى الباب التاسع من إنجيل مارقش[٦٠]: فلما بلغ المسيح « تتفيا » إلى جبل الزيتون ، أرسل اثنين من تلاميذه وقال : اذهبا إلى الحصن الذى بحيالكما ، فإذا دخلتما ستجدان فِلوًا مربوطًا[٦١]

---

(٥٨) فى انجيل متى الإصحاح الحادى والعشرين وليس الحادى عشر كما فى الأصل .

(٥٩) النص كما فى الانجيل الحالى : « ولما قربوا من أورشليم ، وجاءوا إلى بيت فاحى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلًا لهما : اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها ، فحلّاهما وائتيانى بهما ، وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا : الربّ محتاج إليهما ، فللوقت يرسلهما ، فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل : قولوا لابنة صهيون : هو ذا ملكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع ، وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما » (الإصحاح الحادى والعشرون : الفقرات : ١ — ٨ من انجيل متّى) .

(٦٠) جاء هذا النص فى الإصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس لا فى الباب التاسع ، وبمراجعة النص وجدنا مضمونة لم يختلف عما ورد فى النص الذى ذكره أبو محمد كثيرًا (راجع انجيل مرقس — الإصحاح ١١ ، الفقرات من ١ — ٨) .

(٦١) فى (أ ، ب) : (فلو أمر بوظا)وهو تحريف ظاهر .

لم يركبه بعد أحد من الآدميين ، حِلّاه وأقبلا به إلىَّ ، فإن قال لكما أحد ما هذا الذى تفعلان ؟ فقولا له : إن السيّد يحتاج إليه فيخليه لكما ، فانطلقا ووجدَا الفلو مربوطًا قبالة رحبة الباب فى رفاقين[٦٢] فحلّاه فقال لهما بعض الوقوف هنالك : مالكما تحلّان الفلو ؟ فقالا له : كالذى أمرهما يسوع فتركوه لهما ، وساقا الفلو إلى يسوع ، ليحملوا[٦٣] عليه ثيابهم وركب[٦٤] من فوق .

* * *

قال أبو محمد : فهاتان قضيتان كل واحدة منهما تكذب الأخرى ، متّى يقول ركب حمارة ، ومارقش يقول ركب فلوًا ، والعجب كله من استشادهم لذلك بقول النبى[٦٥]: « يأتيك ملكك راكبًا على حمارة وابن أتان » ، وما كان المسيح قط ملك برشلام فهذه كذبة أخرى .

وأطرف شىء استشادهم لصحة أمره بركوبه حمارة ، أتراه لم يدخل « برشلام » إنسان على حمارة سواه ؟ !!

هذه بالله ضحكة من مضاحك السخفاء . ولقد أخبرنى الحسن بن بقّى صاحبنا نوّر الله وجهه : أنه وقف عالم من علمائهم على هذا الفصل ، قال . فقال : إنما هذا رمز والحمارة : هى التوراة ، فأضحكنى قوله . وقلت له : فالإنجيل هو : الفِلْو . وقال فسكت . وعلم أنه أتى بما يوجب السخرية به .

* * *

(٦٢) فى (أ ، ب) : (زقاقين) وهو تحريف ، لأن « الرفق » هو الحبل الذى يربط به الحمار .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (فحملوا) .
(٦٤) النص هكذا . وكان حقه أن يقول (وركبا) بالتثنية أو (ركب أحدهما) .
(٦٥) فى (خ) : (بقول الذى يأتيك) .

« فصـــل »

وفى الباب الثالث عشر[٦٦] من إنجيل متّى : أن يسوع قال لهم : إذا قام الناس لا يتزوجون ، ولا يتناكحون ، لكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالى فى السماء .

وفى الباب السادس عشر[٦٧] من إنجيل متّى ، وأيضًا فى الباب الثانى عشر من إنجيل مارقش ، أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه : لا شربت بعدها من نشل الزرجون حتى أشربها معكم جديدة فى ملكوت الله تعالى .

وفى الباب الرابع عشر من إنجيل لوقا : أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر : أنتم الذين صبرتم معى فى جميع مصائبى ، فأنا ألخص لكم الوصية على حال[٦٨] ما لخص لى أبى ، لتطعموا وتشربوا على مائدتى فى الملك ، وتجلسوا على عروش حاكمين على إثنى عشر سبطا من ولد[٦٩] إسرائيل .

---

(٦٦) حاء هذا النص فى الإصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى ونصه : فأجاب يسوع وقال لهم : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ، لأنهم فى القيامة لا يزوجون ، ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء (الإصحاح ٢٢ ، الفقرات ٢٩ – ٣١) والإصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس : ٣٤ – ٣٦) .

(٦٧) لم يذكر هذا النص فى الإصحاح السادس عشر وإنما حاء فى الإصحاح السادس والعشرين هكذا : « وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة ، هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا فى ملكوت أبى (الفقرات من ٢٩) .

(٦٨) فى (أ ، ب) : (على ما لخص) .

(٦٩) فى (أ ، ب) : (من بنى) .

قال أبو محمد : ففى الفصل الأول أن الناس فى الآخرة لا يتحاكمون(٧٠)، وفى الفصول الثلاثة بعده أن فى الجنة أكلًا وشربًا للخبز والخمر على الموائد . والنصارى ينكرون كل هذا ، ولا مئونة عليهم فى تكذيبهم للمسيح مع إقرارهم بعبادتهم له ، وأنه ربهم لا سيما فى الفصل الأول ، أن الناس فى الجنة كالملائكة ، وفى التوراة التى يصدقون بها أن الملائكة أكلت عند لوط وعند إبراهيم عليهما السلام الفطاير واللحم واللبن والسمن ، وإذا كانت الملائكة يأكلون والناس فى الجنة مثلهم ، فالناس فى الجنة يأكلون ويشربون بلا شك ، بموجب التوراة والإنجيل ، ولا سيما ، وقد أخبروا أن المسيح بعد أن مات ورجع إلى الدنيا ، ولقى تلاميذه طلب منهم ما يأكل فأتوه بحوت مشوى ، فأكل معهم وشرب شراب عسل بعد موته ، فإذا كان الإله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل فأى نكرة(٧١) فى أكل الناس وشربهم فى الجنة ؟ وإذا كان الله تعالى عندهم اتخذ ولدًا من امرأة اصطفاها فأىّ عجب فى اتخاذ الناس النساء فى الجنة ؟ وهذا هو طبعهم الذى بناهم الله عزّ وجل عليه – ألا أنَّ فى دعوة(٧٢) هؤلاء النّوكى لعبرة لمن اعتبر . والحمد لله على السلامة .

وعجب آخر وهو وعده للاثنى عشر تلميذًا بأنهم يقعدون على عروش حاكمين على إثنى عشر سبطًا من بنى إسرائيل ، فوجب ضرورة كون(٧٣) يهوذا الأشكريوطى فيهم ، ولا يجوز أن يخاطب بهذا أصحابه دونه ، لأنه قد أوضح أنهم إثنا عشر على إثنى عشر سبطًا من بنى إسرائيل – وجب ضرورة كون الأشكريوطى فيهم ، وهذا الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما ، فلابدَّ من أنه لم يذنب فى ذلك ، وهذا كذب ، لأنه قد قال فى مكان آخر : « ويل لذلك الإنسان الذى قيل فيه » « كان(٧٤) أحب إليه لو لم يخلق » .

أو كذب المسيح فى الوعد المذكور ، لابدّ من إحداهما ضرورة .

(٧٠) فى (أ ، ب) : لا يتناكحون .
(٧١) فى (أ ، ب) : (مكرة) وهذا تحريف .
(٧٢) فى (أ ، ب) : (رعونة) بدلًا من (دعوة) .
(٧٣) فى (خ) : سقط قوله (فوجب ضرورة كون) .
(٧٤) فى (أ ، ب) : سقط (قيل فيه) .

« فصـــل »

وفى الباب الثالث من إنجيل متَّى : أنَّ المسيح كاشف علماء بنى إسرائيل ، وقال : ما تقولون فى المسيح ؟ وابن من هو ؟

قالوا : هو ابن داود .

فقال لهم : كيف يسميه داود بالروح إلها حيث كنت قال الله إلاهى : اقعد عن يمينى حتى أجعل من أعاديك كرسيا لقدميك .

فإن كان « داود » يدعونه إلها كيف هو ولده ؟

فلم يقدر أحد منهم على مراجعته[٧٥].

* * *

قال أبو محمد : هذا هو الحق من قول المسيح عليه السلام ، ولقد أنكر عليه السلام المنكر حقًا ، والعجب أنَّ هؤلاء الأنذال المنتمين إلى أتباعه عليه السلام لا يختلفون فى الاحتجاج بهذا الفصل المذكور ، هو عليه السلام قد أنكر أن يكون المسيح ابن داود ، وهم يسمونه فى الأناجيل كلها بأنه ابن « داود » . فاعجبوا .

---

(٧٥) هذا نص غير مذكور فى الإصحاح الثالث من إنجيل متَّى (الحالى) وإنما جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين . ونصه : « وفيما كان الفريسيّون مجتمعين سألهم يسوع قائلًا : ماذا تظنون فى المسيح ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلًا : قال الرَّبُّ لربىّ اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك ، فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة (انجيل متى . الإصحاح ٢٢ / ٤١ – ٤٦) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال لتلاميذه : أنتم إخوان ، ولا تنتسبوا إلى أب على الأرض ، فإنَّ أباكم السماوى واحد[٧٦].

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل فضيحتان عظيمتان : إحداهما : إخباره أن الله تعالى هو أبو التلاميذ ، فنراهم مثله سواء سواء ، فلِمَ خصه النصارى بأن يقولوا : إنه ابن الله دون أن يقولوا عن تلاميذه متى ذكروهم : أنهم أبناء الله .. ؟ تعالى الله عن هذا الكفر ، وعن أن يكون أبًا أو ابنًا .

والأخرى قوله : « لا تنتسبوا إلى أب على الأرض » .

والنصارى والأناجيل يطلقون أن شمعون بن يونًا ، ويعقوب ويوحنا ابنا سبذاى ، ويهوذا ويعقوب ابنا يوسف ، فقد أقروا بثباتهم على معصية المسيح إذ نهاهم أن ينتسبوا إلى أب على الأرض ، وهم أبدًا ملازمون لمخالفة أمره فى ذلك متدينون بعصيانه .

---

(٧٦) النص كما ورد فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى : « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل » (الفقرة : ٤٨) ، ولم يذكر شىء من ذلك الإصحاح الثالث .

« فصــل »

وفى الباب الخامس عشر[٧٧] من إنجيل متّى : أن المسيح أنذر تلاميذه بما يكون فى آخر الزمان من الزلازل والبلاء ، وقال لهم : فادعوا ألا يكون هروبكم فى شتاء ولا سبت .

* * *

قال أبو محمد : هذا بيان واضح بلزومهم حفظ السبت إلى انقضاء أمرهم ، وإلى حلول الزلازل بهم ، وهم[٧٨] على خلاف ذلك ، هذه أمة لا عقول لهم .

* * *

(٧٧) لم يرد ذلك فى الإصحاح الخامس عشر وإنما ورد فى الإصحاح الرابع والعشرين ونصه : « لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن » (الفقرة ٧ ، ٨) وفى الفقرة ٢٠ يقول : « وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت » .

(٧٨) فى (خ) : (وهو) .

التحذير من أدعياء النبوة

« فصـــل »

وفى الباب المذكور[٧٩]: أن المسيح قال لهم : سيعود[٨٠] مسحاء الكذب ، وأنبياء الكذب ، ويطلعون العجائب العظيمة ، والآيات حتى يغلط من يظن به الصلاح .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل مارقس : سيقوم مسيحون كذابون ، وأنبياء كذابون ، ويأتون بالآيات والبدائع ليخدعوا إن أمكن أيضًا المختارين[٨١].

* * *

قال أبو محمد : هذا الفصل مع الفصل الأخير[٨٢] الذى فى توراة اليهود فى السفر الخامس الذى نصه : « إن طلع فيكم نبى ، أو أدَّعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر مَا يكون ، وكان ما وصفه . ثم قال لهم بعد ذلك : « اتبعوا آلهة الأجناس ، فلا تصغوا[٨٣] له .

---

(٧٩) النص كما جاء فى الإصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى : « لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة ، وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا » (الفقرات : ٢٤ ، ٢٥) . كما جاء النص أيضًا فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس : الفقرات من ٢٢) .

(٨٠) فى (أ ، ب) : (سيتور) وهو تحريف .

(٨١) فى (أ ، ب) : (إلا المختارين) بزيادة (إلا) وهو تحريف .

(٨٢) فى (خ) : لم تذكر كلمة (الأخير) .

(٨٣) فى (أ ، ب) : (فلا تسمعوا) .

مع الفصل الذى فيه من التوراة : أنَّ السحرة عملوا مثل عمل موسى عليه السلام فى قلب العصاحية ، وإحالة الماء دما ، والمجىء بالضفادع – كافية فى إبطال كل ما أتى به موسى والمسيح عليهما السلام ، وكل نبى يقرون بنبوته ، لأنه إذا جاز أن يأتى نبى كاذب بمعجزات ، وأمكن أن يكذب النبى الصادق فيما ينذر به ، وأمكن أن يعمل السحرة مثل شىء من آيات نبى ، فقد امتزج الحق بالباطل ولم يكن له إلى تمييز أحدهما من الآخر طريق أصلًا ، وهذا إفساد الحقائق ، وإبطال موجب الحق ، وتكذيب الحواس . وإذا أمكن عند اليهود والنصارى ما ذكرناه مما فى توراتهم وأناجيلهم ، فما الذى يؤمنهم أن موسى والمسيح عليهما السلام وسائر أنبيائهم ، إنما كانوا سحرة ، أو كذابين[٨٤].. ؟ شهدنا بالله شهادة حق أن هذه الفصول المذكورة من عمل برهمى مكذب بالنبوة جملة ، أو منانى مكذب بنبوة الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، وأن موسى وعيسى عليهما السلام لم يقولا قط شيئًا مما فى هذه الفصول الخبيثة الملعونة .

وأما نحن فلا نجيز ألبتة أن يكذب نبى ، ولا أن يأتى غير نبى بمعجزة لا ساحر ولا كذاب ، ولا صالح الصناعة .

فإن قيل : إنكم تقولون : إن الدّجال يأتى بالمعجزات .

قلنا : حاشا لله من هذا ، وما الدَّجال إلا صاحب عجائب ، كأبى العجب[٨٥] الشعبذ – ولا فرق إنما هو متحيل يتحيل بحيل معروفة ، كل من عرفها عمل مثل عمله ، وقد صح عن النبى ﷺ – أن المغيرة[٨٦] بن شعبة سأله : هل مع الدّجال نهر ماء وخبز ونحو ذلك ؟

فقال له رسول الله ﷺ : هو أهون على الله من ذلك[٨٧].

وصح أيضًا عنه عليه السلام : أن الدَّجال صاحب شبه . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٨٤) فى (أ ، ب) : (وكذابين) .

(٨٥) فى (أ ، ب) : (كأبى العجائب) .

(٨٦) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى ، أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقادتهم ، وولاتهم ، صحابى يقال له : مغيرة الرأى ، ولد فى الطائف ، ورحل إلى الإسكندرية وافدًا إلى المقوقس ، ثم عاد إلى الحجاز ، أسلم وشهد الحديبية ، واليمامة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، ولاه عمر بن الخطاب على البصرة ، اعتزل الفتنة بين على ومعاوية ، وحضر مع الحكمين ، ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات . وللمغيرة ١٣٦ حديثًا . توفى عام ٥٠ هـ .

(٨٧) جاء هذا الحديث فى صحيح مسلم رقم ٢٩٣٩ فى الفتن باب فى الدجال وهو أهون على الله عز وجل ولفظه : « عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد النبى ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت قال : وما ينصبك منه ، إنه لا يضرك ، قال : قلت يا رسول الله إن معه الطعام والأنهار ، قال هو أهون على الله من ذلك » ورواه البخارى أيضًا ١٣ / ٨٠ / ٨١ فى الفتن باب ذكر الدجال . (وقد رويت أحاديث كثيرة تدل على أن الدجال يبعث ومعه نهر ماء ونار ، ويكون معنى هو أهون على الله من ذلك أى أهون من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلًا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم ، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا .

« فصــل »

وفى الباب المذكور : أن المسيح عليه السلام قال عن ذلك اليوم ، وذلك الوقت : لا يدرى أحدٌ ما بعده ، لا الملائكة ، ولا أحد غير الأب وحده .

* * *

وفى الباب الحادى عشر[٨٨] من إنجيل مارقش : أن المسيح قال : السماوات والأرض تذهب وكلامى لا يبيد أبدًا . ومن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم أحد ما بعده ولا الملائكة فى السماء ، ولا ابن الإنسان ما عدا الأب .

* * *

قال أبو محمد : هذا الفصل يوجب ضرورة ؛ أن المسيح هو غير الله تعالى ، لأنه أخبر أن هاهنا شيئًا يعلمه الله تعالى ، ولا يعلمه هو ، وإذا كان بنص أناجيلهم[٨٩] أن الابن لا يعلم متى

(٨٨) جاء هذا النص فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس ، ونصه : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول ، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب : (الفقرات : ٣١ - ٣٣) .

(٨٩) فى (أ ، ب) : (انجيلهم) .

الساعة ؟ والأب يعلم متى هى ؟ فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الأب ، وإذا كان كذلك فهما اثنان متغايران ؛ أحدهما يجهل ما لا يجهله الآخر . وهذا الشرك الذى عليه يحومون ، وهذا ما يبطله العقل ؛ أن يكون إلاهان أحدهما ناقص ، فصح ضرورة أن من هو غير الله تعالى فهو مخلوق ومربوب ، وبطل هو سهم وتخليطهم والحمد لله رب العالمين . أو يكذبوا المسيح فى هذا الفصل ولابدَّ .

* * *

جحد بعض التلاميذ للمسيح

« فصـــل »

وفى الباب السادس والعشرين من إنجيل متَّى : أن المسيح قال لباطرة ليلة أخذ : آمين أقول لك[٩٠]، إنك ستجحدنى فى هذه الليلة قبل صرخة الديك ثلاثا .

فقال له باطرة : لا يكون هذا ولو بلغت القتل[٩١].

* * *

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل مارقش[٩٢]: أن المسيح قال لباطرة : آمين اقول لك ، إنك أنت اليوم فى هذه الليلة قبل أن يرفع الديك صوته مرتين ستجحدنى ثلاثا ، فكان باطرة يعيد القول ، حتى لو أمكننى أن أموت معك لست أجحدك .

* * *

---

(٩٠) فى (آ ، ب) : (لكم) .

(٩١) هذا الحوار كان بين يسوع وبطرس كما ورد فى الإصحاح ٢٦ الفقرات من ٢٤ ونصها : « قال له يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات ، قال له بطرس : ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » .

(٩٢) جاء النص فى الإصحاح ١٤ من إنجيل مرقس الفقرات من ٢٧ وفيها : « فقال يسوع لبطرس : الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات ، فقال بأكثر تشديد ، ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » .

وفى الباب التاسع عشر[٩٣] من إنجيل لوقا : أن المسيح قال لباطرة : أنا أعلمك أنه لا يصرخ الديك هذه الليلة حتى تجحدنى ثلاثا ، وأنك لم تعرفنى .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال لباطرة : آمين آمين أقول لك لا يصرخ الديك حتى تجحدنى ثلاثا[٩٤].

فاتفق متَّى ، ولوقا ، ويوحنا على أنه قال له : إنك تجحدنى ثلاث مرات قبل أن يصرخ الديك ، وهكذا وصف[٩٥] كل واحد منهم عن باطرة أنه هكذا فعل ، إذ ميزه[٩٦] الغلام والأمة والقوم الذين كانوا يصطلون على النار .

وقال مارقش : إنه قال قبل أن يصرخ الديك مرتين تجحدنى ثلاث مرات ، وهكذا وصف مارقس عن باطرة ، أنه فعل[٩٧] ليلتئذ .

فإنَّ خادم[٩٨] الكوهن قال[٩٩] له : أنت من أصحاب يسوع فجحد ثم صرخ الديك ثم قالت الخادم[١٠٠] للواقفين هنالك : هذا من أولئك فجحد ثانية، ثم قال له الواقفون هنالك حقًا إنك[١٠١] منهم ؟ فجحد ثالثة أيضًا ثم صرخ الديك ثانية . فعلى قول مارقش كذب « متَّى » و « لوقا » و « يوحنا » ، لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرات . أو كذب المسيح – عليه السلام – فى إخباره بذلك إن كان هؤلاء صدقوا ، لابدَّ من إحداهما .

وعلى قول « متَّى » و « لوقا » و « يوحنا » كذب مارقش أيضًا كذلك ، لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرّات . أو كذب المسيح . لابدَّ من إحداهما ، والكذب واقع فى أحد الخبرين ولابد .

ثم طامة أخرى ؛ وهى إتفاق « متّى » و « مارقش » : على أن المسيح أخبر باطرة بأنه سيجحده تلك الليلة ، وأنَّ باطرة ردّ خبره ، وقال له : لا يكون هذا .

فلولا أن المسيح كان عند « باطرة » ممن يكذب فى خبره ، ما كذبه مواجهة مرة بعد مرة ، أو كفر باطرة إذ كذب ربه أو نبيًا . لابدَّ من إحداهما .

---

(٩٣) لم يذكر هذا فى الإصحاح التاسع عشر وإنما ورد فى الإصحاح الثانى والعشرين الفقرات من ٣١ .
(٩٤) إنجيل يوحنا . (الإصحاح الثالث عشر لا الحادى عشر . الفقرات من ٢٦ – ٢٨) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : (أوصف) .
(٩٦) فى (أ ، ب) : (إذ ميَّن) وهو تحريف .
(٩٧) فى (أ ، ب) : (وأنه) .
(٩٨) فى (أ ، ب) : (خادمة) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : (قالت) .
(١٠٠) فى (أ ، ب) : (للخادمين) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : (أنت) .

فإن كان كفر باطرة ، فكيف يعطى مفاتيح السموات لمرتد كافر مكذب لله تعالى ؟ أو لنبى من الأنبياء جهارًا ؟ أم كيف يولى[١٠٢] رتبة التحريم والتحليل من يكذب الله تعالى أو نبيه ؟ أو كيف يؤخذ الدين عن من يكذب ربه ، أو كذب خبر نبى من الله تعالى جهارًا فى آخر ساعة كان فيها معه ، وختم بذلك عمله ؟

ما سمعنا بأوسخ عقولًا من أمة هذه صفة دينهم ، وكتابهم ، وأئمتهم ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وفى الباب الثامن والعشرين من إنجيل متّى : أن الخشبة التى صلب عليها أخذ لحملها سخرة شيمون[١٠٣].

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل مارقش : أن تلك الخشبة التى صلب عليها يسوع أخذ لحملها شيمون القيروانى والد الاسكندر ، ودونه[١٠٤].

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل لوقا : أنه سخر لحمل تلك الخشبة شمعون القيروانى[١٠٥].

وفى الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا : أن يسوع نفسه هو الذى حملت عليه الخشبة التى صلب فيها[١٠٦]، وهذا خلاف ما حكاه[١٠٧] أصحابه .

ولقد قررت بعض علمائهم على هذا فقال لى : كانت طويلة جدًّا فحملها هو وشمعون المذكور . فقلت له : ومن أين لك هذا ؟ وأين وجدته ؟ وسياق أخبار مؤلفى الأناجيل لا تدل على هذا ، ولو قلت إنه ممكن أن سخر كل واحد منهما لحملها بعض الطريق لكان أدخل فى سياق الخبر[١٠٨].

---

(١٠٢) فى (أ ، ب) : (يتولى) .

(١٠٣) النص كما جاء فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى لا الثامن والعشرين : « وفيما هم خارجون وجدوا إنسانًا قيروانيًا اسمه سِمْعَان فسخّروه ليحمل صليبه » (راجع الفقرة ٣٢ من الإصحاح ٢٧) .

(١٠٤) النص كما جاء فى الإصحاح ١٥ من إنجيل مرقس لا الثالث عشر : « فسخروا رجلًا مجتازًا كان آتيًا من الحقل وهو سِمْعَان القيروانى أبو الَكْسَنْدرُس وَرُوفُس ليحمل صليبه » . (راجع الفقرة : ١١) .

(١٠٥) وفى إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ الفقرة ٢٦ : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلًا قيروانيًا كان آتيًا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » .

(١٠٦) جاء ذلك فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا : الفقرة ١٧ : « فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثه حيث صلبوه » .

(١٠٧) فى (أ ، ب) : (حكى) .

(١٠٨) واضح من مضاهاة النصوص التى يناقشها ابن حزم بالنصوص الموجودة حاليا فى الأناجيل التى بين أيدينا الآن فروق فى الإصحاحات التى ذكرت فيها ، كما أن هناك فروقًا فى الصّياغة مما يدل على أن هذه الأناجيل تتعرض للتحريف والتغيير من وقت إلى آخر ، حتى ولو اتهمنا ابن حزم بعدم الدقة فى نقل هذه النصوص ، ففيها كثير من الإمارات التى تدل على ذلك مثل تحريف الأعلام والأماكن ، واختلاف النصوص المنسوبة إلى يسوع من إنجيل إلى إنجيل .

روايات الأناجيل وما تدعيه من صلب المسيح

« فصــل »

وفى الباب الثامن عشر من إنجيل متّى أنه صلب معه لصّان ، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، وكانا يشتمانه ، ويتناولانه محركين رءوسهما ويقولان : يا من يهدم البيت ويبنيه فى ثلاثٍ سلّم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[١٠٩].

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل مارقش : أنه صلب معه لصان ، أحدهما عن يمينه ، والثانى عن شماله ، واللذان صلبا معه كانا يستعجزانه[١١٠].

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل « لوقا » : وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول : إن كنت أنت المسيح فسلّم نفسك وسلّمنا ، فأجابه الآخر وكشر عليه وقال : أما تخاف الله وأنت فى آخر عمرك ؟ وفى هذه العقوبة ؟

أما نحن فكوفئنا بما استوجبنا ، وهذا لا ذنب له . ثم قال ليسوع : يا سيدى : اذكرنى إذا نلت ملَكك . فقال له يسوع : آمين أقول لك . اليوم تكون معى فى الجنة[١١١].

---

(١٠٩) النص الذى ورد فيه ذلك جاء فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى لا الثامن عشر وفيه فى الفقرة ٢٨ : « حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار » ، وكان المحتازون يجدّفون عليه وهم يهزون رءوسهم .... وفى الفقرة (٤٤) وبذلك أيضًا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيّرانه » .

(١١٠) ذكر النص فى الإصحاح الخامس عشر لا الثالث عشر ونصه : « وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره ... واللذان صلبا معه كانا يعيّرانه . (الفقرات من ٢٧ – ٣٢) .

(١١١) جاء هذا النص فى الإصحاح الثالث والعشرين على النحو التالى : « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدّف عليه قائلًا : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا ، فأجاب الآخر وانتهره قائلًا : أوَلَا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس فى محله ، ثم قال ليسوع : اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك فقال له يسوع : الحق أقول لك ، إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (الفقرات : ٣٩ – ٤٣) .

قال أبو محمد : إحدى هاتين(١١٢) القضيتين كذب بلا شك ، لأن متَّى ومارقش أخبرا بأن اللصين جميعًا كانا يسبَّانه ، و « لوقا » يخبر بأن أحدهما كان عن يمينه وهو يسبه ، والآخر كان ينكر على الذى كان يسبه ويؤمن به ، والصادق لا يكذب فى مثل هذا ، وليس يمكن هنا أن يدّعى أن أحد اللصين سبّه فى وقت ، وآمن به فى وقت آخر ، لأنَّ سياق خبر « لوقا » يمنع من ذلك ، ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبَّه إنكار من لم يساعده قط على ذلك ، وكلهم متفق على أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب . فوجب ضرورة أن « لوقا » كذب ، أو كذب من أخبره ، أو أنَّ « متَّى » كذب ، وكذب « مارقش » أوّ الذى أخبره ولابدَّ .

* * *

(١١٢) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هاتين) .

روايات الأناجيل بشأن قيام المسيح وحديثه مع أتباعه

« فصــل »

وفى آخر إنجيل « متى[١١٣] » بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله ، برغبة يوسف الأرماذى العريف ، ودفنه فى قبر جديد محفور فى صخرة ، وغطاه بصخرة عظيمة .

وفى آخر إنجيل مارقش[١١٤]: بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله برغبة يوسف الأرماذى العريف ودفنه فى قبر عشى الجمعة والسبت داخل .

وفى آخر إنجيل « لوقا[١١٥] » بعد أن ذكر صلب المسيح ، وأن يوسف الأرماذى أتى أول الليل فرغب فيه فأجابه بلاطش إلى إنزاله وجعله فى قبر جديد .

---

(١١٣) النص كما فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى الحالى : « ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة ، اسمه يوسف وكان هو أيضًا تلميذًا ليسوع ، فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد ، فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ، ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ، ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى » . (الفقرات من ٥٧ – ٦١) .

(١١٤) وفى إنجيل مرقس الإصحاح الخامس عشر : « ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أى ما قبل السبت جاء يوسف الذى من الرامة مُشيرٌ شريفٌ ، وكان هو أيضًا منتظرًا ملكوت الله فتجاسر ودخل ألى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعًا فدعا قائد المائة وسأله : هل له زمان قد مات ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف ، فاشترى كتانًا فأنزله وكفتنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتًا فى صخرة ، ودحرج حجرًا على باب القبر (الفقرات : ٤٢ – ٤٧) .

(١١٥) النص كما جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل لوقا · « وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيرًا ورجلًا صالحًا بارًّا ، هذا لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم ، وهو من الرامة مدينة لليهود ، وكان هو أيضًا ينتظر ملكوت الله ، هذا تقدّم إلى بيلاطس وطلب حسد يسوع ، وأنزله ولفه بكتان ووضعه فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وُضِع قط وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح .

وفى آخر إنجيل يوحنا[١١٦] بعد أن ذكر صلب المسيح وأن يوسف الأرماذى رغب فيه وأنزله ودفنه فى قبر فى بستان .

ثم قال متى : وعند عشاء ليلة السبت التى تصبح[١١٧] يوم الأحد أقبلت مريم المجدلانية ومريم الأخرى لمعاينة القبر فتزلزل بهما الموضع زلزلة عظيمة ، ثم نزل ملك السيد من السماء ، وأقبل ورفع الصخرة وقعد عليها ، وكان منظره كمنظر البرق ، وثيابه أنصع بياضًا من الثلج ، فمن خوفه صعق الحرس ، وصاروا كالأموات .

فقال الملك للمرأتين : لا تخافا ، قد علمت أنكما أردتما يسوع المصلوب ، ليس هو هاهنا ، وقد حيى ، وقد تقدمكما إلى جلجال كما قال . فانظروا إلى الموضع الذى جعل فيه السيد وانهضا إلى تلاميذه ، وقولا لهم : إنه قد حيى وفيها ترونه ، فنهضتا مسرعتين بفرح ونوح[١١٨] عظيم وأقبلتا إلى التلاميذ وأخبرتاهم الخبر ، فتلقاهما يسوع وقال : السلام عليكما . فوقفتا ، وترامتا إلى رجليه ، وسجدتا له .

فقال لهما يسوع : لا تخافا ، إذهبا[١١٩] إلى إخواتى ليتوجهوا إلى جلجال وفيها يروننى . فأقبل بعض الحرس إلى المدينة ، وأعلم قواد القسيسين بما أصابهم فَرَشَوْهم بمال عظيم ليقول الحرس : إن التلاميذ طرقوهم ليلًا وسرقوه ، وذهبوا به وهم رقود . ففعلوا وانتشر الخبر فى اليهود إلى اليوم .

* * *

(١١٦) النص كما جاء فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا : « ثم إن يوسف الذى من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع ، فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضًا نيقوديموس الذى أتى أولًا إلى يسوع ليلًا ، وهو حامل مزيج مرٍّ وعود نحو مائة منًا فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب ، كما لليهود عادة أن يكفنوا ، وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريبًا . (الفقرات : ٣٨ – ٤٢) .

(١١٧) الذى فى إنجيل متى الحالى : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع » ولم يذكر يوم الأحد . (الإصحاح الثامن والعشرون) .

(١١٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ونوح) . وفى إنجيل متى : الإصحاح الثامن والعشرين : (بخوف وفرح عظيم) . (الفقرة : ٨) .

(١١٩) فى (أ ، ب) : (اذهبا اعلما) بزيادة كلمة (اعلما) . وفى إنجيل متى الحالى (اذهبا قولا) .

وتوجه الأحد عشر تلميذًا إلى الحلجال[١٢٠] إلى الجبل الذى كان دلهم عليه يسوع ، فلما بصروا به خنعوا له ، وبعضهم شك فيه .

* * *

وقال مارقش : فلما خلا يوم السبت[١٢١] اشترت « مريم » المجدلانية ، ومريم أم يعقوب و « شلوما » حنوطا ليأتين به ، ويدهنه ، وأقبلن يوم الأحد بكرة جدًا إلى القبر وبلغن هنالك وقد طلعت الشمس ، وهن يقلن من يحوّل لنا الحجر عن القبر ؟ فنظرن فإذا بالحجر قد حوّل ، فدخلن فى القبر ، فأبصرن فتًى جالسًا عن اليمين متغطيًا بثوب أبيض فقال لهن : لا تفزعن فإن يسوع الناصرى المصلوب[١٢٢] قد قام ، وليس هو هاهنا ، فانطلقن وقلن لتلاميذه ولباطرة : إنه قد حيى ، وقد تقدمكم إلى جلجال ، وهناك تلقونه . فقام بكرة يوم الأحد وتراءى أولًا[١٢٣] لمريم المجدلانية فمضت وأعلمت الذين كانوا معه ، فلم يصدقوها ، وبعد هذا تظاهر لاثنين منهم وهما مسافران إلى قرية فى صفة أخرى ، فأخبرا سائرهم فلم يصدقوا أيضًا .

وآخر الأمر بينما الأحد عشر تلميذًا متكئين إذ تظاهر لهم وقبّح كفرهم ، وقسوة قلوبهم .

وقال « لوقا[١٢٤]» : فلما انفجر الصبح يوم الأحد بكرة جدًّا أقبل النسوة إلى القبر يحملن حنوطا فوجدن الحجر مقلوعًا عن القبر ودخلن فيه فلم يجدن السيد فيه فتحيرن فوقف لهن رجلان فى ثياب بيض وقالا لهن : لا تطلبن حيًّا بين أموات ، قد قام ليس هو هاهنا ، فانصرفن واعلمن الأحد عشر تلميذًا ، ومن كان معهم ، فلم يصدقوهن ، وقام باطرة مسرعًا إلى القبر فرأى الكفن وحده فعجب وانصرف .

ثم تراءى المسيح لرجلين منهم كانا ناهضين إلى حصن يقال له : أماؤش على سبعة أميال

---

(١٢٠) فى الإنجيل الحالى : (الجليل) : الفقرة : ١٧ من الإصحاح ١٨ من إنجيل متى .

(١٢١) فى إنجيل مارقس الحالى : « وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطًا ليأتين ويدهنه ، وباكرًا جدًّا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر » (الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس ، الفقرات من ١ - ٤) .

(١٢٢) فى (أ ، ب) : (المطلوب) .

(١٢٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (أولا) .

(١٢٤) النص كما جاء فى إنجيل لوقا : « ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجًا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع .

ونصف من أورشليم ولم يعرفاه حتى ارتفع عنهما وغاب . وانصرفا فى الوقت إلى « أورشليم » ووجدا الأحد عشر تلميذًا مجتمعين مع أصحابهم فأخبراهم بالخبر ، فبينما هم يخوضون فى هذا وقع يسوع فى وسطهم وقال : السلام عليكم أنا هو فلا تخافوا ، فجزعوا وظنوه شيطانًا فقال لهم : لِمَ فزعتم ؟ أبصروا قدمىَّ ويدىّ أنا هو فإن الشيطان ليس له لحم ولا عظام ، ثم قال : أعندكم شيء يؤكل ؟ فأتوه بقطعة حوت مشوى ، وشربة عسل فأكل وبرىء إليهم بالبقية ، ثم أوصاهم وارتفع عنهم .

* * *

وقال يوحنا : ففى يوم الأحد : أقبلت مريم صباحًا ، والظلمات لم تنجل بعد إلى القبر فرأت الصخرة مقلوعة عن القبر فرجعت إلى شمعون باطرة ، وإلى التلميذ الآخر يعنى يوحنا بهذا نفسه ، وقال لهما : نزع سيدى من القبر ، ولا ندرى أين وضعوه ؟

فنهض « باطرة » والتلميذ الآخر إلى القبر فوجد الأكفان موضوعة ، ثم رجعوا ووقفت « مريم » باكية فتميلت إلى القبر فرأت ملكين منتصبين فقالا لها : من تريدين ؟ فظنت أنه الجان ، فقالت له : يا سيدى إن كنت أخذته أنت فقل لى أين وضعته ؟ فقال لها يا مريم : فالتفتت وقالت : يا معلمى . فقال لها يسوع : لا تمسينى لم أصعد بعد إلى أبى ، اذهبى إلى إخوانى وقولى لهم : إنى صاعد إلى أبى وأبيكم ، إلهى وإلهكم . فأتت فأخبرتهم . ثم بينما التلاميذ مجتمعون أقبل يسوع ووقف فى وسطهم وقال : السلام عليكم وعرض عليهم يديه وجنبه ثم ذكر أن « طوما » أحد التلاميذ الأثنى عشر لم يكن حاضرًا فيهم فى هذا الظهور ، فلما أتى وأخبروه قال : لئن لم أبصر فى يديه إلصاق المسامير ، ولم أدخل إصبعى فى موضع المسامير فى جنبه لا آمنت ، فلما كان بعد ثمانية أيام اجتمعوا كلهم والأبواب مغلقة ، فأقبل يسوع ووقف وسطهم وقال لطوما : أدخل إصبعك وابصر كفىِّ ، وهات يدك وأدخلها إلى جنبى ، ولا تكن كافرًا بل كن مؤمنًا .

فقال له طوما : سيدى وإلاهى ، ثم تراءى عند بحيرة الطبرية لشمعون باطرة ، وطوما ، وتطهالى ، وابنى سيذاى ، واثنين من التلاميذ سواهم ، وهم يصيدون فى مركب فى البحر .

* * *

---

(١٢٥) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (فتميلت) .

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه القصة وما فيها من الكذب والشنع ، يقول « متّى » : إنّ مريم ومريم أتتا إلى القبر عشية ليلة السبت التى تصبح فى يوم الأحد ، فوجدتاه قد قام .

ويقول مارقش : إن مريم ومريم وغيرهما أتتا إلى القبر بعد طلوع الشمس من يوم الأحد فوجدتاه قد قام قبل ذلك .

ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد فوجدتاه قد قام(١٢٦)، والظلمة لم تنجل بعد ، فهذه كذبات منهم فى وقت بلوغهن إلى القبر ، وفيمن جاء إلى القبر ، أمريم وحدها ؟ أم مريم ومريم أخرى معها ؟ أم كلتاهما ومعهما نسوة أخرى .

ويقول متّى : إنّ مريم ومريم رأتا الملك إذ نزل من السماء ، ورفع الصخرة بحضرتهما بزلزلة عظيمة ، وصعق الحرس . وقال الملك للمرأتين : لا تخافا إنه قد قام .

ويقول مارقش : إن النسوة وجدن الصخرة قد قلعت بعد ، وأنه وقف إليهن رجلان مبيضان فأخبراهن بقيامه .

ويقول يوحنا : إن مريم وحدها أتت ووجدت الصخرة قد قلعت ولم تر أحدًا ورجعت حائرة وأخبرت شمعون ، ويوحنا حاكى القصة ، فنهضا معها إلى القبر فلم يجدا فيه أحدًا ، وانصرفا فالتفتت هى فإذا المسيح نفسه واقف وسلم عليها ، وأخبرها بقيامه ، فهذا كذب آخر فى وقت قلع الصخرة ، وهل وجد عند القبر ملك واحد ، أو ملكان إثنان ، أو لم يوجد فيه أحد أصلًا .. ؟

ويقول متّى : إن المرأتين أتتهم بوصية فصدقوهما ، وأنهم نهضوا كلهم إلى جلجال وهنالك اجتمعوا معه .

ويقول مارقش : إنه ترائى لمريم وأخبرتهم ، ولم يصدقوها ، ثم تراءى لأثنين فأخبراهم فلم يصدقوها ، ثم نزل عليهم كلهم .

ويقول لوقا : إنهم لم يصدقوا النساء ، وأن باطرة نهض إلى القبر ولم يجد شيئًا ، ولا رأى أحدًا ، وأنه نزل منهم بأورشليم فرأوه حينئذ وأكل معهم الحوت المشوى ، وهذه صفة من لم يقصده إليهم إلا الجوع وطلب الأكل .

ويقول يوحنا : إنه تراءى لعشرة منهم حاشا « طوما » ثم تراءى لهم ولطوما .

(١٢٦) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : (قد قام قبل ذلك . ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد فوجدته قد قام) .

قال أبو محمد : ومثل هذا الاختلاف فى قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه ، ولا يمكن أن يقع من معصومين ، فصح أنهم كذابون لا يتحرّون الصدق فيما حدثوه(١٢٧) وما كتبوه فى هذه القضية .

ثم فى هذه القصة : قول مارقش عن المسيح « إنه بعد موته قبّح(١٢٨) كفر تلاميذه ، وقسوة قلوبهم » . فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب ، فكيف يجوز أخذ الدِّين عنهم ؟ أم كيف يجوز أن يعطى الإله مفاتيح السماوات ، ويولى منزلة التحريم والتحليل كافرًا قاسى القلب ؟ !!

وكل هذا برهان واضح على أنَّ أناجيلهم كتب مفتراه ، ومن عمل كذَّابين كفّار .

ثم فى هذه القصة : أنَّ مريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسيح صيانة السبت وتعظيمه ، وترك العمل فيه ، ولذلك أخّر عمل الحنوط إليه حتى دخل يوم الأحد ، فقد صحّ يقينا أنَّ هؤلاء المخاذيل ليسوا على دين المسيح ، ولا على ما مضى عليه تلاميذه ، بل على دين آخر ، فسحقًا لهم وبعدًا ، والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا معشر أهل(١٢٩) الإسلام .

* * *

(١٢٧) فى (أ ، ب) : (حدثوا به) .
(١٢٨) فى (أ ، ب) : (فتح) وهو تحريف .
(١٢٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أصل) .

قولهم لا يدخل الجنة غني

« فصــل »

وفى الثامن من إنجيل مارقش[١٣٠]: أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه : إن دخول الجمل فى سمِّ الخياط أهون[١٣١] من دخول المثرى فى ملكوت الله .

* * *

قال أبو محمد : هذا قطع من كلامه بأن كل غنى لا يدخل الجنة أبدًا ، وفى أتباعه أغنياء كثير ، وما رأينا قط أمة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك ، وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشىء ، ولا أن يتصدقوا منه بشىء من الأساقفة والقسيسين ، والرّهبان فى كل دير ، وكل كنيسة ، فى كل بلد ، وكل وقت . فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وهذا والله حق ، وأنا على ذلكم من الشّاهدين .

* * *

---

(١٣٠) النص كما جاء فى إنجيل مرقس : « يا بنىّ ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله ، مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » (الإصحاح العاشر : ٢٤ ، ٢٥) .

(١٣١) ق (أ ، ب) : (أيسر) .

شراء الدنيا بالآخرة

« فصـــل »

وفى الباب الثامن من إنجيل مرقش[١٣٢]: أن باطرة قال ليسوع المسيح : ها نحن قد خلينا الجميع واتبعناك ، فأجابه يسوع وقال له : « آمين أقول لكم ، ليس من أحد ترك بيتًا أو إخوة ، أو أخواتَ ، أو والدًا ، أو والدة ، أو أولادًا لأجل الإنجيل إلا ويعطى مائة ضعف مثله الآن فى هذا الزمان من البيوت ، والإخوة والأخوات ، والأمهات والأولاد ، والفدادين مع السعادة[١٣٣] وفى العالم الكائن الحياة الدائمة » .

قال أبو محمد : هذا موعد كاذب مضمون لا يمكن الوفاء به ، وهبك[١٣٤] يُخَرِّجُون هذا على أنه يعوِّض هذا من أهل دينه أولادًا أو إخوة وأخوات ، وأمهات ، كيف الحين فى وعده من آمن به ، وترك ما له أن يعوِّض عن الفدان الذى يترك مائة فدَّان ؟ وعن البيت مائة بيت الآن عاجلًا فى الدنيا ؟ سوى ما له فى الآخرة ، وهذا كما ترى .

(١٣٢) النص كما جاء فى إنجيل مرقس : « وابتدأ بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك ، فأجاب يسوع وقال : الحق أقول لكم ، ليس أحدٌ ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات ، أو أبًا أو إمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا لأجلى ، ولأجل الإنجيل إلّا ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتًا وإخوة وأخواتٍ وأمهات وأولادًا وحقولًا مع اضطهادات ، وفى الدّهر الآتى الحياة الأبدية » . (الإصحاح العاشر ، الفقرات من ٢٨ – ٣١) .

(١٣٣) هكذا فى الأصل ، والظاهر أنها (الشقاء) لأن الكلمة التى جاءت فى الإنجيل : (مع اضطهادات) .

(١٣٤) هكذا فى الأصل . وصواب العبارة : « وهب أنهم » .

تضارب أقوال الأناجيل

« فصـــل »

وفى الباب الثامن من إنجيل مارقش[١٣٥]: أن رجلًا قال للمسيح أيها المعلم الصالح ، فقال له المسيح ، لم تقول لى « يا صالح[١٣٦] » الله هو الصّالح وحده .

وفى الباب التاسع من إنجيل يوحنا[١٣٧]: أن المسيح قال : أنا الرَّاعى[١٣٨] الصالح .

فمرة ينكر أن يكون صالحًا وأن لا صالح إلا الله ، ومرة يقول : إنه صالح . وكل هذا كذب عليه من توليد هؤلاء الأنذال .

* * *

(١٣٥) النص كما جاء فى الإصحاح العاشر من إنجيل مرقس لا الثامن كما ذكر ابن حزم : « وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحًا ؟ ليس أحدٌ صالحًا إلا واحد وهو الله » (الفقرات : ١٧ - ١٩) .

(١٣٦) فى (أ ، ب) : (صالح) بغير (يا) .

(١٣٧) جاء هذا النص فى الإصحاح العاشر لا التاسع وهو : « أنا هو الرَّاعى الصّالح ، والرَّاعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (الفقرات : ١١ ، ١٢) .

(١٣٨) فى (خ) : (إن) .

فقدان الإنجيل الذى أتى به المسيح عليه السلام

« فصـــل »

وفى آخر إنجيل مارقش[١٣٩]: أن المسيح قال لتلاميذه ، اذهبوا إلى جميع الدنيا وبّشروا جميع الخلائق بالإنجيل ، فمن آمن وعمّد[١٤٠] يكون سالمًا ، ومن لم يؤمن يعاقب . وهذه الآيات تصحب الذين يؤمنون وهى سيماهم[١٤١] على اسمى ، ينفون الجن ، ويتكلمون باللغات الجديدة ، ويقلعون الثعابين ، وإن شربوا شربة قاتلة لم تضرّهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فينقهون .

* *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل أعجوبتان من الكذب ؛

إحداهما : بشروا بالإنجيل ، فدلّ هذا على إنجيل أتاهم به المسيح ، وليس هو عندهم الآن ، وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجالٍ معروفين ليس منها إنجيل أُلّف[١٤٢] إلّا بعد رفع المسيح عليه السلام بأعوامٍ كثيرة ، ودهر طويل ، فصح أن ذلك الإنجيل الذى أخبر المسيح بأنه أتاهم به ، وأمرهم بالدعاء إليه قد ذهب عنهم لأنهم لا يعرفون له أصلًا . هذا لا يمكن[١٤٣] سواه .

---

(١٣٩) النص كما جاء فى إنجيل مرقس الحالى : « وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدَن ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيَّاتٍ ، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون » (الإصحاح ١٦ / ١٥ – ١٨) .

(١٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وعمد) . والظاهر أنها محرفة فى الأُصل وصوابها كما جاء فى النص الحالى (واعتمد) .

(١٤١) لم تذكر هذه الجملة (وهى سيماهم على اسمى) فى الإنجيل الحالى .

(١٤٢) فى (أ ، ب) : (إلا ألف) .

(١٤٣) فى (أ ، ب) : (ما لا يمكن) .

والفصل الثانى قولهم : إنه وعد كل من آمن بدعاء التلاميذ فإنهم يتكلمون بلغات لم يعرفوها ، وإنهم ينفون الجنَّ عن المجانين ، وإنهم يضعون أيديهم على المرضى فينقهون ، وإنهم يقلعون الثعابين ، وإن شربوا شربة قتالة لا تضرُّهم .

قال أبو محمد : وهذا وعدٌ ظاهر الكذب جهارًا ، ما منهم[١٤٤] أحد يتكلم بلغة لم يعلمها ، ولا منهم أحدٌ ينفى جنيا ، ولا منهم أحدٌ يضع يده على مريض فيبرأ ، ولا منهم أحدٌ يقلع ثعبانًا ، ولا منهم أحدٌ يسقى السمَّ فلا يؤذيه ، وهم معترفون بأن « يوحنا » صاحب الإنجيل قتل بالسمِّ ، وحاشا الله أن يأتى نبى بمواعيد خاسئة كاذبة ، فكيف الإله[١٤٥]؟!

فاعلموا أن الأنذال الذين كتبوا هذه الأناجيل أسهل[١٤٦] شىء عليهم نسبة الكذب إلى المسيح عليه السلام .

* * *

(١٤٤) فى (خ) : (ما منكم) .
(١٤٥) فى (أ ، ب) : (فكيف إله) .
(١٤٦) فى (أ ، ب) : (كان أسهل) .

« فصــل »

وبعد هذا الفصل متصلًا به : « والرَّبّ لما أن تكلم بهذا قبض إلى السماء ، وجلس عن يمين الله[147]» .

* * *

قال أبو محمد : هذا شرك أحمق ، رب يُقْبَض ، إن هذا لعجب !! ورب يجلس عن يمين الله تعالى !!

هذان ربَّان ، وإلهان ، الواحد أجلُّ من الثانى لأن المقعود عن يمينه أسنى مرتبة من المقعد على اليمين بلا شك . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٤٧) النص كما جاء فى إنجيل مرقس : « ثم إن الرَّب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله ، وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعلم معهم » . (الإصحاح ١٦ / ١٩ ، ٢٠) .

« فصـــل »

وفى أول إنجيل لوقا : أن نفرًا قبلنا راموا وصف الأشياء التى كملت فينا كالذى دلنا عليه معشر الذين عاينوا الأمر ، وكانوا حملة الحديث ، فرأيت أن أقفوا أثرهم من أوله على التجريد ، وأكتب لك أيها الكريم لأن تفهم حق الكلام الذى علمته ، واطلعت عليه ، وأنت به ماهر(١٤٨).

هذا يبين أن الأناجيل تواريخ مؤلفه ، كما ترى بنص كلام « لوقا » .

* * *

(١٤٨) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين ، وخُدَّامًا للكلمة ، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز « ثاوفيلس » ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به . (الفقرات من ١ / ٥ الإصحاح الأول) .

إثبات تأليف الأناجيل

« فصـــل »

وفى أول إنجيل « لوقا[١٤٩] » الذى هو تاريخه المؤلف فى أخبار المسيح ، قال لوقا : كان بعد « هيرودس » والى بلد « يهوذا » كوهن يدعى « زكريا » من دولة أيحا ، وزوجته من بنات هارون ، وتسمى « اليثبات » ثم ذكر كلامًا فيه يجىء[١٥٠] جبريل الملك عليه السلام إلى مريم أم المسيح عليهما السلام وأنه قال فى جملة كلام كثير : وقد حملت[١٥١] « اليثبات[١٥٢] » قرينتك على قدمها ، وعقرها . فأخبر أن « اليثبات » هارونية ، وأنها قريبة[١٥٣] مريم ، فعلى هذا فمريم أيضًا هارونية ، والنصارى كلهم متفقون على ما فى جميع الأناجيل من أن المسيح هو ابن « داود » ، ومن نسل « داود » عليه السلام .

---

(١٤٩) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : كان فى أيام « هيرودس » ملك اليهودية كاهنًا اسمه زكريا من فرقة أبيًا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها « اليصابات » وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقرًا ، وكان كلاهما متقدمين فى أيامهم » .... ثم بعد كلام كثير قال له الملاك : « لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنًا وتسميه يوحنا » (الإصحاح الأول من ٥ – ٨) .

ثم قال بعد كلام كثير : « وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى المدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت « داود » اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الربّ معك ، مباركة أنت فى النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ؟ فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم قد وجدت نعمة عند الله ، وهأنت ستحبلين وتلدين ابنًا ، وتسمينه « يسوع » .. فقالت مريم : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلًا ؟ فأجاب الملاك وقال لها : ... وهو ذا « اليصابات » نسيبتك هى أيضًا حبلى بابن فى شيخوختها . (الإصحاح الأول ١٣ – ١٤) .

(١٥٠) فى (أ ، ب) : (مجىء) .

(١٥١) فى (أ ، ب) : (حبلت) .

(١٥٢) فى (أ ، ب) : (اليشابات) .

(١٥٣) فى (أ ، ب) : (قرينه) .

وفى مواضع كثيرة منها : « يورثه الله ملك أبيه داود » ، وأن العُمْى ، والمباطين[١٥٤] والمرضى ، والمجانين ، والجن كانوا يقولون له : يا ابن « داود » فلا ينكر ذلك عليهم . ولا تختلف النصارى واليهود فى أن المسيح المنتظر هو من ولد « داود » .

والمسيح مع هذا كله كان[١٥٥] قد أنكر فى الباب السادس عشر من إنجيل « متى » كما أوردنا من قبل أن يكون المسيح من ولد « داود » فكيف هذا الاختلاط والتلوّن ؟ ومع هذا كله فما ترى على ما ذكرنا نسبة[١٥٦] النصارى إلا إلى أنه ولد يوسف النجار الداوودى ، الذى يزعمون أنه كان زوج مريم ، وهذه طامة وسوأة لا يدرى لها وجه أن ينتسبوا إلى رجل لم يلده !!

وأقل ما فى هذا الكذب الذى هو فى الدنيا عار ، وبرهان على الضلال ، وفى الآخرة نار ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٥٤) المباطين : المرضى ببطونهم . وفى (خ) : (الباطل) (وهو تحريف) .
(١٥٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كان) .
(١٥٦) فى (أ ، ب) : (تنسبه) .

« فصـــل »

وفى الباب الثانى من إنجيل « لوقا[١٥٧] » : فلما دخل أبو أبوا المسيح به ، البيت ليقربا عنه ما أمر به أخذه شمعون فى يديه .

وبعد ذلك فى الباب المذكور : « وكان أبواه مختلفين إلى يورشليم كل سنة أيام الفصح ، فلما بلغ إثنتى عشرة سنة وصعد إلى يورشليم على حال سنتهما فى يوم العيد فهبطا عند انقراضه بقى يسوع فى يورشليم ، وجهل ذلك أبواه ، وظناه فى الطريق مقبلًا ، فسارا يومهما وهما يطلبانه عند الأقارب والأخوات ، فلما لم يجداه انصرفا إلى « يورشليم » طالبين له ، فوجداه فى الثالث قاعدًا مع العلماء فى البيت وهو يسمع منهم ، ويكاشفهم ، فكان يعجب منه كلّ من سمعه ومن يراه ، من حسن حديثه وحسن مراجعته ، فقالت له أمه : لِمَ أشخصتنا يا بنى ، وقد طلبك أبوك وأنا معه محزونين ؟

فقال لهما : لم طلبتمانى ؟ أتجهلان أنه يجب علىَّ ملازمة أمر أبى ؟ فلم يفهما عنه جوابه ، فانطلق معهما إلى ناصرة ، وكان يطوع لهما[١٥٨].

---

(١٥٧) النص كما جاء فى إنجيل لوقا الحالى : « وعندما دخل بالصبىّ يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعيه رجل فى أورشليم اسمه سمعان ، وبارك الله ، وقال : الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . (الإصحاح الثانى : ٢٥ – ٣٠) » .

(١٥٨) بقية النص كما فى إنجيل لوقا الحالى : « وكان ابواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد ، وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى « أورشليم » ، ويوسف وأمه لم يعلما ، وإذ ظناه بين الرفقه ذهبا مسيرة يوم ، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ، ولما لم يجداه رجعا إلى « أورشليم » يطلبانه . وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسًا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته فلما أبصراه ، اندهشا ، وقالت له أمه : يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا ، هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين ، فقال لهما : لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعًا لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها » (إنجيل لوقا : الإصحاح الثانى : الفقرات من ٤١ – ٥٣) .

قال أبو محمد : كيف يطلق لوقا النذل(١٥٩) القميار ، وهو عندهم أجلُّ من موسى عليه السلام أن يوسف النجار والد المسيح فى غير ما موضع ، ويكرر ذلك كأنه يحدث بحديث معهود . أم كيف تقول مريم لابنها : طلبك أبوك تعنى زوجها بزعمكم ؟

وكيف يكون أباه ولا أب له ؟

وإنما يطلق هذا الإطلاق فى الربيب لا يعرف(١٦٠) أبوه ، فيقال له : أبوك عن ربيبه بمعنى (كافله) لأنه لا إشكال هاهنا(١٦١). وأما من لا أب له من بنى آدم ، فإطلاق الأبوة فيه على زوج أمه إشكال وتلبيس ، وتطريق إلى البلاء .

أم كيف تبقى « مريم » مع زوجها بزعمهم — فض الله أفواهم — أزيد من ثلاث عشرة سنة كما يبقى الرجل مع امرأته ، يغلقان عليهما بابًا واحدًا ؟

أم كيف يصح مع هذا عند هؤلاء الأنتان(١٦٢) أنه مولود من غير ذكر ؟

أين هذا الزور المفترى من النور المقتفى ؟ قول الله تعالى حقًا فى وحيه الناطق إلى رسوله الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث قال :

« فَأَرْسَلْنَا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمثَّلَ لَها بَشرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كنتَ تَقِيًّا ، قال إِنَّما أنا رَسُولُ ربِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولَمَ يمْسَسْنى بشرٌ ولَمْ أكُ بَغِيًّا ؟! قال كذلكِ قال ربُّكِ هُو علىَّ هَيِّنٌ ولنجعلَه آيةً للنَّاسِ ، ورحمةً منَّا وكان أمرًا مَقْضِيًّا ، فحملته فانْتَبَذَتْ به مَكانًا قَصِيًّا ، فَأَجاءَها المخاضُ إلى جذْعِ النَّخْلةِ قَالَتْ : يا ليتنى مِتُّ قَبلَ هذا ، وكُنْتُ نَسيًا منسيا » ... إلى قوله تعالى : « فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُه قالوا : يا مَرْيمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يا أُخْتَ هَارونَ مَا كانَ أَبُوكِ امْرَأ سَوْءٍ وَمَاكانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ، فَأَشَارَت إليهِ قالوا : كيف نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّى عَبدُ الله آتانىَ الكتابَ وَجَعَلنِي نَبِيًّا ، وَجَعلني مُبَارَكًا أَيْنَما كنتُ وَأَوْصاني بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا(١٦٣).

* * *

(١٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (النذل القميار) .

(١٦٠) فى (أ ، ب) : (فيمن يعرف أبوه) بإسقاط حرف النفى (لا) وهو تحريف وخطأ .

(١٦١) فى (أ ، ب) : (لا إشكال فيه) .

(١٦٢) فى (أ ، ب) : حذفت كلمة (الأنتان) . ويبدو أن الناسخ كان يتصرف فيحذف بعض الشتائم . وهذا تصرف غير مقبول لأنه يباعد بيننا وبين أسلوب المؤلف .

(١٦٣) سورة مريم : ١٧ — ٣١ .

قال أبو محمد : هذا هو الحق الواضح الذى يصدق بعضه بعضًا ، لا كذب ولا تناقض ، وهذا الذى لا يمكن سواه ، لأنه لو كان لها زوج لم ينكر أحدٌ ولادتها ، ولو لم يقم برهان بكلامه فى المهد لما جاز عندنا ، ولا عند أحدٍ من الناس أنها حملت به من غير ذكر[١٦٤]، ولكان ذلك دعوى كاذبة ، لا يجوز أن يصدّقها أحد لا سيما مع زعمهم أنها سكنت مع زوجها أزيد من ثلاثة عشر عامًا فى بيت واحد ، يَهديان عند ولادته ما يهدى الأبوان من اليهود بحكم التوراة عن ابنهما ، وتقول له أمه : هذا أبوك ، وفعل أبوك ، ثم أطم من هذا ، إقرارهم أن له أربعة إخوة ذكور : « شمعون » ، و« يهوذا » ، و« يعقوب » و« يوسف » ، وأخواتِ ، ثُمَّ لا يذكرون للنجار امرأة غير مريم .

فلو أن[١٦٥] هؤلاء الأولاد للنجار من تلك المرأة ، وهذه فضيحة الدَّهر وقاصمة الظهر ، ومطلق ألسنة القائلين أنها أتت به من زوج أو من عُهر – وحاشا لله من ذلك – لقد[١٦٦] يصحح هذا كله أنهم مدسوسون من هذا عن اليهود لإفساد مذاهبهم ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٦٤) فى (أ ، ب) : (من غير ذلك) .
(١٦٥) فى (أ ، ب) : (تكون) وهذا تحريف .
(١٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لقد) .

« فصــل »

وفى الباب الرابع من إنجيل لوقا[١٦٧]: وكانت العامة تشهد له ، وتعجب لقوله ، وما كان يوصيهم به ، وكانت تقول : أما هذا ابن يوسف النجار ؟ فقال لهم : نعم ، قد علمت أنكم ستقولون لى يا طبيب داو نفسك ، وافعل فى موضعك كما بلغنا أنك فعلت بكفر[١٦٨] ناحوم آمين . أما إنى أقول لكم : إنه لا يقبل أحد من الأنبياء فى موضعه .

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل ثلاث عظائم ، أحدها قولهم : أمّا هذا فابن يوسف فقال : نعم ، فهذا تحقيق أنه ولد النجار ، وحاشا لله من ذلك .

والثانية : اعترافهم واتفاقهم على أنه لم يأت بآية بحضرة الجماعة ، وإنما ذكر أنه أتى بالآيات فى القفار .

والثالثة : وهى الحق قوله لهم : إنه نبى ، وهذا الذى أفلت من تبديلهم ، وأبقاه الله عزَّ وجل حجة عليهم . والحمد لله رب العالمين .

---

(١٦٧) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : « وكان الجميع يشهدون له ، ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ، ويقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب اشف نفسك ، كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم ، فافعل ذلك هنا أيضًا فى وطنك وقال : الحق أقول لكم : إنه ليس نبىٌّ مقبولًا فى وطنه » (الإصحاح ٤ / ٢٢ – ٢٥) . وواضح من هذا النص أن المسيح لم يقل (نعم) حين ذكروا أنه ابن يوسف ، لكنه لم ينف ما قالوه ، وهذا ربما يرجع إلى أن الترجمة الحالية أسقطت بعض الكلمات ، ولكن جوهر المعنى الذى ناقشه ابن حزم مازال قائمًا .

(١٦٨) فى الأصل (بقفر) ولكن الصواب فى ظل الترجمة الحالية (بكفر) .

« فصــل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل لوقا[169]: أن المسيح قال : « من قال شيئًا فى ابن الإنسان يغفر له . ومن سبَّ روح القدس لا يغفر له .

* * *

قال أبو محمد : هذا إبطال لقولهم كافٍ ، لأن ابن الإنسان عند هؤلاء الأقذار[170] هو روح القدس نفسه .

ونص كلام المسيح هاهنا يبين أنهما شيئان متغايران ، أحدهما يغفر لمن سبَّه ، والآخر : لا يغفر لمن سبَّه ، وهذا بيان دافع للإشكال جملة ، فإن كان المسيح هو ابن الإنسان ، فليس هو روح القدس أصلًا – بنص كلامه . وإن كان هو روح القدس فليس هو ابن الإنسان كذلك أيضًا . ولئن كان ابن الإنسان هو روح القدس فقد كذب المسيح ، إذ فرَّق بينهما بجعل[171] أحدهما يغفر لمن سبه ، والآخر : لا يغفر لمن سبه وفى هذا كفاية .

---

(١٦٩) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : « وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له ، وأمّا من جدّف على الرّوح القدس فلا يغفر له » (الإصحاح ١٢ / ١٠) .

(١٧٠) فى (أ ، ب) : حذفت كلمة (الأقذار) . وهذا من تصرف الناسخ – كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(١٧١) فى (أ ، ب) : (فجعل) .

« فصـــل »

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل لوقا[١٧٢]: فلما بلغوا إلى الموضع الذى يدعى الأجرد صلبوه فيه ، وصلبوا معه السارقين العابثين عن يمينه وعن شماله .

فقال يسوع : يا أبتاه ، اغفر لهم ، لأنهم يجهلون ما يصنعونه ، ولا يدرون فعلهم .

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل شنعتان عظيمتان على النصارى كافيتان فى وساخة دينهم ، وبيان فساد كل ما هم عليه جهارًا :

أولاهما : أن نسألهم فنقول لهم : المسيح إله عندكم أم لا ؟

فمَنْ قَوْلُهم : نعم . فيقال لهم : إلى من دعا ، ورفع طلبته ؟

فإن كان دعا غيره ، فهو إله يدعو إلاها آخر . وهذا شرك وتغاير بين الآلهة .

وهم لا يقولون هذا .

* * *

(١٧٢) النص كما جاء فى إنجيل لوقا الحالى : « ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى « جمجمة » صلبوه هناك مع المذنبين ، واحدًا عن يمينه ، والآخر عن يساره ، فقال يسوع : يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (الإصحاح الثالث والعشرون : ٢٣ ، ٢٤) .

وإن كان دعا نفسه : فهذا هوس ، إنما حكمه أن يقول : قد غفرت لكم ، وهم يصرحون فى الإنجيل[١٧٣]: بأنه يغفر ذنوب من شاء . فأين كان عن هذه الصفة إذ يدعو[١٧٤] إلها غيره . ؟

والثانية : أن يقال لهم : هل أجيبت دعوته هذه أم لا ؟

فإن قالوا : لم تجب دعوته . قلنا : ليس فى الخزى أكثر من إله يدعو فلا يستجاب له ؟! ولا فى النحس فوق هذا .

وعلى هذا فما بيده من الربوبية إلا ذنب[١٧٥] ثور ، شارد فى حدود[١٧٦]، كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ، ولا يجاب مرة .

وإن قالوا : بل أجيبت دعوته . قلنا لهم : فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم فى سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم . وكيف يستحلون سبَّ قومٍ قد غفر لهم إلاههم ، وأسقط عنهم الملامة فى صلبهم له ؟ أما لكم عقول تعرفون بها مقدار ما أنتم عليه من الضلال الذى ليس فى العالم أحدٌ على مثله ؟ بل كل ضلالة فهى دونه .

فإن قيل : وما أنكرتم من هذا وأنتم تقولون : إن الله تعالى دعا الكفار إلى الإيمان فلم يجيبوه ؟

قلنا : نعم ، فكانوا عصاة ، والله تعالى لم يرد كون الإيمان منهم ، إنما أمرمهم أمر تعجيز ، فأخبرونا أنتم من هو المدعو لهم ليغفر لهم فيجيبه أو يعصيه .. ؟ ولا مخلص من هذا .

* * *

(١٧٣) فى (أ ، ب) : (الأناجيل) .
(١٧٤) فى (أ ، ب) : (دعا) .
(١٧٥) فى (أ ، ب) : (كذنب) .
(١٧٦) فى (أ ، ب) : (جدور) وهو تحريف .

« فصـــل »

وفى آخر إنجيل لوقا[١٧٧]: أنه بعد صلبه تراءى لرجلين من تلاميذه ، وهما لا يعرفانه فقال لهما : ما هذا الذى تخوضان فيه ، وتحزنان له ؟

فقال أحدهما : وهو الذى يسمى كلوباش : أنت وحدك غريب بأورشليم ، إذ تجهل ما كان بها هذه الأيام .

فقال لهما : وما ذلك ؟

فقالا له : من خبر يسوع الناصرى الذى كان نبيًا مقتدرًا على[١٧٨] أفعاله وكلامه عند الله وعند الناس . وكيف اجتمع قواده القسيسون على قتله وصلبه إلى آخر كلامهما ، وأنه قال[١٧٩]: يا جهال ، ويا من عَجَزَتْ عن فهم مقالة الأنبياء قلوبُهم : أما كان هذا واجبًا أن يلقاه المسيح ، وبعد ذلك يبلغ إلى عظمته ؟

* * *

---

(١٧٧) جاء هذا النص فى انجيل لوقا الحالى : وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن « أورشليم » ستين غلوة اسمها « عِمْواس » وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث ، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه ، وكان يمشى معهما ، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته ، فقال لهما : ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين . فأجاب أحدهما الذى اسمه « كليوباس » وقال له : هل أنت متغرّب وحدك فى أورشليم ، ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ فقال لهما : وما هى ؟ فقالا : المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانًا نبيًا مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله ، وجميع الشعب ، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ... » (الإصحاح ٢٤ / ١٢ - ٢٧) .

(١٧٨) فى (أ ، ب) : (فى أفعاله) .

(١٧٩) فى (أ ، ب) : (قال لهما) .

قال أبو محمد : فهؤلاء أصحابه يقولون : إنه كان نبيًا عند الله وعند الناس ، وهو يسمع بزعمهم ولا ينكر ذلك . فهلّا قالوا فيه هكذا . لقد طمس الشيطان على قلوب أبصارهم(١٨٠) عن ذلك ، ولوى ألسنتهم عن أن يقولوا ذلك ولا مرة من الدّهر ، بل كذبوه(١٨١) أشد الكذب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(١٨٠) فى (أ ، ب) : (أبصار قلوبهم) .
(١٨١) فى (أ ، ب) : (يكذبونه أشد التكذيب) .

« فصـــل »

وفى إنجيل متّى ومارقش ولوقا[١٨٢]: أنه قبل أخذه سجد ودعا وقال : يا أبت ؛ كل شىء عندك ممكن ، فاعفنى من هذا الكأس ، لكن لا أسأل إرادتى لكن إرادتك ، زاد لوقا فى إنجيله قال : فتراءى له ملك السيد معزيًا له فأطال صلاته حتى سال العرق منه ، وتساقطت نقط منه[١٨٣] كتساقط نقط الدم إذا انسكب فى الأرض .

وفى إنجيل متّى ومارقش : أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب : إلهى إلهى ، لم أسلمتنى ، ثم فاضت نفسه .

* * *

قال أبو محمد : فياللناس ؟ أهذه صفة إله ؟ وهل يحتاج الإله إلى ملك يعزيه ؟ وهل يدعو الإله فى أن يصرف عنه كأس المنية ، وإله يعرق من صعوبة الحال إذا أيقن بالموت ، وإله يسلمه الإله ؟! أفى الحمق شىء يفوق هذا ؟

---

(١٨٢) الذى جاء فى انجيل متى الحالى : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا : إيلى إيلى لم شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى !! فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : إنه ينادى إيليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذا إسفنجه وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا : اترك لنرى هل يأتى أيليّا يخلصه ، فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح (الإصحاح ٢٧ / ٤٥ — ٥٠) . والذى جاء فى انجيل مارقس يتفق مع هذا فى المعنى وإن اختلف فى الألفاظ : (الإصحاح ١٥ / ٣٣ — ٣٦) . وفى إنجيل « لوقا » « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى ، ولما قال هذا أسلم الروح » (الإصحاح ٢٣ / ٤٤) .

(١٨٣) فى (أ ، ب) : (نقطة) .

فإن قالوا : إنما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتيه . قلنا لهم : أنتم تقولون فى كل هذا : فَعَل المسيح ، وقال المسيح ، فللمسيح عندكم طبيعتان : ناسوتية ولا هوتية وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة ، وكلكم تقولون : إن اللّاهوت اتحد بالناسوت ، وأنتم كذبتم ، وأنتم طرقتم إلى كل(١٨٤) هذا ، وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللّاهوت ، وإنما كان الحمق على أصلكم هذا الملعون : أن تقولوا : فعل نصف المسيح وقال نصف المسيح . فعلى كل حال قد كذبتم وسخفتم . وفى هذا كفاية لمن عقل .

* * *

---

(١٨٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .

« فصــل »

وفى أول إنجيل يوحنا[١٨٥]: وهو أعظم الأناجيل كفرًا ، وأشدها تناقضًا ، وأتمها رعونة فأول كلمة فيه : « فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة كانت عند الله ، والله كان الكلمة ، بها خلقت الأشياء ، ومن دونها لم يخلق شىء ، فالذى خلق هو حياة فيها .

فهل سمع بأعظم سخفًا ، وأتم تناقضًا من هذا الكلام الملعون هو وقائله[١٨٦]؟ !! كيف تكون الكلمة هى الله ؟ وتكون عند الله ؟ فالله إذًا كان عند نفسه . ثم قوله : « إن الذى خلق بالكلمة هو حياة فيها » . فعلى هذا حياة الله مخلوقة فروح القدس على نص كلام هذا العيّار[١٨٧] مخلوق ، لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله وهذا بخلاف جميع قول النصارى ، لأن الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا ، والله تعالى بنص كلام يوحنا هو الكلمة ، وهذا هدم لملّة النصارى من قرب .

ثم أطم من هذا كله إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة ، والكلمة هى الله ، فالله هو[١٨٨] حامل لأعراض مخلوقة فيه . فاعجبوا ثم اعجبوا .

وبعد هذا الفصل – على ما نورد إن شاء الله تعالى – والكلمة كانت بشرًا ، مع قوله الكلمة هى الله ، فالله بشر على نصّ كلام هذا النذل يوحنا – عليه من الله اللعائن المتواترة .

---

(١٨٥) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هكذا فى البدء عند الله . كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان ، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » (الإصحاح الأول : ١ – ٥) .

(١٨٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله (الملعون هو وقائله) . وهذا تصرف من الناسخ كما سبقت الإشارة إلى دلك .

(١٨٧) فى (أ ، ب) : (الرحل) بدلًا من (العيار) .

(١٨٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هو) .

« فصـــل »

وبعد ذلك ذكر المسيح فقال : فإنه كان فى الدنيا ، وبه خلقت الدنيا ، ولم يعرفه أهل الدنيا(١٨٩).

* * *

قال أبو محمد : هذا من الحمق المزور(١٩٠). كيف يكون فى الدنيا . وبه خلقت الدنيا ؟! لئن كان إلاها كما يقولون ، فهو خلق الدنيا ، ولا يجوز أن تخلق به .

وإن كان إنما به خلقت الدنيا ولم يخلقها هو : فليس هو إلاهًا ولا خالقًا ، إنما هو آلة من الآلات ، خلقت الدنيا بها ، وحاشا لله أن يخلق بآلة ، لكن كما قال فى وحيه الناطق إلى رسوله الصادق الذى لا يتناقض كلامه ، ولا تتعارض أخباره « إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ له كُنْ فَيكُون(١٩١)» .

* * *

---

(١٨٩) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا : « كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم ، كان فى العالَم ، وكُوِّن العالم به ، ولم يعرفه العالم » (الإصحاح الأول : ٦ – ١١) .

(١٩٠) فى (خ) : (المردد) .

(١٩١) سورة يس : ٨٢ .

(١٩٢) فى الأصل : (المتين) . وهو تحريف فى نظرنا ، لأن الوصف بالمنتن هو الأولى فى هذا المقام ، والذى يتفق مع أسلوب ابن حزم .

وأين يجتمع قوله هاهنا ، أنه به خلقت الدنيا مع الكذب الذى يضيفونه إلى المسيح من أنه قال بزعمهم : « أنا أخلق ، وأبى يخلق ، وإن لم أعمل كما يعمل أبى فلا تصدقونى » .

حاشا لله من أن يقول نبى هذا الكذب ، وهذا الحمق إذا كان يكونان إلهين متغايرين اثنين كل واحد منهما غير الآخر ، وكل واحدٍ منهما يخلق كما يخلق الآخر ، ثم مرة هو إله يخلق ، ومرة هو آلة يخلق بها . ألا هذا هو الضلال المبين ، والخيال المنتن[١٩٢] .

(١٩٢) فى الأصل : (المتين) . وهو تحريف فى نظرنا . لأن الوصف بالمنتن هو الأولى فى هذا المقام والذى يتفق مع أسلوب ابن حزم .

ادعاء النصارى جميعاً أنهم أبناء الله

« فصل »

وبعد ذلك قال[١٩٣]: فمن تقبله منهم ، وآمن باسمه أعطاهم سلطانًا أن يكونوا أولاد الله ، أولئك المؤمنون باسمه ، الذين لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ، ولا باه رجل لكن توالدوا من الله ، فالتحمت الكلمة ، والكلمة كانت بشرًا ، وسكنت[١٩٤] فيها ، رأينا عظمتها كعظمة ولد الله .

* * *

قال أبو محمد : في[١٩٥] هذا الفصل من الكفر ما لو انهدت الجبال منه ، لكان غير نكير ، نسأل الله العافية .

أيها الناس : تأملوا[١٩٦] قول هذا النذل ، إن المؤمنين بالمسيح هم أولاد الله ، فالنصارى كلهم إذَنْ أولاد الله ، فأيّ ميزة للمسيح عليهم ؛ إذ هو ولد الله وهم أولاد الله ؟ ثم انظروا[١٩٧] لقول هذا المستخف المستهزيء بالسفلة الذين قلدوا دينهم مثله : إن المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ،

---

(١٩٣) النص كما جاء في انجيل يوحنا : « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله ، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل بل من الله . والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ، ورأيناه مجده مجدًا كما لو حيدٍ من الآب مملوءًا نعمة وحقًا . (الإصحاح ــ١ / ١١ – ١٤) .

(١٩٤) في (أ ، ب) : (فينا) .

(١٩٥) في (أ ، ب) : (وفي) .

(١٩٦) في (أ ، ب) : (فتأملوا) .

(١٩٧) في (أ ، ب) : (اعجبوا) .

ولا من شهوة اللحم ، ولا باه رجل ، ولكن توالدوا من الله هكذا هم !!

أهكذا[١٩٨] توالد « يوحنا » من سبذاى وامرأته ؟

ألَا حياءَ من عظيم المجاهرة بالباطل والكذب ؟

فإن قالوا : هذا مجاز . قلنا[١٩٩]: فيماذا ؟ بل هو الكذب البحت البارد الأحمق[٢٠٠]، وهذا نفسه قلتم عن المسيح . فما الفرق بين القولين ؟

ولعل ذلك أيضًا مجاز ، كما هذا[٢٠١] مجاز ، فما رأينا أحمق من هؤلاء ، ولا أوقح من خدودهم .

ثم اعجبوا لقوله : « فالتحمت الكلمة وسكنت فيها[٢٠٢]» فكيف تصير الكلمة لحمًا ، وقد قال : إنها هى الله ، فالله إذًا صار لحمًا ، وسكن فى أولئك الأقذار . حسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١٩٨) فى (أ ، ب) : (هكذا فكيف)
(١٩٩) فى (أ ، ب) : (قلنا : مجاز) .
(٢٠٠) فى (أ ، ب) : (والحمق) .
(٢٠١) فى (أ ، ب) : (كما هو) .
(٢٠٢) فى (أ ، ب) : (فينا) .

« فصــل »

ثم قال إثر هذا: « إن[٢٠٣] الله لم يره أحدٌ ما عدا ما وصف عن الولد الفـرد[٢٠٤] الذى هو فى حجر أبيه » .

قال أبو محمد : هذا عجب آخر ، قد قال آنفًا : إن الكلمة هى الله ، وأنها التحمت ، وصارت لحمًا ، وسكنت فيهم ، فالله عزّ وجل على قولهم : صار لحمًا وسكن فيهم . فكيف لم يره أحد ؟

ثم قوله : « إلّا ما وصف عنه الولد الفرد الذى هو فى حجر أبيه » .

فوجب من هذا : أن الولد غير الأب لأن من المحال الممتنع أن يكون الله فى حجر نفسه فصح ضرورة أن الابن عندهم على نصوص الأناجيل هو غير الأب ، وهم لا يثبتون على هذا ، بل مرة هو والأب عندهم شيء واحد . وكل هذا منصوص فى أناجيلهم ، وكل قضية منها تكذب الأخرى ، فكلها كذب بلا شك . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

---

(٢٠٣) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر » (الإصحاح ١ / ١٨) .

(٢٠٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الفرد) .

« فصل »

وفى الباب الأول من إنجيل يوحنا(٢٠٥) إذ ذكر شهادة يحيى بن زكريا - عليهما السلام - إذ بعث إليه اليهود من « برشلام » - الكهنة واللاويين ، وكاشفوه عن نفسه . فأقرَّ ولم يجحد وقال لهم : لست أنا المسيح .

قالوا : أتراك(٢٠٦) إلياس ؟ قال : لا . قالوا : أفأنت(٢٠٧) نبى ؟ قال :لا .

* * *

قال أبو محمد : كيف يكون هذا مع قول المسيح فى إنجيل متَّى(٢٠٨) ومارقش : كما أوردنا قبل : إن كل نبوّه ، وكلَّ كتاب فمنتهاها إلى يحيى . وقوله فيه : إنه أكثر من نبى ، فمرة هو نبى انتهت كل نبوة إليه ، ومرة : هو أكثر من نبى .

---

(٢٠٥) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « وهده هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر : أنى لست أنا المسيح . فسألوه إذًا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنَّبىُّ أنت ؟ فأجاب : لا » (الإصحاح الأول : ١٩ - ٢٢) .

(٢٠٦) فى (أ ، ب) : (أيراك) .

(٢٠٧) فى (أ ، ب) : (فأنت) بغير استفهام .

(٢٠٨) النص كما فى انجيل متى : « وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للمجموع عن يوحنا .. هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك . لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبيا . نعم أقول لكم وأفضل من نبى ... الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه . (انجيل متى . الإصحاح ١١ / ٧ - ١٣) .

ومرة يقول : هو عن[٢٠٩] نفسه : إنه ليس نبيًا .

فلابدَّ ضرورة من الكذب فى إحدى هذه الأقوال . وحاش لله أن يكذب المسيح ويحيى – عليهما السلام – لكن كذب والله النذلان متَّى الشرطى ، ويوحنَّا العيَّار .

أوصاف النصارى للمسيح

« فصــل »

وبعده فى الباب نفسه قال : « ويوما آخر رأى يحيى المسيح مقبلًا[210] فقال : هذا[211] خروف الله[212]» .

قال أبو محمد : هذه طامّةٌ أخرى .. بينما كان كلمةَ الله ، وابنَ الله ، وإلاهًا يخلق صار خروفَ الله – وحاش لله أن يضاف إليه خروف إلّا على سبيل الخلق والملك ، إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح ، أو لمن يربيه للفحلة[213]، أو لصبى يلعب به ويصبغه بالحناء . وتعالى الله عن كل هذا .

فصح أنها من عمل عيّار مستخف . ونعوذ بالله من الضلال .

* * *

(٢١٠) فى (أ ، ب) : مقبلًا إليه .

(٢١١) فى (أ ، ب) : هذا صار .

(٢١٢) الذى فى إنجيل يوحنا الحالى : « وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلًا إليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (الإصحاح ١ / ٢٩) .

(٢١٣) فى (أ ، ب) : (للعجلة) .

« فصـــل »

وبعده بيسير فى الباب نفسه أن يحيى بن زكريا قال عن المسيح(٢١٤): « شهـدت بأن هذا سليل الله(٢١٥)» .

* * *

قال أبو محمد : شهدت أنا ، ونفسى ، وجسدى ، وعقلى بشهادة الله التامة أن هذه كذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله ، وابن رسوله يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وأن الله – تعالى – عن أن يكون له سليل .

وأعجب شىء نسبتهم إلى يحيى عليه السلام – أنه قال فى المسيح : هذا خروف الله ، هذا سليل الله ، وإنما الخروف سليل الكبش والنعجة – اللهم العن هؤلاء الأنتان فما سمعنا بأعظم استخفافًا بالله تعالى وبرسله – عليهم السلام – منهم .

* * *

---

(٢١٤) فى (أ ، ب) : (عيسى) .

(٢١٥) الذى جاء فى إنجيل يوحنا : « وشهد يوحنا قائلًا : إنى قد رأيت الروح نازلًا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذى أرسلنى لأعمّد بالماء داك قال لى : الدى ترى الروح نازلًا ومستقرًا عليه فهدا هو الدى يعمّد بالروح القدس ، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله . (إنجيل يوحنا ١ / ٣٢ – ٣٤) فأسند الشهادة إلى يوحنا ، وهذا دليل على ما تعرض له الإنجيل من تغيير وتحريف ، أو لعل « يوحنا » هو يحيى . ولكن ابن حزم يفرق فى حديثه بين يحيى وبين يوحنا ، فيلعن « يوحنا » ويرى أنه كذب على « يحيى بن زكريا » نبى الله .

ادعاء النصارى أن المسيح تسلم مقاليد الكون

« فصـــل »

وفى الباب الثالث من إنجيل يوحنا أن يحيى عليه السلام قال عن المسيح : « قد رضى الأب ن الولد ، وبرىء إليه بجميع الأشياء[٢١٦].

* * *

وفى الباب الخامس من إنجيل يوحنا أيضًا : « ولهذا كانت اليهود تريد قتله لأنه كان ليس[٢١٧] يفسح عليهم سُنَّةَ السبت فقط ، لكنه كان يدعى الله أبًا ويسوّى نفسه[٢١٨] به » .

وبعده بيسير : أن المسيح قال : كمايُحيى الأب الموتى ويقيمهم كذلك يحيى الابن من وافقه ، وما يحكم الأب على أحد لأنه برىء[٢١٩] بالحكم إلى سليله[٢٢٠].

---

(٢١٦) الذى حاء فى إنجيل يوحنا : وحدثت مباحثه من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهر ، فقال لهم يوحنا ضمن كلام كثير يشهد فيه للمسيح يقول : « الآب يحب الابن ، وقد دفع كل شىء فى يده » (الإصحاح الثالث / ٢٥ – ٣٦) .

(٢١٧) فى (أ ، ب) · (ليس كان) .

(٢١٨) الذى فى الإنجيل الحالى : « أنه أبرأ مريضًا يوم سبت : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا فى سبت ، فأجابهم يسوع : أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل ، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضًا : إن الله أبوه معادلًا نفسه بالله » (الإصحاح ٥ / ١٦ – ١٨) .

(٢١٩) فى (أ ، ب) : (يرد) .

(٢٢٠) والنص كما جاء فى الإنجيل الحالى · « لأنه كما الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضًا يحيى من يشاء ، لأن الآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (الإصحاح ٥ / ٢١ – ٢٢) .

قال أبو محمد : هذه الطامة أنست كل طامة سلفت - ولا حول ولا قوة إلا بالله - كيف ينطق لسان أحد بهذا الكفر الفاحش الفظيع من أن الله تعالى قد اعتزل الحكم فلا يحكم على أحد لأنه برىء بالحكم وبجميع الأشياء إلى ولده - حاشا لله من هذا - إنما عهدنا هذا من فعل الملوك إذا شاخوا ، وضعفوا ، وأرادوا الانفراد براحاتهم(٢٢١)، ولذَّاتهم ، وترتيب الأمر لأولادهم لئلا ينازعهم الأمر(٢٢٢) بعدهم غيرهم . فحينئذ يسلمون الأمر إليهم فى الظاهر . وأمّا فى باطن(٢٢٣) الأمر فلا .

هذا كفر ، ما قدرنا أحدًا ينطق به لسانه حتَّى سمعناه من قبل هذا الكافر يوحنا - لعنه الله - والحمد لله رب العالمين(٢٢٤).

* * *

(٢٢١) فى (أ ، ب) : (لراحتهم) .
(٢٢٢) فى (خ) : (الأمراء) .
(٢٢٣) فى (أ ، ب) : (فى الباطن) .
(٢٢٤) فى (أ ، ب) : والحمد لله على عظيم نعمته علينا كثيرًا .

« فصـــل »

وبعده بيسير فى الباب الخامس من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال : « فكما احتوى الأب الحياة فى ذاته ، كذلك ملك ولده الاحتواء على الحياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانًا ، وملكه الحكومة والسلطان والحياة ، كما هى للأب لأنه ابن الإنسان[٢٢٥]» .

* * *

قال أبو محمد : فهل سمع قط بأسخف من هذه العلة[٢٢٦] إذ أخبر أن من أجل أن المسيح هو ابن الإنسان ، ساواه الله بنفسه ، وهذا كله يوجب أنه غير الله ، ولابدَّ ، لأن المُعْطِى المملِّك هو غير المُعْطىَ ، بلا شك .

* * *

(٢٢٥) النص الحالى : « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا ، لأنه ابن الإنسان » (الإصحاح ٥ / ٢٦ – ٢٨) .

(٢٢٦) فى (أ ، ب) : (المقالة) .

« فصــل »

وبعده بيسير فى الباب نفسه : أن المسيح قال : « ولا أقوى أن أفعل من ذاتى شيئًا ، لكن أحكم بما أسمع ، وحكمى عدل ؛ لأنى لست أنفذ إرادتى إلّا أرادة أبى الذى بعثنى ، فإن كنت أشهد لنفسى فإنَّ شهادتى غير مقبولة ، ولكن غيرى يشهد لى(٢٢٧).

* * *

وفى الباب السادس من إنجيل يوحنا أيضًا أن المسيح قال : إنما نزلت من السماء لأتم إرادة أبى الذى بعثنى ، لا إرادتى(٢٢٨).

* * *

وفى الباب السابع من إنجيل يوحنا أنه قال المسيح : « ليس علمى لى لكن للذى بعثنى(٢٢٩).

---

(٢٢٧) النص الحالى : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا ، كما أسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى ، إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقًا ، الذى يشهد لى هو آخر » (إنجيل يوحنا - الإصحاح ٥ / ٣٠ - ٣٢) .

(٢٢٨) النص الحالى : « لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (الإصحاح السادس من انجيل يوحنا : ٣٨ - ٣٩) .

(٢٢٩) النص الحالى : « ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلّم ، فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ، أجابهم يسوع وقال : تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى » (الإصحاح السابع من انجيل يوحنا : ١٤ - ١٧) .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا أيضًا : « أن المسيح قال لهم : لو أحببتمونى لفرحتم بمسيرى إلى الأب ، لأن الأب أكبر منى[٢٣٠].

قال أبو محمد : فهل فى العبودية والتذلل بالحق لله تعالى أكثر من هذا ؟

وكيف يجتمع هذا الكلام مع الذى قبله بأسطار من أنه مساوٍ لله ، وأن الله لا يحكم بعد على أحد ، لكن تبرَّأ بالحكم كله إلى ولده ، أمَا فى هذه المناقضات السخيفة عبرة لمن اعتبر ؟!

ثم عجب آخر قوله هاهنا : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة » .

ثم قال فى آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا : « إن كنت شهدت لنفسى فشهادتى حق » فاعجبوا لهذا الاختلاط .

وهكذا ذكر فى الباب السادس من إنجيل يوحنا : أن جماعة من تلاميذه لما سمعوا هذه الأقوال المختلطة ارتدوا وفارقوه ، كما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

* * *

(٢٣٠) النص الحالى : « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى » (انجيل يوحنا – الإصحاح ١٤ / ٣٨) .

من معجزات المسيح عليه السلام

« فصــل »

وفى الباب السادس من إنجيل يوحنا : أنه لما أطعم الخمسة آلاف من خمس خبزات وحوتين فضل من شبعهم إثنتا عشرة سلة من خبز . قالت الجماعة هذا النبى حقًا[٢٣١]. فياللعجب : هلّا قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة .

* * *

(٢٣١) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « وكان الفصح عيد اليهود قريبًا فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعًا كثيرًا مقبل إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزًا ليأكل هؤلاء ؟ ... قال له أندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان .. فأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا الناس (وكانوا نحو خمسة آلاف) وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا ، فلما شبعوا ، قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شىء ، فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير .. فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » (الإصحاح ٦ / ٤ – ١٥) .

« فصـــل »

ثم ذكر فى الباب السادس[٢٣٢] المذكور أنه أتى بكلام كثير لا يعقل من جملته أنه قال لهم : « آمين أقول لكم لئن لم تأكلوا لحم ابن الإنسان ، وتشربوا دمه لن[٢٣٣] تنالوا الحياة الدائمة فيكم ، فمن أكل لحمى وشرب دمى ينال الحياة الدائمة ، وأنا أقيمه يوم القيامة ، فلحمى هو طعم صادق ، ودمى شراب صادق ، فمن أكل لحمى وشرب دمى كان فىّ وكنت فيه ».

ثم ذكر يوحنا أنه قال جماعة من التلاميذ : هذا الكلام شاق ، ومن أجل ذلك ارتدّ جماعة من التلاميذ ، وذهبوا عنه[٢٣٤].

* * *

قال أبو محمد : وهذا الكلام وسواس صحيح لا يقوله إلا مختلط ، وقد أعاذ الله نبيه منه .

---

(٢٣٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الباب) .

(٢٣٣) فى (خ) : (لا تنالوا) .

(٢٣٤) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أُعْطِي هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم . فخاصم اليهود بعضهم بعضًا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل ؟ فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان ، وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ... من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ، ولم يعودوا يمشون » (الإصحاح ٦ / ٤١ - ٦٧) .

« فصــل »

وفى الباب السابع من يوحنا : أن إخوة[٢٣٥] يسوع قالوا : اذهب إلى بلد يهوذا ، واخرج من هاهنا لتعاين تلاميذك عجائبك التى تطلع ، فليس يختفى أحد بفعل يريد أن يطلع عليه ، فإذا كنت تريد هذا فأطلع على نفسك أهل الدنيا ، وكان إخوته لا يؤمنون به[٢٣٦].

* * *

قال أبو محمد : ففى هذا أنه كان يختفى بمعجزاته ، وهذا[٢٣٧] كما نرى .

* * *

(٢٣٥) فى (خ) : (أن أخاه .. قال) .
(٢٣٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) . والنص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « وكان عيد اليهود عيدا المظالّ قريبًا ، فقال له إخوته : انتقل من هنا ، واذهب إلى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضًا أعمالك التى تعمل ، لأنه ليس أحد يعمل شيئًا فى الخفاء وهو يريد أن يكون علانية ، إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم ، لأن إخوته أيضًا لم يكونوا يؤمنون به » . (الإصحاح ٧ / ٦٠٣) .
(٢٣٧) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هذا) .

« فصـــل »

وفى هذا الباب السابع من إنجيل يوحنا : أنه أتى إلى المسيح بامرأة قد زنت ، فلم يوجب عليها شيئًا ، وأطلقها[٢٣٨].

* * *

قال أبو محمد : وهو[٢٣٩] على خلاف هذا فقد زوروا المسيح ، وجوّروه ، أو فليشهدوا على أنفسهم بالجور والظلم .

* * *

(٢٣٨) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « وقدّم إليه الكتبة والفرّيسيون امرأة أمسكت فى زنا ، ولما أقاموها فى الوسط قالوا له يا معلم : هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى أوصانا فى الناموس أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ ... فقال : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر .. فخرجوا وبقى يسوع .. فقال لها يا امرأة .. أما دانك أحد ، فقالت لا أحد يا سيد ، فقال لها يسوع : ولا أنا أدينك اذهبى ولا تخطىء أيضًا » (الإصحاح ٨ / ٣ -١٢) .

(٢٣٩) فى (أ ، ب) : (وهم) .

« فصــل »

وفى آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا أن المسيح قال : « أنا لا أحكم على أحد ، وإن حكمت فحكمى عدل ، لأنى لست وحيدًا لكنى أنا وأبى الذى بعثنى . وفى[٢٤٠] توراتكم : أن شهادة رجلين مقبولة ، وأنا[٢٤١] أؤدى الشهادة عن نفسى ، ويشهد لى الذى بعثنى[٢٤٢]» .

* * *

قال أبو محمد : ليت شعرى !! كيف يجتمع هذا الفصل مع الذى أوردنا فى الباب الثالث من إنجيل يوحنا أيضًا .. ؟ من أن الله تعالى لا يحكم بعد على أحد لأنه قد برىء بالحكم كله إلى ولده المسيح » .

* * *

(٢٤٠) فى (أ ، ب) : (وقيل فى توراتكم) .

(٢٤١) فى (أ ، ب) : (فإنى) .

(٢٤٢) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى الإصحاح الثامن لا السابع : « أما أنا فلست أدين أحدًا ، وإن كنت أنا أدين فدينونتى حق ، لأنى لست وحدى بل أنا والآب الذى أرسلنى ، وأيضًا فى ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق ، أنا هو الشاهد ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » (الفقرات : ١٦ - ١٩) .

إثبات أن المسيح رسولا نبياً

« فصـــل »

وفى الباب الثامن من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : أنا رجل أديت إليكم الحق الذى سمعته عن الله[٢٤٣].

فهذا إقراره بأنه رجل يؤدى ما سمع فقط . مع استشهادهم فى الباب الثانى عشر من إنجيل « متّى[٢٤٤] بقول أشيعا النبى فى المسيح : إن الله تعالى قال فيه : هذا غلامى المصطفى ، وحبيبى الذى تخيرت » ، فصح أنه نبى من الأنبياء ، وعبد الله[٢٤٥].

* * *

(٢٤٣) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » (الإصحاح ٨ / ٤٠) .

(٢٤٤) فى (خ) : (متّى الذى يقول) .

(٢٤٥) فى (خ) : (وعبد لله) . والنص كما فى انجيل متى الحالى : « لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل : هو ذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى سرّت به نفسى » (اصحاح ١٢ / ١٧ ، ١٨) .

ادعاء النصارى أن المسيح هو الإله

« فصـــل »

وفى الباب التاسع من إنجيل يوحنا ، أن اليهود قالوا للمسيح : لسنا نرجمك[٢٤٦] لعمل صالح إلّا للشتيمة ، ولا دِّعائك الربوبية ، وأنت إنسان .

فقال لهم المسيح : أما قد كنت[٢٤٧] فى كتابكم الزبور حيث يقول : أنا[٢٤٨] قلت : أنتم آلهة ، وبنو العلى كلكم ، فإن كان اسمى[٢٤٩]: الله الذى كلمهم آلهة – ولا سبيل إلى تحريف الكتاب ولا تبديله – فلم تقولون : فيمن بارك الله عليم ، وبعثه إلى الدنيا إنه شتم . إذا قلت إنى ابن الله ، إن كنت لا أفعل أفعال أبى فلا تصدقونى ، إلى قوله : لتعلموا أنى الآب[٢٥٠]، والآب منى[٢٥١].

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن فيلتش[٢٥٢] الحوارى قال للمسيح : يا سيدنا أرنا الأب ، ويكفينا . فقال له المسيح : طول هذا الزمان كنت فيكم[٢٥٣] ولا تعرفونى[٢٥٤]، من رآنى

---

(٢٤٦) فى (خ) : (لسنا نرجيك) وهذا تحريف .
(٢٤٧) فى (أ ، ب) : (قد كتب) .
(٢٤٨) فى (أ ، ب) : (أما قلتم) .
(٢٤٩) فى (أ ، ب) : (سمّى) .
(٢٥٠) فى (أ ، ب) : (أنى فى الأب) .
(٢٥١) النص الحالى : « أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا ، أجابهم يسوع : أليس مكتوبًا فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة ، إن قالت آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب ، فالذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له : إنك تجدّف لأنى قلت إنى ابن الله ، إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أنَّ الآب فىَّ وأنا فيه » (الإصحاح ١٠ / ٣١ - ٣٨) .
(٢٥٢) هكذا جاء فى الأصل . وهو كما جاء فى الأناجيل المختلفة (فيلبس) بالباء والسين .
(٢٥٣) فى (أ ، ب) : (كنت معكم) .
(٢٥٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (يافلبس) .

فقد رأى الأب ، فكيف تقول أنت : أرنا الأب ؟ أليس تؤمن أنّى أنا فى الآب ، وأن الأب هو فىَّ[٢٥٥]؟ فكيف هذا ..؟!! مع قول يوحنّا الذى ذكرنا فى أول إنجيله أن الآب لم يره أحد قط .

* * *

(٢٥٥) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى ، الإصحاح الرابع عشر لا الحادى عشر : « قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا ، قال له يسوع أنا معكم زمانًا هذه المدة ولم تعرفنى يا فيلبس ، الذى رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت : أرنا الآب ، ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ . الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى لكن الآب الحالُّ فىّ هو يعمل الأعمال ، صدّقونى أنى فى الآب والآب فىّ » (الإصحاح ١٤ / ٨ - ١١) .

« فصــل »

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا المذكور أن المسيح قال لتلاميذه : أنا فى أبى وأنتم فىّ ، وأنا فيكم .

* * *

قال أبو محمد : إذا كان هو الأب ، والأب فيه ، وهو فى التلاميذ ، والتلاميذ فيه فالأب فى التلاميذ ، والتلاميذ فى الأب ضرورة . فأىّ مزية له عليهم ، وهل هو وهم إلا سواء فى كونه وكونهم فى الله ، وكون الله فيهم وفيه ؟

ثم هذا الكلام لا يعقل ولا يفهم منه إلا الاستخفاف والكفر فقط ، لأنه إذا كان فيهم بذاته فقد صاروا له مكانًا ، وصار تعالى محدودًا ، وهذه صفة المحدث ، فإن كان فيهم بتدبيره فهكذا يدبر فى كل حى وميت ، وكل جماد ، وكل عرض . ولا فرق . ولا فضيلة فى هذا أصلًا إلّا الضلال(٢٥٦).

* * *

(٢٥٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (إلا الضلال) .

« فصــل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : لست أسميكم بعد عبيدًا لأن العبد لا يدرى ما يصنع سيده ، وقد سميتكم إخوانًا(٢٥٧).

وفى آخر الباب المذكور أن المسيح قال : أنا من الله خرجت ، ومن الأب انبعثت(٢٥٨).

ففى أحد هذين الفصلين : أن التلاميذ قد عتقوا من عبودية البارى عز وجل ، وأنهم إخوانه ، وهو خرج من الله ، ومنه انبثق . فهم كذلك أيضًا فأىّ مزية له عليهم ؟ مع سخف هذا الكلام ، وأنه لا يدرى لهذا الانبثاق معنًى أصلًا ، والانبثاق لا يكون إلّا من الأجسام ضرورة .

* * *

(٢٥٧) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « لا أعود أسميكم عبيدًا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده ، لكننى قد سميتكم أحباء » (الإصحاح ١٥ / ١٥ ، ١٦) .

(٢٥٨) النص الحالى : « إنى من عند الله خرجت ، خرجت من عند الآب ، وقد أتيت إلى العالم ، وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب » (انجيل يوحنا – الإصحاح ١٦ / ٢٧ ، ٢٨) .

ادعاء النصارى أن المسيح يشرِّف الله

« فصــل »

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل يوحنا فى أوله : أن المسيح قال رافعًا عينيه إلى السماء : « يا أبتاه قد آن الوقت فشرِّف ولدك لكيما يشرفك ولدك[٢٥٩] » .

وبعده بيسير : أن المسيح قال لله : أنا شرفتك على الأرض[٢٦٠].

* * *

قال أبو محمد : هذه مصيبة الدهر لم يقنعوا للمسيح بنبوة الله حتى وصفوه بمساواته لله تعالى ، ثم لم يقنعوا بمساواته لله حتى قالوا : إن الله تعالى قد انعزل له عن الحكم ، وليس يحكم على أحد ، وأنه قد برىء بالملك والحكم كله إلى المسيح ، ثم لم يقنعوا له بالعزلة والخمول حتى جعلوا المسيح يشرف الله تعالى .

ياللناس !! هل سمعتم بأعظم من هذا الكفر ؟ ، والله والله قطعًا ما قال هذا الكلام قط مؤمن بالله تعالى أصلًا ، وما كانوا إلَّا دهرية مستخفين رقعاء ، فعليهم أضعاف كل لعنة لعنها الله تعالى[٢٦١] سواهم من الكفرة .

---

(٢٥٩) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « مجّد ابنك بيمجدك ابنك أيضًا » (الإصحاح ١٧ / ١ ، ٢) .
(٢٦٠) وبعده بيسير قال : « أنا مجدتك على الأرض » (الإصحاح ١٧ / ٤) .
(٢٦١) ف (أ ، ب) : (من سواهم) .

قال أبو محمد : فى إنجيل يوحنا : « أنّ المسيح قال : أنا أميت نفسى ، وأنا أحييها » ، فليت شعرى !! كيف يمكن أن يحيى نفسه وهو ميت ؟.

* * *

قال أبو محمد : فهذه سبعون فصلًا فى أناجيلهم من كذب بحت ، ومناقضة لا حيلة فيها . ومنها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فأقل أو أكثر ، على قلة مقدار أناجيلهم ، وجملة أمرهم فى المسيح – عليه السلام – أنه مرة بنص أناجيلهم : ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف ، وابن داود ، وابن الإنسان ، ومرة هو إله يخلق ويرزق ، ومرة هو : خروف الله ، ومرة هو فى الله ، والله فيه ، ومرةِ هو فى تلاميذه ، وهم[٢٦٢] فيه ، ومرة : هو : علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ، ولا تنفذ إرادته ، ومرة هو : نبى وغلام . ومرة أسلمه الله إلى أعدائه . ومرة قد انعزل الله له عن الملك ، وتولَّاه هو ، وصار يشرف الله تعالى ، ويعطى مفاتيح السماوات ، ومرة يولى أصحابه خطة التحريم والتحليل فى السماوات والأرض . ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعطش ويشرب ، ويعرق من الخوف ، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينا يأكله ، ويفشل فيركب حمارة ، ويؤخذ ويلطم وجهه ، ويضرب رأسه بالقصبة ، ويبزق[٢٦٣] فى وجهه ، ويضرب ظهره بالسياط ، وتمر به[٢٦٤] الشرط ، ويتهكمون به ، ويسقى الخل فى الحنظل ، ويصلب بين سارقين ، وتسمّر يداه ، ومات فى الساقة[٢٦٥] ودفن ثم يحيا بعد الموت ، ولم يكن له هم إذا حيا بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه[٢٦٦] الحوت المشوى ، وسقوه العسل ، ثم انطلق إلى شغله .

هذا كله نص أناجيلهم ، وهم قد اقتصروا فى دينهم من كل هذا[٢٦٧] على أنه إله معبود فقط ، وهم يأنفون[٢٦٨] من إله مع الله . وأناجيلهم وأمانتهم توجب أن المسيح إله آخر غير الله ، بل يقعد عن يمين الله ، وأنه أكبر منه ، وهو يخلق كما يخلق ، ويحيى كما يحيى ، فبالضرورة توجب أنهم قائلون بإلاهين ولابدَّ متغايرين .

---

(٢٦٢) فى (أ ، ب) : (وتلاميذه فيه) .
(٢٦٣) فى (أ ، ب) : (ويزق) وهو تحريف
(٢٦٤) فى (أ ، ب) : (يميته الشرط) . وهو تحريف .
(٢٦٥) فى (أ ، ب) . (الساعة) .
(٢٦٦) فى (أ ، ب) : (الخبز والحوت) .
(٢٦٧) فى (أ ، ب) : (من هذا كله) .
(٢٦٨) فى (أ ، ب) : (ينفون) .
(٢٦٩) فى (أ ، ب) : (من الخذلان) .

« ذكر بعض ما فى كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس »

قال أبو محمد : قال يوحنا بن سبذاى فى إحدى رسائله الثلاث : يا أحبابى : نحن الآن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ما نحن كائنون ، وقد نعلم أنه إذا ظهر سنكون أمثالًا له ؛ لأننا نراه كما هو[1].

قال أبو محمد : أفى الكفر أعظم من قول[2] هذا الكذاب ؟ إنهم أولاد الله ، وإنهم سيكونون مثل الله إذا ظهر وقال[3] اللعين فى كتاب الوحى والإعلان : « إنه رأى الله عزّ وجل شيخًا أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون[4]، والمسيح يقرأ بين يديه فى كتاب من ذهب والملائكة يقولون : هذا خروف الرب[5]، والأسواق قائمة بين يديه ، القمح كذا وكذا قفيزًا بدينار ، الشعير كذا وكذاقفيزًا بدينار[6]، الخمر كذا وكذا قسطًا بدينار ، والزيت كذا وكذا قسطًا بدينار . فهل هذا إلّا هزل وعيارة ، وتماجن وتطايب .

---

(١) النص كما جاء فى رسالة يوحنا الرسول الحالية : « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله ، من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه ، أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ؟ ولكن نعلم أنه إذا أظهر تكون مثله لأننا سنراه كما هو » (الإصحاح ٣ / ١ - ٣) .

(٢) فى (أ ، ب) : (من كفر)

(٣) فى (أ ، ب) : (هذا اللعين) .

(٤) اللِّياط ككتاب : الكِلْسُ والجصّ .

(٥) النص كما جاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى : « .. ولما التفتّ رأيت سبع منابر من ذهب ، وفى وسط السبع منابر شبه ابن إنسان متسربلًا بثوب إلى الرجلين ، ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب وسيف ماض ذو حدين .... فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى علىّ قائلًا لى لا تخف أنا هو الأول والآخر (الإصحاح الأول / ١٢ - ١٨) .

(٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله : (والشعير كذا وكذا قفيز بدينار) .

وقال شمعون فى إحدى رسالتيه[٧]: « يومئذ يأتى الربُّ كمجيء اللص[٨] » ، فلعمرى !! لقد شبه ربّه تشبيهًا هو أولى به ، ولا مئونة على هذين الكلبين ، وعلى يهوذا ويعقوب اللعينين فى رسائلهم الفارغة من كل خير ، الباردة المملوءة من كل كفر وهوس أن يقولوا : « قال الله والد ربنا المسيح ، وفعل الله والد سيدنا المسيح[٩] » ، كأنهم والله إنما يخبرون عن نسب من الأنساب ، وولادة من الولادات .

وقال بولس اللعين فى إحدى رسائله – وهى التى إلى أهل غلاذية[١٠] فى الباب السادس منها : « نشهد لكل إنسان يختتن أنه يلزمه أن يحفظ شرائع التوراة[١١] » . وقال أيضًا قبل ذلك : « إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم » .

فاعجبوا لهذه ، واعلموا أنه قد ألزمهم دينين ، أمامن كان مختونًا فإن شرائع التوراة كلها تلزمه ولا ينفعه المسيح . وأما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه ولا تلزمه شرائع التوراة . وهو النذل[١٢].

وسائر التلاميذ كانوا بإجماع من النصارى مختونين كلهم ، فوجب أن المسيح لا ينفعهم ، وأن شرائع اليهود فى التوراة[١٣] كلها لهم لازمة ، وأكثر مَنْ بَيْنَ أظهر المسلمين منهم اليوم مختونون . فإن كان بولس صادقًا فإن المسيح لا ينفعهم وإن شرائع التوراة كلها[١٤] لازمة لهم . وإن كان كاذبًا فى ذلك فكيف يأخذون دينهم عن كذاب ، ولابدَّ من أحدهما .

وقال أيضًا فى إحدى رسائله : « إن يوحنا بن سبذاى ، ويعقوب بن يوسف النجار ، وباطره : أمروه أن يكون هو يدعو إلى ترك الختان ، ويكونون هم يدعون إلى الختان .

---

(٧) فى (أ ، ب) : رسائله .

(٨) النص الحالى كما جاء فى رسالة بطرس الرسول الثانية : « ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة » ففى هذا النص يجعل الفاعل « يوم الرب » لا « الرب » ، ويبدو أن هذه الترجمة غير التى اعتمد عليها أبو محمد ، لأنه على هذه الترجمة لا مأخذ .. (راجع النص كاملًا فى الإصحاح الثالث : ٨ – ١٠) .

(٩) راجعنا رسالة يعقوب الحالية ، ورسالة يهوذا فلم نجد هذا القول ولا ما يشبهه فى المعنى ، والذى وجدناه هو قول كل منهما : « قال رسل ربنا يسوع المسيح .. منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح .. » وينكرون السيد الوحيد الله .. وربنا يسوع المسيح » (راجع رسالة يهوذا) . وقد ورد فى رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » (الإصحاح الأول : ٢) . وفى رسالته إلى العبرانيين : « لأنه لمَن من الملائكة قال قط : أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك ، وأيضًا أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنًا » (الإصحاح الأول : ٥ – ٧) .

(١٠) فى (أ ، ب) : (غلا ربه) .

(١١) فى (أ ، ب) : (كلها) . والنص الذى ورد فى رسالة بولس الحالية : « جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا فى الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلايضطهدوا لأجل صلب المسيح فقط ، لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكى يفتخروا فى جسدكم ، وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى ، وأنا للعالم لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ، ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة » (رسالة بولس : الإصحاح السادس / ١١ – ١٧) .

(١٢) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة النذل .

(١٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (فى التوراة) .

(١٤) فى (أ ، ب) : (كلهم لهم) .

قال أبو محمد : هذا غير طريق التحقيق فى الدعاء إلى الدين ، وإنما هى دعوة حيلة وإضلال مبنية لا حقيقة لها .

وقال بولس : إن يعقوب بن يوسف النجار : كان مرائيا يتحفظ من مداخله الأجناس بحضرة اليهود ، وأن بولش واجهه بذلك بأنطاكية وعنفه على ذلك .

أفيجوز أخذ الدين من امرىء مدلس ؟

وقال هذا اللعين بولش أيضًا فى إحدى رسائله : « إن يسوع بينما كان فى صورة الله لم يغتنم أن يكون مساويًا لله ، بل أذل نفسه ولبس صورة عبد .

* * *

قال أبو محمد : فهل سمع قط بأوحش من هذا الكفر ، أو أحمق من هذا الكلام ؟ أو أسخف من هذا الاختيار ؟ وهل يتذلل الإنسان ، ويحمل كلّ بلاء فى الدنيا إلّا ليصل إلى رضا الله عزّ وجل فقط ؟

فليت شعرى !! هل بعد الوصول إلى مساواة الله تعالى عند هؤلاء الأقذار منزلة تُبتَغى فيرفضها المسيح لينال أعلى منها ؟

اللهم قد ذكرنا تلك المنزلة ، وهى التى وصفها يوحنا اللعين فى إنجيله : من أن الله تعالى عن كفرهم – اعتزل عن الملك والحكم وتولّاهما المسيح ، وتبرّأ إليه بكل شىء . ثم إن المسيح شرفه تعالى عن ذلك – اللهم العن – وقد فعلت(١٥)– عقولًا يجوز منها هذا الحمق .

* * *

وقال هذا النذل فى بعض رسائله : « إنّى كنت أتمنى أن أكون محرومًا من المسيح » .

قال أبو محمد : ليت شعرى مَنْ ضَغطه ؟ وما المانع له من أن يكفر بالمسيح فيبلغ مناه ويصير محرومًا منه .. ؟ ووالله إنه لمحروم منه بلا شك .

---

(١٥) فى (أ ، ب) : لم يذكر (وقد فعلت) .

وقال هذا النذل بولس أيضًا فى بعض رسائله الخسيسة : اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يطلبون الحكمة ، ونحن نشرع أن المسيح صلب .

وهذا القول عند اليهود فتنة الزلق(١٦)، وعند الأجناس جهل ونقص . وعند المجتبين(١٧) من اليهود واليونانين : أن المسيح : علم الله وقدرته ، لأن ما كان جهلًا عند الله هو أحكم ما يكون عند الناس ، وما هو ضعيف عند الله هو أقوى ما يكون عند الناس .

* * *

قال أبو محمد : فهل فى بيان قحة هذا النذل وسخريته بمن(١٨) اتبعه ، وتحقيق ما تدعيه اليهود : أن أسلافهم دسّوا هذا النذل(١٩) بولش لإضلال أتباع المسيح عليه السلام – أكثر من هذا الكلام(٢٠) فى إبطاله الآيات والحكم ؟!

إن أحكم ما يكون عند الناس هو الجهل عند الله فمحصول كلامه(٢١): اتركوا العقل وموجبه ، واطلبوا الحمق وتدينوا به . نعوذ بالله مما ابتلاهم به .

* * *

وقال بولس أيضًا فى بعض رسائله : إنه لا تبقى دعوة كاذبة فى الدين أكثر من ثلاثين سنة .

* * *

قال أبو محمد : هو عندهم – لعنه الله – أصدق من موسى بن عمران(٢٢) عليه السلام فإن كان صدق(٢٣) هاهنا فما يحتاج معهم إلى برهان فى صحة دين الإسلام ، ونبوة محمد

---

(١٦) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (الزلق) . والزَّلَق محركة ككتف ونحم والفعل زَلَق كفرح ونصر ذَلَّ .
(١٧) فى (أ ، ب) : (المختنين) .
(١٨) فى (أ ، ب) : (لمن) .
(١٩) فى (أ ، ب) : (الرذل) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : (القول) .
(٢١) فى (أ ، ب) : (هذا الكلام) .
(٢٢) فى (خ) : لا توجد كلمة (ابن عمران) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (صادقا) .

– ﷺ – سوى هذا ، فإن لهذه الدعوة أربعمائة عام ونيفا وخمسين عامًا ظاهرة ، والحمد لله رب العالمين ، فيلزمهم أن يرجعوا إلى الحمق ، أو يكذبوا بولس بشيرهم .

* * *

وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم ، وهو يوحنا فم الذهب ، بطريارك القسطنطينية ، فى كتاب له معروف عندهم : إن الشجرة التى أكل منها آدم ، وبسببها أخرج من الجنة كانت شجرة تين ، وإن الله أنزل تلك الشجرة بعينها إلى الأرض ، وهى التى دعا المسيح عليها فيبست ، إذ طلب فيها تينًا يأكله فلم يجد ، وهى نفسها الخشبة التى صلب عليها قال : وبرهان ذلك أنك لا تجد غارًا إلّا وعلى فمه شجرة تين نابتة .

فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والمجون ، والبرهان البديع . واعلموا أنهم بأجمعهم متفقون على أن يصوروا فى كنائسهم صورة يقولون : هى صورة البارى عزَّ وجل ، وأخرى صورة المسيح ، وأخرى صورة مريم ، وصورة باطرة ، وصورة بولش ، والصليب ، وصورة جبريل ، وصورة ميكائيل وصورة إسرافيل ، ثم يسجدون للصور سجود عبادة ، ويصومون لها تدينًا . وهذا هو عبادة الأوثان بلا شك والشرك المحض ، وهم ينكرون عبادة الأوثان ثم يعبدونها علانية ، وحجتهم فى هذا حجة عباد الأوثان(٢٤) أنفسهم(٢٥)، وهى أنهم يتقربون بذلك إلى أصحاب تلك الصور ، لا إلى الصور بأعيانها . واعلموا أنهم لم يزالوا بعد المسيح بأزيد من مائة عام يصومون فى شهر كانون الآخر إثر عيد الحجيج ، أربعين يومًا متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداءً بالمسيح ، إلى أن أبطل ذلك عليهم خمسة من البطاركة اجتمعوا(٢٦) على ذلك ونقلوا صيامهم وفصحهم إلى ما هم عليه اليوم ، فكيف ترون هذا الدين .. ؟ ولعب أهله به ، وحكمهم بأن ما مضى عليه المسيح والحواريون ضلال وكفر .. ؟ ولا يختلفون أصلًا فى أن شرائعهم كلها إنما هى من عمل أساقفتهم وملوكهم علانيةً . فهل تطيب نفس من به مسكة عقل على أن يبقى ساعة على دينٍ هذه صفته ؟ فكيف يلقى الله على دينٍ يُقرّ بلسانه ويعلم بقلبه أنه ليس من عند الله تعالى ، ولا مما أتى به نبى ، ونعوذ بالله من الضلال(٢٧).

(٢٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (الأوثان) والعبارة هكذا : « غباة نفسا » .
(٢٥) فى الأصل (نفسها) .
(٢٦) فى (أ ، ب) : (أجمعوا) .
(٢٧) فى (أ ، ب) : (الخذلان) .

ومن عظيم هَوسَهم قولهم كلهم : إن المسيح أتى ليأخذ بجراحة آلامنا وبكلومه ذنوبنا ، وهذا كلام فى غاية السّخف !! ليت شعرى أى ألمٍ أخذ بجراحه[٢٨] أم كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ؟! وما نراهم إلا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فرق .

ومن فضائحهم دعواهم أن إهلانى[٢٩] والدة قسطنطين[٣٠] أول من تنصر من ملوك الروم ، وذلك بعد أزيد من ثلاثمائة سنة من رفع المسيح ، وجدت الخشبة التى صلب فيها المسيح والشوك الذى جعل على رأسه ، والدم الذى طار من جنبه ، والمسامير التى ضربت فى يديه[٣١]. فليت شعرى أين وجد[٣٢] هذا السخام كله .. ؟ وأهل ذلك العين كلهم مطرودون مقتولون حيث وجدوا ، والمدينة خربة[٣٣] أزيد من مائتى عام لا أنيس فيها[٣٤]، ثم من لهم بأنها تلك .. ؟ وأين بقى[٣٥] أثر الدم والمسامير والشوك والخشبة تلك المدة العظيمة ، فى البلاد الخالية المقفرة ؟ ولا شك فى أنه إذ صُلب - كما يقولون - كان أصحابه مختفين وأعداؤه لا يلتفتون إلى أمره ، أيكون فى السخف أعظم من هذا ؟! وما عقولهم إلا عقول من يصدق بالأغرقون[٣٦]، والعنقاء[٣٧]، وبكل ما لا يمكن .

واعلموا أن كل ما يدعونه لباطرة ويوحنا ومارقش وبولش من المعجزات فإنها أكذوبات موضوعة ، لأن هؤلاء الأربعة لم يكونوا قط[٣٨] مذ[٣٩] رفع المسيح عليه السلام ، ومذ تنصر بولش إلا مطلوبين ، مشردين ، مضروبين ، كالزنادقة مستترين .

وقد ذكر بولش عن نفسه أن اليهود ضربوه[٤٠] خمس مرات بالقضبان ، كل مرة تسعًا وثلاثين

---

(٢٨) فى (أ ، ب) : (بجراحته) .

(٢٩) فى (أ ، ب) : (هيلانى) . وهيلانه : هى أم قسطنطين خبرها فى الكامل لابن الأثيرجـ ١ ص ١٨٩ ، وهى التى بنت كنيسة القيامة .

(٣٠) وقيل فى سبب تنصر قسطنطين أنه كان قد كبر وساء خلقه وظهر به وضح كبير فأرادت الروم خلعه من الملك فشاور نصحاءه فأشاروا عليه أن يحتال بالدين ، وكانت النصرانية قد ظهرت خفية ، فقالوا له استمهلهم حتى تزور بيت المقدس فإذا رتّه دخلت فى دين النصرانية ، وحملت الناس عليه فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين إلا نصروا ، ففعل ذلك ، وقاتل من خالفه وانتصر عليهم فقتلهم وأحرق كتبهم وحكمتهم ، وبنى القسطنطينية ونقل الناس إليها ، وبقى ملكه وغلب على الشام . (الكامل لابن الأثير ص ١٨٩ الجزء الأول) .

(٣١) فى (أ ، ب) : (يده) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : (وجدوا) .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (خالية) . ويقصد مدينة (بيت المقدس) وهى التى عثرت فيها على الخشبة كما زعموا .

(٣٤) فى (أ ، ب) : (بها) .

(٣٥) فى (أ ، ب) : (يبقى) .

(٣٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (الأغرقون) ، الذى جاء فى القاموس المحيط (أغاريقون) وهو أصل نبات أو شىء يتكون فى الأشجار المسوسة ترياق للسموم ، صالح للنساء والمفاصل ومن علّق عليه لا يلسعه عقرب (قاموس - غرق) .

(٣٧) العنقاء : الداهية ، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم (محيط - عنق) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (قط) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (من) .

(٤٠) فى (خ) : « زيادة كلمة (الملكوت) بعد ضربوه » .

جلدة ، وأنه رجم بالحجارة فى جمع عظيم ، وتدلى من سور دمشق فى قفة خوف القتل ، ومع ذلك تظاهروا(٤١) بدين اليهود إلى أن صلبوا أو قتلوا إلى لعنة الله ، ولا يجوز أن تصحَّ معجزة إلا بنقل كافة من مثلها ، ممن شاهد ذلك ظاهرًا ولكن دعوى النصارى ذلك(٤٢) لمن ذكرنا أو لغيرهم ، من أسلافهم معجزة كدعوى المنَّانيَّة(٤٣) لمانى سواء بسواء ،فإنه لم يزل مستترًا إلا شهورًا يسيره .. إذ اختدعه « بهرام بن بهرام الملك(٤٤)»، حتى ظفر به وبأصحابه فقتلهم كلهم .وكدعوى اليهود لأحبارهم السالفين ، ولرؤوس المثايب(٤٥) المعجزات بالصناعات ، وكدعوى أصحاب الحلاج(٤٦) للحلاج ، وكدعوى طوائِف من المسلمين مثل ذلك من المعجزات لشيبان الراعى ، ولإبراهيم ابن أدهم ، ولأبى مسلم الخولانى ولعبد الله(٤٧) بن المبارك .. رحمة الله عليهم وعلى غيرهم من الصالحين ، وكل ذلك كذب وتوليد من لا خير فيهم ،وإحالة على أشياء مغيبة لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد ، وكل طائفة ممن ذكرنا تعارض دعواها بدعوى سائِر الطوائف ، ولا سبيل إلى الفرق بين شيء من هذه الدعاوى .

وقد قلنا لا يمكن ألبتة وجود معجزة إلا لنبى فقط ، ثم لا تصلح إلا بنقل بقطع العذر ، ويوجب العلم للكافر والمؤمن ، إلا من كابر حسّه وغالط نفسه ، وقال هذا سحر فقط ، وكذلك ما أغتر به كثير من جهالهم مما رأوا من عظيم اجتهاد رهبانهم ، أصحاب الصوامع

---

(٤١) فى (ح) : « مظاهرين » .

(٤٢) فى (ح) : لم تذكر كلمة (ذلك) .

(٤٣) المنانية : تنسب إلى مانى بن فتق بابك بن أبى برزام من الحسكانية ، واسم أمه مس ويقال (أوتاخيم) أو (مرمريم) ، كان أبوه فتق ينزل فى المدائن فى بيت الأصنام الذى يقال له (طيسفون) فلما كان فى يوم من الأيام هتف به هاتف : يا فتق لا تأكل لحمًا ، ولا تشرب خمرًا ولا تنكح بشرًا ، وكانت امرأته حاملًا بمانى ، فلما ولدته زعموا أنها كانت ترى المنامات الحسنة وكانت ترى كأن أحدًا يأخذه فيصعد به إلى الجو ثم يرده ، وكان مانى يتكلم على صغر سنه بكلام الحكمه ، فلما تم له اثنتا عشرة سنة أتاه الوحى على زعمه ، وكان الملك الذى جاءه بالوحى يسمى (التوم) ومعناه بالنبطية (القرين) فقال له · اعتزل هذه الملة فلست من أهلها ، وعليك بالنزاهة وترك الشهوات ، ولم يأن لك أن تظهر لحداثة سنك ، فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه التوم فقال له : قد حان لك أن تخرج فتنادى بأمرك ، فخرج مانى يوم ملك سابور بن أردشير وزعم أنه « الفارقليط » الذى بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، ثم دعا فيرور أخا سابور بن أردشير فأوصله فيروز إلى أخيه سابور ، فلما رآه أعظمه وكبر فى عينه . قال مانى : مبدأ العالم كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وكل واحد منهما منفصل من الآخر ، فالنور له خمسة أعضاء : الحلم ، والعلم ، والعقل ، والغيب والفطنة وخمسة أخر روحانية وهى : الحب والإيمان والوفاء والمودة والحكمة .

والظلمة له خمسة أعضاء هى : الضباب والحريق والسموم والسم ، والظلمه ، ومن اختلاط هذه العناصر تكوَّن الإنسان . وظل على زندقته إلى أن ملك بهرام بن هرمز بن سابور وكان حليمًا متأنيا حسن السيرة فقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلقه على باب من أبواب « جند يسابور » يسمى باب مانى . (راجع الفهرست للنديم : ص ٣٩١ الفن الأول من المقالة التاسعة ، الكامل لابن الأثير ص ٢٢٧ بتصرف) .

(٤٤) الصحيح أن الذى قتله هو بهرام بن هرمز بن سابور كما جاء فى الكامل لابن الأثير ص ٢٢٧ .

(٤٥) فى (أ ، ب) · « السبت » .

(٤٦) ورد التعريف به فى الجزء الأول .

(٤٧) هو عبد الله بن المبارك بن واضح بالولاء ، التميمى المرورى ، أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره فى الأسفار حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا ، جمع الحديث والفقه والعربية ، وكان من سكان خراسان ، ومات بهيت على الفرات مصرفًا من غزو الروم . له كتاب فى الجهاد ، وهو أول من صنف فيه . كانت حياته بين ١١٨ - ١٨١ هـ . (الإعلام / ٤ / ٢٥٦) .

والدِّ يرات والمطموس(٤٨) عليهم أبواب البيوت ، فليعلموا أنه ليس عندهم من الاجتهاد فى العبادة إلا جزء من أجزاءٍ كثيرة مما عند المنانية ، وشدة اجتهادهم ، والذى عند الصّابئين من ذلك أعظم ، فإنه يبلغ الأمر بهم إلى أن يَخْصِيَ الواحد نفسه ، ويسمل عينى نفسه ، اجتهادًا فى العبادة .

والذى عند الهند(٤٩) أكثر من هذا كله فإنهم لا يزالون يحرقون أنفسهم فى النار تقربًا إلى البُدّ(٥٠) ولا يزالون يرمون أنفسهم من أعالى الجبال كذلك ، فأين اجتهاد من اجتهادٍ ؟ وعُبَّادُ الهند لا يمشون إلا عراة ، ولا يلتبسون من الدنيا بشىء أصلًا ، فأين هذا من هذا لو عقلوا ؟! ولم ير قط أشد صريمة(٥١) من جاهل مقلّد ، لا سيما إذا اتفق أن يقال(٥٢) له يا أسود يا ضعيف ، وإن شئت فتأمل أساقفة النصارى وقسيسهم وحثالتهم تجدهم جملة(٥٣) أفسق الخلق ، وأرياهم(٥٤)، وأجمعهم للمال ، لا سبيل أن تجد منهم واحدًا بخلاف هذا ، وكذلك إن اعتبروا بصبر أوائلهم للقتل على دينهم ، حتى عملوا لهم الشائنات إلى اليوم ،فإن ذلك لا يتحرى(٥٥) من صبر المَنَّانية على القتل فى الثبات على دينهم ، ومن صبر دعاة القرامطة على القتل أيضًا ، وكل هذا لا يتعلق به إلا جاهل سخيف ، مقلد متهالك ، وإنما الحق فيما أوجبته براهين العقول ، والتى وضعها الله تعالى فينا لتمييز الحق من الباطل ، ونبا بها عن البهائم فقط ، ثم فى الاعتدال والاقتصار على ما جاء به صاحب الشريعة ، التى قام البرهان بصحتها عن الله تعالى ، وجماع ذلك ما جرى عليه أصحاب رسول الله ﷺ فى حياته وبعده عليه السلام .

* * *

وقال أبو محمد : وبقى لهما اعتراضان نذكرهما إن شاء الله تعالى :

أحدهما : أن قالوا قال الله عز وجل فى كتابكم ، حكاية عن المسيح عليه السلام ، أنه

---

(٤٨) فى (أ ، ب) : (والمطوس) وهو تحريف .

(٤٩) فى (أ ، ب) : « الهنود » .

(٥٠) البُدُّ : بضم الباء بيت فيه أصنام وتصاوير وهو تعريب كلمة (بُتّ) بالفارسية . وقال ابن مديد البد : الصنم نفسه الذى يعبد ولا أصل له فى اللغة (لسان العرب) .

(٥١) فى (أ ، ب) : (جريمة) . والصريمة : القطعة من الليل لأنها تنصرم وقت السحر . والصريمة العزيمة ، وقطع الأمر ، والقطعة من معظم الرمل . (محيط المحيط : للمعلم بطرس البستانى) .

(٥٢) فى (أ ، ب) : جاءت العبارة هكذا : « إذا اتفق أن يكون سوداويًا ضعيفًا » وهو تحريف ظاهر .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (جتا لاقتهم .. جفلة) وهو تحريف ظاهر .

(٥٤) فى (أ ، ب) : (وأزناهم) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (لا يتجزّى) .

قال : « مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ(٥٦) » .

وقال تعالى أيضًا مخاطبًا للمسيح عليه السلام : « إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(٥٧) » .

قلنا نعم هذا خبر حق ، ووعد صدق ، وإنما أخبر تعالى عن المؤمنين ولم يسمهم ، ولا شك فى أن من ثبت عليه الكذب من « باطرة » و« متَّى » ، و« يوحنا » و« يعقوب » ليسوا منهم لكنهم من الكفار المدعين له الربوبية كذبًا وكفرًا ، وأمَّا الموعودون بالنصرِ إلى يوم القيامة ، المؤمنون بالمسيح عليه السلام ، فهم نحن المسلمين المؤمنين به حقًا وبنبوّته ورسالته ، لا من كفر به وقال إنه كذّاب ، أو قال إنه إله أو ابن الله – تعالى الله عن ذلك – .

والثانى : أنهم(٥٨) قالوا : إن فى كتابكم : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٥٩) » . وفيه « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنِ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ(٦٠) » .

فهلا قلتم فيما فى التوراة والإنجيل كما تقولون فيما فى كتابكم ؟

قلنا بين الأمرين فرق بيِّن(٦١) كما بين قطبى الفلَك ، وذلك أن الذى فى القرآن ظاهر لا يحتاج فيه إلى تأويل ، فمعنى « وجاء ربك » « ويأتيهم الله » هو أمر معلوم فى اللغة التى بها نزل القرآن ، مشهور فيها تقول : جاء الملك وأتانا الملك ، وإنما أتى جيشه وسطوته وأمره ، فليس فيما تلوتم أمر ينكر ، وليس كذلك ما كتب فى توراتكم وأناجيلكم ، من التكاذب والتناقض ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : واعترضوا أيضًا بأن قالوا : كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد خلاف(٦٢) فى قراءتكم له .. ؟ وبعضكم يزيد حروفًا كثيرة وبعضكم يسقطها .. ؟ فهذا باب وأيضًا : فإنكم تروون بأسانيد عندكم فى غاية الصحة ، أن طوائف نبيكم عليه السلام ومن تابعيهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرءوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدَّلة ، لا تستحلّون أنتم القراءة

---

(٥٦) سورة الصف : ١٤ .
(٥٧) سورة آل عمران : ٥٥ .
(٥٨) فى (أ ، ب) : (أن قالوا) .
(٥٩) سورة الفجر : ٢٢ .
(٦٠) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٦١) فى (خ) : لم تذكر كلمة (بيِّن) .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (الاختلاف) .

بها ، وأن مصحف عبد الله[٦٣] ابن مسعود خلاف مصحفكم ، وأيضًا فإن طوائِف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم يقولون إن عثمان بن عفان رضى الله عنه أبطل قراءات كثيرة صحيحة ،وأسقطها إذ كتب المصحف الذى جمعكم عليه ، وعلى حرف واحدٍ من الأحرف السبعة ، التى بها نزل القرآن عندكم ، وأيضًا فإن الروافض[٦٤] يزعمون أن أصحاب نبيكم بدّلوا القرآن ، وأسقطوا منه ، وزادوا فيه .

(٦٣) هو من أوائل المسلمين : هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وسكن على مقربة من المسجد ، شهد الغزوات كلها ، وقف إلى جانب أبى بكر فى حروب الردّة ، أرسله عمر إلى الكوفة ليشرف على بيت المال ويعلّم الناس أحكام الدين ، من كبار الصحابة ، ومن المحدّثين والمفسرين والفقهاء الأول ، يتحرّى فى الأداء ، ويشدّد فى الرواية والضبط . كتب بيده مصحفًا يسمى (مصحف ابن مسعود) . وفى مسند أحمد مجموعة رواياته . توفى سنة ٣٢ هـ بالمدينة وصلى عليه الزبير بن العوام (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٣ ص ٩٨٧ - ٩٩٤) .

(٦٤) الروافض : فرقة كبيرة من الفرق التى انحرفت عن الأسلام . سموا بذلك لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب امتنع أن يطاوعهم فى لعن أبى بكر وعمر . وقيل لأنهم رفضوا رأى الصحابة فى مبايعة أبى بكر وعمر . فهم غلاة فى حبٍّ على وبغض الشيخين وعائشة ومعاوية وآخرين من الصحابة . وهم الذين جعلوا الإمامة بعد الرسول ﷺ لعلى رضى الله عنه ، ثم اختلفوا فى الإمامة بعده اختلافًا كبيرًا حتى بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة ، والمشهور منها عشرون ، منها : الإمامية والكيسانية ، والخطابيه ، والزيديه والبائية والكاملية . (دائرة المعارف : بطرس البستانى - بتصرف) .

« الكلام فى بعض اعتراضات النصارى وبيان فسادها »

قال أبو محمد : كل هذا لا متعلق لهم بشىء منه على ما نبين بما لا إشكال فيه عند أحدٍ وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : إننا مختلفون فى قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها ، فليس هذا اختلافًا بل هو اتفاق منّا صحيح ، لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله ﷺ أنها نزلت كلها عليه ، فأىّ تلك القراءات قرأنا فهى قراءة صحيحة ، وهى محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص ، فبطل التعلق بهذا الفصل ولله تعالى الحمد .

وأمّا قوله ، إنه قد روى بأسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن التابعين الذين نعظم ونأخذ ديننا عنهم ، أنهم قرؤوا فى القرآن قراءآتٍ لا نستحل نحن القراءة بها ، فهذا حق ونحن وإن بلغنا الغاية فى تعظيم أصحاب نبينا ﷺ ورضوان الله عليهم ، وتقرّبنا إلى الله عز وجل بمحبتهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ، ولا نقلدهم فى شىء مما قالوه ، وإنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول ﷺ ،مما[1] هو عندهم بالمشاهدة والسماع ، لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم .

وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوا برأى أو[2] بظن فلا نقول بذلك ،ولو أنكم أنتم فعلتم

---

(١) فى (أ ، ب) : (مما) .

(٢) فى (أ ، ب) : (ويظن) بالواو .

كذلك بأحباركم وأساقفتكم الذين بينكم وبين الأنبياء عليهم السلام ما عنفناكم ، بل كنتم على صواب وهدى ،متبعين للحق المنزل ، مجانبين للخطأ المهمل ، لكن لما[٣] لما تفعلوا هكذا بل قلدتموهم فى كل ما شرعوه لكم هلكتم[٤] فى الدنيا والآخرة ، وتلك القراءات التى ذكرتم إنما هى موقوفة على الصاحب أو التابع ،فهى ضرورةً وهْمٌ من الصاحب ، والوهم لا يعرَّى منه أحد بعد الأنبياء عليهم السلام . أو وهم ممن دونه فى ذلك .

وأما قولهم : إن مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خلاف مصحفنا فباطل ، وكذب وإفك ، مصحف عبد الله بن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك ، وقراءته هى قراءة عاصم[٥] المشهورة عند جميع أهل الإسلام ، فى شرق الأرض وغربها ، نقرأ بها كما ذكرنا كما[٦] نقرأ بغيرها ، مما صح أنه كل منزل من عند الله تعالى ، فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم ، إن طائِفة من علمائنا الذين أخذنا ديننا عنهم ، ذكروا أن عثمان بن عفان رضى الله عنه إذ كتب المصحف الذى جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف ، من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها ، فهو مما قلنا . وهو ظن ظنّه ذلك القائِل أخطأ فيه وليس كما قال ،بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان رضى الله عنه لم يل[٧] إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين ، والمصاحف والمساجد والقراء يعلِّمون الصبيان والنساء ، وكل من دب وهب .

واليمن كلها ، وهى فى أيامه مدن وقرى ، والبحرين كذلك ، وعمان كذلك ، وهى بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم[٨]، ومكة والطائف ، والمدينة والشام ، كلها كذلك ، والجزيرة كلها كذلك ومصر كلها كذلك ، والكوفة والبصرة كذلك ، فى كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلًا .

وأما قولهم : إنه جمع الناس على مصحفٍ فباطل ؛ ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ، ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه ، إنما خشى عثمان رضى الله عنه أن يأتى فاسق يسعى فى كيد الدِّين ، وأن يَهُمَّ وَاهِمٌ من أهل الخير فيبدل شيئًا من المصحف[٩] عمدًا ، وهذا وَهْمٌ فيكون اختلاف يؤدى إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجمَعًا عليها ، وبعث إلى كل

(٣) ى (أ ، ب) : بدون (لما) .
(٤) ى (أ ، ب) : (فهلكتم) .
(٥) عاصم : هو ابن أبى النجود بهدلة الكوفى الأسدى بالولاء ، أبو بكر ، أحد القراء السبعة تابعى من أهل الكوفة ، ووفاته فيها . كان ثقة فى القراءات ء وله اشتغال بالحديث . مات سنة ١٢٧ هـ ٧٤٥ م (الأعلام : ٤ / ١٢) .
(٦) فى (أ ، ب) : وبغيرها .
(٧) فى (أ ، ب) : (لم يلك) .
(٨) فى (خ) : لا توجد كلمة (وملكها عظيم) .
(٩) فى الأصل زاد (ذلك) .

أفق مصحفًا ، لكى إن وهم واهم ، أو بدّل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه ، فانكشف الحقُّ وبطل الكيد والوهم .

وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ، ولو فعل عثمان ذلك وأراده لخرج عن الإسلام ، ولما مَطِل ساعة . بل الأحرف السبعة عندنا موجودة كلها قائمة ، كما كانت مثبوتة فى القراءات المشهورة والمأثورة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم فى دعوى الروافض تبديل القرآن(١٠)، فإن الروافض ليسوا من المسلمين ، إنما هى فرقة(١١) حدث أولها بعد موت رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام ، وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر ، وهى طوائف أشدهم غلوًا بالإلاهية على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبإلاهية جماعة معه . وأقلهم غلوًا يقولون : بأن الشمس ردت على على بن أبى طالب مرتين ، فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب أيستشنع منهم كذب يأتون به .. ؟ وكل من لم يزجره عن الكذب ديانته أو نزاهة نفس أمكنه أن يكذب ما شاء ، وكل دعوى بلا برهان فليس يشتغل(١٢) بها عاقل ، سواء كانت له أو عليه ، ونحن إن شاء الله تعالى نأتى بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض ، فيما افتعلوه من ذلك .

قال أبو محمد : مات رسول الله ﷺ والإسلام قد انتشر وظهر فى جميع جزيرة العرب ، من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم ، مارًا إلى سواحل اليمن كلها ، إلى بحر فارس إلى منقطعه مارًا إلى الفرات ، ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام ، إلى بحر القلزم .

وفى هذه الجزيرة من المدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا الله عز وجل ، كاليمن والبحرين ، وعمان ونجد ، وجبلى طىء ، وبلاد مضر وربيعة ، وقضاعة والطائف ، ومكة كلهم قد أسلم وبنوا المساجد ، ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا قد قرىء فيها القرآن فى الصلوات ، وعلمه الصبيان والرجال والنساء ، وكتب ومات عليه السلام ، والمسلمون كذلك ، ليس بينهم اختلاف فى شىء أصلًا ، بل كلهم أمة واحدة ، ودين واحد ، ومقالة واحدة ، ثم ولى أبو بكر رضى الله عنه سنتين وستة أشهر ، فغزا فارس والروم ، وفتح اليمامة وزادت قراءة الناس للقرآن ، وجمع الناس المصاحف كأبى بكر ، وعمر وعثمان وعلى وزيد ، وأبى زيد وابن مسعود ، وسائر الناس فى البلاد ، فلم يبق بلد إلّا وفيه المصاحف .

---

(١٠) فى (أ ، ب) : (القراءات) .
(١١) فى (أ ، ب) : (فرق) .
(١٢) فى (أ ، ب) : « يستدل » .

ثم مات رضى الله عنه والمسلمون كما كانوا لا اختلاف بينهم فى شىء أصلًا ، أمة واحدة ، ومقالة واحدة ، إلا ما حدث فى آخر حياة رسول الله ﷺ ، وأول ولاية[١٣] أبى بكر رضى الله عنه ، من ظهور **الأسود**[١٤] **العنْسى** فى جهة صنعاء ،ومسليمه[١٥] فى اليمامة ، يدعيان النبوة ،وهما فى ذلك مقران بنبوة محمد ﷺ معلنان بذلك ، وقد انقسم العرب ومن باليمن وغيرهم أربعة أقسام ، إثر موته عليه السلام ، فطائفه ثبتت على ما كانت عليه من الإسلام لم تبدِّل شيئًا ، ولزمت طاعة أبى بكر رضى الله عنه وهم الجمهور والأكثر .

وطائفة بقيت على الإسلام أيضًا ، إلا أنهم قالوا : نقيم الصلاة وشرائع الإسلام ، إلا أننا لا نؤدى الزكاة إلى أبى بكر ، ولا نعطى طاعةً لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، وكان هؤلاء كثيرًا إلا أنهم دون من ثبت على الطاعة ، ويبين هذا قول الحطيئة[١٦] العبسى .

« أطعنا رسول الله إذ كان بيننا .. فيالهفنا ما بال دين أبى بكر .

أيورثها بكرًا إذا مات بعده .. فتلك لعمْرو الله قاصمة الظهر .

وإن التى طالبتمُ فمنعتم .. لكالتمر أو أحَلى لدىَّ من التمر »

يعنى الزكاة ثم ذكر القبائِل الثابتة على الطاعة فقال :

« فيإست بنى سعد واستاه طى .. ويإست بنى دودان حاشى بنى نضر[١٧]» .

* * *

(١٣) فى (أ ، ب) : « خلافة » .

(١٤) هو : عيهلة بن كعب بن عوف العنسى المذحجى ذو الخمار ، متنبىء مشعوذ من أهل اليمن ، كان بطاشًا جبارًا ، أسلم مع القبائل اليمنية الأُولى التى وفدت على النبى ، ولكنه ارتد فى عهد النبى عليه السلام فكان من أوائل المرتدين فى الإسلام ، تغلب على نجران وصنعاء ، واتسع سلطانه لأنه كان صاحب حيل وأعاجيب استهواهم بها ، وقد اغتيل فى خبر طويل أورده ابن الأثير قبل وفاة النبى عليه السلام بشهر واحد .

(١٥) هو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى الوائلى ، أحد الذين ادعوا النبوة ، يضرب به المثل فى الكذب ، ولد ونشأ باليمامة فى وادى حنيفة من نجد ، وتلقب فى الجاهليه بالرحمن وقد أكثر من وضع الأسجاع التى يحاول بها مضاهاة القرآن الكريم ، حاربه خالد بن الوليد ، وخلص الإنسانية من شروره . (الأعلام : حـ ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

(١٦) الحطيئة العبسى : توفى ٤٥ هـ ٦٦٥ م ، وهو جرول بن أوس بْن مالك العبسى أبو مليكة ، شاعر مخضرم ، كان هجاء عنيفًا ، لم يكد يسلم من لسانه أحد ، وقد اشتهر بهجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب فسجنه بالمدينه حتى استعطفه بأبيات فتركه بعد أن دفع له بعض الصِّلات ليكف عن هجاء المسلمين ، وله ديوان شعر . (الأعلام : حـ ٢ ص ١١٠) .

« إبطال ما تمسكت به النصارى من بعض أقوال الرافضة »

قال أبو محمد : لكن والله بإستاه بنى نضْر ، وبإست الحطيئة ، حلت الدائرة والحمد لله رب العالمين .

وطائِفة ثالثة أعلنت الكفر والردة ،كأصحاب طليحة وسيجاح ، وسائِر من ارتد ، وهم قليل بالإضافة إلى من ذكرنا ، إلا أن فى كل قبيلة من المؤمنين من يقاوم المرتدين ،فقد كان باليمامة ثمامة بن(١) أثال الحنفى ، فى طوائف مسلمين ، محاربين لمسيلمة ، وفى قوم الأسود أيضًا كذلك ، وفى بنى تميم ، وبنى أسد الجمهور من المسلمين ، وطائفة رابعة توقفت فلم تدخل فى أحد من الطوائف المذكورة ، وبقوا يتربَّصون لمن تكون الغلبة كما لك(٢) بن نويرة وغيره ، فأخرج أبو بكر رضى الله عنه إليهم البعوث فقتل مسيلمة ، وقد كان فيروز ، وذادوند(٣) الفارسيّان الفاضلان رضى الله عنهما قتلا « الأسود العنسى(٤)» فلم يمض عام واحد(٥) حتّى راجع الجميع الإسلام ، أوّلهم

(١) البيت كما ورد فى الديوان .
فَبِـاسْتِ بَنـى عَبْسٍ وأفنـاء طـىء … وبـاسْتِ بَنـى دُودَانَ حاشا بنـى نصـر

(٢) هو ابن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعى ، فارس وشاعر ، يضرب به المثل فيقال : فتًى ولا كمالك ولّاه الرسول ﷺ الصدقات على قومه من بنى يربوع ، ولما صارت الخلافة إلى أبى بكر ، اضطرب مالك فى أموال الصدقات وفرقها على قومه ، وقد قتله خالد بن الوليد فى حروب الردّة وله قصة تذكرها كتب السير (الأعلام حـ ٦ / ١٤٥) .

(٣) فى (أ ، ب) : « ودادويه » والصواب أنه (داذويه) كما ورد فى الكامل لابن الأثير حـ ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٤) قصة مقتله رواها ابن الأثير فى الكامل مفصلة ، وخلاصتها : أن الأسود العنسى حين علم بمرض النبى ﷺ بعد عودته من حجة الوداع ادّعى النبوة ، وتمكن بسحره وشعوذته أن يفتن الناس وكون جيشًا كثيفًا تغلب به على بلاد اليمن كلها حتى خضعت له ، وأعمل القتل فى الرؤساء فقتل شهر بن باذان عامل النبى عليه السلام على صنعاء وتزوج امرأته ، وأحس قائد جيشه قيس بن عبد يغوث بأنه يريد أن يغدر به وكان يضمر الإسلام فاتفق مع فيروز وداذويه ، وكانا قريبين من الأسود لقرابة فيروز لزوجته آزاد التى تزوجها بعد مقتل زوجها ، وجاءت كتب النبى ﷺ تأمر بقتله إما مصادمة أو غيلة ، فدبَّر « فيروز » و« داذويه » الأمر مع زوجته وهجما عليه ليلًا وقتلاه ، وانتهت فتنته بعد أن دامت ثلاثة أشهر ، وكان مقتله أول بشارة لأبى بكر رضى الله عنه بعد أن ولى الخلافة فى آخر ربيع الأول (الكامل لابن الأثير : ١ / ٢٢٧ – ٢٣١ بتصرف) .

(٥) فى (خ) : سقطت كلمة (واحد) .

عن آخرهم ، وأسلمت سجاح[٦] وطليحة وغيرهم ، وإنما كانت نزغة من الشيطان كنارٍ اشتعلت فأطفأها الله تعالى للوقت ، ثم مات أبو بكر وولى عمر رضى الله عنهما ، ففتحت بلاد فارس طولًا وعرضًا ، وفتحت الشام كلها والجزيرة ، ومصر كلهّا ، ولم يبق بلدٌ إلّا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت[٧] المصاحف ، وقرأ الأئمة القرآن وعلّمه الصبيان ، فى المكاتب شرقًا وغربًا ، وبقى كذلك عشرة أعوامٍ وأشهرًا والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم ، فى شيء بل ملّةٌ واحدة ، ومقالة واحدة ، وإن لم يكن عند المسلمين إذ مات عمر مائة ألف مصحف ،من مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن ، فما بين ذلك ، فلم يكن أقل .

ثم ولى « عثمان » رضى الله عنه فزادت الفتوح ، واتسع الأمر ، فلو رام أحدٌ إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر ، وبقى كذلك اثنى عشر عامًا حتّى مات ، وبموته حصل الاختلاف ، وابتدأ أمر الرّوافض[٨].

واعلموا أنه لو رام أحدٌ أن يزيد فى شعر النابغة[٩] أو شعر زهير[١٠] كلمة أو ينقص أخرى ، ما قدر لأنه كان يفتضح للوقت[١١]، وتخالفه النسخ المثبوتة ، فكيف والقرآن فى المصاحف .. ؟ وهى من آخر الأندلس وبلاد البربر وبلاد السودان ، إلى آخر « السند » و« كابل » ، و« خراسان » و« الترك » ، و« الصقالبة » ، وبلاد الهند ، فما بين ذلك . فظهر حمق الرَّافضة ومجاهرتها بالكذب .

وممّا يبيّن كذب الروافض فى ذلك ، أن عليَّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى هو عند أكثرهم إله خالق ، وعند بعضهم نبيٌّ ناطق ، وعند سائرهم إمام معصوم ،مفترضة[١٢] طاعته – ولى الأمر وملك فبقى خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ،

---

(٦) سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية من بنى يربوع ، متنبئة مشهورة شاعرة أديبة ، عارفة بالأخبار ، نبغت فى زمن الردة ، وادعت النبوة بعد وفاة النبى ﷺ وكانت فى بنى تغلب بالجزيرة ، وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب ، فكرت فى غزو أبى بكر ، فنزلت باليمامة ، وقيل كان معها أربعون ألفًا ، سمع بها مسيلمة الكذاب فتزوجها ، أدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين فانصرفت راجعة إلى الجزيرة ، ثم بلغها مقتل مسيلمة فأسلمت وهاجرت إلى البصرة ، وتوفيت فيها ، وصلى عليها سمرة بن جندب والى البصرة من قبل معاوية . (الأعلام : ٤ / ٧٣) .

(٧) فى (أ ، ب) : ونسخت فيه .

(٨) الروافض : سبق الحديث عنها ص ١١٤ من هذا الجزء .

(٩) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى ، جاهلى من الطبقة الأولى من أهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها ، وهو أحد الأشراف فى الجاهلية ، كان حظيا عند النعمان بن المنذر ، له ديوان مشهور ، عمّر طويلًا ، وقد كتب عنه كثير من الباحثين منهم : عمر الدسوقى ، جميل سلطان ، سليم الجندى (حـ ٣ من الأعلام ص ٩٢) .

(١٠) هو : زهير بن أبى سلمى ، ربيعة بن رياح المزنى من مضر ، حكيم الشعراء فى الجاهلية ، ومن أصحاب المعلقات ورث الشعر عن أبيه وخاله ، وكانت أخته شاعره ، وابناه كعب وبجير ، ولد فى مزينة بنواحى المدينة ، له ديوان ترجم كثير منه إلى الألمانية ، وقد ألف فيه المستشرق الألمانى ، ديروف كتابًا (الأعلام : حـ ٣ ص ٨٧) .

(١١) فى (أ) : (الوقت) وهو تحريف .

(١٢) فى (أ ، ب) : مفروضة .

ظاهر الأمر ، ساكنًا بالكوفة ، مالكًا للدنيا ، حاشا الشّام ومصر والفرات(١٣) ، والقرآن(١٤) يقرأ فى المساجد وفى(١٥) كل مكان ، وهو يؤم الناس به ،والمصاحف معه وبين يديه ، فلو رأى فيه تبديلًا كما تقول الرّافضة أكان يقرّهم(١٦) على ذلك .. ؟

ثم ولى(١٧) ابنه الحسن رضى الله عنه(١٨)، وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك . كيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا : إنّ فى المصحف حرفًا زائدًا أو ناقصًا أو مبدّلًا مع هذا .. ؟ ولقد كان جهاد من حرّف القرآن ، وبدّل الإسلام ، أو كد عليه من قتال أهل الشام الذين إنّما خالفوه فى رأى يسير رأوه ، ورأى خلافه فقط ، فلاح كذب الرّافضة ، ببرهانٍ لا محيد عنه . والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١٣) فى (أ) : (إلى الفرات) .
(١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (والقرآن) .
(١٥) فى (أ) : (فى كل مكان) بعير واو العطف .
(١٦) فى (أ) : « يقرّ » .
(١٧) فى (أ) : (إلى ابنه) .
(١٨) الحسن بن على (٣ – ٥٠ هـ) (٦٢٤ – ٦٧٠) : هو أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشددين وآخرهم ، وثانى الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ولد فى المدينة المنورة ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو أكبر أولادها وأولهم ، كان عاقلًا حليمًا محبًا للخير ، فصيحًا من أحسن الناس منطقًا وبديهة حج عشرين حجة ماشيًا . بايعه أهل العزاق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سفيان فأطاعهم وزحف بمن معه ، وبلغ معاوية خبره فقصده بجيشه وتقارب الجيشان فى موضع يقال له : « مسكن » بناحية من الأنبار ، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون فكتب إلى معاوية يشترط شروطًا للصلح ، ورضى معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس عام ٤١ هـ وسمى هذا العام عام الجماعة ، وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفى مسمومًا فى قول بعضهم ، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام ، وولد له أحد عشر ابنا وبنتا واحدة (الأعلام : ٢ / ٢١٣) .

« كيف تمَّ نقل القرآن وأمور الدِّين »

قال أبو محمَّد رضي الله عنه : ونحن إن شاء الله تعالى نذكر صفة وجوه النقل الذى عند المسلمين لكتابهم ودينهم ، ثم[1] لما نقلوه عن أئمتهم حتّى يقف عليه المؤمن والكافر ، والعالم والجاهل عيانًا إن شاء الله تعالى فيعرفون أين نقْلُ سائِر الأديان من نقلهم ، فنقول وبالله تعالى التوفيق .

إنَّ نقل المسلمين لكلٍّ ما ذكرنا ينقسم أقسامًا ستة :

أولها : شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن[2] أمثالهم جيلًا جيلًا ، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر ، منصف غير معاند للمشاهدة ، وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الأرض وغربها لا يشكُّون ولا يختلفون فى أنَّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عزَّ وجل[3] أوحى به إليه ، وأنَّ من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا . ومن ذلك الصلوات الخمس ، فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ، ولا يشك أحد فى أنَّه صلَّاها بأصحابه كلَّ يوم وليلة فى أوقاتها المعهودة ، وصلَّاها كذلك كلُّ من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم هكذا إلى اليوم ، لا يشكُّ أحدٌ فى أنَّ أهل السند يصلّونها كما يُصليها أهل الأندلس ، وأن أهل أرمينية يصلّونها كما يصليها أهل اليمن ، وكصيام شهر رمضان فإنه لا يختلف كافر ولا مؤمن ،

---

(١) فى (خ) : سقطت كلمة (ثم) .

(٢) فى (أ ، ب) : « عن أمثالهم » مرة واحدة .

(٣) فى (خ) : « أن الله تعالى » .

ولا يشك أحدٌ فى أنه صامه رسول الله ﷺ ، وصامه معه كل من اتبعه فى كل بلد كلَّ عام ثم كذلك جيلًا فجيلًا[٤] إلى يومنا هذا ، وكالحج فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحدٌ فى أنه عليه السلام حج مع أصحابه ، وأقام مناسك[٥] الحج ، ثم حجّ المسلمون من كل أفق من الآفاق[٦] كل عام فى شهر واحد معروف إلى اليوم ، وكجملة الزكاة ، وكسائِر الشرائع ، التى فى القرآن من تحريم القرائب والميتة والخنزير ، وسائِر شرائع الإسلام وكآياته من شق[٧] القمر ، ودعاء اليهود[٨] إلى تمنّى الموت ، وسائِر ما هو فى نصّ القرآن مقروء ومنقول ، وليس عند[٩] اليهود ، ولا عند النّصارى من[١٠] هذا النقل شىء أصلًا ، لأنّ نقلهم لشريعة السّبت وسائِر شرائعهم إنما يرجعون فيها إلى التوراة . ويقطع[١١] عن نقل ذلك ونقل التوراة إطباقهم أن أوائلهم كفروا بأجمعهم ، وبرئوا من دين موسى عليه السلام ، وعبدوا الأوثان علانية دهورًا طوالًا ، ومن الباطل[١٢] المحال أن يكون ملك كافر عابد أوثان[١٣] وأمته كلّها معه ، كذلك يقتلون الأنبياء ويخنقونهم ، ويقتلون من دعا إلى الله عزَّ وجل ، يشتغلون بسبت أو بشريعة مضافة إلى الله تعالى ، هذا[١٤] الكذب الذى لا شك فيه .

ويقطع بالنصارى عن مثل هذا عدم نقلهم إلَّا عن خمسة رجال فقط قد[١٥] وضح الكذب عليهم إلى ما أوضحنا من الكذب الذى فى التوراة وفى[١٦] الإنجيل القاضى بتبديلهما بلا شك .

والثانى : شىء نقلته الكافّة عن مثلها عن مثلها[١٧] حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله

---

(٤) فى (أ ، ب) : « جيلا حيلا » .

(٥) فى (أ ، ب) : « المناسك » .

(٦) فى (خ) : من الدنيا .

(٧) شق القمر : قال الإمام أحمد عن أنس قال : سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين . وقال البخارى بسنده عن أنس ابن مالك : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما . (أخرجاه فى الصحيحين من حديث شيبان عن قتادة . ومسلم من حديث شعبة عن قتادة) .

(٨) دعاء اليهود إلى تمنى الموت : وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين : (البقرة : ٩٤ ، ٩٥) أخرج ابن جرير عن أبى العالية قال : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ، فأنزل الله الآية . كما وردت الإشارة إلى ذلك فى سورة الجمعة حيث يقول تعالى : « يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (الجمعة : ٦) .

(٩) فى (أ ، ب) : (عن) بدلًا من (عند) .

(١٠) فى (أ ، ب) : (فى) بدلًا من (من) .

(١١) فى (أ ، ب) : ويقطع فقل ذلك ... إطباقهم .

(١٢) فى (أ ، ب) : سقطت (ومن الباطل) .

(١٣) فى (أ ، ب) : (هو وأمته) .

(١٤) فى (أ ، ب) : عن هذا الكذاب .

(١٥) فى (أ ، ب) : (وقد) .

(١٦) فى (أ ، ب) : (والإنجيل) بغير (فى) .

(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عن مثلها) الثانية .

ﷺ ، ككثير من آياته ومعجزاته التى ظهرت يوم الخندق ، وفى تبوك بحضرة الجيش[١٨]. وككثير من مناسك الحج ، وكزكاة التمر والبرّ والشعير ، والورِق والإبل والذّهب والبقر والغنم ، ومعاملته أهل خيبر[١٩]، وغير ذلك كثير مما يخفى على العامّة ، وإنما يعرفه كوافّ أهل العلم فقط ، وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شىء أصلًا ، لأنه يقطع بهم دونه ما قطع بهم دون النقل الذى ذكرنا قبل من إطباقهم[٢٠] على الكفر الدّهور الطوال ، وعدم اتصال[٢١] الكافة إلى عيسى عليه السلام .

والثالث : ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ به[٢٢] إلى النبى ﷺ ، يخبر كل واحد منهم باسم الذى أخبر عنه ونَسبِه ، وكلُّهم معروف الحال والعين ، والعدالة والزمان والمكان ، على أن أكثر ما جاء هذا المجىء فإنه منقولٌ نقل الكواف إلى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وإمّا إلى الصاحب وإمّا إلى التّابع ، وإماّ إلى إمام أخذ عن التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن ، والحمد لله رب العالمين .

وهذا نقل خصَّ الله عزَّ وجل به المسلمين دون سائِر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضًّا جديدًا على قديم الدّهور مذ أربعمائة عام وخمسين عامًا[٢٣] فى المشرق والمغرب ، والجنوب والشمال يرحل فى طلبه من لا يُحصِى عددَهم إلّا خالقهُم ، إلى الآفاق البعيدة ، ويواظب على تقييده من كان من الناقل[٢٤] قريبًا منه ، قد تولّى الله تعالى حفظه عليهم ، والحمد لله رب العالمين ، فلا تفوتهم زلة فى كلمة فما فوقها فى شىء من النقل إن وقعت لأحدهم ، ولا يمكن لفاسق أن يقحم فيه كلمة موضوعة ، ولله تعالى الشكر .

وهذه الأقسام الثلاثة هى التى نأخذ ديننا منها ، ولا نتعدّاها إلى غيرها ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٨) قال ابن إسحاق أصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله إن الله عزَّ وجل قد عودك فى الدعاء خيرًا فادع لنا : قال رسول الله تحب ذلك يا أبا بكر قال : نعم يا رسول الله فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى أرتوى الناس واحتملوا حاجاتهم من الماء . (سيرة ابن هاشم - القسم الثانى ٥٢٢ ، وصحيح مسلم حـ ١٥ ص ٤٢) .

(١٩) قال ابن إسحاق أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسعها ، وقال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت . فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكًا استرحت منه ، وإن كان نبيًا فسيخبر . قال ابن اسحاق فتجاوز عنها رسول الله ﷺ (سيرة ابن هشام : القسم الثانى ٣٣٨ ، وصحيح البخارى حـ ٧ : ص ١٨٠ بتصرف) .

(٢٠) فى (ح) : (قبل إطلاقهم) .

(٢١) فى (أ ، ب) : (إيصال) .

(٢٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) .

(٢٣) أى حتى عهد ابن حزم مؤلف هذا الكتاب .

(٢٤) فى (أ ، ب) : (الناقد) .

والرابع : شيء نقله أهل[٢٥] المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة عن أمثالهم إلى أن يبلغ إلى من ليس بينه وبين النبى ﷺ إلّا واحد فأكثر ، فسكت ذلك المبلوغ إليه عن من أخبره بتلك الشريعة عن النبى ﷺ ، فلم يُعرف من هو ، فهذا نوع يأخذ به كثير من المسلمين ، ولسنا نأخذ به ألبتة ، ولا نضيفه إلى النبى ﷺ إذ لم يُعرف من حدّث به عن النبى ﷺ وقد يكون غير ثقة ، ويعلم منه غير الذى روى عنه ما لم يعرف منه الذى روى عنه . ومن هذا النوع كثير[٢٦] من نقل اليهود ، بل هو أعلى ما عندهم ، إلّا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا فيه من محمد ﷺ ، بل يقفون ولابدَّ حيث[٢٧] بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرًا ، فى أزيد من ألف وخمسمائة عام ، وإنما يبلغون بالنقل إلى هلال ، وشماى[٢٨]، وشمعون ، ومرعقيبا ، وأمثالهم ، وأظن أن لهم مسألة واحدة فقط يروونها عن حبر من أحبارهم عن نبىٍّ من متأخرى أنبيائهم ، أخذها عنه مشافهة فى نكاح الرّجل ابنته إذ مات عنها أخوه .

وأمّا النصارى : فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطّلاق وحده فقط على أنَّ مخرجه من كذّاب قد صح كذبه .

والخامس : شيء نقل كما ذكرنا ، إما بنقل أهل المشرق والمغرب ، أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى النبى ﷺ إلّا أن فى الطريق رجلًا مجروحًا[٢٩] يكذب أو غفلة ، أو مجهول الحال ، فهذا أيضًا يقول به بعض المسلمين ، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ، ولا الأخذ بشيء منه ، وهذه صفة نقل اليهود والنّصارى فيما أضافوه إلى أنبيائهم لأنه يقطع بكفرهم[٣٠] بلا شك ولا مرية .

والسادس : نقلٌ نُقِلَ بأحد الوجوه التى قدّمنا ، إما بنقل من بين المشرق والمغرب أو بالكافة ، أو بالثقة عن الثقة ، حتى يبلغ ذلك إلى صاحب أو تابع ، أو إمام دونهما — أنه قال كذا ، أو حكم بكذا غير مضاف ذلك إلى رسول الله ﷺ كفعل أبى بكر رضى الله عنه فى سبى أهل الردّة[٣١]، وكصلاة الجمعة صدرالنهار ، وكضرب عمر رضى الله عنه الخراج ، وإضعافه القيمة على رقيق حاطب وغير ذلك كثير جدًّا .

---

(٢٥) فى (ح) : (من بين المشرق) .
(٢٦) فى (ح) : (هو كثير) .
(٢٧) فى (ح) : (بحيث) .
(٢٨) فى (أ ، ب) : (وشمائى) .
(٢٩) فى (ح) : (مجرحًا) .
(٣٠) فى (أ ، خ) : (بهم كفار) .
(٣١) روى أن أبا بكر أمر أن توقد نار فى مصلى المدينة ثم رمى فيها إياس عبد ياليل مقيدًا من يديه ورجليه وذلك لأنه جاء إلى أبى بكر فطلب أن يعينه بالسلاح لمقاتلة أهل الردة ، فأعانه بالسلاح ولكنه استعمله فى قتال المسلمين والفتك بهم ، فلما أسر ألقى فى النار بأمر من أبى بكر . (الكامل : لابن الأثير ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

فمن المسلمين من يأخذ بهذا ، ومنهم من لا يأخذ به ، ونحن لا نأخذ به أصلًا ، لأنه لا حجة فى فعل[٣٢] أحدٍ دون من أمرنا الله تعالى باتباعه وأرسله إلينا ببيان دينه ، ولا يخلو فاضل من وَهْمٍ ، ولا حجة فيما[٣٣] يَهِم ، ولا يأتى الوحى ببيان وهمه .

وهذا الصنف من النقل هو صفة جميع نقل النصارى واليهود لشرائعهم التى هم عليها الآن ممّا ليس فى التوراة ، وهو صفة جميع نقل النصارى حاشا تحريم الطلاق ، إلَّا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا فى ذلك[٣٤] إلى صاحب نبيٍّ أصلًا ، ولا إلى تابع له ، وأعلى من[٣٥] يقف عنده النّصارى « شمعون » ثم « بولس » ثم أساقفتهم عصرًا عصرًا .

هذا أمر لا يقدر أحدٌ منهم على إنكاره ، ولا إنكار شىء منه ، إلّا أن يدَّعى أحدٌ منهم كذبًا من يطمع فى تجويزه عليه ممن يظن به جهلًا بما عنده فقط ، وأما إذا قرَّرهم على ذلك من يدرون أنه يعرف كتبهم ، فلا سبيل لهم إلى إنكاره أصلًا . وبالله[٣٦] تعالى التوفيق .

قال أبو محمد: ونقل القرآن وما فيه من إعلام النبى ﷺ كالإنذار بالغيوب ، وشق القمر ، ودعاء اليهود إلى تمنِّى الموت ، والنّصارى[٣٧] إلى المباهلة ، وجميع العرب إلى المجىء بمثل القرآن ، وتوبيخهم[٣٨] بالعجز عنه ، وتوبيخ اليهود بأنهم لا يتمنَّون الموت ، وقصة الطير الأبابيل ، ورميها أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وكثير من الشرائع ، وكثير من السنن فإنه نُقل كل ذلك عن[٣٩] اليمانى والمضرى ، والرَّبعى ، والقضاعى ، وكلهم أعداء متباينون متحاربون يقتل بعضهم بعضا ، ليس هنالك[٤٠] شىء يدعوهم إلى المسامحة فى نقلهم له ، ثم نقله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب ،

---

(٣٢) فى (خ) : سقطت كلمة (فعل) .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (فيمن) .

(٣٤) فى (خ) : سقطت (فى ذلك) .

(٣٥) فى (خ) : (ما تقف) .

(٣٦) فى (أ) : سقطت « وبالله تعالى التوفيق » .

(٣٧) دعا النبى ﷺ وفد نجران إلى المباهلة لما حاجوه فى أمر عيسى وادعوا أنه ابن الله ، فقال لهم النبى إنه كآدم خلقه الله من غير أب كما خلق آدم من تراب ، فكذبوا الرسول فقال لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فقالوا : حتى ننظر فى أمرنا ثم نأتيك فقال ذورأيهم واسمه (العاقب) لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا ، فودّعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى ، وقال لهم : إذا دعوت فأمنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية . رواه أبو نعيم . وعن ابن عباس قال : لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالًا ، ولا أهلًا ، وروى : لو خرجوا لاحترقوا . وإلى ذلك تشير الآيات فى قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا : ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . (٦١ آل عمران) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : « وبتوبيخهم » . وقد أشارت إلى هذا العجز آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (البقرة : ٢٣) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (اليمانى) بدون (عن) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : (هناك) .

وكانت العرب بلا خلاف قومًا لَقاحًا[٤١] لا يملكهم أحد كمضر[٤٢] وربيعة[٤٣]، وإياد[٤٤]، وقضاعة[٤٥]، أو ملوكًا فى بلادهم يتوارثون الملك كابرًا عن كابر كملوك اليمن وعمان ، وشهر[٤٦] ابن باذام ملك صنعاء ، والمنذر بن ساوى[٤٧] ملك البحرين ، والنجاشى[٤٨] ملك الحبشة ، وجيفر[٤٩] وعباد ابنى الجلندى ملكى عمان ، فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره ، وآمنوا به عليه السلام طوعًا وهم آلاف آلاف ، وصاروا إخوة كبنى أب وأم ، وانحلّ كلّ من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعًا بلا خلاف غزوٍ ولا إعطاء مال ، ولا يطمع فى عزٍّ بل كلهم أقوى جيشًا من جيشه ، وأكثر مالًا وسلاحًا منه ، وأوسع بلدًا من بلده[٥٠] « كذى الكلاع » وكان ملكًا متوَّجا ابن ملوك متوّجين ، تسجد له جميع رعيته ، يركب أمامه ألف عبدٍ من عبيده سوى بنى عمه من حمير ، وذى ظليم ، وذى زود ، وذى مران ، وذى عمرو ، وغيرهم كلهم ملوك متوجون فى بلادهم ، هذا كله أمر لا يجهله أحد من حملة الأخبار ، بل هو منقول كنقل كون بلادهم فى مواضعها ، وهكذا كان إسلام جميع العرب ، وأولهم الأوس والخزرج ، ثم سائرهم قبيلة قبيلة ، لما ثبت عندهم من آياته ، وبهرهم من معجزاته ، وما اتبعه الأوس والخزرج إلّا وهو شريد[٥١] طريد ، قد نابذه قومه حسدًا له ، إذ كان فقيرًا لا مال له ، يتيما لا أب له ولا أخ له ، ولا ابن أخ ولا ولد ، أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ فى بلاد الجهل ، يرعى غنم قومه بأجرة يتقوّت بها ، فعلّمه الله تعالى الحكمة دون معلم ، وعصمه من كل من أراده بلا حرس ولا حاجب ولا بوَّاب ، ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وفُتَّاكهم ،

---

(٤١) تقاح : كسحاب : الحىّ الذين لا يدينون للملوك ، أو لم يصبْهم فى الجاهلية سباء . (القاموس المحيط) .

(٤٢) مضر : هو مضر بن نزار وإليه ينسب الشعب المعروف الذى تنسب إليه قريش وغيرها ، وينسب إلى مضر من الخلق العلماء وغيرهم ما لا يحصى . (اللباب فى تهذيب الأنساب حـ ٣ : ٢٢٢ بتصرف) .

(٤٣) ربيعة : إحدى قبائل العرب تنسب إلى ربيعة بن نزار صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم صلاة الله عليهما . (اللباب فى تهذيب الأنساب) .

(٤٤) إياد : قبيلة تنسب إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان . (اللباب) .

(٤٥) قضاعة : اختلف فى قضاعة فقيل : إنه من معد وقيل من اليمن . وينتسب إلى قضاعة شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة منهم (كلب وجهينة وغيرها) . (المصدر السابق) .

(٤٦) ى (أ ، ب) : (شهر بن بارام) .

(٤٧) المنذر بن ساوى : هو صاحب البحرين ، وتسمى الآن الأحساء ، وهو من بنى تميم ، وقد وجه النبى عليه السلام إليه العلاء بن الحضرمى بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فأسلم (النور اليقين : لأبى الحسن الندوى : ٢٠٠ ، والسيرة النبوية : ٢٤٣) .

(٤٨) النجاشى : ملك الحبشة ، وهو لقب كان يلقب به كل من يملك الحبشة ، وقد اضطربت الروايات فى تعيين هذا النجاشى الذى كتب إليه رسول الله كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام وقد ذكر عن الواقدى وغيره من أهل السيرة أنه هو الذى صلى عليه رسول الله ﷺ فى رجب سنة تسع منصرفه من تبوك . (السيرة النبوية : لأبى الحسن على الحسنى الندوى : ٢٤٢) .

(٤٩) جيفر وعبادا بنى الجلندى : كانا حاكمين على عمان ، وكان جيفر هو الملك ، وكان أسَّن من أخيه . وكلمة الجلندى : هى لقب وقد تعنى : (فيلا أو كاهنًا) فى لهجات أهل عمان . ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب إليهما فأسلما وحسن إسلامهما . (السيرة النبوية) . وفى (أ) (عياذ) وهو تحريف .

(٥٠) فى (خ) : سقطت من (بلده) .

(٥١) فى (أ) : (فريد طريد) .

كعامر بن الطفيل ، وأربد بن جزء[٥٢]، وغورث بن الحارث ، وغيرهم مع إقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطليحة ، والأسود ، وهو مكذّب لهم ، فهل بعد هذا برهان أو بعد هذه الكفاية من الله تعالى كفاية .. ؟ وهو لا يبغى دُنْيَا ، ولا يمنّى بها من اتبعه بل أنذر الأنصار بالأثرة عليهم بعده ، وبايعوه[٥٣] على الصّبر على ذلك ، قام له أصحابه على قدمٍ فمنعهم وأنكر ذلك عليهم ، وأعلمهم أن القيام لله تعالى لا لخلقه ، ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره إلّا لله وحده ، ولا شكَّ فى أنَّ هذه ليست صفة طالب دنيا[٥٤] أصلًا ، ولا صفة راغب فى غلبة ، أو بُعد[٥٥] صيت ، بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له أدنى فهم ، فهذا هو الحق لا ما تدّعيه النصارى من الكذب البحت ، فى أن الملوك دخلوا دينهم طوعا ، وقد كذبوا فى ذلك لأنَّ أول ملك تنصّر « قسطنطين[٥٦]» بانى القسطنطينية بعد نحو ثلاثمائة عام من رفع المسيح عليه السلام ، فأىّ معجزة صحّت عنده بعد هذه المدّة ، وإنما نصَّرته أمّه لأنها كانت نصرانية بنت نصرانى تعشّقها أبوه فتزوجها ، هذا أمر لا تناكر بين النّصارى فيه ، والنشأة لا خفاء بما تؤثّره فى الإنسان ، وأمّا من اتّبع النبىَّ ﷺ فإنهم اتبعوه إذ بلغهم خبره فى حياته عليه السلام للآيات التى كانت له بحضرة جميع أصحابه كإعجاز القرآن ، وانشقاق القمر ، ودعاء اليهود[٥٧] إلى تمنّى الموت وإخبارهم بعجزهم عن ذلك ، وأنّهم لا يتمنونه أصلًا ، والإنذار بالغيوب ، ونبعان عين[٥٨] تبوك ، فهى كذلك إلى اليوم ، ونبعان الماء[٥٩] من بين أصابعه بحضرة العسكر ، وإطعامه

---

(٥٢) عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن جزء قدما على رسول الله ﷺ يريدان الغدر به ، ثم قال عامر لأربد : فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، ثم قال عامر بن الطفيل : يا محمد كن خلّالى ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ، فكرر عليه ذلك ، والرسول يرفض ، وعامر يشير إلى أربد فلم يفعل شيئًا ، عندها قال عامر بن الطفيل : يا محمد سأملأها عليك خيلًا ورجالًا فلما ولى ، قال رسول الله ﷺ اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، وقال عامر : عند خروجه لأربد : أين ما كنت أمرتك به ؟ قال أربد : والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك . أفاضر بك بالسيف . ورجعوا إلى بلادهم . وفى الطريق مات عامر بالطاعون فى عنقه ، وأما أربد ، فأرسل الله عليه صاعقة أحرقته مع جمله . ويقال بأنه هو الذى نزل فيه قول الله تعالى : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله ، وهو شديد المحال : سورة الرعد : ١٣ . (راجع سيرة ابن هشام حـ ٤ ص ١٣٤ ، ١٣٥) بتصرف .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (وتابعوه) .

(٥٤) فى (أ ، ب) : (قط أصلا) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (ولا بعد صوت) .

(٥٦) مرّ الحديث عنه فى ص ١٦٦ .

(٥٧) وإلى ذلك أشارت الآيات الكريمات . قال تعالى : « قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . (الجمعة : ٦ ، ٧) .

(٥٨) نبعان عين تبوك : قصتها : أن النبى ﷺ أقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلًا إلى المدينة ، وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق . فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئًا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يرقبه شيئًا . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله فلان وفلان فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئًا حتى آتيه !! ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم .

ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصبُّ فى يده ما شاء الله أن يصب . ثم نفخ به ومسحه بيده ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعوَ به فانخرق من الماء – كما يقول من سمعه – ما إن له حِسًّا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه . فقال رسول الله ﷺ ، لئن بقيتم من بقى منكم لتسمعُن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . (السيرة النبوية لابن هشام – باب حديث وادى المشقق ومائه) .

النفر الكثير(٦٠) من طعامٍ يسير مرارًا جمّةً بحضرة الجموع وإخباره بأكل الأرضة(٦١) كل ما فى الصحيفة المكتوبة على بنى هاشم ، وبنى المطلب حاشا أسماء الله تعالى فقط ، وإنذاره بمصارع(٦٢) أهل بدر بحضرة الجيش ، موضعًا موضعًا ، وبالنور الواقع فى(٦٣) سوط الطفيل بن عمرو الدّوسى ، وحنين(٦٤) الجذع بحضرة جميعهم ، ودفع أريد عنه ، وقضاء غرماء جابر(٦٥)، وتزويد عمر أربعمائة راكب من تمر يسير بقى بجنبه(٦٦)، ورميه هوازن بتراب عمَّ عيونهم(٦٧)، وخروجه بحضرة مائة من

---

(٥٩) نبعان الماء من بين أصابعه : قصة ذلك رواها الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض مخارجه ومعه ناس من أصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجد القوم ما يتوضأون به فقالوا : يا رسول الله ما نجد ما نتوضأ به ، ورأى فى وجوه أصحابه كراهية ذلك فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير فأخذ نبى الله فتوضأ منه ، ثم مدّ أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : هلموا فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء . قال الحسن . سئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين وهكذا رواه البخارى عن عبد الرحمن ابن المبارك العنسى .

وفى حديث ابن عباس أن الرسول سأل بعض أصحابه : هل عندك شىء ؟ قال : نعم ، قال : فائتنى به . قال : فأتاه بإناء فيه شىء من ماء قليل فجعل رسول الله أصابعه فى فم الإناء ، وفتح أصابعه قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون . رواه الطبرانى من حديث عامر .

(٦٠) إطعامه النفر الكثير قصته : أن جابر بن عبد الله كانت عنده شويهة غير سمينة قال : فقلت والله لوضعناها لرسول الله ﷺ ، قال . فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئًا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزًا ، وذبحت تلك الشاه فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله الانصراف عن الخندق – قال – وكنا نعمل فيها نهارنا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلينا – قال : قلت يا رسول الله إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى – وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده . قال فلما أن قلت له ذلك . قال : نعم . ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه . قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمَّى الله . ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . (السيرة النبوية لابن هشام : ٣ ط مصطفى البابى الحلبى ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ بتصرف) .

(٦١) قال ابن هشام : إن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : يا عم إنَّ الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم يدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت الظلم والقطيعة والبهتان . فقال : أربك أخبرك بهذا .. ؟ قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن كان كاذبًا دفعت إليكم ابن أخى . فقال القوم : رضينا ، وتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شرًا ، وعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

(٦٢) لما تهيأ رسول الله ﷺ لقتال المشركين يوم بدر أقبل على أصحابه فاستشارهم فقالوا له : والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. فقال ﷺ : أبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم . (الكامل لابن الأثير حـ ٢ ص ٨٤) .

(٦٣) الطفيل بن عمرو الدوسى : كان رجلا حكيماً شريفًا شاعرًا لبيبًا ، آمن بالرسول ﷺ ، وقال له : يا نبىّ الله إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه . قال : اللهم اجعل له آية .

قال فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على القوم ، وقع نور بين عينى مثل الصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ، إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثله وقعت فى وجهى لفراق دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأسى سوطى . قال : فجعل الناس يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط عليهم . (سيرة ابن هشام – بتصرف) .

(٦٤) قال البزار بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أنه كان يخطب إلى جدع نخلة ، فلما اتخذ المبر تحوّل إليه فحنَّ فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه فسكن وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة . وهكذا رواه ابن ماجة . وهذا إسناد على شرط مسلم .

(٦٥) قال البخارى بسنده : حدثنى جابر أن أباه توفى وعليه دين فأتيت النبى ﷺ فقلت : إن أبى ترك عليه دينا وليس عندى إلّا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معى لكى لا يفحش الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ، ثم آخر جلس عليه فقال : انزعوه فأوفاهم الذى لهم ، وبقى مثل ما أعطاهم . هكذا رواه هنا مختصرًا ، وقد أسنده من طرق عن عامر بن شراحيل .

(٦٦) فى (أ) : (من تمر يسير مشى بجنبه) وهو تحريف .

(٦٧) لما حمى الوطيس فى غزوة حنين ، وثبت النبى وفر كثير من المسلمين ، قال النبى ﷺ لبغلته دلدل : البدى دلدل فوضعت بطنها على الأرض فأخذ حفنة من تراب فرمى به فى وحوههم فكانت الهزيمة ، فما رجع الناس إلا والأسارى فى الحبال عند رسول الله ﷺ (الكامل : ٢ / ١٧٩ بتصرف) .

قريش ، وهم لا يرونه(٦٨)، ودخول الغار ، وهم عليه لا يرونه ، وفتح الباب فى حجر صلد فى جنب الغار لم يكن قط فيه ، ولو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لأنه ليس بين البابين إلا أقل من ثمانية أذرع ، وهو ظاهر إلى اليوم ، كل عام وكل حين يزوره أهل الأرض من المسلمين ، ولو رام فتح الباب الثانى فى ذلك الحجر أهل الأرض ما قدروا على إزاحته سالمًا عن مكانه ، ولو كان ذلك الباب هنالك حينئذ لرآه الطالبون له بلا مئونة ، ولأنهم لم يكونوا إلَّا جموع قريش لعلهم مِئون كثيرة ، وآثار رأسه المقدس فى ذلك الحجر ، وضاثار كتفه ومعصمه وظاهر يده باق إلى اليوم ، فعل الله تعالى ، نقل الكواف جيلًا عن جيل .

ورمى الجمار الذى يرميه ما لا يحصيه إلَّا تعالى كل عام ثم لا يزيد حجمه فى ذلك المكان .

ورمى الله تعالى جيش أبرهة صاحب الفيل إذ غزا مكه عام مولده ﷺ بالحجارة المنكرة بأيدى طير منكرة ، ونزلت فى ذلك سورة من القرآن متلوَّة إلى اليوم ، وكان ذلك ببركته عليه السلام وإنذاراته ، وشكوى البعير(٦٩) إليه ، وإبراء عينى علىٍّ من الرّمد(٧٠) بحضرة الجماعات فى ساعة . وسوخ قوائم فرس سراقة إذا(٧١) تبعه . ودرور الشاه(٧٢) التى لا لبن لها مرارًا ،

---

(٦٨) قال ابن إسحاق : « خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، وقد حاصر داره فتيان قريش ليقتلوه فأخذ حفنة من تراب فى يده فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو قول الله تعالى : « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين إلى قوله تعالى : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فلم يبق رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا فأخذ الله تعالى على أبصارهم فانصرف النبى من بينهم إلى حيث أراد أن يذهب (سيرة ابن هشام — القسم الأول ٤٨٣) .

(٦٩) قال الإمام أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفره حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذ فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلَّا شدَّ عليه ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ هاتوا خطامًا ، فخطمه ودفعه إلى صاحبه ، قال ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شىء بين السماء والأرض إلَّا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس . تفرد به أحمد ، ورواه جابر بسياق آخر ، وفى رواية مسلم من حديث مهدى بن ميمون أن رسول الله ﷺ قال لصاحبه : إنه شكا إلى أنك تجيعه وتتعبه .

(٧٠) عن سلمة بن عمرو قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه برايته وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ولم يكن فتح ، وقد جُهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرَّار ، فدعا رسول الله على بن أبى طالب وهو أرمد ، فتفل فى عينه ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك ، فما رجع حتى فتح الله على يديه (سيرة ابن هشام : حـ ٣ ص ٣٨٦ بتصرف ط دار الفكر ببيروت) .

(٧١) لما هاجر رسول الله ﷺ وجعلت قريش لمن يرده مائة من الإبل ، فخرج فى إثره سراقة بن مالك ، ويقول : كنت أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة ، فبينما فرسى يشتد بى عثر فسقطت عنه فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى إثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر فسقطت عنه فأبيت إلَّا أن أتبعه ، فركبت فى إثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى فذهبت يداه فى الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر ، فناديت وقلت : أنا سراقة انظرونى أكلمكم فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : قل له ، وما تبتغى منا ، فقال لى أبو بكر ، فقلت تكتب لى كتابًا يكون آية بينى وبينك ، فكتب لى كتابًا فى عظم ، ثم ألقاه إلىَّ فجعلته فى كنانتى ثم رجعت . (سيرة ابن هشام حـ ٢ ص ١٠٣ بتصرف) .

(٧٢) مرَّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر على مزرعة فيها غلام يرعى غنمه ، فقال له : يا غلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقال : إنى=

وتسبيح(٧٣) الطعام ، وكلام الذّئب(٧٤) ومجيئه ، وقوله للحكم إذ حكى مِشيته كن كذلك ، فلم يزل يرتعش إلى أن مات ، ودعاؤه للمطر فأتى للوقت وفى الصحو فانجلى(٧٥) للوقت . وظهور جبريل عليه السلام مرّتين مرة فى صورة دحية ، ثم أتى دحية بحضرة الناس ، وأخرى فى صفة رجل لم يعرفه أحد ، ولا رُئى بعدها . وقوله إذ خطب بنت الحارث بن عوف ابن أبى حارثة(٧٦) المرّى فقال : له أبوها : إنَّ بها بياضًا فقال لتكن كذلك فبرصت فى الوقت ، وهى أم شبيب بن البُرصاء الشاعر المشهور ، وغير هذا كثير جدًّا .

ومع ما ذكرنا من أن أوّل من تنصَّر من الملوك فقسطنطين بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام ، فوالله ما قدر على إظهار النصرانية حتى رحل عن رومة مسيرة شهر ، وبنى بزنطية وهى القسطنطينية ، ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف ، والعطاء وكان من عهوده المحفوظة ألَّا يولى ولاية إلّا من تنصّر ، والناس سراع إلى الدنيا ، نافرون عن الأذى(٧٧)، وكان مع هذا كله على مذهب أريوس(٧٨) لا على التثليث ، ولكن هذا من دعوى النصارى وكذبهم ، مضاف إلى ما يدّعونه من أنهم بعد هذه المدة الطويلة ، وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد(٧٩) مرة ، وبقائه خرابًا لا ساكن فيه نحو مائتى عام وسبعين عامًا ، وجدوا الشّوك الذى وضع على رأس المسيح

= مؤتمن ، ولست ساقيكما ، فقال النبى عليه السلام : هل عندك من جزعة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم . فأتيتهما بها فاعتقلها النبى ﷺ ، ومسح الضرع ، ودعا ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة ، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ، ثم قال للضرع ، اقلص فقلص ، فقال : فأتيته بعد ذلك ، فقلت علمنى من هذا القول ، قال : إنك غلام مُعلّم (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٥١ ط صيدا ببيروت) .

(٧٣) فى الحديث الذى رواه الترمذى قال : رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

(٧٤) قال الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الرّاعى فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتق الله ؟ تنزع منى رزقا ساقه الله إلىّ ، فقال : يا عجبىَ ذئب يكلمنى كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب ، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الرّاعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر الرسول فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعى أخبرهم فأخبرهم . فقال رسول الله ﷺ : صدق ، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذُه بما أحدث أهله بعده . وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقى وقال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب صَحيح . (البداية والنهاية : حـ ٦ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ط جديدة ومنقحه) .

(٧٥) فى (أ) : (فانحل) وهو تحريف . وقصة ذلك رواها البخارى : عن أنس بن مالك قال : أصابت الناسَ سَنَة (قحط) على عهد رسول الله ﷺ فبينما النبى يخطب فى يوم جمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا . قال أنس : فرفع النبى ﷺ يديه وما نرى فى السماء قزعة (غيمة صغيرة) فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب كأمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ ، قال أنس : فمطرنا ذلك اليوم ومن الغد وبعد الغد والذى يليه حتى الجمعة الأخرى . قال . وقام ذلك الأعرابى أو غيره فقال : يا رسول الله : تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : اللهم حو الينا ولا علينا ، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة (حوطة) وسال الوادى شهرًا ، ولم يجىء أحد من ناحية إلَّا حدّث بالجود . (صحيح البخارى : حـ ٢ : ١٥ - ٣٤) .

(٧٦) هى : جمرة ابنة الحارث بن أبى حارثة ، خطبها الرسول ﷺ فقال أبوها : بها سوء ولم يكن بها ، فرجع إليها فوجدها قد برصت . وهى خامسة النساء اللائى خطبهن النبى ولم يدخل بهن والأربعة الأخريات هن : أم هانىء بنت أبى طال ، وضباعة بنت عامر بن قشير ، وصفية بنت بشامة أخت الأعور العنبرى ، وأم حبيبة ابنة عمه العباس . (الكامل : ط/٢١١) .

(٧٧) فى (أ ، ب) : (الأدلى) .

(٧٨) فى (أ ، ب) : (بعد الأخرى) .

(٧٩) آريوس : آلهة الخصام والنزاع عند اليونان تثير الشقاق بين الآلهة والبشر (الموسوعة العربية الميسرة) .

بزعمهم ، والمسامير التى ضربت فى يديه ، والدّم الذى طار من جنبه ، والخشبة التى صلب عليها ، فلا أدرى ممّن العجب ؟!! ممن اخترع مثل هذه الكذبة الغثّة المفضوحة ، أم ممن قَبِلها وصدَّق بها ، ودان باعتقادها ، وصلّب وجهه للحديث بها ؟! ليت شعرى أين بقى ذلك الشوك وذلك الدَّم سالمين ؟ وتلك المسامير ، وتلك الخشبة طول[٨٠] تلك المدة ؟ وأهل ذلك الدّين مطرودون مقتولون كقتل من تستّر بالزّندقة اليوم ، وتلك المدينة خراب يباب[٨١] الدّهورَ الطوال ، لا يسكنها أحد إلا السباع والوحش ، وقد شاهدنا ملوكًا جلَّةً لهم الأتباع والأولاد والشيع والأقارب ، صُلبوا فما مضت إلَّا[٨٢] مدة يسيرة حتى لم يبق لتلك الخشب أثر ، فكيف بأمر[٨٣] من لا طالب له ، وبدول قد انقطعت ، وبلادٍ قد أقفرت وخلت ونُسيت أخبارها ؟!

وهذه البردة التى كانت للنبى ﷺ ، والقصعة والسيف على أن الدَّولة متّصلة لم تنخرم منذ حينئذ ، والحمد لله رب العالمين ، قد دخلت الدَّاخلة فى القصعة والسيف ، حتى لا يقين فيهما[٨٤] عندنا اليوم ، ولولا تداول الخلفاء للباس البردة أبدًا[٨٥] أبدًا فنقل أمرها جيلًا بعد جيل ، والمنبر كذلك لما قطعنا عليهما ، ولكنّ التداول لهما أمّة بعد أمة وهما قائمان ظاهران للناس ، هو أوجب اليقين بهما ، ورفع الشك فيهما ، وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ، ثم لم يلبث دين النّصارى أن مات قسطنطين أول من تنصّر من ملوك الدنيا ، ثم مات ابنه قسطنطين بن قسطنطين[٨٦]، وولى مَلِكٌ تَرَكَ النَّصرانية ، ورجع إلى عبادة الأوثان إلى أن مات ، ثم ولى رجل من أقارب قسطنطين فرجع إلى النصرانية .

وأمّا ديانة اليهود فما صفت فيها نيات بنى إسرائيل ، وموسى عليه السلام حيٌّ بين أظهرهم ، ومازالوا مائلين إلى إظهار عبادة الأوثان ، ثم تكذيبهم كلهم بالشريعة ، التى أتاهم بها بعد موته عليه السلام طبقة بعد طبقة إلى انقطاع دولتهم ، فكيف أن يتبعه غيرهم .؟ !!

* * *

قال أبو محمَّد : وبرهان ضرورى لمن تدبَّره ، حِسِّىٌّ لا محيد عنه ، وهو أنه لا خلاف بين أحدٍ من اليهود والنصارى ، وسائِرِ الملل فى أن بنى إسرائيل كانوا فى مصر فى أشدِّ عذاب ، يمكن

---

(٨٠) فى (أ ، ب) . (طوال) .
(٨١) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (يباب) .
(٨٢) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (إلَّا) .
(٨٣) فى (أ ، ب) : (أمر) .
(٨٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (فيهما) .
(٨٥) فى (أ ، ب) : (أبد الآبد) .
(٨٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (ابن قسطنطين) .

أن يكون من ذبح أولادهم ، وتسخيرهم فى عمل الطوب بالضرب العظيم ، والذّل الذى لا يصبر عليه كلب مطلق ، فأتاهم موسى عليه السلام يدعوهم إلى فراق هذا الأسر الذى قتل النفس أخف منه ، وإلى الحرية ، والملك ، والغلبة والأمن ، ومضمون ممن هو فى أقل من تلك الحال أن يسارع إلى كل من طمع[٨٧] على يديه بالفرج ، وأن يستجيب له إلى كل ما دعاه إليه ، وأن[٨٨] أكثر من فى هذا البلاء يستجيز عبادة من أخرجه منه لا سيما إلى العز والحرمة ، وكانوا أيضًا أهل عسكر مجتمع ، وبنى عمٍّ[٨٩] يمكن منهم التواطؤ ، ثم كانوا أهل بلد صغير جدًّا قد تكنّفهم الأعداء من كل جانب .

وأما عيسى عليه السلام فما اتبعه إلا نحو اثنى عشر رجلًا معروفين ونساء قليل ، وعدد لا يبلغ جميعهم وفى جملتهم الاثنى عشر إلّا مائة وعشرين فقط هكذا فى نصّ إنجيلهم ، وكانوا مشردين مطرودين[٩٠] غير ظاهرين ، ولا يقوم بمثل هذا[٩١] ضرورة يقينُ العلم .

وأمَّا محمدٌ ﷺ : فلا يختلف أحد فى شرق[٩٢] الأرض وغربها فى أنه عليه السلام أتى إلى قوم لقاح لا يقرّون بملك ، ولا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس ، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم مذ ألوف من الأعوام ، قد سرى الفخر ، والعزُّ ، والنخوة ، والكبر ، والظلم ، والأنفة ، فى طباعهم وهم أعداد عظيمة قد ملأوا جزيرة العرب ، وهى نحو شهرين فى شهرين ، قد صارت طباعهم طباع السباع ، وهم ألوف الألوف ؛ قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبدًا ، فدعاهم بلا مال ولا أتباع ، بل خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة ، ومن الحرّية والظلم إلى جرى الأحكام عليهم ، ومن طول الأيدى بقتل من أحبوا ، وأخذ مال[٩٣] من أحبّوا إلى القصاص من النفس . ومن قطع الأعضاء ، ومن اللطمة من أَجَلِّ من فيهم لأقل علج[٩٤] غريب دخل فيهم ، وإلى إسقاط الأنفة والفخر ، إلى ضرب الظهور بالسياط أو بالنّعال إن شربوا خمرًا ، أو قذفوا إنسانًا ، وإلى الضرب بالسياط[٩٥] والرّجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا ، فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعًا بلا طمع ولا غلبة ولا خوف ، وما منهم أحدٌ أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط ، وما غزا قط غزوة يقاتل فيها إلا تسع غزوات ، بعضها عليه ، وبعضها له ، فصحَّ ضرورة أنَّهم إنما آمنوا به طوعًا لا كرهًا ، وتبدّلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل ، ومن الجهل

(٨٧) فى (أ ، ب) : (يطمع) .
(٨٨) فى (خ) : (وإن من أكثر من) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : (بنو عمر) وهو تحريف .
(٩٠) فى (ح) : سقطت (مطرودين) .
(٩١) فى (أ ، ب) : (هؤلاء) .
(٩٢) فى (أ ، ب) : (مشرق) .
(٩٣) فى (خ) : لم تذكر هذه العبارة .
(٩٤) العلج : الرجل من كفار العجم . وفى حديث قتل عمر قال لابن عباس : قد كنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة (لسان العرب) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : (بالسّوط) .

إلى العلم ، ومن العسف(٩٦) والقسوة إلى العدل العظيم الذى لم يبلغه أكابر الفلاسفة ، وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثأر ، وصحب منهم الرَّجل(٩٧) قاتل أبيه وابنه ، وأعدى الناس له ، صحبه الإخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ، ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ، ولا مالٍ يتعجلونه .

فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة ، فهل هذا إلَّا بغلبةٍ من الله تعالى على نفوسهم .. ؟ وقسرِه عزَّ وجل لطباعهم ، كما قال تعالى : « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ(٩٨) ».

ثم بقى عليه السلام كذلك بين أظهرهم بلا حرس ، ولا ديوان جند ، ولا بيت مال محروسًا معصومًا ، وهكذا نقلت آياته ومعجزاته ، فإنّما(٩٩) يصح من أعلام الأنبياء عليهم السلام المذكورين ما نقله هو(١٠٠) عليه السلام لصحة الطريق إليه ، وارتفاع دواعى الكذب والعصبية جملة عن أتباعه فيه ، فجمهورهم غرباء من غير قومه لم يمنّهم بدنيًا ، ولا وعدهم بملك ، وهذا ما(١٠١) لا ينكره واحدٌ من الناس .

وأيضًا فإنَّ سيرة محمد ﷺ لمن تدبّرها تقتضى تصديقه ضرورة ، وتشهد له بأنه رسول الله حقًّا ، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى ، وذلك أنه عليه السلام نشأ كما قلنا فى بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ، ولا خرج عن تلك البلاد قط إلَّا خرجتين ، إحداهما : إلى الشام وهو صبىٌّ مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع . والأخرى : أيضًا إلى أول أرض الشام ، ولم يطل بها البقاء ، ولا فارق قومه قط ، ثم أوطأه الله تعالى على(١٠٢) رقاب العرب كلِّهم(١٠٣)، فلم تتغيَّر نفسه ، ولا حالت سيرته إلى أن مات ، ودرعه مرهونة فى شعير لقوت أهله أصواع ليست بالكثيرة ، ولم يبت قط فى ملكه درهم ولا دينار ، وكان يأكل على الأرض ما وجد ، ويخصف نعله بيده ، ويرقع ثوبه ، ويؤثر على نفسه . وقُتِل رجل من أفاضل أصحابه – وَفَقْدُ مِثْله يهدُّ عسكرًا – قتل(١٠٤) بين أظهر أعدائه من اليهود فلم يتسبب إلى أذى أعدائه بذلك ، إذ لم يوجب ربه تعالى له ذلك ، ولا توصل بذلك إلى دمائهم ، ولا إلى دم أحدٍ منهم ، ولا إلى أموالهم بل وداه من عند

(٩٦) فى (أ ، ب) : « الفسق » .
(٩٧) فى (أ ، ب) : « وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه » بالتقديم والتأخير .
(٩٨) سورة الأنفال : ٦٣ .
(٩٩) فى (أ ، ب) · (فأيما) .
(١٠٠) فى (أ ، ب) : (ما نقل عنه . . بصحة) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : « لا ينكره » بغير (ما) .
(١٠٢) فى (أ ، ب) : « سقطت كلمة (على) .
(١٠٣) فى (أ ، ب) · « كلها » .
(١٠٤) فى الأصل : « مثل فقده يهدّ عسكرا » .

نفسه بمائة ناقة ، وهو فى تلك الحال محتاج إلى بعير واحد يتقوّى به ، وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض وأهل الدنيا ، من[١٠٥] أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه ، ولا يقتضى هذا أيضًا ظاهر السيرة والسياسة ، فصحَّ يقينًا بلا شك أنه إنما كان متّبعًا ما أمره به ربه عزّ وجل كان ذلك مُضِرًّا به فى دنياه غاية الإضرار أو كان غير مضرٍّ به ، وهذا عجب لمن تدبّره ، ثم حضرته المنية ، وأيقن بالموت وله عمٌّ أخو أبيه هو أحب الناس إليه ، وابن عمٍّ هو من أخصِّ الناس به ، وهو أيضًا زوج ابنته التى لا ولد له غيرها ، وله منها ابنان ذكران وكلا الرجلين المذكورين عمه وابن عمه عندهما من الفضل فى الدين ، والسياسة فى الدنيا ، والبأس والحلم ، وخلال الخير ما كان كل واحدٍ منهما حقيقا بسياسة العالم كله ، فلم يحابهما ، وهما من أشدِّ الناس غناء به ومحبة فيه ، وهو من أحبِّ الناس فيهما ، إذ كان غيرهما متقدِّمًا لهما فى الفضل وإن كان بعيد النسب منه ، بل فوَّض الأمر إليه قاصدًا إلى أمْرِ[١٠٦] الحق ، واتباع ما أمر به ، ولم يورث ورثته ؛ ابنته ونساءه وعمه فَلْسًا فما فوقه ، وهم كلهم أحب الناس إليه ، وأطوعهم له ، وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية فى أنه إنّما تصرّف بأمر الله عزّ وجل له ، بسياسة ولا بهوى ، فوضح ما[١٠٧] ذكرنا والحمد لله كثيراً . أن نبوة محمد ﷺ حق وأن شريعته التى أتى[١٠٨] بها هى التى وضحت براهينها ، واضطرت دلائلها إلى تصديقها ، والقطع على أنّها الحق الذى لا حقَّ سواه ، وأنّها دين الله تعالى الذى لا دين له فى العالم غيره ، والحمد لله رب العالمين عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، على ما وفقنا من الملّة الإسلامية ، ثم على ما يسَّرنا عليه من النّحلة الجماعية السنية ، ثم على ما هدانا له من التدين ، والعمل بظاهر القرآن وبظاهر السنن الثابتة عنه ﷺ عن باعثه عزَّ وجل ، ولم يجعلنا ممن يقلد أسلافه وأحباره ، دون برهان قاطع ، وحجة قاهرة ، ولا ممن يتَّبع الأهواء المضلّة ، المخالفة لقوله ، وقول نبيّه ﷺ ، ولا ممن يحكم برأيه وظنه ، دون هُدًى من الله ورسوله .

اللهم كما ابتدأتنا بهذه النعمة الجليلة فأتمها علينا ، واصحبنا إيّاها ، ولا تخالف بنا عنها[١٠٩] حتّى تقبضنا إليك ونحن متمسكون بها فنلقاك بها غير مبدّلين ، ولا مغيّرين اللهم آمين يا رب العالمين . وصلّى الله[١١٠] على محمد عبدك ورسولك ، وخليلك ، وخاتم أنبيائك خاصة ، وعلى أنبيائك عامّة ، وعلى ملائكتك كافة ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

---

(١٠٥) فى (ح) سقطت كلمة (من) .
(١٠٦) فى (أ ، خ) : (كرِّ الحق) .
(١٠٧) فى (ب) : (بما) .
(١٠٨) فى (خ) : سقطت كلمة (أتى) .
(١٠٩) فى (ب) : (بها عنا) .
(١١٠) فى (ب) : (اللهم) .

«ذكر فصول يعترض بها جُهّال [1] الملحدين على ضعفة المسلمين»

قال أبو محمد : إنّا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا فى زماننا هذا ، وجدناهما قد تفاقم الداء بهما .

فأمّا إحداهما : فقد جلت المصيبة فيها وبها ، وهم قوم افتتحوا عنوان[2] فهمهم ، وابتداء[3] دخولهم إلى المعارف بطلب علم[4] العدد وبرهانه[5] وطبائعه ثم تدرجت[6] إلى تعديل الكواكب وهيئة الأفلاك ، وكيفية قطع الشمس والقمر والدرارى الخمسة وتقاطع فلكى ، النيرين ، والكلام فى الأجرام العلوية ، وفى الكواكب الثابتة وانتقالها ، وأبعاد كل ذلك وأعظامه ، وفيما دون ذلك من الطبيعيات ، وعوارض الجو ومطالعة شيءٍ من كتب الأوائل وحدودها التى نصبت فى الكلام ، وما مازج بعض ما ذكرنا من آراء الفلاسفة فى القضاء بالنجوم ، وأنها ناطقة مدبّرة ، وكذلك الفلك ، فأشرفت هذه الطائفة من أكثر ما طالعت مما ذكرنا على أشياء صحاح براهينها ضرورية لائحة ، ولم يكن معها من قوة المنة ، وجودة القريحة ، وصفاء النظر ما تعلم به أن من أصاب فى عشرة آلاف مسألة فجائز أن يخطىء فى مسألة واحدة ، لعّلها أسهل من المسائل التى أصاب فيها .

---

(١) فى (ب) : (جهلة) .
(٢) فى (أ ، ب) : (عنفوان) .
(٣) فى (أ ، ب) : (وابتدءوا) .
(٤) فى (خ) : سقطت كلمة (علم) .
(٥) فى (أ ، ب) : (تدرجوا) .
(٦) فى (ب) : (وبرواته) .

فلم تفرق هذه الطائفة بين ما صح مما طالعوه بحجة برهانية ، وبين ما فى أثناء ذلك وتضاعيفه مما لم يأت عليه من ذكره من الأوائل ، إلّا بإقناع أو بشغب وربما بتقليد ليس معه شىء مما ذكرنا ، فحملوا كل ما أشرفوا عليه محملًا واحدًا ، وقبلوه قبولًا مستويًا فسرى[٧] فيهم العجب ، وتداخلهم الزَّهو ، وظنّوا أنهم قد حصلوا على مباينة العالم فى ذلك ، وللشيطان موالج خفية ، ومداخل لطيفة ، كما قال رسول الله ﷺ : « إنه يجرى من ابن[٨] آدم مجرى الدّم » فتوصل إليهم من باب غامض نعوذ بالله منه ، وهو أنهم كما ذكرنا أصفار[٩] من كل شىء ، من علوم الديانة التى هى الغرض المقصود من كل ذى لب ، والتى هى نتيجة العلوم التى طالعوا لو عقلوا سبلها ومقاصدها ، فلم يعنوا[١٠] بآية من كتاب الله عزّ وجل الذى هو جامع علوم الأولين والآخرين ، والذى لم يفرّط فيه من شىء ، والذى من فهمه كفاه ، ولا بسنن[١١] من سنن رسول الله ﷺ التى هى بيان الحق ونور الألباب .

ولم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدّين إلّا أقوامًا لا عناية لهم بشىء مما قدمنا ، وإنما عنيت من[١٢] الشريعة بأحد ثلاثة أوجه :

إمَّا بألفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ، ولا يهتمون بفهمها .

وإمّا بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومنبعها[١٣]، وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم .

وإمَّا بخرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط ، لم يهتبلوا[١٤] قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ، ولا مرسل من مسند ، ولا ما نقل عن النبى ﷺ مما نقل عن كعب[١٥] الأحبار ، أو وهب[١٦] بن منبه عن أهل الكتاب . فنظرت الطائفة الأولى من هذه الآخرة بعين الاستهجان

---

(٧) ى (ب) : (فسترى) .

(٨) أخبرنا محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر عن جابر قال : وربما سألت عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : لا تدخلوا على المغيّبات فإنّ الشيطان يجرى وربما قال : يسلك الشيطان من ابن آدم مجرى الدّم قالوا : ومنك . قال : نعم . ولكنَّ الله أعاننى عليه فأسلم . (سنن الدارمى) .

(٩) فى (أ ، ب) : (أصغار) بالغين .

(١٠) فى (أ ، ب) : (فلم يعبأوا) .

(١١) فى (أ ، ب) : (بسنة) .

(١٢) ى (أ) : سقطت كلمة (من) .

(١٣) فى (ب) : (ومنبعثها) .

(١٤) لم يهتبلوا : اهتبل الرجل لأهله : اكتسب لهم . واهتبل الفرصة : اعتنمها – معجم متن اللغة .

(١٥) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع الحميرى أبو إسحاق الحبر . من مسلمة أهل الكتاب ، عن عمرو وصهيب . وعنه أبو هريرة وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين . قال ابن سعد توفى سنة ٣٢ هـ . فى خلافة عثمان . (تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) .

(١٦) وهب بن منبه هو : أبو عبد الله الصنعانى الذمارى ، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولا سيما الإسرائيليات ، يعد فى التابعين أصله من أبناء الفرس ، وأمه من حمير ، ولد ومات بصنعاء ، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها . ومن قوله : إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوّة !! واتهم بالقدر ورجع عنه . ويقال : ألف فيه كتابا ثم ندم عليه . وحبس فى كبره وامتحن . قال=

والاحتقار والاستجهال ، فتمكن الشيطان منهم ، وحلّ فيهم حيث أحب ، فهلكوا وضلّوا واعتقدوا أن دين الله تعالى لا يصح منه شيء ولا يقوم عليه دليل ، فاعتقد[١٧] أكثرهم الإلحاد والتعطيل ، وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والإهمال[١٨]، واطراح نقل الشرائع ، واستعمال الفرائض والعبادات ، وآثروا الرّاحات وركوب اللذات من أنواع الفواحش المحرمات من الخمر[١٩] والزنا واللياطة والبغاء ، وترك الصلاة والصّيام ، والزكاة والحج والغسل ، وقصدوا كسب المال كيف تيسر ، وظلم العباد واستعمال الأهزال ، وترك الجد والتحقيق ، وتدين الأقل منهم بتعظيم الكواكب ، فأسفت نفس المسلم الناصح لهذه الملة وأهلها على هلاك هؤلاء المساكين ، وخروجهم عن جملة المؤمنين ، بعد أن غذوا بلبان الإسلام ، ونشأوا فى حجور أهله ، نسأل الله العصمة من الضلال لنا ، ولأبنائنا ولكل إخواننا من المسلمين ، ونسأله تدارك من زلّت به قدمه ، وهوت نعله[٢٠]، إنه على كل شيء قدير .

وأمّا الطائفة الثانية : فهم قوم ابتدءوا الطلب بحديث[٢١] النبى ﷺ ، فلم يزيدوا على طلب علوِّ الإسناد ، وجمع الغرائب ، دون أن يهتمُوا بشيء مما كتبوا أو يعملوا[٢٢] به ، وإنما يحملونه[٢٣] حملًا لا يزيدون على قراءته هذا[٢٤] دون تدبير معانيه ، ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به ، وأنه لم يأت هملًا ، ولا قاله رسول الله ﷺ عبثًا ، بل أمرنا بالتفقه فيه والعمل به ، بل أكثر هذه الطائفة لا يعمل أكثرهم[٢٥] إلا ما جاء من طريق مقاتل[٢٦] بن سليمان ، والضحاك[٢٧] بن مزاحم ،

= صالح بن طريف : لما قدم يوسف بن عمر العراق ، بكيت وقلت : هذا الذى ضرب وهب ابن منبه حتى قتله . وفى طبقات الخواص : أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة . من كتبه : « ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم ، وقبورهم وأشعارهم » وله : « قصص الأنبياء » و « قصص الأخبار » ذكرهما صاحب كشف الظنون .

(١٧) فى (أ ، ب) : (فاعتقدوا) .

(١٨) فى (خ) : لم يذكر (والإهمال) .

(١٩) فى (أ ، ب) : (الخمور) .

(٢٠) فى (أ ، ب) : (نقله) بالقاف – وهو تحريف .

(٢١) فى (أ ، ب) : (لحديث) .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (أو يعلموا) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (تحملوه حملا) .

(٢٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .

(٢٥) فى (أ ، ب) : (لا يعمل عندهم) .

(٢٦) مقاتل بن سليمان : هو ابن بشير الأزدى الخرسانى ، أبو الحسن البلخى صاحب التفسير . ولد مقاتل ابن سليمان فى مكانه « بلخ » ومات فى خراسان سنة ١٥٠ هـ . قال النسائى : الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة : إبراهيم بن أبى يحيى بالمدينة ، مقاتل بخراسان ، محمد بن سعيد المصلوب بالشام الواقدى ببغداد . قال ابن حيان : كان مقاتل بن سليمان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم ، وكان مشبها يشبه الرب سبحانه وتعالى بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث . (تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى) .

(٢٧) الضحاك بن مزاحم : هو من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، رهط « زينب » زوج النبى ﷺ ، كنيته أبو القاسم ، ولد لسنتين وكان يؤدب الأطفال ، وأتى خراسان فأقام بها ، ومات سنة اثنتين ومائة ، ويقال : إنه كان فى مدرسته ثلاثة آلاف صبى وقال الذهبى : إنه كان يطوف عليهم على حمار ، وذكره ابن حبيب تحت عنوان : « أشرف المعلمين وفقائهم » ، له كتاب فى التفسير .(الاعلام)

وتفسير الكلبى ، وتلك[٢٨] الطبقة ، وكتب البدى[٢٩] التى إنما هى خرافات موضوعة ، وأكذوبات مفتعلة ، ولّدها الزنادقة تدليسًا على الإسلام وأهله ، فأطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح من أن الأرض على حوت ، والحوت على قرن ثور ، والثور على صخرة ، والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الظُّلة[٣٠]، والظلة على ما لا يعلمه إلّا الله عزَّ وجل .

وهذا يوجب أنَّ جرم العالم غير متناه ، وهذا هو الكفر بعينه ، فنافرت هذه الطائفة التى ذكرنا كل برهان ، ولم يكن عندها أكثر من قولهم[٣١] نُهينا عن الجدال !! فليت شعرى من نهاهم عنه ؟!. والله عزَّ وجل يقول فى كتابه المنّزل على نبيّه المرسل ﷺ : « وجادلهم بالّتى هى أحسن[٣٢]» .

وأخبر الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا : « يا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فأكْثَرْتَ جدالَنا[٣٣]» .

وقد نص تعالى فى غير موضع من كتابه على أصول البراهين ، وقد نبهنا عليها فى غير ما موضع فى كتابنا هذا . وحضَّ تعالى على التفكر فى خلق السماوات والأرض ، ولا يصح الاعتبار فى خلقهما إلّا بمعرفة هيآتهما ، وانتقال الكواكب فى أفلاكهما واختلاف حركاتها فى التغريب والتشريق ، وأفلاك تداويرها ، وتعارض فلك[٣٤] الأدوار على رتبة واحدة ، وكذلك[٣٥] معرفة الدوائر ، والمنطقة ، والميل والاستواء ، وكذلك معرفة الطبائع ، وامتزاج العناصر الأربعة ، وعوارضها وتركيب أعضاء الحيوان من عَصَبِه وعَضَلِه وعظامه وعروقه وشرايينه ، واتصال أعضائه بعضها ببعض ، وقواه المركبة ، فمن أشرف على ذلك وعَلِمَه ، رأى عظيم القدرة ، وتيقّن أنَّ ذلك كله[٣٦] صنعة ظاهرة ، وإرادة خالق قاصد[٣٧] مختار ، لأن اختلاف تلك الحركات تضطر إلى المعرفة بأنَّ شيئًا منها لا يقوم بنفسه دون ممسك مدبّر لا إله إلا هو ، ولا خالق سواه ، ولا مدبّر حاشاه ولا فاعل مخترع[٣٨]إلا هو . ثم زاد قوم منهم فأتوا بالأفيكة التى تقشعرُّ منها الذوائب ، وهى أن

(٢٨) فى (خ) : غير مذكور .
(٢٩) فى (أ ، ب) : (البذى) بالذال .
(٣٠) فى (أ ، ب) : (الظلمة والظلمة) .
(٣١) فى (خ) : سقطت كلمة (قولهم) .
(٣٢) النحل : ١٢٥ .
(٣٣) هود : ٣٢ .
(٣٤) فى (أ ، ب) : (تلك الأدوار) .
(٣٥) فى (خ) : لم يذكر قوله : (وكذلك معرفة الدوائر ، والمنطقة ، والميل والاستواء) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (أن كل ذلك)
(٣٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قاصد) .
(٣٨) فى (ح) : سقطت كلمة (مخترع) .

أطلقوا أنَّ الدِّين لا يؤخذ بحجة ، فأقرُّوا عيون الملحدين ، وشهدوا أنَّ الدين لا يثبت إلا بالدَّعاوى والغلبة ، وهذا خلاف قول الله عزَّ وجل : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »(٣٩).

وقوله تعالى : « فانفذوا لا تنفذون إلَّا بسلطان »(٤٠).

هذا قول الله عزَّ وجل ، وما جاء به نبيه ﷺ . وفى ذلك الكفاية والغناء عن قول كل قائل بعده .

وقد حاجّ ابن عباس الخوارج ، وما علمنا أحدًا من الصحابة رضى الله عنهم ، نهى عن الاحتجاج ، فلا معنى لرأى من جاء بعدهم ، فكان كلام هذه الطائفة مغريًا للطائفة الأولى بكفرها ، ومغبطًا لهم بشركهم ، إذ لم يروا فى خصومهم فى الأغلب إلَّا من هذه صفته ، ثم زادت هذه الطائفة الثانية(٤١) غلوًّا فى الجنون فعابوا كتبًا(٤٢) لا معرفة لهم بها ، ولا طالعوها ، ولا رأوا منها كلمة ، ولا قرءوها ، ولا أخبرهم عمّا فيها ثقة ، كالكتب التى فيها هيئة الأفلاك ، ومجارى النجوم ، والكتب التى جمعها « أرسطاطاليس(٤٣) » فى حدود الكلام .

قال أبو محمد : وهذه الكتب كلها سالمة مفيدة . دالة على توحيد الله عز وجل وقدرته ، عظيمة المنفعة فى انتقاد جميع العلوم ، وعظم منفعة الكتب التى ذكرنا فى الحدود فى(٤٤) مسائل الأحكام الشرعية فيها(٤٥) يتعرف كيف التوصل إلى الاستنباط وكيف تؤخذ الألفاظ على مقتضاها ، وكيف يعرف الخاص من العام ، والمجمل من المفسر ، وبناء الألفاظ بعضها على بعض . وكيف تقديم المقدمات وإنتاج النتائج ، وما يصح من ذلك صحة ضرورية أبدًا ، وما يصح مرة ويبطل أخرى ، وما لا يصح ألبتة وضروب(٤٦) الحدود التى ما(٤٧) شذَّ عنها كان خارجًا عن أصله ، ودليل

---

(٣٩) البقرة : ١١١ .

(٤٠) الرحمن : ٣٣ .

(٤١) فى (ح) : سقطت (الثانية) .

(٤٢) فى (أ ، ب) : كتبنا .

(٤٣) أرسطاطاليس : هو ابن نيقوماخس الطبيب المشهور ، كان أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الحكماء المعروفين بالمشائين ، يعرف بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ولد فى « شتاجيرا » وهى مستعمرة يونانية كانت تابعة لمكدونية ، تعلم مدة وجيزة فى « أتربيوس » من آسيا الصغرى ، وفقد أباه وأمه وهو صغير ، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا ، وأخذ فيها الحكمة عن أفلاطون اليونانى . وكان أفلاطون يحبه كثيرًا وكان يقول إذا طلب أحدٌ منه الكلام اصبر حتى يحضر العقل فإذا حضر أرسطاطاليس قال : تكلموا . وقد قسم فلسفته إلى قسمين : عملية ونظرية ، فالعملية هى التى تعلم قواعد التقسيم والترتيب العقلى كالمنطق . وأما النظرية فهى التى تظهر لنا الحقائق العقلية الخالصة كعلم الإلهيات والطبيعيات . وقد أجمع المؤرخون على أن أرسطاطاليس هو أول من استنبط صورة القياس وصورة قياس القياس . وله تآليف منها : علم الفصاحة ، علم المنطق ، الشعر والأدب ، تاريخ الحيوانات وتوفى أرسطاطاليس فى خلكس ، وقال بعضهم : إنه مات بشدة غيظه إذ لم يعرف سبب المد والجزر فى بحر أوريب ، وقيل إنه مات منتحرًا فقد ألقى نفسه فى البحر . (دائرة المعارف - البستانى) .

(٤٤) فى (أ ، ب) (ففى) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (بها) .

(٤٦) فى (أ ، ب) : (وضرب) .

الخطاب ، ودليل الاستقراء ، وبرهان[٤٨] الدَّور وغير ذلك مما لا غناء للفقيه[٤٩] المجتهد لدينه[٥٠] ولأهل ملته عنه .

قال أبو محمد : فلما رأينا عظيم المحنة فيما تولّد فى الطائفتين اللتين ذكرنا ، رأينا من عظيم الأجر ، وأفضل العمل ، بيان هذا الباب المشكل بحول الله تعالى ، وقدرته وتأييده ، فنقول وبه عزَّ وجل نتأيّد ونستعين :

إنَّ كلَّ ما صح ببرهانٍ أيَّ شيء كان فهو فى كلام الله عز وجل ، وكلام النبى ﷺ منصوص مسطور يعلمه كل من أحكم النظر ، وأيّده الله تعالى بفهم ، وأمّا كل ماعدا ذلك مما لا يصح ببرهان وإنما هو إقناعٌ أو شغب ، فالقرآن وكلام النبى ﷺ منه خاليان . والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ومعاذ الله أن يأتى كلام الله عز وجل ، وكلام نبيه ﷺ بما يبطله عيان أو برهان ، وإنما يَنْسب هذا إلى القرآن والسنة من لا يؤمنون بهما ، ويسعى فى إبطالهما ، « وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَه وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ[٥١]» .

ولسنا من تفسير الكلبى الكذاب ومن جرى مجراه فى شىء ، ولا نحن من نقل المتّهمين فى شأن ، إنما نحتجُّ بما نقله الأئمة الثّقات والأثبات من[٥٢] رؤساء المحدثين مسندًا ، فمن فتّش الحديث الصحيح وجد فيه كل ما قلنا ، والحمد لله رب العالمين .

وإنما الباطل ما ادَّعته الطائفة الأولى من نطق الكواكب وتدبيرها ، وهذا كفر لا حجة عندهم على ماقالوه منه أكثر من أن المحتجَّ لهم قال :

لما كنا نعقل ، وكانت النجوم[٥٣] تدبّرنا كانت أولى بالعقل منا . وهذا الذى ذكروه ليس بشيء ، لأن الكواكب وإن كان لها تأثير فى العالم ظاهر ، فليس تأثيرها تأثير ملك واختيار ، يدل على ذلك ما ذكرناه[٥٤] فى كتابنا هذا من الدلائل على أن الكواكب مضطرة لا مختارة ، وإنما تأثيرها كتأثير النار بالإحراق ، والماء بالتبريد ، والسمّ بإفساد المزاج ، والطعام بالتغذية ، والفلفل

---

(٤٧) فى (أ ، ب) : (التى من) .
(٤٨) فى (أ ، ب) : لم يذكر (وبرهان الدور) .
(٤٩) فى (أ ، ب) : (بالعيه) .
(٥٠) فى (أ ، ب) : (لنفسه) .
(٥١) التوبة : ٣٢ .
(٥٢) فى (ح) : سقطت كلمة (الأثبات) وذكر (فى رؤساء) .
(٥٣) فى (أ ، ب) : (الكواكب) .
(٥٤) فى (ب) : (ما قد ذكرناه) .

بحذو اللسان ، والإهليلج بالقبض للفم ، وما جرى هكذا من سائر ما فى العالم ، وكل ذلك غير ناطق ، والكواكب والأفلاك جارية هذا المجرى ، لأن تأثيرها تأثير واحد لا يختلف ، وحركتها حركة(٥٥) واحدة لا تختلف ، وليس كذلك المختار(٥٦).

ولقد قال لى بعضهم وقد عارضته بهذا : إنَّ المختار الفاضل يلزم أفضل الحركات فلا يتعدّاها ، وتلك الحركة الدّورية هى أفضل الحركات .

فقلت له : وما دليلك على أن أفضل(٥٧) الحركات الحركة الدورية ؟ ومن أين صارت الحركة من شرق إلى غرب ، أو من غرب إلى شرق ، أفضل من(٥٨) جنوب إلى شمال ، أو من شمال إلى جنوب ؟

وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية تنتقل من غرب إلى شرق ؟ والتاسع من شرق إلى غرب ، فأى هاتين الحركتين قلتم إنها أفضل عندكم ؟

وقد اختار الآخر الحركة التى ليست أفضل فظهر فساد هذا القول بيقين(٥٩).

وهذه دعاوى مجردة بلا برهان ، وما كان هكذا فقد سقط ، ولا فرق بينك وبين من قال : بل الحركة علوًّا أفضل أو(٦٠) على خط مستقيم سائرة وراجعة ، ونحن نجد تلك الأجرام تسفل فى بعض ممراتها ، وتشرف فى بعض ، وتسقط فى بعض على قولهم(٦١)، وتوافق بزعمهم ريح(٦٢) نحس مظلمة ، وأخرى نيرة سعيدة ، وبعض الأفلاك تقطع من غرب إلى شرق ، وهو حركة جميعها إلّا الأعلى منها فإنّه يتحرك من شرق إلى غرب ، فليست هذه أفضل الحركات ، فبطل قولهم والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وكذلك ما ذكره من ذكر ذلك منهم من الكرور عند انتهاء آلاف من الأعوام ذكروها ، وانتصاب الكواكب الثابتة(٦٣) على نصب مّا من قطعها لفلكها ، فهذا أيضًا كذب مجرد ، ودعوى ساقطة لا دليل عليها ، ولا يعجز عن مثلها أحد ، ولم يأتوا على شىء

---

(٥٥) سقطت جملة (وحركتها حركة واحدة لا تختلف) . من (ح) .
(٥٦) فى (ب) : (المختارة) .
(٥٧) فى (أ) : « تلك الحركة أفضل الحركات ؟ » .
(٥٨) فى (أ ، ب) . (من الحركة) .
(٥٩) اعتمدنا كتابة هذه الفقر من أول قوله : « وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية .. إلى قوله · بيقين » على النسخة (أ) . وهذا القول كله ليس مذكورًا فى (ح) .
(٦٠) فى (ح) : « وعلى خط مستقيم » بواو العطف .
(٦١) فى (أ ، ب) : « قولكم .. وبزعمكم » .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (بروح) .
(٦٣) فى (أ) · (الثابتة التى)

من ذلك شغب ولا بإقناع كيف ببرهان ، وإنما هو تقليد لبعض قدماء الصابئين[٦٤] فمثل هذه الحماقات والخرافات هو[٦٥] الذى دفعته الشريعة الإسلامية وأبطلته ، وأمّا ما قامت عليه البراهين فهو فى القرآن والسنة موجود نصًّا ، واستدلالًا ضروريًا ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

(٦٤) فى (أ ، ب) : (الصائبين) وهو تحريف ظاهر .
(٦٥) فى (أ ، ب) : (هو الذى) .

« مطلب بيان كروية الأرض »

قال أبو محمد : وهذا حين نأخذ إن شاء الله تعالى فى ذكر بعض ما اعترضوا به ، وذلك أنهم قالوا : إنّ البراهين قد صحّت بأن الأرض كروية والسماء[1] كذلك ، والعامة تقول غير ذلك ، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أنَّ أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضى الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ، ولا يحفظ لأحدٍ منهم فى دفعه كلمة ، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها .

قال الله عزّ وجل : « يكوِّر الليل على النهار ، ويكوِّر النهار على الليل »[2].

وهذا أوضح بيان فى تكوير بعضها على بعض ، مأخوذ من كور العمامة ، وهو إدارتها ، وهذا نص على تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك ، وهى التى يكون منها ضوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها ، وهى آية النهار بنص القرآن ، قال الله تعالى : « وجعلنا آية النهار مبصرة »[3].

فيقال لمن أنكر ما جهل من ذلك من العامّة أليس إنما افترض الله عزّ وجل علينا أن نصلى الظهر إذا زالت الشمس ؟ فلابدَّ من بلى[4]. فيسألون عن معنى زوال الشمس فلابدَّ من أنه إنما هو انتقال الشمس عن مقابلة من قابل بوجهه القرص ، واستقبل بوجهه وأنفه وسط المسافة ، التى بين مكان[5] طلوع الشمس ، وبين موضع غروبها فى كل زمان وكل مكان ، وأخذها إلى جهة

(١) فى (أ ، ب) : لم يذكر (والسماء كذلك) .
(٢) الزمر : ٥ .
(٣) الإسراء : ١٢ .
(٤) فى (أ ، ب) : (نعم) وهو خطأ لأن جواب الاستفهام المنفى فى حالة الاثبات يكون بـ (بلى) وفى حالة النفى يكون بـ (نعم) .
(٥) فى (أ ، ب) : (موضع) .

حاجبه الذى يلى موضع غروب الشمس ، وذلك إنما هو فى أول النصف الثانى من النهار ، وقد علمنا أن المدائن من معمور الأرض آخذة على أديمها من مشرق إلى مغرب ، ومن جنوب إلى شمال فيلزم من قال : إنّ الأرض منتصبة الأعلى غير مكوّرة – أنّ كل من كان ساكنًا فى أول المشرق ، أن يصلى الظهر فى أول النهار ضرورة ، ولابدّ إثر صلاة الصبح بيسير ، لأن الشمس بلا شك تزول عن مقابلة ما بين حاجبى كل واحدٍ منهم فى أول النهار ضرورة ولابدّ ، إن كان الأمر على ما يَقولون .

ولا يحل لمسلم أن يقول : إنَّ صلاة الظهر تجوز أن تصلى فى الوقت[٦] المذكور ويلزمهم أيضًا أنّ من كان ساكنًا فى آخر المغرب أن الشمس لا تزول عن مقابلة ما بين حاجبى كل واحد منهم إلّا فى آخر النهار ، فلا يصلّون الظهر إلّا فى وقت لا يتسع لصلاة العصر حتى تغرب الشمس ، وهذا خارج عن حكم دين الإسلام .

وأمَّا من قال بتكويرها : فإن كل من على ظهر الأرض لا يصلى الظهر إلا إثر انتصاف نهاره أبدًا على كل حال وفى كل زمان ، وفى كل مكان ، وهذا بيِّن لا خفاء به[٧]. وقال عزَّ وجل : « سَبْعَ سَمَاواتٍ طِبَاقًا »[٨].

وقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ »[٩].

وهكذا قام البرهان من قبل كسوف الشمس[١٠] والقمر وبعض الدرارى لبعض[١١] – على أنها سبع سماوات ، وعلى أنها طرائق ، وقوله تعالى : « طرائق » يقتضى متطرقًا فيها . وقال تعالى : « وسع كرسيّه السماوات والأرض »[١٢].

وهذا نصّ ما قام عليه البرهان من انطباق بعضها على بعض ، وإحاطة الكرسىّ بالسبع السماوات والأرض ، وقال رسول الله ﷺ : فاسألوا الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن »[١٣].

---

(٦) فى (أ ، ب) : (قبل نصف النهار) .
(٧) فى (أ ، ب) : (بل) بدلًا من (به) .
(٨) الملك : ٣ . ونوح : ١٥ .
(٩) المؤمنون : ١٧ .
(١٠) فى (خ) : لم يذكر (الشمس والقمر) .
(١١) كلمة (لبعض) هنا لا معنى لها ولا داعى – فى نظرنا .
(١٢) البقرة : ٢٥٥ .
(١٣) جاء هذا الحديث فى البخارى : فى باب التوحيد ٢٢ ، والجهاد ٤ ، ورواه الترمذى فى باب الجنة ٤ والعبارات متفاوتة ؛ وإحداها : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان له حقا على الله أن يدخله الجنّة ، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، فقالوا يا رسول الله : أفلا تبشر الناس ؟ قال : إنَّ فى الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجَّر أنهار الجنة . « قال محمد بن فليح عن أبيه – وفوقه عرش الرحمن » .

وقال عزَّ وجل : « الرحمن على العرش استوى »[١٤].

فأخبر هذان النصَّان بأنَّ ما على العرش هو منتهى الخلق ونهاية العالم ، وقد قال تعالى : « إنَّا زينَّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد »[١٥].

وهذا هو نص ما قام عليه البرهان من أن الكواكب المرمى بها هى دون سماء الدنيا لأنها لو كانت فى السماء لكان الشياطين يصلون إلى السماء ، أو كانت هى تخرج عن السماء وإلَّا فكانت تلك الشهب لا تصل إليهم إلا بذلك ، وقد صح أنهم ممنوعون من السماء بالرّجوم ، فصح أنّ الرجوم دون السماء ، وأيضًا فإن تلك الرجوم ليست نُجومًا معروفة وإنما هى شهب ونيازك من نار ، تتكوكب وتشتعل وتطفأ ، ولا نار فى السماوات أصلًا ، فلم نجد الاختلاف إلا فى الأسماء لاختلاف اللغات ، وقد اعترض القاضى منذر[١٦] بن سعيد على رأى « أرسطاطاليس[١٧]» فى الآثار العلوية : أن السماوات بزعمه مملوءة نارًا[١٨] هذا فجعل الافلاك غير السماوات ، والسماوات فوقها وقال : لو كانت السماوات محيطة بالأرض لكان بعض السماوات تحت الأرض .

قال أبو محمد : وهذا[١٩] ليس بشىء لأن التحت والفوق من باب الإضافة لا يقال فى شىء تحت إلّا وهو فوق لشىء آخر ، حاشا مركز الأرض ، فإنه تحت مطلق لا تحت له ألبتة ، وكذلك كل ما[٢٠] قيل فيه إنه فوق فهو أيضًا تحت لشىء آخر ، حاشا الملائكة[٢١] الذين على الصحفة العليا من الفلك الأعلى المقسوم بقسمة البروج ، فإنها فوق لا فوق لها ألبتة ، فالأرض على هذا البرهان للشاهد[٢٢] هى مكان التحت للسماوات ضرورة ، فمن حيث كانت السماء فهى فوق الأرض ، ومن حيث قابلتها الأرض فالأرض[٢٣] تحت السماء ولابدّ ، وحيث ما كان ابن آدم

---

(١٤) طه : ٥ .

(١٥) الصافات : ٦ ، ٧ .

(١٦) مندر بن سعيد (٨٨٦ – ٩٦٦ م) : هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النمرى القرطبى ، أبو الحكم البلوطى ، قاضى قضاة الأندلس فى عصره ، كان فقيهًا خطيبًا شاعرًا فصيحًا . رحل حاجًا سنة ٣٠٨ هـ فأقام فى رحلته أربعين شهرًا ، أخذ بها عن بعض علماء مكة ومصر . قال ابن الفرضى : كان بصيرًا بالجدل ، منحرفًا إلى مذهب أصحاب الكلام لهجًا بالاحتجاج ، ولى قضاء « ماردة » وما والاها ، ثم قضاء الثغور الشرقية ، فقضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٣٩ هـ واستمر إلى أن توفى فيها ، لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ، له كتب فى القرآن والسنة ، والرد على أهل الأهواء منها : الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله ، ويسمى « أحكام القرآن » و« الإبانة عن حقائق أصول الديانة » و« الناسخ والمنسوخ » (ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ، ومطمح الأنفس) .

(١٧) راجع ص

(١٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « رأى أرسطاطاليس إلى مملوءة نارًا » .

(١٩) فى (أ) : زاد . بعد قال أبو محمد : (ولا برهان على ما ذكر إلا أنه قال : إن السماوات هى فوق الأرض) .

(٢٠) فى (خ) : لم تذكر كلمة (كل .. فيه) .

(٢١) فى (أ ، ب) : سقطت (الملائكة الذين) .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (الشاهد) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (فهى)

فرأسه إلى السماء ، ورجلاه إلى الأرض ، وقد قال الله عزّ وجل : « أَلَم تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجعَلَ الْقَمر فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا »[٢٤].

وقال تعالى : « تَبَارَكَ الَّذِى جعل فِي السَّمَاءِ بُروجًا ، وَجَعَلَ فيها سِرَاجًا وَقَمرًا مُنِيرًا »[٢٥] فأخبر الله تعالى إخبارًا لا يردّه إلا كافر بأن القمر فى السماء ، وأن الشمس أيضًا فى السماء ، ثم قد قام البرهان الضرورى المشاهد بالعيان على دورانها[٢٦] حول الأرض من مشرق إلى مغرب ، ثم من مغرب إلى مشرق ، فلو كان على ما يظن أهل الجل لكانت الشمس والقمر إذا دارا بالأرض وصارا فيما يقابل صفحة الأرض التى لسنا عليها قد خرجا عن السماء ، وهذا تكذيب لله تعالى ، فصح بهذا أنه لا يجوز أن يفارق الشمس والقمر السماوات ، ولا أن يخرجا عنها ، لأنهما كيف دارا فهما فى السماوات ، فصحَّ ضرورة أن السماوات مطابقة طباقًا على الأرض ، وأيضًا فقد نص الله تعالى كما ذكرنا على أن الشمس والقمر والنجوم فى السماوات ، ثم قال تعالى : « وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُون »[٢٧].

وبالضرورة علمنا أنه لا يمكن أن يكون جرم فى وقت واحد فى مكانين غير متداخلين[٢٨] فلو كانت السماوات غير الأفلاك ، وكانت الشمس والقمر بنصّ القرآن فى السماوات وفى الفلك لكانا فى مكانين غير متداخلين فى وقت[٢٩] واحد ، وهذا محال ممتنع ، ولا ينسب القول بالمحال إلى الله تعالى إلَّا أعمى القلب ، فصح أن الشمس فى مكان واحد ، وهو سماء وهو فلك ، وهكذا القول فى القمر وفى النجوم . وقوله تعالى : « وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُون »[٣٠].

نصٌّ جلىّ على الاستدارة ، لأنه أخبر تعالى أن الشمس والقمر والنجوم سابحة فى الفلك ، ولم يخبر أنَّ لها سكونًا ، فلو لم تستدر لكانت على آباد الدهور بل فى الأيّام اليسيرة تغيب عنَّا ، حتَّى لا نراها أبدًا لو مشت على طريق واحد ، وخط واحد مستقيم أو معوج غير مستدير ، لكنّا[٣١] أمامها أبدًا ، وهذا باطل فصحَّ ما[٣٢] نراه من كرورها من غرب إلى شرق ، ومن شرق إلى غرب ، أنها دائرة ضرورة ، وكذلك قال رسول الله ﷺ إذ سئل عن قول الله تعالى عزّ وجل : « والشَّمْسُ تَجْرِى لَمُسْتَقرٍّ لَهاَ »[٣٣] .

(٢٤) نوح : ١٥ ، ١٦ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكرها (ألم يَرَوْا) .
(٢٥) الفرقان : ٦١ .
(٢٦) فى (أ ، ب) : (دوراتها) .
(٢٧) يس : ٤٠ .
(٢٨) فى (أ ، ب) : لا يُوجد كلمة (غير متداخلين) .
(٢٩) فى (ب) : جاءت العبارات مضطربة هكذا ، (فى موقف غير متداخلين واحد) .
(٣٠) يس : ٤٠
(٣١) فى (خ) : (لكن) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : (بما) .
(٣٣) يس : ٣٨ .

فقال عليه السلام : « مستقرُّها تحت العرش »[٣٤]. وصدق عليه السلام لأنها أبدًا تحت العرش إلى يوم القيامة ، وقد علمنا أنَّ مستقرَّ الشيء هو موضعه الذى يلزم فيه ولا يخرج عنه ،وإن مشى فيه من جانب إلى جانب ، « وسجودها » هو سيرها فيه[٣٥].

حدثنا أحمد بن عمر بن أنس[٣٦] العذرى حدثنا عبد الله[٣٧] بن محمد الهروى ، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حموية السرخى ، حدثنا إبراهيم[٣٨] بن خزيم ، حدثنا عبد[٣٩] بن حميد ، حدثنى سليمان بن حرب[٤٠] الواشحى ، حدثنا : حماد بن سلمة[٤١] عن إياس بن معاوية[٤٢] المزنى قال : « السماء مقبَّبة هكذا على الأرض » وبه إلى عبد بن حميد ، حدثنا : يحيى بن عبد[٤٣] الحميد عن يعقوب[٤٤] عن جعفر[٤٥] هو ابن أبى وحشية عن سعيد هو ابن جبير

---

(٣٤) الحديث : رواه الإمام البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه فى كتاب التفسير عند قوله تعالى « والشمس تجرى لمستقرٍّ لها » .

(٣٥) فى (أ ، ب) : سقط (وسجودها هو سيرها فيه) .

(٣٦) أحمد بن عمر (٣٩٣ - ٤٧٨ هـ) (١٠٠٣ - ١٠٨٥ م) : هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث الزغبى العذرى ، أبو العباس المعروف بابن الدلائى ، فاضل أندلسى ، من قرية دلاية من أعمال المرية ، وإليها نسبته ، ووفاته بالمرية ، أقام ثمانى سنوات بمكة فى صباه ، وأخذ عن علمائها . له كتاب « المسالك والممالك » قيل إنه من أجل ما صنف فى موضوعه . و« دلائل النبوة » .

(٣٧) هو عبد الله بن محمد بن على الأنصارى الهروى أبو إسماعيل (٣٩٦ - ٤٨١ هـ) (١٠٠٦ - ١٠٨٩ م) شيخ حراسان فى عصره ، من كبار الحنابلة ، من ذرية أبى أيوب الأنصارى ، كان بارعًا فى اللغة ، حافظًا للحديث عارفًا بالتاريخ والأنساب ، مظهرًا للسنة ، داعيًا إليها ، امتحن وأوذى وسمع يقول : « عُرضت على السيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لى : اسكت عمن خالفك فأقول : لا أسكت ! » من كتبه « ذم الكلام وأهله - خ » و« الفاروق فى الصفات » و« كتاب الأربعين » فى التوحيد ، والأربعين فى السنة ، ومنازل السائرين ، و« سيرة الإمام احمد بن حنبل » فى مجلد . (الأعلام) . وثمة علم آخر اسمه : عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير ، أبو ذر الأنصارى الهروى : عالم بالحديث من الحفاظ من فقهاء المالكية يقال له ابن السماك ، أصله من هراة ، نزل بمكة ومات بها ، وله تصانيف منها تفسير القرآن ، والمستدرك على الصحيحين ، و« السنة والصفات » و« معجمان » أحدهما فيمن روى عنهم الحديث ، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم (الأعلام : ٤ / ٤١) . ولعل هذا هو المقصود ويظهر أن اسمه (عبد) لا عبد الله كما ذكره ابن حزم ..

(٣٨) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الخذامى النيسابورى فقيه حنفى محدث من أهل نيسابور ، حدث بالعراق وخراسان والشام ، توفى سنة ٣١٧هـ ، له مصنفات كثيرة .

(٣٩) هو : عبد بن حميد بن نصر الكسى ، أبو محمد من حفاظ الحديث ، قيل اسمه عبد الحميد نسبته إلى « كِسْ » مدينة سمرقند . من كتبه « مسند كبير وتفسير » توفى عام ٢٤٩ هـ .

(٤٠) هو : سليمان بن حرب بن بجيل الأزدى الواشحى ، أبو أيوب ، قاض من أهل البصرة ، سكن مكة ، وولى قضاءها سنة ٢١٤ هـ ، وعزل سنة ٢١٩ هـ ، فرجع إلى البصرة فتوفى فيها عام ٢٢٤ هـ ، وكان ثقة فى الحديث .

(٤١) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصرى الربعى بالولاء ، أبو سلمة ، مفتى البصرة ، وأحد رجال الحديث ، كان حافظًا ثقة مأمونًا إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخارى وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره ، ونقل الدهبى : كان حماد إمامًا فى العربية فقيها فصيحًا ، مفوهًا ، شديدًا على المبتدعة ، له تآليف ، وقال ابن ناصر الدين هو أول من صنف التصانيف المرضية . توفى سنة ١٦٧ هـ . (تذكرة الحفاظ جـ ١) .

(٤٢) هو : إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، أبو واثلة ، قاضى البصرة ، وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه ، ودقته ، قيل له ما فيك عيب إلا أنك معجب فقال : أيعجبكم ما أقول ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحق بأن أعجب به ، ودحل مدينة « واسط » وعاش فيها فترة . قال الجاحظ : إياس من مفاخر مضر ، ومن مقدَّمى القضاة ، كان صادق الحدس ، نقابًا ، عجيب الفراسة ، ملهمًا ، وجيهًا عند الخلفاء ، وللمدائنى كتاب سمّاه « زكن إلياس » . توفى بواسط سنة ١٢٢ هـ .

(٤٣) هو : يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى ، الكوفى ، أبو زكريا ، أول من صنف المسند بالكوفة ، وهو من حفاظ الحديث الرحّالين ، كان يحفظ عشرة آلاف حديث يسردها سردًا ، واختلفوا فى الثقة بروايته ، مات بسر من رأى عام ٢٢٨ هـ . =

قال : « جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنه فقال : « أرأيت قول الله عزَّ وجل » : « اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ »(٤٦).

قال ابن عباس : « هنَّ ملتويات بعضهن على بعض » .

حدثنا عبد الله بن ربيع التميمى ، حدثنا محمد بن معاوية(٤٧) القرشى ، حدثنا أبو يحيى(٤٨) زكريا ابن يحيى الساجى البصرى قال : أنبأنا عبد(٤٩) الأعلى ومحمد(٥٠) بن المثنى ، وسلمة(٥١) بن شبيب قالوا كلهم : حدثنا وهب(٥٢) بن جرير بن حازم قال : سمعت محمد(٥٣) بن إسحاق يحدث عن يعقوب(٥٤) ابن عتبة ، وجبير بن محمد(٥٥) بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جدّه قال :

---

(٤٤) هو : يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدى أبو يوسف الدورق ، محدث العراق فى عصره ، كان ثقة حافظًا متقنًا ، أخذ عنه الأئمة الستة ، له مسند فى الحديث ، والدورق ، نسبة إلى لبس الدورقية ، وهى فلانس طوال ، كان يلبسها المتنسكون فى دلك الزمان ، توفى عام ٢٥٢ هـ .

(٤٥) هو : جعفر بن إيلس وهو أبى وحشية اليشكرى ، أبو بشر الواسطى ، بصرى الأصل ، روى عن عاد بن شرحبيل ، وله صحبة ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ومجاهد ، وعنه الأعمش وأيوب وهما من أقرانه ، وداود بن أبى هند ، قال أحمد : وكان شعبة يقول : لم يسمع أبو بشر من حبيب وقال ابن معين وأبو ررعة ، وأبو حاتم والنسائى : ثقة ، وقال مُطين : مات سنة ١٢٣ هـ ، وكان ساجدًا خلف المقام حين مات ، وقال ابن حبان : فى الثقات : مات فى الطاعون سنة ١٣١ هـ (تهذيب التهذيب : ٢ / ٨٣ ، ٨٤) .

(٤٦) الطلاق : ١٢ .

(٤٧) هو : محمد بن معاوية بن عبد الرحمن من نسل هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر المعروف بابن الأحمر ، محدث أندلسى ، رحل إلى العراق ومصر وغيرهما ، وهو أول من أدخل سنن النسائى إلى الأندلس ، وحدّث به ، وانتشر عنه . توفى سنة ٣٦٥ هـ .

(٤٨) هو : زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدى الضبى البصرى الساجى أبو يحيى محدث البصرة فى عصره ، كان من الحفاظ الثقات ، له كتاب جليل فى علل الحديث يدل على تبحره ومن كتبه : اختلاف الفقهاء . توفى بالبصرة عام ٣٠٧ هـ .

(٤٩) هو : عبد الأعلى بن مسهر الغسانى الدمشقى أبو مسهر ، من حفاظ الحديث ، ويقال له ابن أبى درامه ، كان شيخ الشام ، وعالمها بالحديث والمغازى ، وأيام الناس ، وأنساب الشاميين . امتحنه المأمون العباسى وهو فى الرقة ، وأكرهه على أن يقول : القرآن مخلوق فامتنع ، فوضعه فى النطع ، فمدَّ رأسه وجرّد السيف فأبى أن يجيب ، فحمل إلى السجن ببغداد فأقام نحوًا من مائة يوم ، ومات سنة ٢١٨ هـ .

(٥٠) هو : محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار ، عالم بالحديث من الحفاظ من أقران بُندار من أهل البصرة ، قال الخطيب : كان ثقة ثبتًا ، زار بغداد وحدَّث بها ، وعاد إلى البصرة فتوفى فيها عام ٢٥٢ هـ ، حدَّث عنه الأئمة الستة ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، قال ابن حبان : وكان صاحب كتاب لا يقرأ إلّا من كتابه ، روى عنه البخارى ١٠٣ أحاديث ، ومسلم ٧٧٢ حديثًا . (الأعلام : ٧ / ٢٤٠) .

(٥١) هو : سلمة بن شبيب النيسابورى ، أبو عبد الرحمن من كبار رجال الحديث ، من أهل نيسابور رحل إلى سورية ، واليمن والحجاز فى طلب الحديث ، ورحل إلى مصر قبل وفاته بعام فأخذ عنه بعض أعلامها وتوفى بمكة على الأرجح سنة ٢٤٧ هـ (الأعلام : ٣ / ١٧٢) .

(٥٢) وهب بن جرير : هو ابن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدى أبو العباس البصرى الحافظ روى عن أبية بن عمار ، وهشام ابن حسان وابن عون . وعنه أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى ، ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه . قال سليمان بن داود القزاز : قلت لأحمد : أريد البصرة عمن أكتب ؟ قال : عن وهب بن جرير وأبى عامر العقدى . قال ابن سعيد مات سنة ست ومائتين ، وقال هارون بن عبد الله مات وهب فى المحرم سنة سبع (تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٢) .

(٥٣) هو : محمد بن إسحاق بين يسار المطلبى من أهل المدينة : له السيرة النبوية ، رواها عنه ابن هشام ، وكتاب الخلفاء ، وكتاب المبدأ ، وكان قدريًا ، ومن حفاظ الحديث ، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ ، وسكن بغداد ، فمات فيها عام ١٥١ هـ ، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد ، قال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقًا للأخبار (الأعلام : ٦ / ٢٥٢) .

(٥٤) هو : يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق : رأى السائب بن يزيد ، وروى عن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان ابن يسار ، وجبير بن محمد بن جبير ، وغيرهم ، وعنه ابنه محمد ، ومحمد بن إسحاق ، وعبد الواحد بن أبى عون ، كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية ، وعلم بالسيرة وغير ذلك . قال ابن معين وأبو حاتم ، والنسائى ، والدار قطنى : ثقة عدَّة بعصهم من فقهاء أهل المدينة . مات سنة ١٢٨ هـ (تهذيب التهذيب : ١١ / ٣٩٤) .

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ . فقال يا رسول الله : « جهدت الأنفس ، وضاع العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فذكر الحديث بطوله[٥٦]، وفيه أنّ النبى ﷺ قال للأعرابى : « ويحك أما تدرى ما الله ؟! إنَّ عرشه على سماواته وأرضه هكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة » ووصف لهم وهب بن جرير يده ، وأمال كفَّه وأصابعه اليمنى ، وقال هكذا حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ، حدثنا أحمد بن عون الله[٥٧]، وأحمد بن عبد[٥٨] البصير قالا جميعا أنبأنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن بشار بندار ، حدثنا عبد الصمد[٥٩] بن عبد الوارث التثورى ، حدثنا شعبة[٦٠] عن الاعمش هو سليمان ، عن مسلم[٦١] البطين ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحون » : فلك كفلك المغزل .

---

(٥٥) هو : جبير بن محمد بن جبير بن مطعم : روى عن أبيه عن جدّه ، وعنه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، وحصين ابن عبد الرحمن ، وروى له أبو داود حديثًا واحدًا ، ووقع عنده عن يعقوب بن عتبة ، وجبير بن محمد ، والصواب عن جبير . كذا فى المعجم الكبير وغيره . ذكره ابن حيان فى الثقات (تهذيب التهذيب : ٢ / ٦٣) .

(٥٦) جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى فى باب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة : عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة على عهد النبىّ ﷺ فبين النبى يخطب فى يوم جمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى فى السماء فزعة ، فوالذى نفسى بيده ، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغدو بعد الغد والذى بعده حتى الحمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابى أو قال غيره : فقال يا رسول الله : تهّدم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا !! فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فما أشار بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة .

(٥٧) هو : أحمد بن عون الله بن محمد بن أحمد بن عون بن محمد بن عون المعافرى ، أبو القاسم روى عن أبى بكر بن العرلى وأبوى عبد الله : جعفر بن محمد بن مكى وابن أبى الخصال وكان فقيهًا مشاورًا . (تهذيب التهذيب ١ / ٣٥٣) .

(٥٨) هو :

(٥٩) عبد الصمد بن عبد الوارث التنورى : هو ابن سعيد الحافظ الحجة أبو سهل التميمى مولاهم البصرى محدث البصرة . روى عن أبيه علمه ، وعن هشام الدستوائى وعكرمة بن عمار وربيعة بن كلثوم ، وحرب بن ميمون وحرب بن أبى العالية ، وحرب بن شداد وطبقتهم ، وعنه ابن معين وابن راهويه ، وبندار والذهلى وعبد ، وابنه عبد الوارث بن عبد الصمد . قال أبو حاتم : صدوق . وقال ابن سعد : مات سنة سبع ومائتين رحمه الله تعالى . (تذكرة الحفاظ للذهبى : للذهبى ص ٣٤٤) .

(٦٠) شعبة هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى مولاهم أبو بسطام الواسطى ثم البصرى روى عن كثير من الرجال الحفاظ : عن على بن الجعد قال أبو طالب عن أحمد : شعبة أثبتت فى الحكم من الأعمش وأعلم بحديث الحكم ، ولولا شعبة ذهب الحديث الحكم ، وشعبة أحسن حديثًا من الثورى ، لم يكن فى زمن شعبة مثله فى الحديث ، ولا أحسن حديثًا منه ، قسم له من هذا حظ .

قال أبو بكر بن مسجويه : إن شعبة ولد سنة ٨٢ هـ فى البصرة ، ومات سنة ١٦٠ هـ . وكان من سادات أهل زمانه حفظًا وإتقانًا وروعًا وفضلًا ، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، وصار علمًا يقتدى به . وذكر ابن أبى خيثمة أنه كان يخطىء فى الأسماء .

وقال الدار قطنى فى العلل : كان شعبة يخطىء فى أسماء الرجال كثيرًا لتشاغله بحفظ المتون .

وقال ابن معين : كان شعبة صاحب نحو وشعر . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٤٦ رقم العلم ٥٨١) .

(٦١) مسلم البطين : هو مسلم بن صُبيح الهمدانى مولاهم أبو الضحى الكوفى العطار ، وقيل مولى آل سعيد بن العاص ، روى عنه النعمان ابن بشير وابن عباس وابن عمر وشتير بن شكل ومسروق بن الأجدع وعبد الرحمن بن هلال وعلقمة بن فيس وغيرهم . وأرسل عن على بن أبى طالب روى عنه الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وأبو يعفور الصغير ، وسعيد بن مسروق ، وقطر بن خليفة وعطاء بن السائب . قال ابن معين وأبو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات . قال ابن سعد مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز (تهذيب التهذيب : ١٣٢/١٠) .

قال أبو محمد : وذكروا أيضًا قول الله عزّ وجل عن ذى القرنين(٦٢): « وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ »(٦٣).

وقرىء أيضًا حامية .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق بلا شك ، وذو القرنين هو كان فى العين الحمئة . والحامية(٦٤) حمّية(٦٥) من حماتها ، حامية من استحرارها ؛ كما تقول رأيتك فى البحر تريد إنك إذ رأيته كنت أنت فى البحر ، وبرهان هذا : أنَّ مغربها الشتوى [إذا كانت من آخر رأس الجدى] إلى آخر مغربها الصيفى إذا كانت من رأس السرطان مرئى مشاهد ومقداره ثمانٍ وأربعون درجة من الفلك ، وهو يوازى من الأرض كلها بالبرهان الهندسى أقل من مقدار السدس ، يكون من الأميال نحو ثلاثة آلاف ميل ونيف ، وهذه المساحة لا يقع عليها فى اللغة اسم عين ألبتة ، لاسيما أن تكون عينًا(٦٦) حمية حامية وباللغة العربية خوطبنا ، فلما تيقّنا أنها عين بإخبار الله عزّ وجل الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، علمنا يقينًا أنَّ ذا القرنين انتهى به السير فى الجهة التى مشى فيها من المغارب إلى العين المذكورة ، وانقطع له إمكان المشى بعدها ؛ لاعتراض البحار له هنالك ، وقد علمنا بالضرورة أنَّ ذا القرنين وغيره من الناس ليس يشغل من الأرض إلَّا مقدار مساحة جسمه فقط قائمًا أو قاعدًا أو مضجعًا ، ومَن هذه صفته فلا يجوز أن يحيط بصره من الأرض بمقدار مكان المغارب كلها ، لو كان مغيبها فى عين من الأرض كما يظن أهل

---

(٦٢) ذو القرنين هو : الإسكندر الأكبر اليونانى كان ملكًا بعد أبيه على مقدوبية ، واستولى على بلاد الروم أجمع ، ثم انتصر على دار ملك الفرس فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة ، وقدم إلى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها ، وخرّب بيوت الأصنام ، ثم سار إلى الصين فصادق ملكها ، وأعجب بعقله وحكمته وتركه يدير شئون مملكته وظل يفتح ويملك حتى وصل إلى ديار يأجوج ومأجوج ، وقد اختلفت الأقوال فيهم ، ويرجح ابن الأثير أنهم قوم من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون ، وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض ، فلما رأى أهل البلاد المجاورة لهم الإسكندر شكوًا إليه أمرهم ، وطلبوا إليه أن يبنى لهم سدًا يحول بينهم وبينه فقال لهم : أعينونى بالفعلة والصناع والآلات التى يبنى بها فأحضروا له قطع الحديد ، فحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفًا بعضها فوق بعض حتى إذا ساوى بين الصدفين وهما جبلان أشعل النار فى الحطب فحمى الحديد وأفرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فبقى كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد ، فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج إلى البلاد المجاورة لهم . وقد أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة فى قوله تعالى : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعزب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ... إلى قوله تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا قالوا : يا ذا القرنين : إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا ، قال : ما مكنّى فيه ربى خير ، فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال : آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا » . (الكهف : ٨٢ – ٩٧) .

ورجع الإسكندر إلى العراق فمات فى طريقه بشهر زور ، وكان عمره ستا وثلاثين سنة ، ودفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلى بالصبر لئلا يتغير وحمل إلى أمه بالإسكندرية ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، وبنى اثنتى عشرة مدينة منها : أصبهان وهراة ، ومرو وسمرقند ، والإسكندرية . (الكامل : ١/١٥٩ وما بعدها بتصرف) .

(٦٣) الكهف : ٨٦ .

(٦٤) فى (أ ، ب) : الحمئة : الحامية بغير واو العطف .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (حمئة) .

(٦٦) فى (خ) : لم تذكر كلمة (عينا) .

الجهل ، ولابدَّ من أن يلقى خط بصره من حَدَبه الأرض أو من نشز من أنشازها ما يمنع الخط من التمادى ، إلَّا[٦٧] أن يقول قائل : إنَّ تلك العين هى البحر فلا يجوز أن يسمَّى البحر فى اللغة عينًا حمئة ولا حامية . وقد أخبر الله عزَّ وجل أن الشمس تسبح فى الفلك ، وأنها إنما هى فى[٦٨] الفلك سراج ، وقول الله تعالى هو الصدق الذى لا يجوز أن يختلف ولا يتناقض ، فلو غابت فى عين فى الأرض كما يظن أهل الجهل ، أو فى البحر لكانت الشمس قد زالت عن السماء ، وخرجت عن الفلك ، وهذا هو الباطل المخالف لكلام الله عزَّ وجل حقًّا نعوذ بالله من ذلك ، فصحَّ يقينًا بلا شك أنَّ ذا القرنين كان[٦٩] فى العين الحمئة الحامية حين انتهى إلى آخر البر فى المغارب ، وبالله تعالى التوفيق ، لاسيما مع ما قام البرهان عليه من أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض ، وبالله تعالى التوفيق .

وبرهان آخر قاطع : وهو قول الله عزَّ وجل : « وَجَدَها تَغْرُبُ فى عَيْنٍ حَمِئَة » وقرىء حامية ، « وَوَجَدَ عِنْدَهَا قومًا[٧٠]» ، فصح ضرورة أنه وجد القوم عند العين لا عند الشمس ، ومن كان عند العين فهو فى العين[٧١]» ، وقال الله عزَّ وجل : « وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ »[٧٢].

وصح[٧٣] الإجماع والنصّ على أنَّ أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فى الجنة إلَّا فى قول من لا يعد فى[٧٤] جملة أهل الإسلام ممن يقولون بفناء الأرواح وأنَّها أعراض ، وكذلك أرواح الشهداء فى الجنة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه رآهم ليلة أسرى به فى السماوات سماء سماء ؛ آدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية ، ويوسف فى الثالثة ، وإدريس فى الرابعة ، وهارون فى الخامسة ، وموسى وإبراهيم فى السادسة والسابعة ، صلّى الله على جميعهم ، فصحَّ ضرورة أنَّ السماوات هى الجنات ، وقد قال عليه السلام : « إنَّ أرواح الشهداء طير خضر تعلّق فى ثمار الجنة »[٧٥].

ومن المحال الممتنع الذى لا يظنه مسلم ، أن تكون أرواح الشهداء طيورًا خضرًا[٧٦] فى الجنة ،

(٦٧) فى (أ ، ب) : (إلى) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : (من) .
(٦٩) فى (أ ، ب) : (كان هو) .
(٧٠) سورة الكهف : ٨٦ .
(٧١) فى (أ ، ب) : لم تذكر جملة (ومن كان عند العين فهو فى العين) .
(٧٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٧٣) فى (أ ، ب) : (وقد صح) .
(٧٤) فى (أ ، ب) : (من) .
(٧٥) ونص الحديث كما رواه أبو داود فى باب الجهاد : « قال رسول الله ﷺ » : « لما أصيب إخوان أحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة » .
(٧٦) لم تذكر فى (ح) كلمة (طيورًا خضرًا) .

وأرواح الأنبياء عليهم السلام فى غير الجنة ، إذ هم أولى بكل فضل[٧٧]، ولا مكان أفضل من الجنة .

حدثنا أحمد بن عمر[٧٨] بن أنس العذرى ، حدَّثنا أبوذرٍّ[٧٩] الهروى ، حدَّثنا أحمد ابن عبدان الحافظ النيسابورى بالأهواز ، حدثنا محمد[٨٠] بن سهل القرشى ، حدَّثنا محمد ابن إسماعيل البخارى[٨١] مؤلف الصحيح ، حدثنا أبو عاصم[٨٢] النبيل حدَّثنا عبد الله[٨٣] بن أمية ابن عبد الله بن خالد ابن أسيد ، حدثنا محمد[٨٤] بن جبير عن صفوان[٨٥] بن يعلى عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « البحر من جهنم أحاط به سرادقها[٨٦]» .

حدثنا يوسف بن عبد الله بن مغيث ، حدثنا أحمد بن[٨٧] عبد الله بن عبد الرحيم حدّثنا

(٧٧) لم تذكر فى (خ) جملة (إذ هم أولى بكل فضل) .

(٧٨) هو أحمد بن عمر بن أنس الزغبى العذرى المعروف بابن الدلائى ، ولد سنة ٣٩٣ هـ ، وأقام ثمانى سنوات فى مكة فى صباه ، وأخذ عن علمائها ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ بالمرية ، له كتاب المسالك والممالك قيل : إنه من أجل ما صنف فى موضوعه ، وله أيضًا كتاب : دلائل النبوة (الأعلام للزركلى حـ ١ ص ١٧٩) .

(٧٩) هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفير أبو ذر الأنصارى الهروى ، ولد سنة ٤٣٤ هـ عالم بالحديث ، من الحفاظ ، ومن فقهاء المالكية ، أصله من « هراة » نزل بمكة ومات بها . له تصانيف منها تفسير القرآن ، والمستدرك على الصحيحين ، ومعجمان أيضًا أحدهما فيمن روى عنه الحديث ، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم . توفى بمكة سنة ٤٧٥ هـ (الأعلام : حـ ٤ ص ٤١) .

(٨٠) هو محمد بن أبى سهل القرشى ، روى عن مكحول بحديث مرسل ، وعنه أبو بكر بن عياش ، وخراشى القرشى ، قال البخارى : لا يتابع على حديثه ، وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب لابن حجر حـ ٩ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٨١) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن بروزيه الجعفى ، مولاهم أبو عبد الله البخارى ، ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ ، وتوفى يوم السبت غرة شوال سنة ٢٥٦ هـ قال أحمد بن سيار المروزى : محمد بن اسماعيل طلب العلم ، وجالس الناس ، ومهر فى الحديث ، ورحل إليه . وقال أبو عباس بن سعد : لو أن رجلًا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب محمد بن اسماعيل ، وروى عنه أنه كان لا يضع حديثًا إلا توضأ ، وصلى ركعتين . وكتابه يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله (تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٤٧ – ٥٥ بتصرف) .

(٨٢) هو الضحاك بن مخلد الضحاك الشيبانى أبو عاصم النبيل البصرى ، حدث عن نفسه فقال : ولدت سنة ١٢٢ هـ وقال حابر بن كردى : توفى سنة ٢١١ هـ وقال غيره سنة ٢١٢ هـ ، وقال البخارى سنة ٢١٤ هـ . قال عنه عثمان الدارمى : إنه ثقة ، وقال العجلى ، ثقة كثير الحديث . وقال أبو حاتم : ثقة . وقال البخارى : سمعت أبا عاصم يقول : مذ عقلت أن الغيبة حرام ، ما اغتبت أحدًا قط . (تهذيب التهذيب : ٤ – ٤٥٠ – ٤٥٢ بتصرف) .

(٨٣)راجع ترجمته فى الجزء الأول .

(٨٤) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن قصى ، أبو سعيد المدنى ، روى عن أبيه وعمر وابن عباس ، وروى عنه أولاده ، والزهرى ، وعمر بن دينار وغيرهم . ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة ، وكان ثقة ، قليل الحديث ، وقال العجلى : مدنى تابعى ثقة ، وكان أعلم قريش بأحاديثها ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال خليفة بن خياط وغيره مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز رحمهم الله . (تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٩١ ، ٩٢ بتصرف) .

(٨٥) هو صفوان بن يعلى بن أمية التميمى ، روى عن أبيه ، وعنه ابن أخيه محمد بن على بن يعلى وعطاء بن أبى رباح ، والزهرى . ذكره ابن حبان فى الثقات . قلت وقال : روى عنه محمد بن جبير بن مطعم . (تهذيب التهذيب حـ ٤ : ٤٣٢) .

(٨٦) وروى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده بسنده قال : حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا أبو عاصم قال ثنا عبد الله بن أمية ، قال : حدثنى محمد بن حى ، قال : حدثنى صفوان بن يعلى عن أبيه : أن النبى ﷺ قال : البحر هو جهنم ، قالوا ليعلى فقال : ألا ترون أن الله عزّ وجل يقول : نارًا أحاط بهم سرادقها . قال : لا والذى نفس يعلى بيده ، لا أدخلها أبدًا حتى أعرض على الله عزَّ وجل ولا يصيبنى منها قطرة حتى ألقى الله عزَّ وجل . (مسند الإمام احمد : ٤ / ٢٢٣) .

(٨٧) هو الحافظ أبو بكر بن البرق ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، سمع من عمرو بن أبى سلمة ، وطبقته ، وله مصنف فى معرفة الصحابة ، رواه عنه أحمد بن على المدائنى ، وكان من الحفاظ المتقنين ، رفسته دابة فى رمضان سنة ٢٧٠ هـ فتلف رحمه الله . (تذكرة الحفاظ : للذهبى : ٢ / ٥٧٠) .

أحمد[٨٨] بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد السلام[٨٩] الخشنى ، حدّثنا محمد[٩٠] محمد بن بشّار ، حدَّثنا يحيى بن[٩١] سعيد القطان عن عثمان[٩٢] بن غيات عن عكرمة[٩٣] مولى ابن عباس عن ابن عباس رضى الله عنه عن كعب[٩٤] قال : « والبحر المسجور يُسْجر فيكون جهنم[٩٥]» .

حدَّثنا عبد الله بن ربيع التميمى ، حدّثنا عبد الله بن محمد[٩٦] بن عثمان الأسدى ، حدَّثنا أحمد بن خالد ، حدثنا على بن[٩٧] عبد العزيز ، حدّثنا الحجّاج[٩٨] بن المنهال السلمى ، حدَّثنا

---

(٨٨) هو أبو جعفر أحمد بن خالد الخلال ، الفقيه البغدادى . روى عن ابن عيينه ، ومعن بن عيسى القزاء ، وإسحاق الأزرق العسكرى ، والشافعى ، ويزيد بن هارون ، وروى عنه الترمذى والنسائى ، وأبو حاتم الرازى ، وعبد الله بن أحمد ، وأبو العباس بن مسروق ، وابن جرير وغيرهم . قال فيه العجلى : ثقة . وقال أبو حاتم : كان خيرًا ، فاضلًا ، عدلا ، صدوقًا ، وقال الدارقطنى : ثقة نبيل ، وقال النسائى : لا بأس به . مات سنة ٢٤٧ هـ . كما قال ابن نافع وقيل سنة ٢٦٣ هـ كما روى دلك ابن حجر (تهذيب التهذيب : ١ / ٤٧) .

(٨٩) هو محمد بن عبد السلام بن ثعلبه ، القرطبى الخشنى كنيته : أبو الحسن ، لغوى من حفاظ الحديث ، وهو من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق ، وأقام خمسًا وعشرين سنة متجولًا فى طلب الحديث ، كان ثقة كبيرًا الشأن ، أريد على القضاء فامتنع ، له مصنف فى شرح الحديث . (الأعلام : حـ ٧ / ٧٦ ، ٧٧) .

(٩٠) هو محمد بن بشّار العدلى ، شيخ يمانى ، روى عن بكر بن الشرود عن مالك ، وروى عنه جعفر بن برد بن السوس ، وأورد له الدارقطنى فى غرائب مالك حديثًا ، وقال : إنه حديث منكر ، وجعفر المذكور من شيوخ أبى سعيد بن الأعرابى . قال ابن حجر : « ما عرفت فيه جرحًا ولا فى شيخه ، وذكرته هنا للتمييز . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٧٣ بتصرف) .

(٩١) هو : يحيى بن سعيد بن فاروخ القطان ، التميمى ، أبو سعيد ، من حفاظ الحديث ، ثقة حجة ، من أقران مالك ، من أهل البصرة ، كان يفتى بقول أبى حنيفة ، وأورد له البلخى سقطات ولم يعرف له تأليف . توفى عام ١٩٨ هـ (الأعلام : ٩ / ١٨١) .

(٩٢) هو عثمان بن غياث الزهرانى ، البصرى ، روى عن أبى عثمان النهرى ، وأبى الشعثاء جابر بن زيد ، وعبد الله بن شقيق ، وعكرمة ابن عباس ، وعنه : شعبة والقطان وخالد بن الحارث وآخرون . قال البخارى عن على بن المدينى : له نحو عشرة أحاديث . وقال أحمد : ثقة . كان يرى : الارجاء . كتب عن عكرمة . روى أبو نعيم عنه ، وروى مسلم بن الحجاج عنه أيضًا ، كما علق عليه البخارى . (تهذيب التهذيب : ٦ / ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف) .

(٩٣) هو : عكرمة بن عبد الله البربرى ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعى كان من أعلم الناس بالتفسير ، والمغازى ، طاف البلدان . وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيًا . وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأى الصفرية وعاد إلى المدينة ، فطلبه أميرها ، فتغيب عنه حتى مات عام ١٠٥ هـ (الأعلام : ٥) .

(٩٤) هو : كعب بن مانع الحميرى ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، أسلم فى أيام أبى بكر ، وقيل فى أيام عمر ، روى عن عائشة ، ومعاوية ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام ، توفى فى حمص سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ، وقد بلغ مائة وأربع سنين . (تهذيب التهذيب : لابن حجر : ٨ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ بتصرف) .

(٩٥) هذا الأثر من كلام كعب الأحبار

(٩٦) سبق الترجمة له .

(٩٧) هو على بن عبد العزيز البغوى نزيل مكة أحد الحفاظ المكثرين مع علو الإسناد ، وهو عم الحافظ الكبير أبى القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوى المعروف بابن بنت منيع ، وجده لأمه هو أحمد بن منيع أحد الحفاظ ، مات على بمكة فى سنة بضع وثمانين ومائتين . (تهذيب التهذيب : ٧ / ٣٦٣) .

(٩٨) هو حجاج بن المنهال الأنماطى ، أبو محمد السلمى : روى عن جرير بن حازم والحمادين وشعبة ، وعبد العزيز الماجشون ، وعنه روى البخارى ، والباقون بواسطة الدرامى ، وبندار . قال أحمد : ثقة ، وقال حاتم : ثقة فاضل ، وقال العجلى : ثقة ، رجل صالح ، وقال النسائى : ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث . مات سنة ٢١٧ هـ . (تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ بتصرف) .

مهدى(٩٩) بن ميمون عن محمد بن عبد(١٠٠) الله بن أبى يعقوب الضّبى عن بشر(١٠١) بن شفاف قال : « كنا مع عبد الله بن(١٠٢) سلّام يوم الجمعة فى المسجد فقال : إنَّ الجنة فى السماء ، وإنَّ النّار فى الأرض » وذكر كلامًا كثيرًا . نسبة إلى الحجاج بن المنهال ، حدثنا حمّاد(١٠٣) بن سلمة عن داود(١٠٤) عن سعيد(١٠٥) بن المُسَيَّبْ أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال ليهودى : أين جهنم ؟ قال : فى البحر قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ما أظنه إلّا صدق .

حدثنا المُهَلَّبْ(١٠٦) الأسدى ، حدّثنا ابن مناس ، حدثنا ابن مسرور ، حدّثنا يونس ابن(١٠٧) عبد الأعلى ، حدَّثنا عبد الله(١٠٨) بن وهب عن شبيب(١٠٩) بن سعيد عن المنهال

---

(٩٩) هو مهدى بن ميمون الأسدى ، الكردى ، البصرى : أبو يحيى ، من حفاظ الحديث ، عدّه شعبة وابن حنبل من الثقات . قال أبو سعيد الأشج عن عبد الله بن إدريس : قلت لشعبة أى شىء تقول فى مهدى بن ميمون ؟ قال : ثقة . وقال ابن معين والنسائى ، وابن حراس : ثقة . وذكره ابن حبان : فى الثقات . مات سنة ١٧٢ هـ . (تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٢٧) .

(١٠٠) هو : محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب التيمى الضبى البصرى ، وقد ينسب إلى جده ، روى عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن على ، وعبد الرحمن بن أبى بكرة ، ورجاء بن حيوه ، وعنه روى جرير بن حازم ، ومهدى بن ميمون ، وهشام بن حساں ، وشعبة ، وواصل مولى أبى عيينه قال معين ، وأبو حاتم ، والنسائى : ثقة ، وقال شعبة : هو سيد بنى تميم ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، نقله أبو الوليد فى رجال البخارى . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ بتصرف) .

(١٠١) هو : بشر بن شفاف الضبى ، البصرى ، روى عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن سلام ، وعنه روى أسلم العجلى ، وخالد الحذّاء ، ومحمد بن عبد الله بن أبى يعقوب ، قال عثمان الدرامى عن يحيى بن معين : ثقة وكذا قال العجلى . وذكره ابن حبان فى الثقات . وأخرج له هو والحاكم فى صحيحيهما ، مات بعد السنين . (تهذيب التهذيب : ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ بتصرف) .

(١٠٢) عبد الله بن سلام (ت ٤٣ هـ) : هو عبد الله بن الحارث الإسرائيلى أبو يوسف ، صحابى قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة ، وكان اسمه الحصن فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وفيه نزلت الآية ، « وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله » وشهد مع عمر فتح بيت المقدس ، ولما كانت الفتنة بين على ومعاوية اتخذ سيفا من خشب واعتزل ، وأقام بالمدينة حتى مات له ٣٥ حديثًا . (الأعلام) .

(١٠٣) أنظر ترجمته فى ص ١٤٥ .

(١٠٤) داود : هو أبو سليمان داود بن على بن داود بن خلف الأصفهانى ، أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة وألقى ما سوى ذلك من الرأى والقياس ، وكان فاضلًا صادقًا ورعًا . توفى سنة ٢٧٠ هـ وله من الكتب : كتاب الإيضاح ، كتاب الإفصاح ، كتاب الدعوى والبينات . كتاب الأصول ، كتاب الحيض . وبقية ترجمته مفصلة فى (فهرست النديم : الفن الرابع من المقالة السادسة ٢٧١) .

(١٠٥) سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤ هـ) (٦٣٤ - ٧١٣ م) . هو سعيد بن المسيب بن حرن بن أبى وهب المخزومى القرشى ، أبو محمد سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش مں التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاء ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى رواية عمر . توفى بالمدينة . ترجمته فى طبقات ابن سعد : ٥ / ٨٨ ، والوفيات : ١ / ٢٠٦ ، وصفوة الصفوة : ٢ / ١٥٥) .

(١٠٦) المهلب : هو ابن أبى صفرة ظالم بن سارق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد العتكى الأزدى أبو سعيد البصرى . روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن عمرو سمرة بن جندب ، والبراء بن عازب . وعنه : أبو إسحاق السبيعى ، وسماك بن حرب وعمر بن يوسف البصرى ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل البصرة ، قال : وكان أبوه ممن أسلم ثم ارتد فى زمن أبى بكر ثم أسلم ونزل البصرة وشرف بها ، وقد أدرك المهلب عمر ولم يسمع منه ويقال : إن عمر قال لابن أبى صفرة : هذا سيد ولدك يعنى المهلب ، ويروى عن أبى إسحاق السبيعى : ما رأيت أميرًا كان أفضل من المهلب . قال خليفة · مات سنة ٨١ هـ وقيل سنة ٨٢ هـ وله ست وسبعون سنة ، فيكون مولده على هذا عام الفتح أو قبله . (تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٣٠) .

(١٠٧) هو : يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة أبو موسى المصرى . روى عن ابن عيينه والوليد بن مسلم وغيرهم . وعنه مسلم والنسائى وابن ماجة وغيرهم . قال ابن أبى حاتم : « سمعت أبى يوثقه ، ويرفع من شأنه . وقال الطحاوى كان ذا عقل ، وذكره ابن حبان فى الثقات . توفى سنة ٢٦٤ هـ وكان مولده سنة ١٧٠ هـ . (تهذيب التهذيب : ١١ / ٤٤٠) .

(١٠٨) هو : عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود ، الأسدى ، القرشى ، صحابى من الشعرا ، يقال له : ابن وهب الأكبر لتميزه =

عن شقيق[١١٠] ابن سلمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الأرض كلها يومئذ نار ، والجنة من ورائها ، وأولياء الله تعالى فى ظل عرش الله تعالى .

قال أبو محمد : وقال الله تعالى : « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهاَ أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَر ، وَلَا الَّليْلُ سَابِقَ النَّهارِ »[١١١].

فبيّن تعالى أن الشمس أبطأ من القمر ، وهكذا قام البرهان بالرَّصد أن الشمس تقطع السماء فى سنة ، والقمر يقطعها فى ثمانية[١١٢] وعشرين يومًا . ثم نصَّ تعالى : أنَّ الليل لا يسبق النهار ، فبين بهذا حكم الحركة الثانية التى للفلك الكلى ، وهى التى تتم فى كل يوم وليلة دورة ، ويتساوى فيها جميع الدرارى ، والنجوم . والشمس والقمر ، وقال تعالى : « فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَه بَابٌ ، بَاطِنُه فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِه العذاب »[١١٣].

وأخبر تعالى أنَّ أرواح الكافرين لا تفتّح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة ، فصحّ أن من فتحت له أبواب السماء دخل الجنة .

وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ شدّة الحر من فيح جهنم ، وأنَّ لها نفسين نفسًا فى الشتاء ونفسًا فى الصيّف ، وأنَّ ذلك أشدّ ما نجد من الحرّ والبرد[١١٤] » وأنَّ نارنا هذه[١١٥] أبرد من نار جهنم بتسع وستين درجة ، وهكذا نشاهد من فعل الصواعق ، فإنها تبلغ من الإحراق والإذابة[١١٦] فى مقدار اللمحة ما لا تبلغه نارنا فى المدد الطوال ، وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ آخر أهل الجنة

= عن عبد الله ابن وهب زمعة التابعى . أسلم يوم الفتح سنة ٨ هـ . وقتل فى المدينة يوم حصر عثمان فى داره ، ويسمى يوم الدار . (الأعلام : ٤ / ٢٢٨) .

(١٠٩) هو : شبيب بن سعيد التميمى : أبو سعيد ، البصرى ، روى عن إبان بن أبى عياش وروح بن القاسم ، ويونس بن زيد الأيلى وغيرهم ، وعنه روى ابن وهب ، ويحيى بن أيوب ويزيد بن بشر الحضرمى . قال ابن المديني : ثقة . كان يختلف فى تجارة إلى مصر ، وكتابه كتاب صحيح ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال النسائى : ليس به بأس . مات بالبصرة سنة ١٨٦ هـ فيما ذكره البخارى . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ بتصرف) .

(١١٠) شقيق بن سلمة الأسدى : أبو وائل الكوفى ، أدرك النبى ﷺ ولم يره . وروى عن أبى بكر وعمر ، وعثمان ، ومعاذ بن جبل ، وخباب بن الأرت ، وكعب بن عجرة وعنه : روى الأعمش ، ومنصور ، وحصير بن عبد الرحمن . قال وكيع : كان ثقة . وقال خليفة بن حياط : مات بعد الحجاج سنة ٨٢ هـ . وقال الواقدى . مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٦٠ - ٣٦٣ بتصرف) .

(١١١) سورة يس : ٤٠ .

(١١٢) فى (خ) : (ستة وعشرين) .

(١١٣) سورة الحديد : ١٣ .

(١١٤) ذكره البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق باب صفة النار ونصه : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ، واشتكت النار إلى ربها فأذن لها فى كل عام بنفسين ؛ نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير . ورواه مسلم فى المساجد باب استحباب الابراد بالظهر ، والترمذى رقم ٢٥٩٥ فى صفة جهنم .

(١١٥) فى (خ) : لم تذكر كلمة (هذه) .

(١١٦) فى (أ ، ب) : (والأذى) .

دخولًا فيها بعد خروجه من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرّات »[١١٧]. رويناه من طريق أبى سعيد الخدرى مسندًا وصحّ أيضًا مسندًا عن رسول الله ﷺ : « أنَّ الدنيا فى الآخرة كإصبع فى اليم »[١١٨].

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فى نسبة المساحة[١١٩] لا فى نسبة المدّة ، لأن مدّة الآخرة لا نهاية لها ، وما لا نهاية له فلا ينسب شيء منه ألبتة بوجه من الوجوه ، ولا هو أيضًا نسبة من السرور واللّذة ، ولا الحزن والبلاء لأن[١٢٠] سرور الدنيا مشوب بألم ومتناهٍ ، وحزنها متناهٍ مُنْقضٍ ، وسرور الآخرة وحزنها تخالصان غير متناهيين . وهكذا قام البرهان من قبل روايتنا لنصب السماء[١٢١] أبدًا على أنه لا نسبة للأرض عن السماء ولا قدر وقال عزّ وجل : « وجنَّةٍ عرضها السَّمَاوات والأرض »[١٢٢].

وقال تعالى : « وجنَّةٍ عرضُها كعرض السَّماء والأرض »[١٢٣].

وقال تعالى : « وجنى الجنَّتين دان »[١٢٤].

وذكر رسول الله ﷺ : « أنَّ للجنة ثمانية أبواب »[١٢٥].

وقال عليه السلام : « فاسألوا الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوق ذلك عرش الرَّحمن »[١٢٦].

---

(١١٧) روى ابن ماجه هذا الحديث بسنده عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة : رجل يخرج من النار حبوًا فيقال له : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله سبحانه اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب إنها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا ربِّ إنها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . (أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا) فيقول : أتسخر بى (أو تضحك بى) وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقال : هذا أدنى أهل الجنة منزلًا » . (ابن ماجه – ص ١٤٥٢ رقم الحديث ٤٣٣٩) .

(١١٨) الحديث رواه مسلم فى كتاب رقم ٥٥ ، والترمذى فى الزهد : ١٥ ؛ وابن ماجه فى الزهد . ٣ ، وأحمد بن حنبل : ٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ . ولفظ الحديث عند ابن ماجه « ما مثل الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم ، فلينظر بم يرجع » .

(١١٩) فى (أ ، ب) : المسافة .

(١٢٠) فى (أ ، ب) : (فإن) .

(١٢١) فى الأصل (من قبل دويتنا) وهو تحريف . وفى (خ) : (لنصف السماء) وهو أيضًا تحريف .

(١٢٢) آل عمران : ١٣٣ .

(١٢٣) الحديد : ٢١ .

(١٢٤) الرحمن : ٥٤ .

(١٢٥) رواه البخارى ونصه : « فى الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمّى الريَّان لا يدخله إلا الصائمون » (فتح البارى الجزء السادس . باب صفة أبواب الجنة ص ٣٢٨ – ط المكتبة السلفية .

(١٢٦) سبق تحقيق هذا الحديث فى ص ٢٤٢ .

فصح يقينا أنهما جنتان : إحداهما عرضها السماوات والأرض . والأخرى : عرضها كعرض السماء والأرض .

وقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان »(١٢٧).

إنما هو خبر عن الجميع أن لهم هاتين الجنتين ، فالتى عرضها السماوات والأرض هى السماوات السبع ، لأنّ عرض الشىء منه بلا شك ، وكل(١٢٨) كروى فإنَّ جميع أبعاده عروض فقط . وذكرت الأرض هنا لدخولها فى جملة مساحة السماوات ، وإحاطة السماوات بها . والتى عرضها كعرض السماء والأرض : هو الكرسى المحيط بالسماوات والأرض ، قال الله تعالى : « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ »(١٢٩).

فصح أنَّ عرضه كعرض السماوات والأرض مضافًا بعض ذلك إلى بعض وصحّ أن لها ثمانية أبواب فى كلّ سماء باب ، وفى الكرسىِّ باب ، وصحَّ أنّ العرش فوق أعلى الجنة فهو محل الملائكة وموضعها ليس من الجنة فى شىء بل هو فوقها ، وكذلك قوله تعالى : « الَّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه »(١٣٠) بيان جلىّ بأن العرش جرم(١٣١) آخر فيه الملائكة .

وقد ذكر بأنَّ البرهان يقوم بذلك – من أحكم النظر فى الهيئة . وهذه نصوص ظاهرة جلية دون تكلف تأويل .

* * *

قال أبو محمد : وقوله تعالى : « كعرض السماء » .

ذكر لجنس السماوات ، لأنَّ السماوات اسم للجنس يدل عليه قوله : « وَسِعَ كُرْسِيُّه السَّماواتِ والأَرْضَ » .

وقال « عَلِىٌّ(١٣٢) » : ومثل هذا كثير ممَّا إذا تدبَّره المتدبر علم(١٣٣) صحّة ما قلنا من أنّ ما يثبت ببرهان فهو منصوص فى القرآن ، وكلام النبى ﷺ .

(١٢٧) الرحمن : ٤٦ .
(١٢٨) فى (أ ، ب) : (وكل جرم كرسى) وهو تحريف لا معنى له .
(١٢٩) البقرة : ٢٥٥ .
(١٣٠) غافر : ٧ .
(١٣١) فى (أ ، ب) : « بأن على العرس جرما آخر .
(١٣٢) فى (أ ، ب) : « وقال أبو محمد » .
(١٣٣) فى (أ ، ب) : (دل على) .

« كذبُ من ادَّعى لمدّة الدّنيا عددًا معلومًا[1] »

قال أبو محمد : وأما اختلاف الناس فى التاريخ ، فإنَّ اليهود يقولون : للدنيا أربعة آلاف سنة[2]. والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأمّا نحن فلا نقطع على علم[3] عددٍ معروف عندنا . ومن[4] ادّعى فى ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح ، بل صحّ عنه عليه السلام خلافه ، بل نقطع على أنَّ للدنيا أمدًا[5] لا يعلمه إلَّا الله عز وجل ، قال الله تعالى : « ما أشْهَدتُهْم خَلْقَ السَّمَاواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ أَنْفُسِهِم »[6]. وقول رسول الله ﷺ : « ما أنتم فى الأُمَمِ قبلكم إلَّا كالشَّعرةِ البَيْضاءِ فى الثَّورِ الأسود ، أو كالشعرة السَّوداء فى الثّور الأبيض »[7].

هذا عنه عليه السلام ثابت ، وهو عليه السلام لا يقول إلَّا عين الحق ولا يسامح بشىء من الباطل لا بإعياءٍ ولا بغيره[8]، فهذه نسبة من تدبّرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض وأنه الأكثر – علم أنَّ للدنيا عددًا لا يحصيه إلَّا الله تعالى[9].

---

(١) فى (أ ، ب) : (مطلب بيان كذب من ادعى ... الخ) .

(٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (ونيف) .

(٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (علم) .

(٤) فى (أ ، ب) : وأمّا) .

(٥) فى (أ ، ب) : (أمرًا) وهو تحريف .

(٦) الكهف : ٥١ .

(٧) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى البخارى فى باب (رقاق) ٤٥ ، ٤٦ ، وأنبياء ٧ تفسير سورة ٢٣ ، وفى مسلم فى باب الإيمان : ٣٧٧ ، وابن ماجه فى الزهد : ٣٤ .

(٨) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (لا بإعياء ولا بغيره) .

(٩) فى (أ ، ب) : (إلا الله الخالق تعالى) .

وكذلك قوله ﷺ : « بُعِثْتُ والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »[١٠]. وضم إصبعيه المقدّستين السبّابه والوسطى .

وقد جاء النصُّ بأنَّ السّاعة لا يعلم متى تكون ؟ إلّا الله عزَّ وجل لا أحدٌ سواه ، فصحّ أنه عليه السلام إنّما عنى شدّة القرب لا فضل الوسطى[١١] على السّبابة ، إذ لو أراد فضل ذلك لأخذت نسبة ما بين الإصبعين ، ونسب ذلك من طول الوسطى ، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة ، وهذا باطل .

وأيضا فكان تكون نسبته عليه السلام إيّانا إلى من قبلنا بأنه كالشعرة فى الثور كذبًا ، ومعاذ الله تعالى من ذلك .

فصح أنه عليه السلام إنّما أراد شدة القرب ، وله عليه السلام مذ بعث أربعمئة عام ونيف ، والله أعلم ما بقى من الدنيا ، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف ، وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى ، فهذا الذى قاله عليه السلام من أننا فيمن مضى كالشعرة فى الثور أو الرقمة فى ذراع الحمار .

قال أبو محمد : وقد رأيت بخط الأمير أبى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الناصر رحمه الله قال حدثنى محمد بن معاوية القرشى أنه رأى بالهند بُدًا له اثنان وسبعون ألف سنة ، وقد وجد محمود[١٢] ابن سُبُكْتَكَيْن بالهند مدينةً يؤرخون لها بأربعمائة ألف سنة .

قال أبو محمد : ألا إنَّ لكل ذلك أولًا ومبدأ ولابدَّ من نهاية ، لم يكن شيء من العالم موجودًا قبلها ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ومما اعترض به بعضهم أن قال : أنتم تقولون : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ، ويلبسون ويطئون النساء، وأنَّ هنالك جوارى أبكارًا خلقن لهم ، وذلك المكان لا فساد فيه ولا استحالة ، ولا مزاج ، وهذه أشياء كوائن فواسد فكيف الأمر ؟

قال أبو محمد : إن هاهنا ثلاثة أجوبة :

أحدها : برهان ضرورى سمعى . والثانى : برهان نظرى مشاهد . والثالث : إقناعى خارجى على أصول المعارض لنا .

---

(١٠) روى هذا الحديث بروايات عدة منها ما رواه البخارى ومسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بإصبعيه يمدهما ، وفى رواية كفصل إحداهما على الأخرى ، وضم السبابة والوسطى . وقد وردت رواية البخارى فى كتاب الرقاق ، وفى تفسير سورة النازعات ، وفى الطلاق باب اللعان ، ومسلم رقم ٢٩٥٠ فى الفتن ، باب : قرب الساعة) .

(١١) فى (أ ، ب) : (لا فضل طول الوسطى) .

(١٢) هو : محمود بن سبكتكين الغزنوى السلطان يمين الدولة ، أبو القاسم ، فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، مات والده ناصر الدولة سنة ٣٨٧ هـ ، فاستولى بعده على الملك بعد معالك طاحنة بينه وبين إخوته والعارضين له ، كان صارمًا ، صائب الرأى ، يجالس العلماء ويناظرهم ، توفى سنة ٤٢١ هـ (الأعلام : للزركلى . ص ٨ ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف) .

فالأول : وهو الذى يعتمد عليه هو[١٣] البرهان الضرورى قد قدمناه ، على أنّ الله عزّ وجل خلق الأشياء وابتدعها مخترعًا لها لا من شىء ، ولا على أصل متقدّم ، وإذ لا شك فى هذا فليس شىء متوهم أو مسئول عنه[١٤] يتعذّر من قدرة الخالق عزّ وجل إذ كان[١٥] ما شاء كوّنه . [ولا فرق بين خلقه عزّ وجل ، كل ذلك فى هذه الدار – وبين خلقه كذلك فى الدار الآخرة] .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ الذى قامت البراهين الضرورية على أن الله عزَّ وجل بعثه إلينا ، ووسّطه للتبليغ عنه وعلى صدقه فيما أخبر به أنّ الأكل والشرب واللباس ، والوطء هنالك ، وكان هذا الخبر قبل[١٦] أن يخبرنا به الصادق عليه السلام داخلًا فى حدّ الممكن لا فى حدّ[١٧] الممتنع ، ثم لما أخبرنا به الله عزّ وجل على لسان رسوله ﷺ صحّ علمنا به ضرورة فبان أنه فى حدّ الواجب .

وأمّا الجواب الثانى : فهو أنَّ الله عزّ وجل خلق أنفسنا ورتّب جواهرها وطباعها الذاتية رتبةً لا تستحيل ألبتة على التذاذ المطاعم والمشارب والرّوائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطربة ، والملابس المعجبة على حسب موافقة كل ذلك لجوهر أنفسنا ، هذا ما لا مدفع فيه ، ولا شك فى أنَّ النفوس هى المتلذّذة[١٨] بكل ما ذكرنا ، وأنَّ الحواسَّ الجسدية هى المنافذ الموصلة لهذه الملاذ إلى النفوس ، وكذلك المكاره كلها . وأمّا الجسد فلا حسَّ له ألبتة ، فهذه طبيعة جوهر أنفسنا التى لا سبيل إلى وجودها دونها ، فإذا[١٩] جمع الله تعالى يوم القيامة فى عالم الجزاء[٢٠] بين أنفسنا وبين الأجساد المركبة لها وعادت كما ذكرنا جوزيت هنالك ، ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعها التى لم توجد قط إلّا كذلك ، ولا لها لذة سواها ، إلّا أن الطعام الذى هنالك غير معالى بنار ، ولا ذو آفاتٍ ، ولا مستحيلٌ قذرًا ودمًا ، ولا ذبح هنالك ، ولا آلام ولا تغيّر ، ولا موت ولا فساد ، وقد قال تعالى : « لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفون »[٢١].

وتلك الملابس غير محوكة بنسيج[٢٢] ولا فانية ولا متغيرة ، ولا تقبل البلى[٢٣] وتلك الأجساد

(١٣) فى (أ ، ب) : هو أن .
(١٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عنه) .
(١٥) فى (أ ، ب) . (إذ كل) .
(١٦) فى (أ ، ب) : (الذى أخبرنا) .
(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (حد) .
(١٨) فى (أ ، ب) : (الملتذة) .
(١٩) فى (أ ، ب) : (إذا) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت (فى عالم الجزاء) .
(٢١) الواقعة : ١٩ .
(٢٢) فى (أ ، ب) : (بنسج) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (البلاء) .

لا كدر فيها ولا خِلط ولا دم ولا أذى ، وتلك النفوس لا رذيلة فيها من غلٍّ ولا حسد ولا حرص قال الله عزَّ وجل : « ونَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهم مِنْ غلٍّ إخوانًا »[٢٤].

وأخبر رسول الله ﷺ عن المخرجين من النار أنهم يطرحون فى نهر على باب الجنة . فإذا نُقُّوا وهُذِّبوا – هذا نص لفظ رسول الله ﷺ ثم بعد التنقية أخبر رسول الله ﷺ أنهم حينئذ يصيرون إلى الجنة[٢٥]، فصحّ أنَّ الملاذ من هذه الأشياء المتناولات تصل إلى النفوس هنالك على حسب اختلاف وجود النفس لها ، وتغاير أنواع التذاذها بها ، وأوقعت عليها الأسماء لإفهامنا المعنى المراد .

وقد روينا عن ابن عباس ما حدَّثنا يحيى[٢٦] بن عبد الرحمن بن مسعود ، حدثنا قاسم[٢٧] ابن أصبغ ، حدثنا إبراهيم[٢٨] بن عبد الله العبسى ، حدّثنا وكيع[٢٩] بن الجرّاح ، حدثنا الأعمش[٣٠] عن أبى ظَبيان[٣١] عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ليس فى الجنة ممّا فى الدنيا إلا الأسماء . وهذا سندٌ فى غاية الصحة ، وهو أول حديث فى قصة وكيع المشهورة .

* * *

قال أبو محمد : وأما الوطء فهو هنالك كما هو عندنا هاهنا إلّا[٣٢] أنه ليس فيه مئونة[٣٣] ولا استحالة ، وإنما هو التذاذ للنفس بمداخلة بعض الجسد المضاف إليها لجسد آخر فقط .

(٢٤) الحجر : ٤٧ .

(٢٥) وبص الحديث كما جاء فى رواية الترمذى : قال رسول الله ﷺ : « يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها حُمَمًا ، ثم تدركهم الرحمة فيُخرجون فيطرحون على أبواب الجنة ، قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون كما ينبت الغُثَّاء فى حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة ، رقم ٢٦٠٠ ، فى صفة جهنم » . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢٦) يحيى هو :

(٢٧) هو : قاسم بن إصبغ بن محمد بن يوسف ، القرطبى ، محدث الأندلس ، أصله من بيّانة من أعمال « قرطبة » ، سكن قرطبة ومات بها ، وكان جدّه من موالى بنى أمية . من مؤلفاته : سند مالك . وبر الوالدين ، وأحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ . توفى سنة ٣٤٠ هـ (الإعلام : حـ ٦ ص ١٧٢) .

(٢٨) هو : إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسى ، أبو شيبة بن أبى بكر الكوفى ، روى عن عمر بن حفص بن عياش ، وحفص بن عون ، وغيرهم ، له مسائل عن أحمد بن حنبل . روى عنه النسائى ، وابن ماجه ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والسراج ، والطبرى . وغيرهم . قال أبو حاتم : صدوق . وقال ابن عقده : مت فى رمضان سنة ٢٦٥ هـ (تهذيب التهذيب : ١٣٦/١ ، ١٣٧ بتصرف) .

(٢٩) هو : وكيع بن الجراح بن مليح ، أبو سفيان ، حافظ للحديث ، ثبت ، كان محدث العراق فى عصره ، ولد بالكوفة ، وأبوه ناظر على بيت المال فيها . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعا ، كان يصوم الدهر ، له كتب منها : تفسير القرآن والسنن ، والمعرفة والتاريخ . قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أحدًا أوعى منه ولا أحفظ . مات سنة ١٩٧ هـ (الإعلام حـ ٩ ص ١٣٥) .

(٣٠) هو : سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى ، مولاهم أبو محمد الكوفى الأعمش ، يقال : أصله من « طبرستان » . ولد بالكوفة ، روى عن أنس ، ولم يثبت له من سماع قال ابن المناوى : قد رأى أنس بن مالك ألّا لم يسمع منه . كان يسمى المصحف لصدقه . قال العجلى : كان ثقة ثبتا فى الحديث . ويقال أنه ولد يوم قتل الحسين سنة ٦١ هـ ومات سنة ١٤٥ هـ . (تهذيب التهذيب . حـ ٤ ص ٢٢٢) .

(٣١) أبو ظبيان : ذكره تهذيب التهذيب فى الكنى وقال : الرشى ، حدث عن عمر وعنه أحد سلمة بن كهيل (تهذيب التهذيب . باب الكنى حـ ١٤٠/١٢) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : (لأنه) .

(٣٣) فى (خ) : موت .

وأمَّا الجواب الثالث الإقناعى ، وهو موافق لأصولهم ، ولسنا نعتمد عليه : فهو أنَّ[٣٤] قدماء الهند قد ذكروا فى كلامهم فى الأفلاك والبروج ، ووجوه المطالع أنه يطلع مع كل وجه من وجوه البروج صور وصفوها ، وذكروا أنه ليس فى هذا العالم[٣٥] صوره إلَّا وهى فى العالم الأعلى .

قال أبو محمد : وهذا إيجاب منهم أنَّ هنالك ملابس ومشارب ومطاعم ووطءًا ، وأنهارًا وأشجارًا ، وغير ذلك .

قال أبو محمد : وعارضنى يومًا نصرانى كان قاضيًا على نصارى قرطبة فى هذا وكان يتكرَّر على مجلسى فقلت له : أوليس فيما عندكم من[٣٦] الإنجيل أنَّ المسيح ﷺ قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح ، وفيها أُخِذَ بزعمكم[٣٧]، وقد سقاهم كأسًا من خمر وقال : « إنّى لا أشربها معكم أبدًا حتى تشربوها معى فى الملكوت عن يمين الله تعالى »[٣٨].

وقال فى قصة الفقير المسمّى « العاذار » الذى كان مطرحًا على باب الغنىّ تلحس الكلاب جراح قروحه ، وأنَّ ذلك الغنىّ نظر إليه فى الجنّة متكئًا فى حجر إبراهيم ﷺ فناداه الغنىّ وهو فى النار : « يا أبى يا إبراهيم ، ابعث العاذار إلىَّ بشىءً من ماء يبُلُّ به لسانى » .

وهذا نص على أن فى الجنة شرابًا من ماء وخمر ، فسكت النصارنى وانقطع . وأمّا التوراة التى بأيدى اليهود فليس فيها[٣٩] ذكرٌ لنعيم فى الآخرة أصلًا ، ولا لجزاء بعد الموت ألبتة .

قال أبو محمد : وكذلك الجواب فى أكل أهل النّار وشربهم سواء سواء[٤٠] كما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

* * *

---

(٣٤) فى (أ ، ب) : حذفت كلمة (أن) .
(٣٥) فى (أ ، ب) : (ليس فى العالم الأدنى) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (فى) .
(٣٧) فى (أ ، ب) : (بزعمهم) .
(٣٨) النص كما الانجيل الحالى : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميد وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ، وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه فى ملكوت جديدًا فى ملكوت أبى » (إنجيل متى : ٢٦/٢٦ - ٣٠) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فيها) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : (بسواء) .

قال أبو محمد : والأرض أيضًا سبع نطاق منطبقة بعضها على بعض كانطباق[٤١] السماوات لإخبار خالقنا بذلك ، وليس ذلك قبل الخبر فى حدِّ الممتنع بل فى حدِّ الممكن ، وذكر قوم قول الله تعالى : « يومَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّماوات »[٤٢].

فقلنا قال[٤٣] الله تعالى هذا حقًّا ، وقال عزَّ من قائل : « يومَ نَطْوِى السَّمَاءَ كطىِّ السِّجلِّ للكتب »[٤٤].

وقال عزّ وجل : « وفُتِحَت السَّمَاءُ فكانَتْ أبْوابًا »[٤٥].

وقال تعالى : « يومَ تَكُونُ السَّمَاءُ كالمُهْلِ ، وتَكُونُ الجبالُ كَالْعِهن »[٤٦].

وقال تعالى : « وَحملت الأرضُ والجِبالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعةُ ، وانْشَقَّت السَّماءُ فَهِىَ يَوْمئِذٍ واهِيةٌ ، والمَلَكُ عَلى أرْجَائها »[٤٧].

وقال تعالى : « إذا السَّماء انْشَقَّت »[٤٨].

وقال تعالى : « وَإِذا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، وأَلْقَتْ مَا فيها وتَخَلَّتْ ، وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ »[٤٩].

وقال تعالى : « إذا السَّمَاء انْفَطَرَت ، وإذا الكواكِبُ انْتَثَرتْ ، وإذا البِحَارُ فُجِّرَتْ »[٥٠].

وقال تعالى : « إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَ إذا النُّجومُ انكَدَرَتْ ، وَإِذا الجبالُ سُيِّرتْ »[٥١].

وقال تعالى : « أَنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانتا رتقا فَفَتَقْنَاهُمْا »[٥٢].

وقال تعالى : « كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُه وعدًا عَلَيْنَا إنَّا كُنَّا فَاعِلين »[٥٣].

---

(٤١) فى (أ ، ب) : (كإطباق) .
(٤٢) إبراهيم : ٤٨ .
(٤٣) فى (أ ، ب) : (قول) .
(٤٤) سورة الأنبياء : ١٠٤ وقد سقطت من (أ ، ب) .
(٤٥) النبأ : ١٩ .
(٤٦) المعارج : ٩ .
(٤٧) الحاقة : ١٤ — ١٧ .
(٤٨) الانشقاق : ١ .
(٤٩) الانشقاق : ٣ — ٥ .
(٥٠) الانفطار : ١ — ٣ .
(٥١) التكوير : ١ — ٣ .
(٥٢) الأنبياء : ٣٠ .
(٥٣) الأنبياء : ١٠٤ .

وقال تعالى[٥٤]: « خَالدينَ فِيهَا مَادَامَتْ السَّماواتُ والأرضُ إلّا مَا شَاءَ ربُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ »[٥٥].

فكل كلامه تعالى حق لا يحلُّ[٥٦] الاقتصار على بعضه دون بعض ، فصحَّ يقينًا أنَّ تبديل السّماوات والأرض إنما هو تبديل أحوالها لا إعدامها ، ولكن خلاؤها من الشّمس والقمر والكواكب والنجوم ، وتفتحها أبوابًا ، وكونها كالمهل ، وتشققها ووهيها ، وانفطارها ، وتدكدك الأرض[٥٧] والجبال ، وكونها كالعهن المنفوش ، وتسييرها وتسجر البحار فقط كما قال تعالى ، وبهذا تتألف الآيات كلّها ، ولا يجوز غير[٥٨] هذا أصلًا ، ومن اقتصر على آية التبديل كذب على[٥٩] كل ما ذكرنا ، وهذا كفر ممن فعله ، ومن جمعها كلها فقد آمن بجميعها ، وصدّق الله تعالى فى كل ما قال ، وهو[٦٠] يوجب ما قلنا ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : قد أكملنا ولله الحمد كثيرًا الكلام على الملل المخالفة لدين الإسلام الذى هو دين الله تعالى على عباده الذى لا دين له فى الأرض غيره إلى يوم القيامة ، وأوضحنا بعون الله وتأييده البراهين الضرورية على إثبات الأشياء ووجودها ثم على حدوثها كلها جواهرها وأعراضها بعد أنْ لم تكن ، ثم أنّ لها محدثا واحدًا مختارًا لم يزل[٦١]، لا شيء معه ، وأنه فعل لا لِعلَّةٍ ، وترك لا لعلّة ، بل كما شاء لا إله إلَّا هو ، ثم على صحّة النبوّات ، ثم على صحة نبوَّة[٦٢] محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، وأنّ ملته هى الحق ، وكل ملّة سواها باطل ، وأنه آخر الأنبياء عليهم السلام ، وملته آخر الملل .

فلنبدأ الآن بعون الله وتأييده فى ذكر نحل المسلمين ، وافتراقهم فيها[٦٣] وإيراد ما شغب به من شغب منهم فيما غلط في (شيء) من نحلته ، وإيراد البراهين الضرورية على إيضاح نحلة الحق من تلك النحل ، كما فعلنا فى الملل ، والحمد لله رب العالمين كثيرًا ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى القدير .

---

(٥٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (وذكر أهل الجنة) .
(٥٥) هود : ١٠٨ .
(٥٦) فى (أ ، ب) : (لا يجوز) .
(٥٧) فى (ح) : سقطت كلمة (الأرض) .
(٥٨) فى (أ ، ب) : (عن) .
(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .
(٦٠) فى (أ ، ب) : (وهذا) .
(٦١) فى (أ ، ب) : بزيادة (وحده) .
(٦٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (نبوة) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (وبيان الحق فى كل وبالله نستعين)

« الفِـرق الإســلامية »

قال أبو محمد : فرق المقرين بملة الإسلام خمسة ، وهم : أهل السنّة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج ، ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق ، وأكثر افتراق أهل السنة فى الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات سننبه عليها إن شاء الله تعالى ، ثم سائر الفرق الأربعة التى ذكرنا ففيها ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ، وفيها[1] ما يخالفهم الخلاف القريب .

فأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنّة من ذهب مذهب أبى حنيفة : النعمان[2] بن ثابت الفقيه رحمه الله تعالى : فى أنّ الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معًا ، وأنَّ الأعمال إنما هى شرائع الإيمان وفرائضه فقط .

وأبعدهم أصحاب جهم[3] بن صفوان ، وأبو الحسن[4] الأشعرى ، ومحمد[5] بن كرام

---

(١) فى (أ ، ب) · (وفيهم) .

(٢) فى (أ ، ب) : سقط (النعمان بن ثابت) .

هو أبو حنيفة بن ثابت التيمى بالولاء الكوفى ، إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة قيل أصله من بلاد فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، كان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، وأراده عمر بن هبيرة على القضاء فامتنع ورعا ، وأراده المنصور العباسى على القضاء ببغداد فأبى . توفى عام ١٥٠ هـ . (الأعلام · ٩ / ٤) .

(٣) هو أبو محرز السمرقندى المبتدع رأس الجهمية ، القائل بخلق القرآن ، قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ . (لسان الميزان : ٢ ص ١٤٢) .

(٤) أبو الحسن الأشعرى : هو على بن اسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه . مؤسس مذهب الأشاعرة . ولد فى البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة وتمسك به ، ثم رجع وجاهر بخلافه ، قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها : « مقالات الإسلاميين » و« الإبانة عن أصول الديانة » و« الرد على ابن الراوندى » توفى فى بغداد رحمه الله . (الأعلام · ٥ / ١٥٠) .

(٥) هو : محمد بن كرام بن عراق بن خرابة أبو عبد الله إمام الكرامية ، وهى من فرق الإبتداع فى الإسلام لأنه قال فى المعبود : « إنه جسم لا كالأجسام . وسجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور ، ثم توجّه إلى الشام ، ورجع ثانية إلى نيسابور ، فحبسه محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم أطلق . توفى سنة ٢٥٥ هـ بالقدس . (الأعلام · ٧ / ٢٣٦) .

السجستانى .. فإنَّ جهمًا والأشعرى يقولون : إن الإيمان عقد بالقلب فقط ، وإنْ أظهر الكفر والتثليث بلسانه ، وعبد الصليب فى دار الإسلام بلا تقية(٦).

ومحمد بن كرّام يقول : هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه .

وأقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد(٧) بن النجار وبشر بن غياث(٨) المريسى ، ثم أصحاب ضرار بن(٩) عمرو .

وأبعدهم أصحاب أبى الهذيل(١٠) العلاف .

وأقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة المنتمون إلى أصحاب الحسن(١١) بن صالح بن حى الهمذانى الفقيه القائلون بأنّ الإمامة فى ولد علىٍّ رضى الله عنهم والثابت عن الحسن بن صالح رحمه الله هو قولنا : إن الإمامة فى جميع قريش ، وتولّى جميع الصحابة رضى الله عنهم ، إلّا أنه كان يفضّل عليا رضى الله عنه على جميعهم .

وأبعدهم الإمامية .

وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السّنّة أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضى الغزارى الكوفى .

وأبعدهم الأزارقة .

---

(٦) قوله : « وإن أظهر الكفر .. الخ » هذا لا يقول به الأشعرى لأنه يقول : « لا يتحقق الإيمان بدون الإسلام ، وكذا العكس ، فمتى توقف تحقق الإيمان على وجود الإيمان على وجود الإسلام الذى منه عدم المنافى لا يتأتى أن نقول لمن آمن بقلبه وأظهر الكفر بلسانه مؤمنًا لأنه افتقد منه الإسلام الذى هو شرط لتحقق الإيمان . وعذر المؤلف أنه أندلسى من أقصى المغرب ، والأشعرى بصرى من المشرق والأزمنة متقاربة بينهما فلم تنقل تحقيقات مذهب الأشعرى إلى تلك البلاد فى هذا العهد بل نقل مذهبه إجمالًا مع نقل مذاهب الفرق ، فتراه يقع فى الأشعرى ويورد على ما له المناص منه ، ولذلك قال ابن السبكى فى الطبقات ما معناه : « إن ابن حزم لا يحقق مذهب الأشعرى ، فلا يغير الواقف باعتراضه على الأشعرى إمام أهل السنة والجماعة .

(٧) هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، كان من جلة المجبرة ومتكلميهم ، وله مع النظام مجالس ومناظرات ، وله كتب « الاستطاعة » و« الإرجاء » و« القضاء والقدر » وغيرها . وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه . (فهرست النديم : ٢٥٤) .

(٨) بشر المريسى : هو بشر بن غياث بن أبى كريمة ، عبد الرحمن المريسى ، فقيه معتزلى ، يرمى بالزندقة وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء ، وتنسب إليه . أخذ الفقه عن القاضى أبى يوسف . وقال برأى الجهمية ، وأوذى فى دولة هارون الرشيد ، وكان جده مولى يزيد بن الخطاب ، وقيل : كان أبوه يهوديًا ، وهو من أهل بغداد ، وللدارمى كتاب « النقض على بشر المريسى » فى الرد على مذهبه توفى سنة ٢١٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ٢٧ ، ٢٨ بتصرف) .

(٩) هو : ضرار بن عمرو القاضى ، معتزلى ، له مقالات خبيثة ، ذكره ابن النديم ، وذكر له ثلاثين كتابًا ، فيها الرد على المعتزلة ، والخوارج ، والروافض ، ولكنه كان معتزليًا له مقالات ينفرد بها ، وشهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه ، فهرب وأخفاه يحيى بن خالد . (لسان الميزان : ٣ / ٢٠٣) .

(١٠) الهذيل العلاف : هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصرى أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ، ومصنف الكتب الكثيرة فى مذهبهم ، كان خبيث القول ، فارق الإجماع وردّ نص كتاب الله ، وجحد صفات الله تعالى ، وكان كذابًا ، مات سنة ٢٢٧ هـ . (لسان الميزان : ٥ / ٤١٣) .

(١١) هو : حيان بن شعنى بن هنى بن رافع الهمدانى ، الثورى ، الكوفى ، أحد الأعلام . كان سفيان الثورى سيء الظن فيه ، دخل عليه يوم الجمعة ، فإذا الحسن يصلى ، فقال نعوذ بالله من خشوع النفاق ، وقال أبو زرعة عنه ، اجتمع فيه إتقان ، وفقه ، وعبادة ، قال الدارمى : « ما رأيت أحدًا الخوف أظهر على وجهه من الحسن » . وكان من كبار الشيعة الزيدية ، وفيها متكلمًا ، له كتاب التوحيد ، وكتاب الجامع فى الفقه ، وإنما حمل عليه من حمل لمحله من التشيع توفى سنة ١٦٨ هـ . (تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٨٥) .

وأما أصحاب أحمد بن خابط[١٢] وأحمد بن باسوس ، والفضل الحدثى[١٣]، والغالية من الروافض ، والمتصوفة والبطيحية أصحاب أبى إسماعيل البطيحيى ، ومن فارق الإجماع من العجاردية[١٤]، وغيرهم فليسوا من الإسلام فى شيء من أهله ، بل كفار بإجماع الأمة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٢) هو : أحمد بن خابط ، من أصحاب النظام ، وينتسب إليه ، ويقول بالطفرة ، وينفى الجزء الذى لا يتجزأ . وذهب إلى التناسخ ، مات أيام الواثق . (لسان الميزان : ٢ / ٨٠) .

(١٣) هو الفضل الحدثى ، نسبة إلى « الحديثة » ، بلد على الفرات ، وهو من أصحاب النظام ، وكان معتزليًا ، نظاميًا ، إلى أن خلط ، وترك الحق فنفته المعتزلة . (الانتصار : ١٤٩ على هامش الملل والنحل : للشهرستانى : ١ / ٣٥) .

(١٤) العجاردة : هم فرق كثيرة وكلها تتبع عبد الكريم بن عجرد ، وكان عبد الكريم من أتباع عطيه بن الأسود الحنفى ، والذى يجمع بين فرقها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام أو يصفه هو ، وفارقوا الأزارقة فى شيء آخر ، وهو أن الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم ، والعجاردة : لا يرون أموال مخالفيهم فيئًا إلّا بعد قتل صاحبها . (الفرق بين الفرق ، للبغدادى : ص ٩٣ ، ٩٤) .

« ذكر ما اعتمدت عليه كلّ فرقة من هذه الفرق فيما[1] اختصت به »

قال أبو محمد : أما المرجئة فعمدتهم التى يتمسّكون بها فالكلام فى الإيمان والكفر ما هما ؟ والتسمية بهما ، والوعيد ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وأمّا المعتزلة : فعمدتهم التى يتمسكون بها : الكلام فى التوحيد ، وما يوصف به البارى[2] تعالى ، ثم يزيد بعضهم الكلام فى القدر والتسمية بالفسق و[3]الإيمان والوعيد .

وقد يشارك المعتزلة فى الكلام فيما يوصف به البارى تعالى جهمُ بن صفوان ، ومقاتل ابن سليمان ، والأشعرية وغيرهم من المرجئة ، وهشام[4] بن الحكم وشيطان[5] الطاق ، وإسمه محمد بن جعفر الكوفى ، وداود الجوارِبى[6].. وهؤلاء كلهم شيعة ، إلّا أنا اختصصنا المعتزلة بهذا

---

(١) فى (أ ، ب) : مما .

(٢) فى (أ ، ب) : الله .

(٣) فى (أ ، ب) : (أو) .

(٤) هشام بن الحكم : هو أبو محمد الشيبانى ، من أهل الكوفة ، سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ، ومشهوريهم ، وكان مجسمًا ، وكان من الغلاة ، وكان ينقطع إلى يحيى بن خالد وكان عارفًا بصناعة الكلام ، له فيه مصنفات كثيرة ، وكان من أصحاب جعفر الصادق . مات بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستترًا . وقيل عاش إلى خلافة المأمون . (لسان الميزان حـ ٦ : ١٩٤) .

(٥) هو : محمد بن على بن النعمان البجلى ، الكوفى ، الملقب بشيطان الطاق ، نسب إلى سوق فى طاق المحامل فى الكوفة ، وكان يجلس للصرف بها ، ولما بلغ هشام بن الحكم شيخ الرافضة : أنهم لقبوه شيطان الطاق ، سماه هو : مؤمن الطاق ، وكان حسن الاعتقاد حاذقًا فى صناعة الكلام ، له مناظرات مع أبى حنيفة ، منها : لما مات جعفر الصادق قال أبو حنيفة له : قد مات إمامك ، قال : لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة – يعنى إبليس – له كتاب الإمامة ، وكتاب المعرفة وغيرهما . (لسان الميزان : ٥ / ٣٠٠) .

(٦) داود الجوارِبى : ورد ذكره فى « مقالات الإسلاميين » فى أثناء الكلام على اختلاف الناس فى التجسيم : (١ / ٢٥٨) . وذكر فى الفرق بين الفرق – فى الفصل الثامن : فى بيان مذاهب المشبّهه من أصناف شتى ، قال : ومنهم المشبهة المنسوبة إلى داود الجوارِبى الذى وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية . (الفرق بين الفرق : ٢٢٨) .

الأصل لأن كل من تكلّم فى هذا الأصل فهو غير خارج عن مذهب(٧) أهل السنة أو قول المعتزلة حاشا هؤلاء المذكورين من المرجئة والشيعة ، فإنهم انفردوا بأقوالٍ خارجة عن قول أهل السنة والمعتزلة .

وأمّا الشيعة : فعمدة كلامهم فى الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبى ﷺ ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وأمّا الخوارج : فعمدة مذهبهم الكلام فى الإيمان والكفر ، ما هما ؟ والتسمية بهما ، والوعيد(٨)، والإمامة ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وإنما اختصصنا(٩) هذه الطوائف بهذه المعانى لأن من قال إنَ أعمال الجسد إيمان ، فإنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وإنَّ مؤمنًا يكفر بشىء من(١٠) الذنوب ، وإنّ مؤمنًا بقلبه أو بلسانه يخلد فى النار فليس مرجئيًّا ، ومن وافقهم على أقوالهم هاهنا وخالفهم فيما عدا ذلك من كل ما اختلف المسلمون فيه فهو مرجىء .

ومن خالف المعتزلة فى خلق القرآن والرؤية والتشبيه والقدر وأنَّ صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لكن فاسق فليس منهم . ومن وافقهم فيما ذكرنا فهو منهم وإن خالفهم فيما سوى ما ذكرنا فيما اختلف فيه المسلمون .

ومن وافق الشيعة فى أنَّ عليًّا عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعى ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا ليس شيعيًا ، ومن وافق الخوارج فى(١١) إنكار التحكيم ، وتكفير أصحاب الكبائر ، والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأنَّ أصحاب الكبائر مخلدون فى النار ، وأنّ الإمامة جائزة فى غير قريش فهو خارجى ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما(١٢) اختلف فيه المسلمون وإن(١٣) خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا .

* * *

(٧) فى (أ ، ب) : (عن قول) .
(٨) فى (أ ، ب) : (والوعد) .
(٩) فى (أ ، ب) : (خصصنا) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (من أعمال) .
(١١) فى (أ ، ب) : (من) .
(١٢) فى (أ ، ب) : (مما) .
(١٣) فى (أ ، ب) : سقطت (وإن) .

قال أبو محمد : وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة رضى الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى ، ثم أصحاب الحديث ومن اتّبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم .

قال أبو محمد : وقد تسمّى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق أهل[١٤] الإسلام على أنه ليس مسلمًا مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا : إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشى فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين ، وبنات البنات ، وبنات بنى الإخوة ، وبنات بنى الأخوات ، وقالوا : إن سورة يوسف ليست من القرآن . وآخرون منهم قالوا بحدّ الزانى والسارق ثم يستتابون من الكفر ؛ فإن تابوا وإلّا قتلوا .

وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا : بتناسخ الأرواح .

وآخرون منهم قالوا : إن شحم الخنزير ودماغه حلال .

وطوائف من المرجئة قالوا : إن إبليس لم يسأل الله تعالى قط النظرة ، ولا أقرَّ بأنّ الله تعالى[١٥] خلقه من نار ، وخلق آدم عليه السلام من تراب .

وآخرون منهم[١٦] قالوا : إنَّ النبوّة تكتسب بالعمل الصالح .

وآخرون كانوا من أهل السنّة فغلوا[١٧]، فقالوا : قد يكون فى الصالحين من هو أفضل من الأنبياء ومن الملائكة عليهم السلام ، وأن من عرف الله تعالى حقَّ معرفته فقد سقطت عنهم الأعمال والشرائع .

وقال بعضهم بحلول البارى تعالى فى أجسام خلقه كالحّلاج[١٨] وغيره .

وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا ، فقال بعضهم بالإهية على بن أبى طالب رضى الله عنه والأئمة بعده . ومنهم من قال بنبوته وبنبوّتهم[١٩]، وبتناسخ الأرواح كالسيّد الحميرى[٢٠] الشاعر وغيره .

---

(١٤) فى (أ ، ب) : سقطت (أهل) .

(١٥) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (الله تعالى) .

(١٦) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة منهم .

(١٧) فى (أ ، ب) : (ففعلوا) وهذا تحريف .

(١٨) هو : الحسين بن منصور الحلاج ، أبو مغيث ، فيلسوف ، يعدّ تارة فى كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة فى زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، نشأ بواسط العراق ، وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ . ادّعى حلول الألوهية فيه . من كتبه : قرآن القرآن ، والفرقان ، والكبريت الأحمر ، توفى سنة ٣٠٩ هـ . (الأعلام : ٢ / ٢٨٥) .

(١٩) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (وبنبوتهم) .

(٢٠) هو : اسماعيل بن محمد الحميرى ، ويكنى أبا هاشم ، كان شاعرًا متقدمًا مطبوعًا ، ويقال : إن أكثر الناس شعرًا فى الجاهلية =

وقالت طائفة منهم بإلاهية أبى الخطاب[٢١] محمد بن أبى زينب مولى بنى أسد .

وقالت طائفة بنبوة المغيرة بن أبى[٢٢] سعيد مولى بنى بجيلة ، وبنبوّة أبى منصور[٢٣] العجلى ، ويُزيع[٢٤] الحائك ، وبَيَان بن سمعان[٢٥] التميمى وغيرهم .

وقال آخرون برجعة على إلى الدنيا ، وامتنعوا من القول بظاهر القرآن وقالوا : إن لظاهرة تأويلات ، فمنها أن قالوا : إن السماء محمد والأرض أصحابه « وإن الله يأمركم أن تذبحوا البقرة » قالوا : هى فلانة يعنى أم المؤمنين رضى الله عنها . وقالوا : العدل والإحسان : محمد[٢٦] وعلى . والجبت والطاغوت هو فلان وفلان يعنون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . وقالوا : الصلاة هى دعاء الإمام . والزكاة هى ما يعطى الإمام . والحج : القصد إلى الإمام وفيهم خناقون ورضَّاخون ، وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة أصلًا ، وليس بأيديهم إلَّا دعوى إلهام والقحة ، والمجاهرة بالكذب ، ولا يلتفتون إلى مناظرة . ويكفى من الرّد عليهم أن يقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من ادّعى أنه ألهم بطلان قولكم .. ؟ ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا .

وأيضًا فإنَّ جميع فرق الإسلام متبرئة منهم ، مكفِّرة لهم ، مجمعون على أنَّهم على غير الإسلام ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

= والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سبّ أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه فى شعره ، وكان على مذهب الكيسانسة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وكان يقول بالرجعة وقد مات فى خلافة الرشيد . (الأغانى : ٧ / ٢٢٩) .

(٢١) هو : الأجدع الأسدى ، وقيل اسمه محمد بن مقلاص أبى زينيب الأسدى الكوفى الأجدع البزار ، ويكنى تارة : أبو الخطاب ، وأخرى : أبو ظبيان . (هامش الملل والنحل : ١ / ٢٨٤ نقلًا عن كتاب فرق الشيعة ٤٢) .

(٢٢) هو : أبو عبد الله الكوفى الرافضى الكذاب ، وكان ينتقص أبا بكر وعمر ، وقد ذكر عليا ، ودكر الأنبياء ففضله عليهم ، وقد ادعى النبوة ، وأشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبذه حتى أجابه خلق ، وقد أخذه خالد بى عبد الله القسرى وقتله ، ثم صلبه فى حدود ١٢٠ هـ . (لسان الميزان : ٦ / ٧٥) .

(٢٣) كان من أهل الكفوة ، من عبد القيس ، وله فيها دار ، وكان منشؤه بالبادية ، وكان لا يقرأ فادّعى بعد وفاة أبى جعفر محمد بن على بن الحسين : أنه فوّض إليه أمره ، وجعله وصيّه من بعده ، ثم ترق به الأمر إلى أن قال أنا نبى ورسول ، وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفه ، وزعم أن جبريل يأتيه بالوحى من عند الله عزّ وجل ، وأن الله بعث محمدًا بالتنزيل ، وبعثه هو بالتأويل ، واستمرت فتنته إلى أن وقف يوسف بن عمرو الثقفى على عوارته فأخذه وصلبه . (الفرق بين الفرق : للبغدادى : ٢٣٥ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .

(٢٤) هو : يُزيع بن موسى الحائك ، كان يزعم أن جعفرًا هو الإله ، أى ظهر الإله بصورته للخلق ، وقد لعنه جعفر ، ولعن جماعة معه ، وزعم أن فى أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل ، وزعمت فرقته : أنه نبى ورسول . وشهد أيضًا لأبى الخطاب بالرسالة ، وبرىء أبو الخطاب وأصحابه من يزيع ، وطائفته تسمى : اليزيعية . (الملل والنحل : ١ / ٣٠٢) .

(٢٥) هو : بيان بن مسعان النهدى من بنى تميم ، ظهر بالعراق بعد المائة الأولى من الهجرة ، وقال بألوهية على ثم ابنه محمد ، ثم أبى هاشم ، ثم هو من بعده . وكتب إلى الباقر يدعوه إلى نفسه وأنه نبى . قتله خالد بن عبد الله القصرى . وأحرقه بالنار . (ميزان الاعتدال : ١ / ١٦٦) .

(٢٦) فى (أ ، ب) : لم يذكر (محمد) .

« خروج أكثر هذه الفرق عن دين الإسـلام »

قال أبو محمد : الأصل فى خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسهم حتّى أنهم كانوا يسمّون[١] الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدّون سائر الناس عبيدًا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدّولة عنهم على أيدى العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ففى كلٍّ ذلك يظهر الله تعالى الحق ، وكان من قائمتهم منقاذ . والمقنع ، واستايين ، وبابك[٢] وغيرهم . وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا ، وأبو مسلم السَّراج فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبّة أهل بيت رسول الله ﷺ ، واستشناع ظلم عليٍّ رضى الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتّى حتّى أخرجوهم عن الإسلام .

فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلًا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين ،

(١) فى (أ ، ب) : (يسمون أنفسهم) .

(٢) بابك : هو بابك الحرمى ، إليه تنسب طائفة الخرمية ، وقد أحدث فى مذهبهم : القتل والغضب والحروب والمثلة . كان أبوه من أهل المدائن يبيع الدهن ، وكان يطوف به فى قرى الرستاق فهوى امرأة عوراء وهى أم بابك ، وقد ضبط وهو يفجر بها ثم تزوجها من أبيها ، وقد قتل فى بعض سفراته ، وأقبلت أم بابك ترضع للناس بأجرة إلى أن صار لبابك عشر سنين ، فكان يرعى البقر ثم اختلفت به الأيام حتى نزل جاويدان بأم بابك ، فرأى فى بابك ذكاء ونجابة وخبثًا ، فطلب من أمه أن تدفعه إليه ويدفع لها كل شهر خمسين درهما أجرته ، فذهب معه وكان جاويدان زعيمًا فى قومه نشأ بينه وبين رجل آخر يسمى أبا عمران صراع على زعامة الخرمية ، وأدّى هذا الصراع فى النهاية إلى أن قتل أبو عمران ، ثم مات بعده « جاويدان متأثرًا بجراحه ، وكان بابك قد توثقت علاقته بزوجة جاويدان لأنه كان يفجّر بها ، فلما مات جاويدان لم تعلن موته حتى أحضرت جيشه وقالت لهم : لقد قال جاويدان إنى أموت فى ليلتى هذه وإن روحى تخرج من جسدى وتدخل بدن هذا الغلام خادمى وقد رأيت أن أملكه على أصحابه فإذا مت فأعلميهم ذلك ، وأنه لا دين لمن خالفنى فيه ، واختار لنفسه خلاف اختيارى ، قالوا قد قبلنا عهده إليك فى هذا الغلام . وبايعوه ، وحضروا زواجه من امرأة جاويدان . (الفهرست للنديم : الفن الأول من المقالة التاسعة ص ٤٠٧ بتصرف) .

إذ لا يجوز أن يؤخذ الدِّين من هؤلاء الكفار ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ إلى الكفر . وقوم خرجوا إلى ما ذكرنا[٣] من نبوة من ادَّعوا له النبوّة . وقوم سلكوا لهم المسلك الذى ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هى سبع عشرة صلاة فى كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهذا قول عمرو بن عبد الله بن الحارث الكندى ، قبل أن يصير خارجيًّا ضفريًّا[٤]، وقد سلك هذا المسلك أيضًا عبد الله[٥] بن سبأ الحميرى اليهودى ، فإنه لعنه الله أظهر الإسلام ليكيد أهله ، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضى الله عنه وأحرق علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه طوائف أعلنوا بإلاهيته .

ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الاسماعيلية والقرامطة[٦] وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة ، قائلتان بالمجوسية المحضة ، ثم مذهب[٧] مزدك[٨] الموبذ ، الذى كان على عهد أنو شروان[٩] بن قباذ ملك الفرس ، وكان يقول بوجوب تواسى الناس فى النساء والأموال .

قال أبو محمد : فإذا بلغ الناس إلى هذين الشعبين أخرجوه عن الإسلام كيف شاءوا ، إذ هذا هو غرضهم فقط ، فالله الله عبادَ الله فى أنفسكم ولا يغرنكم أهل الكفر والإلحاد ، ومن موَّه كلامه بغير برهان ، لكن بتمويهات ووعظ على خلاف ما آتاكم به كتاب ربكم ، وكلام نبيكم ﷺ فلا خير فيما سواهما ، واعلموا أنَّ دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سرَّ تحته ، كلّه برهان لا مسامحة فيه ، واتّهموا كلَّ من يدعو أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادَّعى أن لله[١٠] ديانة سرًّا وباطنًا ، فهى دعاوى ومخارق واعلموا أنَّ رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة

---

(٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (إلى ما ذكرنا من) .
(٤) فى الأصل (صغريا) بالغين ، وهو تحريف .
(٥) راجع ترجمته ص
(٦) راجع ص
(٧) فى (ح) . ذهب .
(٨) مزدك الزنديق · كان إباحيا ، يقول باستباحة أموال الناس ، وأنها فىء ، والأشياء كلها ملك لله متاع بين الناس ، فاجتمع الناس عليه ، وخلعوا قباد بن فيروز ، وملكوا جاماسب أخاه ، فخرج قباد بن فيروز شاكيًا داعيًا ، وتقرب إلى الناس بقتل المزدكية ، وأعيد إلى ملكه ، وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات ، والانعكاف على الشهوات ، والاختلاط وله مذهب فى الضيافات ليس لأحد من الأمم ، وقد قتله أنوشروان بن قباد وقتل أصحابه . (الفهرست : لابن النديم · ٢٧٩) .
(٩) أنوشروان . هو ابن قباد . ملك بعد أبيه ، وكان يلى رياسة الجند ، قسّم ملك أبيه إلى أربعة أقسام ، فجعل على كل قسم منها قائدًا من جنده . وتمكن من استرداد البلاد التى تغلب عليها جيران الأطراف من الملوك ، وأحكم بناء الحصون التى كان بناها قباذ وفيروز لتحصين البلاد ، وأخذ الناس بالعدل . وتفقد أهل المملكة . وتخيروا الولاة والعمال مسترشدًا بسيرة أردشير بن بابك جده ، ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وأنطاكية وفى أيامه ترجم كتاب كليلة ودمنه ، وعلى عهده ولد رسول الله ﷺ . وقد هلك لثمان وأربعين سنة من دوله . (ابن خلدون · ١ ٢٦٥ نقلًا عن هامش الملل والنحل : جـ ٢ ٨٤ ، ٨٥ بتصرف) .
(١٠) فى (أ ، ب) · سقط (أن الله) .

فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من ابنة أو ابن عم أو زوجة أو صاحب على شيء من الشريعة ، كتمه عن الأحمر والأسود ، ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سرٌّ ولا رمز ، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ، فلو كتمهم شيئًا لما بَلَّغ كما أُمِر ، ومن قال هذا فهو كافر ، فإيَّاكم وكلَّ قولٍ لم يبن سبيلُه ، ولا وضح دليلُه ، ولا تعرجوا[11] عمَّا مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : قد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق فى كتاب لنا لطيف اسمه : « النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع : المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيع » .

ثم أضفناه إلى آخر كلامنا فى النحل من كتابنا هذا .

وجملة الخير كله أن تلتزموا[12] ما نصَّ عليه ربكم تعالى فى القرآن بلسانٍ عربى مبين لم يفرِّط فيه من شيء ، تبيانًا لكل شيء ، وما صحَّ عن نبيكم ﷺ برواية الثقاة من أئمة أصحاب الحديث رضى الله عنهم مسندًا إليه عليه السلام فهما طريقان يوصلانكم إلى رضى ربكم عزَّ وجل .

ونحن نبتدىء من هنا إن شاء الله تعالى بالكلام[13] فى المعانى التى هى عمدة ما افترق المسلمون عليه ، وهى التوحيد ، والقدر ، والإيمان ، والوعيد والإمامة ، والمفاضلة ، ثم أشياء يسميها المتكلمون اللطائف ، ونورد كلَّ ما احتجّوا به ، ونبين بالبراهين الضرورية إن شاء الله تعالى وجه الحق فى كل ذلك ؛ كما فعلنا فيما خلا ، بعون الله تعالى لنا وتأييده ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلى العظيم ، فأول ذلك :

---

(١١) فى (أ ، ب) : (ولا تعوجا)
(١٢) فى (أ ، ب) : (أن تلزموا)
(١٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بالكلام)

« الكلام فى التوحيد ونفى التشبيه »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة إلى القول بأنّ الله تعالى جسم ، وحجتهم فى ذلك أنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض ، فلما بطل أن يكون تعالى عرضًا ثبت أنه جسم ، وقالوا : إن الفعل لا يصح إلّا من جسم والبارى تعالى فاعل فوجب أنه جسم ، واحتجّوا بآيات من القرآن فيها ذكر اليدين واليد والأيدى والعين والأعين[1] والوجه والجنب ، وبقوله تعالى : « وجاءَ ربك » « ويأتيهمُ الله فى ظُلَلٍ من الغمام والملائكة » « وتجلى ربه »[2] وبأحاديث للجبل فيها ذكر القدم ، واليمين والرجل والأصابع والتنزل .

* * *

قال أبو محمد : ولجميع هذه النصوص وجوه ظاهرة[3]، خارجة على خلاف ما ظنوه وتأوّلوه .

قال أبو محمد : وهذان استدلالان فاسدان :

أمّا قولهم : إنه لا يقوم فى المعقول إلّا جسمٌ أو عرض ، فإنها قسمة ناقصة وأَمَا[4]

---

(١) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (والأعين) .
(٢) فى (أ ، ب) : (وعجليه تعالى) .
(٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (بينة) .
(٤) فى (أ ، ب) : (وإنما) .

الصّواب : أنه لا يوجد فى العالم إلّا جسم أو عرض وكلاهما يقتضى بطبيعة وجوده وجوب محدِث له ، فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثهما جسمًا أو عرضًا لكان يقتضى فاعِلًا فَعَلَه ولابدَّ . فوجب بالضرورة أنَّ فاعل الجسم والعرض ليس جسمًا ولا عرضًا . وهذا برهان يضطر إليه كل ذى حسٍّ بضرورة العقل ولابدَّ .

« وأيضًا فلو كان البارىَ تعالى عن إلحادهم – جسمًا لا قتضى ذلك ضرورة أن يكون له زمان ومكان هما غيره !! وهذا إبطال التوحيد وإيجاب الشرك معه تعالى لشيئين سواه ، وإيجاب أشياء معه غير مخلوقة ، وهذا كفر ، وقد تقدّم إفسادنا لهذا القول[٥]» .

وأيضًا فإنه لا يعقل ألبتة جسم إلّا مؤلف طويل عريض عميق ، ونظّارهم لا يقولون بهذا ، فإن قالوه لزمهم أنَّ له مؤلِّفًا جامعًا مخترعًا فاعلًا ، فإن منعوا من ذلك لزمهم أن[٦] يوجبوا لما فى العالم من التأليف لا مؤلف[٧] له ولا جامعًا ، إذ المؤلَّف كله كيفما وجد يقتضى مؤلِّفًا ضرورة .

فإن قالوا : هو جسم غير مؤلَّف قيل لهم : هذا هو الذى لا يعقل حسًّا ولا يتشكّل فى النفوس ألبتة .

فإن قالوا : لا فرق بين قولنا شىء وبين قولنا جسم ، قيل لهم : هذه دعوى كاذبة على اللغة التى بها تتكلمون .

وأيضًا فهو باطل لأنَّ الحقيقة أنه لو كان الشىء والجسم بمعنى واحد لكان العَرَض جسمًا ، لأنه شىء وهذا باطل بيقين[٨].

والحقيقة هى أنه لا فرق بين قولنا : شىء ، وقولنا : موجود وحق وحقيقة ومثبت ، فهذه كلها أسماء مترادفة على معنى واحد لا يختلف ، وليس منها اسم يقتضى صفة أكثر من أنَّ المسمّى بذلك حق ولا مزيد .

وأمّا لفظة جسم فإنَّها فى اللغة عبارة عن الطويل العريض العميق[٩]، المحتمل للقسمة ذى الجهات الست ، التى هى فوق وتحت ، ووراء ، وأمام ، ويمين ، وشمال ، وربما عدم واحد[١٠]

---

(٥) هذا القول من أول : « وأيضًا فلو كان البارى » إلى « لهذا القول » غير مذكور فى (ح) .
(٦) فى (أ ، ب) : (ألّا) .
(٧) فى (أ ، ب) (لا مؤلفا) .
(٨) فى (أ ، ب) (يتعين)
(٩) فى (ح) : لم تذكر كلمة (العميق) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (واحدة) .

منها ، وهى الفوق ، هذا حكم هذه الأسماء فى اللغة التى هذه[١١] الأسماء منها ، فمن أراد أن يوقع شيئًا منها على غير موضوعها فى اللغة فهو مجنون وقاح ، وهو كمن أراد أن يسمَى الحق باطلًا والباطل حقًا ، وأراد أن يسميَ الذّهب خشبًا ، وهذا غاية الجهل والسخف ، إلَّا أن يأتى نصٌّ بنقل اسم منها عن موضوعه إلى معنى آخر فيوقف عنده ، وإلَّا فلا ، وإنما يلزم كلّ مناظر يريد معرفة الحقائق أو التعريف بها أن يحقق المعانى التى يقع عليها الاسم ثم يخبر بعد بها أو عنها بالواجب ، وأمّا مزج الأشياء وقلبها عن موضوعاتها فى اللغة فهذا فعل السوفسطائية[١٢] الوقحاء الجهال ، العابثون بعقولهم وأنفسهم .

فإن قالوا لنا : إنكم تقولون إن الله عزّ وجل حيٌّ لا كالأحياء ، وعليم لا كالعلماء ، وقادر لا كالقادرين ، وشيء لا كالأشياء ، فلِمَ منعتم القول بأنه جسم لا كالأجسام ؟!

قيل لهم وبالله تعالى التوفيق : لولا النصّ الوارد بتسميته حيٌّ وقديرٌ ، وعليم ما سميناه بشيءٍ من ذلك ، لأنّ[١٣] الوقوف عند النصّ فرض ، ولم يأت نصٌّ بتسميته تعالى جسمًا ، ولا قام البرهان بتسميته تعالى جسمًا بل البرهان مانع من تسميته تعالى بذلك ، ولو أتانا نصٌّ بتسميته تعالى جسمًا لوجب علينا القول بذلك ، وكنا حينئذ نقول : إنه جسم[١٤] لا كالأجسام ، كما قلنا فى عليم وقدير ، وحى ، ولا فرق . وأمّا لفظة شيء فالنص أيضًا جاء بها والبرهان أوجبها على ما نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وقالت طائفة منهم إنه تعالى نور واحتجوا بقول الله تعالى : « اللهُ نَورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ »[١٥].

* * *

قال أبو محمد : ولا يخلوا النور من أحد وجهين إمّا أن يكون جسمًا ، وإما أن يكون عرضًا ، وأيّهما كان فقد قام البرهان على أنه تعالى ليس جسمًا ولا عرضًا ، وأمّا قوله تعالى : « اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض »

---

(١١) فى (ح) : (هى) .

(١٢) السفسطة عند الفلاسفة هى الحكمة المموهة ، وعند المنطقيين هى القياس المركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، وقيل إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين ، أو خداع النفس ، وتطلق أيضًا على القياس الذى تكون مقدماته صحيحه ، ونتائجه كاذبة لا يخدع بها أحد ، والسوفسطائى ، والسوفسطائيون : هم المنسوبون إلى السفسطة . (المعجم الفلسفى : ١ / ٦٥٨)

(١٣) فى (أ ، ب) : (لكن) .

(١٤) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (جسم)

(١٥) سورة النور : ٣٥ .

فإنّما معناه « هدى الله[١٦] بتنوير النفوس ، إلى نور الله تعالى فى السماوات والأرض » . وبرهان ذلك أنه عزَّ وجلّ أدخل فى جملة ما أخبر : أنه نور له فلو كان الأمر على أنه النّور المضيء المعهود لما خبا الضياء ساعة من ليل أو نهارٍ ألبتة ، فلما رأينا الأمر بخلاف ذلك علمنا أن[١٧] الأمر بخلاف ما ظنّوه .

قال أبو محمد : ويُبطِلُ قولَ من وصف الله تعالى بأنه جسم ، وقولَ من وصفه بحركة – تعالى عن ذلك – أن الضرورة توجب أن كل متحرِّك فذو حركة ، وأنَّ الحركة لمتحرّك بها ، وهذا من باب الإضافة والصّورة فى المتصوّر لمتصوّر ، وهذا أيضًا من باب الإضافة ، فلو كان كلّ متصوّر متصورًا ، وكل محرّك متحركًا لوجب وجود أفعال لا أوائل لها ، وهذا قد أبطلناه فيما خلا من كتابنا بعون الله تعالى لنا وتأييده إيَّانا ، فوجب ضرورة وجود محرِّك متحركًا ومصوِّرٍ ليس متصوَّرًا ضرورة ولابدَّ . وهو البارى تعالى محرِّك المتحرِّكات ومصوّر المتصورات ، لا إله إلَّا هو ، وكل جسم فذو[١٨] صورة ، وكلُّ ذى حركة فذو عرض محمولٍ فيه ، فصحّ أنه تعالى ليس جسمًا ولا متحركًا ، وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فقد قدمنا أنَّ الحركة والسكون مُدَّة ، والمدّةُ زمان ، وقد بينا فيما خلا من كتابنا أن الزمان محدث ، فالحركة محدثة ، كذلك السكون ، والبارى تعالى لا يلحقه الحدث إذ لو لحقه لكان[١٩] محدثًا ، فالبارى تعالى غير متحرك ولا ساكن .

وأيضًا فإنَّ الجسم إنما يفعل آثارًا فى جسم[٢٠] فقط ، ولا يفعل الأجسام ، فالبارى تعالى إذن على قول المجسِّمة إنما هو فاعل آثار فى الأجسام فقط لا فاعل أجسام العالم ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

فإن قالوا : فإنّكم تسمّونه فاعلًا وتسمُّون أنفسكم فاعلين ، وهذا تشبيه قلنا لهم – وبالله تعالى التوفيق – لا يوجب ذلك تشبيهًا ؛ لأن التشبيه إنما يكون بالمعنى الموجود فى كلا المشتبهن لا بالأسماء ، وهذه التسمية إنّما هى اشتراك فى العبارة فقط ، لأن الفاعل[٢١] متحرّك باختيار[٢٢]، أو عارف ، أو شاكّ ، أو مريد أو كاره باختيار و[٢٣] ضمير ، فكلّ فاعل منّا متحرّك ذو ضمير ،

---

(١٦) ق (ح) : « هُدَى بتوير المعوس التى » .
(١٧) ق (أ ، ب) : (أنه)
(١٨) ق (أ ، ب) : (فهو دو) .
(١٩) ق (أ ، ب) : سقطت كلمة (لكان) .
(٢٠) ق (أ ، ب) : (ق الجسم) .
(٢١) ق (خ) : سقطت كلمة (من) .
(٢٢) ق (أ ، ب) : بزيادة (أو اضطرار) .
(٢٣) ق (أ ، ب) : (أو) .

وكلُّ متحرّك فذو حركة[٢٤]، والحركة وأعراض الضماير انفعالات ، فكل متحرّك منفعل ، وكل منفعل فلفاعل ضرورة ، وأمّا البارى تعالى ففاعل باختيار واختراع ، لا بحركة ولا ضمير ، فهذا اختلاف لا اشتباه . وبالله تعالى التوفيق .

وكذلك العرض ليس جسمًا ، وقولنا[٢٥] الجسم ليس عرضًا ، والبارى تعالى ليس جسمًا ولا عرضًا فهذان الحكمان فلا يوجبان اشتباهًا أصلًا بل هذا عين الاختلاف ، لأن[٢٦] الاشتباه إنّما يكون بإثبات معنى فى المشتبهين به اشتباهاً ، ولو أوجب ما ذكرنا اشتباهًا لوجب أن يكون يشبه[٢٧] الجسم فى الجسمية لأنه ليس عرضًا ، وأن يكون لِشبه العرض فى العرضيّة لأنّه ليس جسمًا فكان يكون جسمًا عرضًا[٢٨] معا ، وهذا محال ، فصحّ أن بالنفى لا يصح[٢٩] الاشتباه[٣٠] وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ومن قال إنَّ الله تعالى جسم لا كالأجسام فهو[٣١] ملحد فى أسمائه إذ سماه عزَّ وجل بما لم يسمّ به نفسه .

وأمَّا من قال إنه تعالى كالأجسام فهو ملحد فى أسمائه ومشبّه مع ذلك .

---

(٢٤) ق (أ ، ب) : بزيادة (تحركه) .
(٢٥) ق (أ ، ب) : لا يوجد كلمة (وقولنا) .
(٢٦) ق (أ ، ب) : (لكن) .
(٢٧) ق (خ) : « نسبة » وهذا تحريف ظاهر .
(٢٨) ق (أ ، ب) : « جسما لا جسما ، عرضا لا عرضا معا » .
(٢٩) ق (أ ، ب) : « لا يجب » .
(٣٠) ق (أ ، ب) : بزيادة « أصلًا » .
(٣١) ق (أ ، ب) : « فليس مشتبها لكنه ألحد ق أسماء الله تعالى » .

« مطلب إطلاق الصفات »[1]

قال أبو محمد : وأمّا إطلاق لفظ الصفات لله عزَّ وجل فمحال لا يجوز لأن الله تعالى لم ينصَّ قط فى كلامه المنزل على لفظ الصّفات ، ولا على لفظ الصفة ولا جاء[2] قط عن النبىّ ﷺ بأن الله تعالى صفة أو صفات ، نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، ولا عن أحدٍ من خيار التّابعين ، ولا عن أحد تابعى التابعين ، وما[3] كان هكذا فلا ينبغى[4] لأحد أن ينطق به .

ولو قلنا : إن الإجماع قد تيقّن على ترك هذه اللفظه لصدقنا ، فلا يجوز القول بلفظ الصفات ، ولا اعتقاده بل ذلك بدعة منكرة ، قال الله تعالى : « إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُموها أَنْتم وآباؤُكم ما أَنْزَلَ الله بها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتّبعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وما تَهْوى الأَنْفُس ، ولَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى[5] » .

* * *

(١) هذا العنوان كتب على هامش النسخة (خ) وحدها دون بقية النسخ ، ويبدو أنه من عمل قارىء لأن الخط الذى كتب به مغاير لخط النسخة .

(٢) فى (أ ، ب) : « ولا حفظ عن النبى ﷺ » .

(٣) فى (أ ، ب) : « ومن » .

(٤) فى (أ ، ب) : « فلا يحل » .

(٥) سورة : النجم : ٢٣ .

قال أبو محمد : وإنَّما اخترع لفظة الصِّفات المعتزلة[٦]، وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام ، سلكوا غير مسلك السلف الصّالح ليس فيهم أسوة ولا قدرة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه[٧]» .

وربما أطلق هذه اللفظة من متأخرى الأئمة من الفقهاء من لم يحقق النظر فيها ، فهى[٨] وهلة من فاضل ، وزلة من عالم ، وإنّما الحقُّ فى الدّين ما جاء عن الله تعالى نصًّا أو عن رسوله ﷺ كذلك ، أو صحَّ إجماع الأمة كلها عليه ، وماعدا هذا فضلال[٩].

فإن اعترضوا بالحديث الذى رويناه من طريق عبد الله[١٠] بن وهب عن عمرو[١١]بن الحارث عن سعيد[١٢] بن أبى هلال عن أبى الرجال[١٣] محمد بن عبد الرحمن عن أمه عَمره[١٤] عن عائشة رضى الله عنها فى الرَّجل الذى كان يقرأ : قل هو الله أحد فى كل ركعة مع سورة أخرى ، وأنَّ رسول الله ﷺ أمر أن يُسأل عن ذلك فقال : هى صفة الرحمن فأنا أحبُّها[١٥]، فأخبره رسول الله ﷺ أنَّ الله يحبّه .

---

(٦) فى (أ ، ب) : زيادة : « وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة » .

(٧) سورة الطلاق : ١ .

(٨) فى (خ) : « فهذا وهلة وذلة عالم » .

(٩) فى (أ) : بزيادة « وكل محدثة بدعة » .

(١٠) هو : عبد الله بن وهب بن منبه الأبناوى الصنعانى : روى عن أبيه ، وعنه روى إبراهيم بن عمر بن كيسان ، وداود بن قيس ، وأبو الهذيل ، عمران بن عبد الرحمن قال ابن معين هو أقدم من أخيه عبد الرحمن ، وقال الآجورى عن ابن وهب إنه معروف وله عنده حديث . (تهذيب التهذيب : ٦ ص ٧٤) .

(١١) هو : عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى ، يكنى : أبو أميه ، كان حافظًا للحديث ، راويًا للشعر ، وخطيبًا فى عصره ، وأصله من المدينة . قال ابن حجر : كان عالم الديار المصرية ، ومحدثها ، ومفتيها مع الليث بن سعد ، توفى بمصر سنة ١٤٧ هـ . (الأعلام : ٥ / ٢٤٢) .

(١٢) هو : سعيد أبى هلال الليثى ، أبو العلاء المصرى ، يقال أصله من المدينة ، روى عن جابر وأنس مرسلًا ، وزيد بن أسلم ، وأبى الرجال محمد ابن عبد الرحمن وآخرين ، وروى عنه سعيد المقبرى ، وهو أكبر منه ، وخالد بن يزيد المصرى ، وعمرو بن الحارث : قال ابن يونس : ولد بمصر سنة ٧٠ هـ . ونشأ بالمدينة ، ثم رجع إلى مصر فى خلافة هشام ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٩٤ ، ٩٥ بتصرف) .

(١٣) هو : محمد بن عبد الرحمن بن حارثة بن النعمان : أبو الرجال ، وهو لقب له ، وكنيته : أبو عبد الرحمن ، كان جده حارثة من أهل بدر . وروى عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وعوف بن الحارث بن الطفيل ، وأنس بن مالك . قال ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث ، وقال أبو داود والنسائى : ثقة . وقال البخارى : هو ثبت . وكذا وثقه أحمد بن حنبل . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ بتصرف) . وفى (أ) : (أبى الرجاء) .

(١٤) هى : عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية ، كانت فى حجر عائشة رضى الله عنها ، وروت عنها ، وروت عن أختها لأمها : أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، وحبيبة بنت سهل ، وروى عنها ابنها : أبو الرجال . وأخوها : محمد بن عبد الرحمن الأنصارى . قال ابن أبى مريم عن ابن معين : ثقة حجة ، وقال العجلى : مدنية تابعية . ماتت سنة ٩٨ هـ وهى بنت سبع وسبعين : (تهذيب التهذيب : ١٢ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ بتصرف) .

(١٥) روى هذا الحديث النسائى بسنده قال : أخبرنا سليمان بن داود عن ابن وهب قال : حدثنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال أن أبا الرجال محمد ابن عبد الرحمن حدَّثه عن أمه عمرة عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سريّة فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : سلوه لأى شىء فعل ذلك فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن عزّ وجل فأنا أحب أن أقرأ بها . قال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله عزَّ وجل يحبه » . (سنن النسائى : ١ / ١٧٠) .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أنَّ هذه اللفظة انفرد بها سعيد بن أبى هلال وليس بالقوىّ ، قد ذكره بالتخليط يحيى[١٦] وأحمد[١٧] بن حنبل ، وأيضًا فإن احتجاج خصومنا بهذا لا يسوغ لهم على أصولهم لأنه خبر واحد لا يوجب عندهم العلم ، وأيضًا : فلو صحَّ لما كان مخالفًا لقولنا ، لأننا إنما أنكرنا قول من قال : إن أسماء الله تعالى مشتقة من صفات ذاتية فأطلق ذلك على « العلم » و« القدرة » و« القوة » و« الكلام » أنها صفات ، وعلى من أطلق « إرادة » وسمعًا وبصرًا وحياة ، وأطلق أنها صفات ، فهذا الذى أنكرنا غاية الإنكار ، وليس فى الحديث المذكور ، ولا فى غيره شىء من هذا أصلًا ، وإنّما فيه أنَّ « قل هو الله أحد » خاصة صفة الرحمن ، ولم ننكر هذا نحن بل هو خلاف لقولهم لأنهم لا يخصّون « قل هو الله أحد » بذلك دون الكلام والعلم وغير ذلك[١٨] ، و« قل هو الله أحد » خبر عن الله تعالى بما هو الحق ، فنحن نقول فيها هى صفة الرحمن ، بمعنى أنها خبر عنه تعالى حق ، فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم لنا ، وأيضًا فمن أعجب الباطل أن يحتج بهذا الخبر فيما ليس فيه منه شىء من يخالفه ويعصيه فى الحكم الذى ورد فيه . من استحسان قراءة « قل هو الله أحد » فى كل ركعة مع سورة أخرى ، لهذه الفضائح ، فلتعجب أهل العقول[١٩] . وأما الصفة التى يطلقون هم ، فإنما هى فى اللغة واقعة على عرض فى[٢٠] جوهر لا على ذلك أصلًا . وقد قال الله تعالى : « سُبحانَ ربِّك ربِّ العِزَّة عمَّا يَصِفُون[٢١] » .

فأنكر إطلاق الصفات جملة فبطل تمويه من موَّه بالحديث المذكور ليستحلّ بذلك ما لا يحل من إطلاق لفظ الصفات حيث لم يأت بإطلاقها فيه نصٌّ ولا إجماع إصلًا ، ولا أثر عن السلف[٢٢] . والعجب من اقتصارهم على لفظة الصفات ، ومنعهم من القول بأنها نعوت وسمات ، ولا فرق بين اللفظتين[٢٣] لا فى لغة ولا فى معنى ، ولا فى نصٍّ ولا فى إجماع ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١٦) هو : يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد ، ويقال : ابن أسعد بن زرارة الأنصارى ، البخارى ، المدنى ، روى عن زيد بن ثابت ، وعمارة ابن عمرو ، وأبى هريره وسودة بنت زمعة أم المؤمنين ، وروى عنه قريبه إبراهيم بن محمد ، ويحيى بن سعيد ذكره ابن حبان فى الثقات . وحديثه عن أم هشام فى صحيح مسلم . (تهذيب التهذيب : ١١ / ٢٤١ ، ٢٤٢ بتصرف) .

(١٧) هو : أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة وهو من « مرو » وولد ببغداد عام ١٦٤ هـ . نشأ مكبا على العلم ، وفى أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن . ومات المأمون قبل أن يناظر ابن حنبل ، ثم تولى المعتصم فسجنه ثمانى وعشرين شهرًا لامتناعه عن القول بخلق القرآن . من مصنفاته : المسند فى الحديث والناسخ والمنسوخ ، والردّ على الجهمية والزنادقة ، توفى عام ٢٤١ هـ . (الأعلام : ١ / ٣٩٢ ، ٣٩٣ بتصرف)

(١٨) فى (أ) : بزيادة : (وفى هذا الخبر تخصيص لقوله « قل هو الله أحد » وحدها بذلك) .

(١٩) فى (ح) : لم يذكر الكلام من أول كلمة (الحق .. إلى أهل العقول) .

(٢٠) فى (ح) : (عرض وجوهر) .

(٢١) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٢٢) لم تذكر كلمة (ولا أثر عن السلف) فى (خ) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (هذه الألفاظ) .

« الكلام فى المكان والاستواء »

قال أبو محمد : ذهبت المعتزلة إلى أن الله سبحانه وتعالى فى كل مكان ، واحتجوا[١] بقول الله عزّ وجل : « ما يكونُ مِنْ نجْوى ثلاثةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهم ، ولا خمسةٍ إلَّا هُوَ سَادِسُهم[٢] » .

وقوله تعالى : « ونَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مَنْ حَبْلِ الوَرِيد[٣] » .

وقوله تعالى : « ونَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُون[٤] » .

* * *

قال أبو محمد : قول الله عزّ وجل يجب حمله على ظاهره ما لم يمنع من حمله على ظاهره نص آخر ، أو إجماع ، أو ضرورة حسّ .

وقد علمنا أن كلَّ ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان ، ومالىء له ومتشكل بشكل المكان ، أو المكان متشكل بشكله ، ولابدَّ من أحد الأمرين ضرورة . وقد[٥] علمنا أنّ ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان[٦]، ومتناهٍ بتناهى مكانه ، وهو ذو جهات ست أو خمس

---

(١) هذه الكلمة لم تذكر فى (خ) .
(٢) المجادلة : ٧ .
(٣) ق : ١٦ .
(٤) الواقعة : ٨٥ .
(٥) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (قد) .
(٦) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (فإنه شاغل لذلك المكان) .

متناهية فى مكانه ، وهذه كلها صفات الجسم ، فلما صحّ ما ذكرنا علمنا أن قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه مِنْ حَبْلِ الوريد » . « ونحن أقرب إليه منكم » . « وما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلَّا هُوَ رابعُهم ، ولَا خمسةٍ إلَّا هُوَ سادِسُهم » إنما هو التدبير لذلك والإحاطة به فقط ضرورة لانتفاء ما عدا ذلك .

وأيضًا : فإن قولهم « فى كل مكان » خطأ ؛ فإنه[٧] يلزم بموجب هذا القول أن[٨] يملأ الأماكن كلها ، وأن يكون ما فى الأماكن فيه – الله تعالى عن ذلك – وهذا محال .

فإن قالوا : هو فيها بخلاف كون المتمكن فى المكان .

قيل لهم : هذا لا يعقل ولا يقوم عليه دليل ، وقد قلنا : إنه لا يجوز إطلاق اسمٍ على غير موضوعه فى اللغة – إلَّا أن يأتى به نص فنقف عنده ، وندرى حينئذ أنه منقول إلى ذلك المعنى الآخر ، وإلَّا فلا ، فإذ قد صحَّ ما ذكرنا[٩] فلا يجوز أن يطلق القول بأن الله تعالى فى مكان لا على تأويل ولا على غيره ، لأنه حكم بأنه تعالى فى الأمكنة ، لكن يطلق القول بأنه تعالى معنا فى كلِّ مكان ، ويكون حينئذ قولنا فى كلِّ مكان إنَّما هو[١٠] صلة الضمير الذى هو النون والألف اللذان فى « معنا » لا فيما[١١] نخبر به عن الله تعالى ، وهذا هو معنى قوله : « هو معهم أينما كانوا ، وهو معكم أينما كنتم » .

وذهب قوم إلى أن الله تعالى فى مكان دون مكان .

وقولهم هذا يفسد بما ذكرنا[١٢]، ولا فرق .

واحتجّ هؤلاء بقوله تعالى : « الرَّحمنُ عَلَى العَرْشِ استوى »[١٣].

* * *

قال أبو محمد : وقد تأوّل المسلمون فى هذه الآية تأويلات أربعة

أحدها : قول المجسمة ، وقد بان[١٤] بحول الله فساده .

---

(٧) فى (أ ، ب) : (لأنه) .
(٨) فى (أ ، ب) : (أنه) .
(٩) فى (أ ، ب) : (ما قد) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (هو من) .
(١١) فى (أ ، ب) : (لا ممّا يخبر) .
(١٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (آنفا) .
(١٣) طه : ٥ .
(١٤) فى (أ ، ب) : (وقد أبنا) .

والثانى[١٥]: قالت المعتزلة : هو أن معناه « استولى » وأنشدوا : قَد استَوى بشر على العراق .

قال أبو محمد : وهذا فاسد لأنه لو كان كذلك لكان[١٦] العرش أولى بالاستيلاء عليه من سائر المخلوقات . ولجاز لنا أن نقول : « الرحمن على الأرض استوى » لأنه تعالى مستولٍ عليها ، وعلى كل ما خلق . وهذا لا يقوله أحدٌ . فصار[١٧] هذا القول دعوى مجرّدة بلا دليل فسقط .

وقال بعض أصحاب ابن كلاب : إن الاستواء صفة ذات ، ومعناه نفى الاعوجاج .

قال أبو محمد : وهذا القول فى غاية الفساد لوجوه :

أحدها : أنه تعالى لم يسمِّ نفسه مستويًا ، ولا يحل لأحدٍ أن يسمّىَ الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه ، لأن من فعل ذلك فقد ألحد فى أسمائه أى مال عن الحق ، وقد حدَّ الله تعالى فى تسميته حدودًا فقال تعالى : « وَمَنْ يتعدَّ حُدَودَ الله فَقَدْ ظَلَم نَفْسه[١٨] » .

وثانيها : أن الأمة مجمعة على أنه لا يدعو أحد فيقول : « يا مستوى أرحمنى » . ولا يسمّى ابنه عبد المستوى .

وثالثها : أنه ليس كل ما نفى عن الله عزَّ وجل وجب أن يوقع عليه ضده ، لأننا ننفى عن الله عزَّ وجل السكون ، ولا يحل أن نسمى الله عز وجل متحركًا ، وننفى عنه الحركة ، ولا يجوز أن يسمَّى ساكنًا ، وننفى عنه الخشم[١٩] ولا يجوز أن يسمى شمَّاما[٢٠] وننفى عنه النَّوم ، ولا يجوز أن يسمى يقظان ، ولا منتبها ، ولا يسمّى لنفى الخيال[٢١] عنه مستقيمًا ، وكذلك كلُّ صفة لم يأت بها النصّ ، فكذلك الاستواء والاعوجاج منفيان عنه معًا ، سبحانه وتعالى عن ذلك لأن كل ذلك من صفات الأجسام ، ومن جملة الأعراض ، والله قد تعالى عن الأعراض .

ورابعها : أنه يلزم من قال بهذا القول[٢٢] أن يكون العرش لم يزل تعالى الله عن ذلك ، لأنه تعالى علّق الاستواء بالعرش فلو كان الاستواء لم يزل لكان العرش لم يزل فهذا[٢٣] كفر .

---

(١٥) فى (ح) : والثالث ، وفى (أ ، ب) : (والآخر) .
(١٦) فى (أ ، ب) : (لما كان) .
(١٧) فى (خ) : (نصًّا و) وهو تحريف .
(١٨) الطلاق : ١
(١٩) فى (أ) : (الجسم) وهو تحريف .
(٢٠) وفيه (سماما) بالسين المهملة وهو تحريف أيضًا .
(٢١) وفى (أ ، ب) : (الانحناء) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (الفاسد) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (وهذا) .

وخامسها : أنه لو كان الاستواء هاهنا نفى الاعوجاج لم يكن لإضافة ذلك إلى العرش معنى ، ولكان كلامًا فاسدًا لا وجه له .

فإن اعترضوا فقالوا : إنكم تسمّونه سميعًا بصيرًا ، وأنه لم يزل كذلك فيلزم[٢٤] على هذا أن المسموعات والمبصرات لم تزل .

قلنا لهم وبالله تعالى نتأيد : هذا لا يلزمنا لأننا لا نسمى الله تعالى إلّا بما سمّى نفسه فنقول إن[٢٥] الله تعالى السميع البصير[٢٦] لم يزل وهو السميع البصير بذاته كما هو[٢٧] لا يسمع ولا ببصر ، ولم[٢٨] نزد على ما أتى به النص شيئًا . ونحن نقول : إنه تعالى لم يزل بصيرًا بالمبصرات ، سميعًا بالمسموعات يرى المرئيات ويسمع المسموعات ، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك[٢٩]، ويعلم كل ذلك على ما يكون عليه ثم على حقيقته ، وعلى ما هو عليه وهذا معنى العلم الذى لا يقتضى وجودًا لمعلومات لم تزل[٣٠]، وهذا نجده حسًّا ومشاهدة وضرورة ، لأننا لما[٣١] بينا زيداً سيموت وأن موته لم يقع بعد وليس هكذا قولهم فى الاستواء لأنه مرتبط بالعرش فإن قالوا فإذن معنى « سميع بصير » هو معنى « عليم » فقولوا : إنه تعالى يبصر المسموعات ويسمع المرئيات ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق :

ما نمنع من هذا ولا ننكره ، بل هو صحيح لأن الله تعالى إنما قال : أسمع وأرى . فهذا إطلاق[٣٢] على كل شيء على عمومه ، وبالله تعالى التوفيق .

والقول الرابع فى معنى الاستواء : هو أنَّ معنى قول الله تعالى « الرحمن على العرش استوى » : أنه فِعْلٌ فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه إليه ، فليس بعد العرش شيء ، ويبيّن ذلك أنَّ رسول الله ﷺ ذكر الجنات وقال : فاسألوا الله الفردوس الأعلى فإنّه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوق ذلك عرش الرحمن » فصحّ أنه ليس وراء العرش خلق ، وأنه نهاية جرم المخلوقات الذى ليس خلفه خلاء ولا ملاء ، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة[٣٣] والزمان والمكان أو من جرمه فقد لحق بقول الدّهرية ، وفارق الإسلام .

---

(٢٤) فى (أ ، ب) : (فيلزمكم) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (قال الله) .
(٢٦) فى (أ ، ب) : (فقلنا بذلك أنه) .
(٢٧) فى (أ ، ب) : ولا نقول .
(٢٨) فى (أ ، ب) : (فنزيد) .
(٢٩) فى (أ ، ب) : بزيادة (كما قال تعالى : إننى معكما أسمع وأرى) .
(٣٠) فى (أ ، ب) : (لكن يعلم ما يكون أنه سيكون على حقيقته ، ويعلم ما هو كما هو ، ويعلم ما قد كان كما قد كان) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (فيما بينا قد نعلم) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (له) .
(٣٣) فى (خ) : سقطت كلمة (المساحة) .

والاستواء فى اللغة يقع على الانتهاء قال تعالى : « وَلَمَّا بَلَغ أَشُدَّه واسْتَوى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا[٣٤] » .

أى : فلما انتهى إلى القوة والخير . وقال تعالى : « ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّمَاءِ وَهِى دُخَانٌ[٣٥] » .

أى أنَّ خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعد أن رتب الأرض على ما هى عليه وبالله تعالى التوفيق .

وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه . فأمّا القول الثالث فى المكان : فهو أن الله تعالى لا فى مكان ولا فى زمانٍ أصلًا ، وهو قول الجمهور من أهل السنة وبه نقول ، وهو الذى لا يجوز غيره لبطلان ما عداه ، ولقوله تعالى : « أَلَا إِنَّه بكلِّ شىءٍ محيط[٣٦] » .

فهذا يوجب ضرورة أنه تعالى لا فى مكان إذ لو كان فى المكان لكان المكان محيطًا به من جهة مَّا أو من جهات ، وهذا منتف عن البارى تعالى بنص الآية المذكورة ، والمكان شىء بلا شك ، فلا يجوز أن يكون شىء فى مكان ويكون هو محيطًا بمكانه ، وهذا محال فى العقل يعلم امتناعه ضرورة . وبالله التوفيق .

وأيضًا فإنه لا يكون فى مكان إلّا ما كان جسمًا أو عرضًا فى جسم ، هذا الذى لا يجوز سواه ، ولا يتشكل فى العقل والوهم[٣٧] غيره ألبتة ، فإذا انتفى أن يكون الله عزّ وجل جسمًا أو عرضًا فقد انتفى أن يكون فى مكانٍ أصلًا وبالله تعالى نتأيّد .

وأمّا قوله تعالى : « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوقَهُمْ يَومَئذٍ ثَمانية[٣٨] » .

فقوله الحق نؤمن به يقينا والله أعلم بمراده فى هذا القول ، ولعلَّه عزَّ وجل عنى السماوات والكرسى فهذه ثمانية أجرام ، هى يومئذ والآن بيننا وبين العرش ، ولعلهم أيضًا ثمانية ملائكة ، والله أعلم ، نقول ما قاله ربنا تعالى ، ونقطع أنه حق يقين على ظاهره ، وهو أعلم بمعناه ومراده ، وأمّا الخرافات فلسنا منها فى شىء ، ولايصحّ هذا فى خبر عن النبى ﷺ ، ولكنا نقول : هذه غيوب لا دليل لنا على المراد بها ، لكنَّا نقول « آمَنَّا به كل مِنْ عِنْدِ رَبِّنا[٣٩] » . وكل ما قاله الله تعالى حق ليس منه شىء منافيًا للعقول ، بل هو كله قبل أن يخبرنا الله به فى حدِّ الإمكان عندنا ،

---

(٣٤) القصص : ١٤ وفى الأصل تحريف حيث ذكر الآية (فلما بلغ) .

(٣٥) فصلت : ١١ .

(٣٦) سورة : فصلت : ٥٤ .

(٣٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (والوهم) ولم تذكر فى (ح) .

(٣٨) الحاقة : ١٧ .

(٣٩) آل عمران : ٧ .

ثم إذا أخبر به عزَّ وجل صار واجبًا حقًا يقينًا ، وقد قال الله تعالى : « الّذينَ يحمِلُون العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه[٤٠]» .

فصحَّ يقينًا أنَّ للعرش حملة ، وهم الملائكة المنفذون[٤١] لأمره تعالى[٤٢]، كما نقول : أنا أحمل هذا الأمر أى أقوم به وأتولّاه ، وقد قال تعالى : « وَيْفَعلون ما يُؤْمَرون[٤٣]» .

وأنهم يتنزلون بالأمر ، وأما الحامل للكل ، والممسك للكل فهو الله عزّ وجل ، قال الله تعالى : « إنَّ الله يُمسك السَّماواتِ والأَرضَ أن تَزُولَا ، ولَئِن زالَتا إنْ أَمْسَكَهما مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعْدِه[٤٤]» .

* * *

(٤٠) سورة غافر : ٧ .
(٤١) فى (أ ، ب) : (المنقادون) .
(٤٢) فى (خ) : بزيادة : (ومن حوله) .
(٤٣) سورة النحل : ٥٠ والآية : يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، وفى سورة التحريم آية : ٦ : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون – فكلمة (إنهم) . كما جاء فى الأصل زائدة .
(٤٤) سورة فاطر : ٤١ .

« الكـلام فـى العــلم »

قال الله عزّ وجل : « أنْزَله بعلمه[1] » .

فأخبر تعالى : أن له علمًا ، ثم اختلف الناس فى علم الله تعالى فقال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله تعالى إنما هو مجاز لا حقيقة ، وإنما معناه : أنه لا يجهل .

وقال سائر الناس : إنَّ لله تعالى علمًا حقيقة لا مجازًا ، ثم اختلف هؤلاء فقال جهم ابن صفوان ؛ وهشام بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله[2] بن مسرة الجيلى وأصحابهم : إنَّ علم الله تعالى هو غيره ، وهو محدَث مخلوق ، سمعنا ذلك ممنْ جالسناه منهم ، وناظرناهم عليه .

وقالت طوائف من أهل السنة : علم الله تعالى غير مخلوق لم يزل ، وليس هو الله ، ولا هو غير الله .

وقال الأشعرى : فى أحد قوليه : لا يقال هو الله ، ولا يقال هو غير الله .

---

(١) النساء : ٦٦ .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله ، متصوف متفلسف أندلسى ، من دعاة الإسماعيلية من أهل قرطبة . قال الحميدى : له طريقة فى البلاغة ، وتدقيق فى غوامض إشارات الصوفية ، وتآليف فى المعانى ، ونسبت إليه مقالات نعوذ بالله منها !. وقال ابن الفرضى : اتهم بالزندقة فخرج فارًا ، وتردَّد بالمشرق مدة ، ثم انصرف إلى الأندلس . وكان يحرّف التأويل فى كثير من القرآن ، وقد ردّ عليه جماعة من أهل المشرق . وفى تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتابًا فى الردّ على ابن مسرة ، واستتاب بعض أتباعه ، وأحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه . (الأعلام : ٧ / ٩٥) .

وقال فى قول له آخر وافقه عليه الباقلانى[٣] وجمهور أصحابه : إن علم الله تعالى هو غير الله[٤]، وإنه مع ذلك غيز مخلوق لم يزل .

وقال أبو الهذيل العلّاف وأصحابه : علم الله تعالى لم يزل وهو الله ، وقالت طوائف من أهل السنة : علم الله تعالى لم يزل وهو غير مخلوق ، وليس هو غير الله ، ولا نقول هو الله .

وكان هشام[٥] بن عمرو الفوطى أحد شيوخ المعتزلة لا يطلق القول بأن الله تعالى لم يزل عالمًا بالأشياء قبل كونها ، ليس لأنه لا يعلم ما يكون قبل أن يكون ، بل كان يقول بأن الله تعالى لم يزل عالمًا بأنه ستكون الأشياء إذا كانت .

قال أبو محمد : فأما من أنكر أن يكون لله تعالى علم فإنهم قالوا : لا يخلو لو كان لله علم من أن يكون غيره أو يكون هو هو ، فإن كان غيره فلا يخلو من أن يكون مخلوقًا أو لم يزل ، وأىّ الأمرين كان فهو فاسد ، فإن كان هو الله فالله علم وهذا فاسد .

قال أبو محمد : أمّا نفس قولهم فى أن ليس لله علم فمخالفٌ للقرآن ، وما خالف القرآن فهو باطل ، ولا يحل لأحد أن ينكر ما نصَّ الله تعالى عليه وقد نصُّ الله تعالى على أنَّ[٦] له علمًا فمن أنكره فقد اعترض على الله تعالى ، وأمّا اعتراضاتهم التى ذكرنا ففاسدة كلها ، وسنوضح فسادها إن شاء الله تعالى فى إفسادنا لقول الجهمّية والأشعرية ، لأن هذه الاعتراضات من[٧] اعتراض هاتين الطائفتين ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : احتج جهم بن صفوان بأن قال : لو كان علم الله تعالى لم يزل لكان لا يخلو من أن يكون هو الله تعالى أو غيره ، فإن كان علم الله تعالى غير الله وهو لم يزل ، فهذا تشريك لله تعالى ، وإيجاب الأزلية لغيره تعالى معه وهذا كفر ، وإن كان هو الله فالله علم وهذا إلحاد .

---

(٣) هو : القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى البصرى المتكلم المشهور ، كان على مذهب الأشعرى ، ومؤيدًا اتجاهاته ، سكن بغداد ، وصنف التصانيف الكثيرة فى علم الكلام توفى سنة ٤٠٣ هـ . (وفيات الوفيات : حـ ١ ص ٦٠٩) .

(٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (وخلاف الله) .

(٥) هو : هشام بن عمرو الفوطى ، كان من أصحاب أبى الهذيل ، فانحرف عنه أيضًا فعمّ عليه المعتزلة وانحرفوا عنه ، كذا ذكر ابن الإخشيد . وكان من أهل البصرة وسافر إلى عدة بلدان من البحر ، وكان داعية إلى الاعتزال ، استجاب له جماعة من أهل الأمصار ، وكان هشام يقول : إن الشيطان لا يدخل فى الإنسان ، وإنما يوسوس له من خارج والله جل عن ذلك يوصل وسوسته إلى قلب ابن آدم ليبتليه ، وله من الكتب ؛ كتاب المخلوق ، كتاب الردّ على الأصم فى نفى الحركات ، كتاب خلق القرآن ، كتاب التوحيد ، كتاب جواب أهل خراسان . (الفهرست : الفن الأول من المقالة الخامسة : ٢١٤) .

(٦) فى (أ ، ب) : (على أنه) .

(٧) فى (أ ، ب) : (هى) بدلًا من (من) .

وقال : نسأل من أنكر أن يكون علم الله تعالى هو غيره ، فنقول : أخبرونا ، إذا قلنا الله ، ثم قلنا : إنه عليم فهل فهم من قولنا : « عليم » شيئًا زائدًا غير ما فهمتم من قولنا (الله) أم لا ؟

فإن قلتم : لا . أحلتم .

وإن قلتم : نعم ، أثبتم معنى آخر هو غير الله ، وهو علمه ، وهكذا قالوا فى (قدير) وفى (قوى) وفى سائر ما ادَّعوا فيه الصفات .

وقال أيضًا : إننا نقول إنَّ الله تعالى عالم بنفسه ، ولا نقول[٨] قادر على نفسه ، فصح أن علمه تعالى غير قدرته ، وإذ هو غيرهما فهما غير الله تعالى ، وقد يعلم الله تعالى قادرًا من لا يعلمه عالمًا ، ويعلمه عالمًا من لا يعلمه قادرًا ، فصح أن كلَّ ذلك معانٍ متغايرة .

واحتج بهذا كله أيضًا من رأى أن علم الله تعالى لم يزل ، وأنه مع ذلك غير الله تعالى ، وأنه غير قدرته أيضًا ، واحتج بآيات من القرآن مثل قوله : « ولنبلُوَنكم حتَّى نعلمَ المجاهَدين مِنكُمْ والصَّابِرين[٩] » .

ومثل هذه .

* * *

قال أبو محمد : من قال بحدوث العلم فإنه قول عظيم جدًّا لأنه نصَّ بأن الله تعالى لم يعلم الأشياء[١٠] حتى أحدث لنفسه علما ، وإذا ثبت أن الله تعالى يعلم الآن الأشياء فقد انتفى عنه الجهل يقينًا ، فلو كان يومًا من الدَّهر لا يعلم شيئًا مما يكون فقد ثبت له الجهل به ولابد من هذا ضرورة ، وإثبات الجهل لله تعالى كفر بلا خلاف ، [لأنه وصفه تعالى بالنقص ، ووصفه يقتضى له الحدوث ولابدَّ ، وهذا باطل مما قدمنا من انتفاء جميع صفات الحدوث عن الفاعل تعالى ، وليس هذا من باب نفى الضدَّين عنه كنفينا عنه تعالى الحركة والسكون لأن نفى جميع الضدّين موجود عما ليس فيه أحدهما ولا كلاهما ، وأمّا إذا ثبت للموصوف بعض نوع من الصفات ، وانتفى عنه بعض ذلك النوع فلابدّ هاهنا ضرورة من إثبات ضدّه ، مثال ذلك الحجر ، انتفى عنه العلم والجهل ، وأما الإنسان إذا ثبت له العلم بشىء ، وانتفى عنه العلم بشىء آخر فقد وجب ضرورة إثبات الجهل له بما لم يعلمه ، وهكذا فى كل شىء[١١]] ؛ فإذ قد صحَّ هذا

(٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (إنه) .
(٩) محمد : ٣١ .
(١٠) فى (أ ، ب) : (شيئا) .
(١١) ما بين القوسين لم يذكر فى (خ) واعتمدنا فيه على (أ) حين مضاهاة النسخ بعضها ببعض .

فالواجب النظر [فى إفساد احتجاجهم ، فأمّا قولهم : لو كان علم الله لم يزل ، وهو غير الله تعالى لكان ذلك شركًا[١٢]] – فهو قول صحيح ، واعتراض لا يرد .

وأمّا قولهم : لو كان هو الله لكان الله علمًا ، فهذا لا يلزم على ما نبين بعد هذا إن شاء الله تعالى ، وجملة ذلك أننا لا نسمّى الله تعالى إلّا بما سمّى به نفسه ، ولم يسمّ نفسه علمًا ولا قدرة ، فلا يحل لأحد أن يسميه بذلك .

وأما قولهم : هل يفهم من قول القائل (الله) كالذى يفهم من قوله (عالم) فقط ؟ أو يفهم من قوله (عالم) معنى غير ما يفهم من قوله (الله) ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إننا لا نفهم من قولنا : قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله عزَّ وجل إلّا ما نفهم من قولنا [الله فقط لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلًا ، لكن إذا قلنا هو الله تعالى بكل شىء][١٣] عليم ، ويعلم الغيب ، فإنما يفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شىء ، ولا يفهم منه ألبتة أن له علمًا هو غيره ، وهكذا نقول فى (قدير) وفى غير ذلك ، وأمَّا قولهم إننا نقول : إنَّ الله تعالى عالم بنفسه ولا نقول : إنه قادر على نفسه ، فقد كذب من قال ذلك وأفك بل كلّ ذلك سواء ، وهو تعالى قادر على نفسه كما هو عالم بها ولا فرق ، فإن كلمونا هاهنا أجبناهم ، وقد سقط عنا هذا السؤال جملة ، وقد تكلمنا على تفصيل هذا السؤال بعد هذا . [ويلزمهم ضرورة إذ قالوا إنه تعالى غير قادر على نفسه أنه عاجز عن نفسه ، وإطلاق هذا كفر صريح][١٤].

وأمّا قولهم إنه قد يعلم الله قادرًا من لم يعلم أنه عالم ، ويعلمه عالمًا من لا يعلمه قادرًا فلا حجة فى ذلك ، لأن جهل من جهل الحق ليس حجة على الحق ، وقد نجد من يعلم الله عزَّ وجل ويعتقد فيه أنه تعالى جسم ، فليست الظنون حجة فى إبطال حق ، ولا تحقيق باطل ، فصحَّ أن علم الله تعالى حق وقدرته حق وقوته حق ، وكل ذلك ليس هو غير الله تعالى ، ولا العلم غير القدرة ، ولا القدرة غير العلم ، إذ لم يأت دليل بغير هذا لا من نصٍّ[١٥] ولا من سمع ، وبالله تعالى التوفيق .

وجهم بن صفوان سمرقندى يكنى أبا محرز ، مولًى لبنى راسب من الأزد ، وكان كاتبًا

(١٢) ما بين القوسين لم يذكر أيضًا فى (خ) واعتمدنا فيه على (أ) .
(١٣) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) ، واعتمدنا فيه على النسخة (أ) .
(١٤) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) ، واعتمدنا فيه على النسخة (أ) .
(١٥) فى (أ ، ب) : (بدلا من عقل) .

للحارث ابن سريج[١٦] التميمى ، أيام قيامه على نصر[١٧] بن سيّار ، أمير مرو بخراسان ، فظفر سلم[١٨] بن أحوز بجهم فى تلك الأيام فضرب عنقه .

* * *

قال أبو محمد : ومعنى كل ما جاء فى القرآن من الآيات التى ذكروا هو ما نبينه إن شاء الله تعالى بحوله عزَّ وجل وقدرته ، وهو أنه لما أخبرنا الله عزّ وجل [بأن أهل النار لو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأخبرنا عزّ وجل][١٩]. أنه يعلم متى تقوم الساعة ، وأخبرنا بما يقول أهل الجنة وأهل النار قبل أن يقولا ، وسائر ما فى القرآن من الأخبار الصادقة عمّا لم يكن بعد ، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها متقدم لوجودها ولكونها ضرورة ، وعلمنا أن كلامه عزَّ وجل لا يتناقض ولا يتدافع ، وأن المراد بقول الله تعالى : « حتَّى نعلمَ المجاهِدين منْكُم[٢٠]» .

وسائر ما فى القرآن من مثل هذا إنما هو على ظاهره دون تكلف تأويل ، بل هى على المعهود بيننا كقوله تعالى : « فَقُولَا له قَوْلًا ليِّنًا لَعلَّه يتذكَّرُ أو يَخْشَى[٢١]» .

إنما هذا على حسب إدراك المخاطب ، ومعنى ذلك : حتى نعلم من يجاهد منكم مجاهدًا ، ونعلم من يصير منكم صابرًا ، وهذا لا يكون إلّا فى حين جهادهم وحين صبرهم ، وأمّا قبل أن يجاهدوا ويصبروا فإنما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين ، وأنهم سيجاهدون ويصبرون ، فإذا جاهدوا علمهم حينئذ مجاهدين ، وإنما الزّمان فى كل هذا للمعلوم ، وأمّا علمه تعالى ففى غير زمان

---

(١٦) الحارث بن سريج : هو : الحارث بن سريج بالسين المهملة لا بالشين كما جاء فى الأصل . التميمى : ثائر من الأبطال ، كان من سكان خراسان ، وخرج على أميرها سنة ١١٦ هـ فلبس السواد خالعًا طاعة بنى مروان (والخليفة حينئذ هشام بن عبد الملك) وداعيًا إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضى ، وسار إلى الفارياب ومنها إلى (بلخ) فقاتله أميرها فهزمه الحارث ودخلها ، ثم استولى على الجوزجان والطالقان ومرو الروز . وعظم أمره ، فقيل إن عدة جيشه بلغت ستين ألفًا ، ثم انهزم جيشه على أبواب (مرو) فغرق جمع كبير من أصحابه ، ولم يبق معه أكثر من ثلاثة آلاف ، فانصرف إلى بلاد الترك فأقام اثنتى عشرة سنة ، وأرسل إليه أمير خراسان نصر بن سيار رسلًا حملوا إليه أمان يزيد بن الوليد بعودته إلى خراسان ، فعاد إلى مرو سنة ١٢٧ هـ ، وردّ عليه نصر جميع ما أخذ له ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما ، ولكنه خرج عليه طالبا منه أن يعمل بالكتاب والسنة وقاتل حتى قتل سنة ١٢٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ١٥٥) .

(١٧) نصر بن سيار : هو : ابن رافع بن حرِّى بن ربيعة الكنانى ، أمير من الدهاة الشجعان ، كان شيخ مضر بخراسان ووالى بلخ ، ثم ولى إمرة خراسان سنة ١٢٠ هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسرى ، ولّاه هشام بن عبد الملك وغزا ما وراء النهر ففتح حصونا ، وغنم مغانم كثيرة وأقام بمرو ، وقويت الدعوة العباسية فى أيامه فكتب إلى بنى مروان بالشام يحذرهم وينذرهم فلم يأبهوا للخطر ، فصبر يدبر الأمر إلى أن أعيته الحيلة ، وتغلب أبو مسلم على خراسان فخرج نصر من مرو سنة ١٣٠ هـ ، وصار ينتقل من بلد إلى بلد حتى مرض فى مغارة بين الرى وهمذان ومات بساوة سنة ١٣١ هـ .

(١٨) سلم بن أحوز : وقع فى العبر ١ / ٦٦ (سلم بن أحور) بالراء المهملة ، وهو فى كل كتب المقالات بالزاى . وسلم (انظر مقالات الإسلاميين ١ / ١٣١ ، والتبصير ١٨ ، ٦٤ ، ومن كلام المؤلف نعلم أن سلم بن أحوز كان قائدًا من قواد نصر بن سيار فى خراسان فى أواخر بنى مروان . (الفرق بين الفرق : ٣٦) .

(١٩) ما بين القوسين لم يذكر فى (ح) . واعتمدنا فى ذكره على النسخة (أ) .

(٢٠) سورة محمد : ٣١ .

(٢١) سورة طه : ٤٤ .

وليس هاهنا تبدّل علم ، وإنما يتبدّل المعلوم فقط ، والعلم فى كل ذلك لم يزل غير متبدّل .

فإن قالوا : متى علم الله زيدًا ميتًا ؟ فإن قلتم لم يزل يعلمه ميتًا ، وجب أنَّ زيداً لم يزل ميتًا ، وهذا محال . وإن قلتم لم يعلمه ميتًا حتّى مات فهذا قولنا لا قولكم . فالجواب عن هذا أننا لا نقول شيئًا ممّا ذكروا[٢٢] ولكننا نقول : إن الله عزَّ وجل لم يزل أنه سيخلق زيدًا ، وأنه سيعيش كذا وكذا وسيموت فى وقت كذا ، فعلم الله تعالى بكل ذلك واحدٌ لا يتبدّل ولا يستحيل ، ولا زاد فيه تبدل الأحوال التى للمعلوم شيئًا ولا نقص منه عدمها شيئًا ، لا أحدث له حدوث ذلك علمًا لم يكن وإنما تغاير المعلومات لا العلم لا العليم ولا القدرة ولا القدير[٢٣].

والفرق بين القول متى علم الله زيدًا ميتًا .. ؟ وبين القول متى علمت زيدًا ميتًا .. ؟ فرق بيّن وهو علمى أن زيدًا مات وهو عرض حدث فى النفس بحدوث موت زيد ، وهو غير علمى أن زيدًا حى ، وأنه سيموت لأن علمى بأنَّ زيدًا سيموت إنما هو علم بحدوث[٢٤] حال سيحدث مقتضية لموته يومًا مّا . لا علمنا بوجود الموت ، وعلمى بأن زيدًا ميّت علم بوجود الموت فهو غير [العلم الأول وكلاهما عرض مخلوق فى النفس[٢٥]] وعلم الله تعالى ليس كذلك ، لأنه ليس هو شيئًا غير الله تعالى ، ولو كان علم الله تعالى محدثًا لوجب ضرورة أن يكون على حكم سائر المحدثات ، وبضرورة العقل نعلم أن العلم كيفيّة عرض ، والعرض لا يقوم ألبتة إلّا فى جسم ، ومحال أن يكون العلم محمولًا فى غير العالم[٢٦]، فكان يجب من هذا القول بالتجسيم ، وهذا باطل بما قدّمنا من البراهين على وجوب حدوث كل جسم وعرض ، فإن قال قائل : علم الله تعالى عرض حادث فى المعلوم قائم به لا بالبارى عزّ وجل ولا بنفسه قلنا وبالله تعالى التوفيق :

بنصِّ القرآن علمنا أنّ الله عزّ وجل عنده علم الساعة ، وعلم ما لا يكون أبدًا ، أو لو كان كيف كان يكون ، إذ يقول تعالى : « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِما نُهُوا عَنْه[٢٧]» .

وعلمه تعالى إذ قال لنوح عليه السلام : « أَنَّه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قد آمَن[٢٨]» .

[وأخبر تعالى أنهم مغرقون] فلو كان علم الله تعالى عرضًا قائمًا فى المعلوم ، والمعلوم الذى هو الساعة غير موجود بعد ، والعلم موجود بيقين ، فلابدَّ ضرورة من أحد أمرين لا ثالث لهما ؛ إمّا أن يكون المعلوم موجودًا لوجود العلم ، وهذا باطل بضرورة الحس ، لأنّ المعلوم

(٢٢) فى (أ ، ب) : (مما ذكر) .
(٢٣) فى (ح) : سقط الكلام من قوله (وإنما تغاير المعلومات لا العلم ولا العليم ولا القدرة ولا القدير) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : (بأنه ستحدث حال مقتضية) .
(٢٥) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) .
(٢٦) فى (أ ، ب) : بزيادة (به) .
(٢٧) سورة الأنعام : ٢٨ .
(٢٨) سورة هود : ٣٦ .

الذى ذكرنا معدوم فيكون معدومًا موجودًا فى حين واحد من جهة واحدة ، أو يكون العلم الموجود قائمًا بمعلوم معدوم ، فيكون عرضًا موجودًا محمولًا فى حامل معدوم ، وهذا تخليط ومحال فاسد ألبتة ، وإنما كلامنا هذا مع أهل ملتنا المقربين بالقرآن . وأمّا سائر الملل فلسنا نكلمهم فى هذا ، لأنها نتيجة مقدمات سوالف ، ولا يجوز الكلام فى النتيجة إلّا بعد إثبات المقدّمات ، فإن ثبتت المقدّمات ثبتت النتيجة ، والبرهان لا يعارضه برهان ، فكل ما ثبت ببرهان فعورض بشىء فإنّما هو شغب بلا شك ، وإن لم تصح المقدّمات فالنتيجة باطلة دون تكلف دليل . ومقدّمات ما ذكرنا هى إثبات التوحيد ، وحدوث العالم بنقل الكواف لنبوّة محمد ﷺ والقرآن [فإن ذكروا الآيات التى فى القرآن مثل : « لَعلّه يتذكَّر أو يَخْشَى » لعلكُمْ تُؤْمِنُون – لعلّكُمْ تشْكُرون – « لعلّكم تذكَّرون »] .

ونحو ذلك فإنما هى كلها بمعنى لام العاقبة أى ليتذكر ، ولتؤمنوا ، وليشكروا وليتذكروا ، وليخشى ، على ظاهر الأمر عندنا من إمكان كل ذلك منا كما قال عزَّ وجل : « لِيَبْلوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[٢٩] » .

وقال عزَّ وجل : « ثم لِتكُونوا شُيوخًا[٣٠] » .

فهذا أيضًا على الإمكان ممّن عاش ، والأول على الممكن من الناس عند الخطاب والدّعاء إلى الله تعالى ، وكذلك كل ما جاء فى القرآن بلفظة « أو » فإنما هو على أحد وجهين إمّا على الشّك من المخاطبين لا من الله تعالى ، وإمَّا بمعنى التخيير فى الكل كقول القائل : « جالس الحسن أو ابن سيرين »

برهان ذلك : ورود النص بأنه تعالى : لا يَضِلُّ ولا ينسى ، وأنه قد علم أن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب ، وكما قال تعالى : « أنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا من قَدْ آمَنَ[٣١] » .

[وبهذا تتألف النصوص كلها] فلم يبق لأهل القول بحدوث العلم[٣٢] إلَّا أن يقولوا إنه تعالى خلق شيئًا مَّا كان حاملًا لعلمه بالسَّاعة .

قال أبو محمد : وهذا من السخف ما هو من العلم لأن علم[٣٣] الله تعالى لا يقوم بغيره ، ولا يحمله سواه ، هذا أمر يُعلم بالضرورة والحسّ ، فمن ادَّعى دعوى لا يأتى عليها بدليل فهى

(٢٩) سورة الملك ٠ ٢ .
(٣٠) سورة غافر : ٦٧
(٣١) هود : ٣٦
(٣٢) فى الأصل (العالم) وهو تحريف .
(٣٣) فى (أ ، ب) : (علم العالم) .

باطلة فكيف إذًا أبطلها الحسُّ وضرورة العقل ، ويُبيِّن ما قلناه نصًا قوله تعالى حاكيًا عن نبيه موسى ﷺ أنه قال لبنى إسرائيل : « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكم ويَسْتَخلِفكُمْ فى الأرضِ فينظُر كَيْفَ تَعْملون[٣٤]» .

هذا مع قوله تعالى : « وقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرائيلَ فى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فى الأَرْضِ مَرَّتَيْن ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فإذا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهما بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولى بأسٍ شَدِيدٍ ، فَجاَسُوا خِلَال الدِّيارِ وَكانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمْ الكَرَّةَ عَلَيْهم ، وأَمْدَدْنَاكَم بأموالٍ وبَنِين ، وجَعَلْنَاكَم أَكْثَر نَفيرًا ، إِنْ أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لِأَنْفسِكُم وإنْ أَسَأْتُمْ فَلَها ، فإذا جَاءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوه أَوَّلَ مَرَّة ، وليُتبرِّوا ما عَلَوا تَتْبِيرًا ، عَسى ربُّكم أن يرحمكم وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا[٣٥]» .

فهذا نصٌّ قولنا إنه تعالى قد علم ما يفعلون ، وأخبر بذلك ، ثمّ مع هذا أخرج الخطاب بالمعهود عندنا بلفظ « عسى » . و« فينظر » .

* * *

قال أبو محمد : فإذ قد صحّ ما ذكرنا فقد ثبت ضرورة أنّ قول القائل : متى علم الله زيدًا ميّتا سؤال فاسد بالضرورة لأن « متى » سؤال عن زمان وعلم الله تعالى ليس فى زمان أصلًا [لأنه ليس هو غير الله تعالى ، وقد مضى البرهان على أنَّ الله تعالى ليس فى الزمان] ولا فى مكان ، وإنَّما الزَّمان والمكان للمعلوم فقط بما بيَّنا ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « وَلَا يُحيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه إِلَّا بما شاءَ[٣٦]» .

فقال إنَّ « مِنْ » للتبعيض ، ولا يتبعض إلَّا مخلوق محدث ، ولا يحاط إلا بمخلوق محدث[٣٧]، وقد نص الله تعالى على أنه لا يحاط[٣٨] إلَّا بما شاء من علمه فوجب أنَّ علمه مخلوق ؛ لأنه يحاط ببعضه ، وهو متبعض .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أنَّ كلام الله تعالى واجب أن يُحمل على ظاهره ، ولا يحال عن ظاهره ألبتة إلا أن يأتى نصٌّ أو إجماع أو ضرورة حسٍّ ، على أن شيئًا منه ليس على ظاهره ، وأنه قد نقل عن ظاهره إلى معنى آخر ، فالانقياد واجب علينا لما أوجبه من ذلك النص أو الإجماع

(٣٤) سورة الأعراف : ١٢٩ .
(٣٥) سورة الإسراء : ٤ – ٨ .
(٣٦) البقرة : ٢٥٥ .
(٣٧) فى (خ) : لم تذكر : (ولا يحاط إلا بمحلوق محدث) .
(٣٨) فى (أ ، ب) : (يحاط بما شاء) .

أو الضرورة ، لأنَّ كلام الله تعالى وأخباره وأوامره لا تختلف والإجماع لا يأتى إلَّا بحق ، والله تعالى لا يقول إلَّا الحق ، وكلُّ ما أبطله برهان ضرورى فليس بحق ، فإذ هذا كما قلنا ، وقد ثبت ضرورة أنَّ [علم] الله تعالى ليس عرضًا ولا جسمًا [أصلًا لا محمولًا فيه ، ولا فى غيره] ولا هو شىء غير البارى تعالى فبالضرورة نعلم أنَّ معنى قوله عزّ وجل : « وَلَا يُحيطونَ بشيءٍ مِنْ عِلْمِه »

إنما المراد العلم المخلوق الذى [أعطاه عباده] وهو عرض فى العالمين من عباده [محمول فيهم ، وهو مضاف إليه عزّ وجل بمعنى الملك] وهذا لا شك فيه ، لأنه لا علم لنا إلَّا ما علّمنا . قال الله تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ العِلْمِ إلَّا قَليلًا(٣٩) » .

يريد الله تعالى ، ما خلق من المعلوم وبثَّها فى عباده [كما قال الخَضْر لموسى عليهما السلام : إنّى على علم من الله لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا ، وما نقص علمى وعلمك من علم الله إلَّا كما نقص هذا العصفور من البحر]

* * *

قال أبو محمد : فهذه إضافة الملك كما بينا ، وإنّما أضيف العلم هاهنا إلى الله تعالى [إضافة] ملك ، كما قال تعالى : « هَذَا خَلْق الله(٤٠) » .

وكما قال تعالى فى عيسى عليه السلام : « إنه روح الله(٤١) » .

وهذا كله إضافة الملك ، فهذا معنى قوله تعالى : « وَلَا يُحيطونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه إلَّا بمَا شَاء(٤٢) » .

وقد نفى الله تعالى الإحاطة من الخلق به ، فقال عزَّ وجل : « وَلَا يُحيطُون بِهِ عِلْمًا(٤٣) » .

* * *

قال أبو محمد : ويخرّج أيضًا على ظاهره أحسن خروج دون تأويل ولا تكلف فيكون معنى قوله تعالى : « ولا يُحيطُون بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه إلَّا بما شَاء »

---

(٣٩) الإسراء : ٨٥ .
(٤٠) سورة لقمان : ١١ . والكلام من قوله « كما بينا إلى هذا خلق الله » سقط من (أ ، ب) .
(٤١) ليس هناك نص بهذا اللفظ وإنما ورد قوله تعالى : « ولكمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ١٧١ النساء .
(٤٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٤٣) سورة طه : ١١٠ .

أى من العلم بالله تعالى ، وهذا حقٌّ لا شكّ فيه لأننا لا نحيط من العلم به تعالى إلّا ما علَّمنا فقط ، قال تعالى : « وَلَا يُحيطُونَ به عِلْمًا »

فيكون معنى « مِنْ عِلْمِه » أى من معرفته .

فإن قالوا : ما معنى دعائكم الله فى الرحمة والمغفرة ؟ وهل يخلو أن يكون قد سبق علمه بالرَّحمة ، فأىُّ معنى للدّعاء فيما لابدَّ منه ؟ وهل يكون(٤٤) إلّا كمن دعا فى طلوع الشمس غدًا ، أو فى أن يجعل إنساناً إنساناً ، أو فى أن تكون الأرض أرضًا ، وإن كان قد سبق فى علمه تعالى خلاف ذلك فأىُّ معنًى للدُّعاء(٤٥) فيما لا يكون .. ؟ وهل هو إلّا كمن دعا فى ألّا تقوم السَّاعة ، أو فى ألَّا يكون النَّاسُ ناسًا ؟

فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق : الدعاء عمل أمرنا الله تعالى به لا على أنه يردّ قَدَرًا ، ولا أنه يكون من أجله ما لا يكون ، لكن الله عزّ وجل قد جعل فى سابق علمه الدعاء الذى سبق فى علمه قبوله(٤٦) يدعى به سببًا لما سبق فى علمه كونه ، كما جعل فى سابق علمه الغذاء بالطعام والشّراب سببًا لبلوغ الأجل ؛ الذى سبق فى علمه البلوغ إليه ، وكذلك سائر(٤٧) الأعمال ، وقد نص تعالى أنه يعلم آجال العباد ، قال تعالى : « فإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يستأخِروُن سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُون(٤٨)» .

ومع ذلك فقد جعل تعالى الأكل والشرب سببًا إلى استيفاء ذلك المقدار وكل ذلك سابق فى علمه عزَّ وجل ، والدُّعاء هكذا ، وكذلك التداوى على سبيل الطب ، ولا فرق ، وقد أخبرنا تعالى أنه يصلّى على نبيّه ﷺ وأمرنا مع ذلك بالدّعاء بالصّلاة عليه ، وقال تعالى : « قال رَبِّ احْكُمْ بَالْحَقّ(٤٩)» . فأمرنا بالدّعاء بذلك ، وقد علّمنا أنه تعالى لا يحكم إلّا بالحق فصح ما قلنا [من أنَّ الدُّعاء عمل أمرنا به فنحن نعمله حيث أمرنا عزَّ وجل ، ولا نعمله حيث لم نؤمر به](٥٠) والحمد لله ربّ العالمين ، فإذ قد بطل بعون الله تعالى وتأييده قول من قال إنَّ علم الله تعالى هو غير الله تعالى وهو مخلوق فلنتكلم بعون الله تعالى وتأييده على قول من قال : إنَّ علم الله تعالى هو غير الله تعالى وخلافه ، وأنه لم يزل مع الله عزَّ وجل .

قال أبو محمد : هذا قول لا يحتاج فى ردّه إلى أكثر من أنه شرك مجرّد ، وإبطال للتوحيد .

---

(٤٤) فى (أ ، ب) : (وهل هو) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : (فى الدعاء) .
(٤٦) فى (خ) : سقطت كلمة (قبوله) . وكلمة (يدعى به) سقطت من (أ ، ب) .
(٤٩) سورة الأنبياء : ١١٢ ، وقد ورد النص فى الأصل (قل رب احكم) وهو تحريف .
(٤٧) فى (أ ، ب) : (مساير) وهو تحريف .
(٥٠) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين .

لأنه إذا كان مع الله تعالى شىءٌ غيره لم يزل معه فقد بطل أن يكون الله تعالى كان وحده بل قد صار له شريك فى أنه لم يزل ، وهذا كفر مجرّد ، ونصرانية محضة [مع أنها دعوى ساقطة بلا دليل أصلًا(٥١)] . وما قال بهذا قط أحد من أهل الإسلام قبل هذه الفرقة المحدثة بعد(٥٢) الثلاثمائة سنة فهو خروج عن الإسلام ، وترك للإجماع المتيقّن ، وقد قلت لبعضهم : إذا(٥٣) قلتم إنه لم يزل مع الله تعالى شىء آخر هو غير الله تعالى وخلافه لم يزل معه فلماذا أنكرتم على النصّارى فى قولها : « إنَّ الله ثالِثُ ثَلَاثة ؟ فقال لى مصرِّحًا : ما أنكرنا على النّصارى إلَّا اقتصارهم على الثلاثة فقط(٥٤)، ولم يجعلوا معه تعالى أكثر من ذلك .

فأمسكت عنه إذ(٥٥) صرَّح بأنَّ قولهم أدخل فى الشّرك من قول النّصارى . [وقولهم هذا ردٌّ لقول الله عزَّ وجل : « قل هو الله أحد »

فلو كان مع الله غير الله لم يكن الله أحد .

قال أبو محمد : وما كنَّا نصدّق أنَّ(٥٦) من ينتمى إلى الإسلام يأتى بهذا الكفر لولا أنَّا شاهدناهم وناظرناهم ، ورأينا ذلك صراحًا فى كتبهم ككتاب السمنانى(٥٧) قاضى الموصل فى عصرنا هذا ، وهو من أكابرهم ، وفى كتاب المجالس للأشعرى وفى كتب لهم أخر(٥٨).

قال أبو محمد : والعجب من هذا كله تصريح الباقلَّانى ، وابن فورك فى كتبهما فى الأصول وغيرها أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حدٍّ واحد ، وهذه حماقة ممزوجة بكفر(٥٩)، إذ جعلوا ما لم يزل محدودًا بمنزلة المحدثات ، وكل ما أدخلناه على المنانية والنصارى ، ومن يبطل التوحيد فهو

---

(٥١) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .

(٥٢) فى (خ) : (قبل) وهو تحريف .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (إذ) .

(٥٤) قوله , ما أنكرنا) هذا الذى قاله ابن حزم لم تقل به الأشاعرة ولا غيرهم ، وهم إنما أنكروا على النصارى إثباتهم من يتصف بالألوهية معه جل شأنه ، وحاشا أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام (نقلا عن هامش النسخة ب) ص ١٣٥ .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (أنْ) .

(٥٦) فى (ب) : (من أن) .

(٥٧) السمنانى هو : محمد بن أحمد بن محمد السمنانى أبو جعفر ، قاضٍ حنفى ، أصله من سمنان العراق ، نشأ ببغداد ، وولى القضاء بالموصل إلى أن توفى بها ، وكان مقدّم الأشعرية فى وقته ، وشنع عليه ابن حزم ، له تصانيف فى الفقه ، توفى سنة ٤٤٤ هـ . (الأعلام : ٦ / ٢٠٦) .

(٥٨) قوله « وفى كتب لهم أخر » إن كان الذى فى الكتب هو ما صرح به ابن حزم فهو كذب على الأشعرى لأن كتبه وكتب أصحابه ناطقة بخلاف ذلك ، وإن كان إثبات صفات لله زائدة عن ذاته فهو ظاهر القرآن ولا يقتضى شركا ولا شيئا مما قاله ابن حزم (نقلا عن هامش النسخة ب ص ١٣٦) . وقد راجعنا كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى فى الرد على الجهمية ، فرأينا أنه يؤكد وجود صفة العلم لله تعالى على نحو ما ذكرت الآيات القرآنية من غير اتجاه إلى تأويل أو تعطيل . راجع كتاب الإبانة من ٣٨ وما بعدها ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٧٥ .

(٥٩) فى (أ ، ب) : (بهوس) .

داخل على هذه الفرقة حرفًا حرفًا(٦٠) فأغنانا أن نحيل على ذلك عن تكراره ، ونعوذ بالله من الخذلان(٦١).

قال أبو محمد : هذا مع قولهم إنَّ التغاير لا يكون إلَّا فيما جاز أن يوجد أحدهما دون الآخر .

قال أبو محمد : وهذه غاية السخافة لأنها دعوى بلا برهان عليها لا من قرآن ولا من سنّة ، ولا معقول ولا من لغة أصلًا ، وما كان هكذا فهو باطل ، ويلزمهم على هذا أن الخلق ليسوا غير الخالق ، لأنه لا يجوز أن يوجد الخلق دون الخلق ، فإن قالوا : جائز أن يوجد الخالق دون الخالق . قلنا : نعم فمن أين لكم أن أحد التغاير هو أنه لا يجوز أن يوجد أحدهما أيهما كان دون الآخر .. ؟ وهذا ما لا سبيل لهم إليه ، ويلزمهم لزومًا لا ينفكون عنه أن الأعراض ليست غير الجواهر ، لأنه لا يجوز ألبتة ، ولا يمكن ولا يتوهم وجود أحدهما دون الآخر جملة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وحدّ التغاير الصحيح هو ما شهدت له اللغة وضرورة الحسّ والعقل ، وهو كل اسمين(٦٢) جاز أن يخبر عن أحدهما بخبر(٦٣) لا يخبر به عن الآخر فهما غيرّان لابدَّ من هذا ، وبالجملة ما لم يكن هو الشيء(٦٤) نفسه فهو غيره ، وما لم يكن غير الشيء نفسه(٦٥) فهو نفسه وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل بعون الله تعالى وتأييده قول من قال إن علم الله تعالى هو غير الله تعالى ثم جعله مخلوقًا أو لم يزل فلنقل فى سائر الأقوال فى هذه المسألة إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوّة إلَّا بالله العليِّ العظيم .

قال أبو محمد : وأمّا(٦٦) من قال :إنَّ علم الله تعالى ليس هو ولا هو غيره ولكنّه صفة ذات

---

(٦٠) فى (أ ، ب) : (حرفا حرف) .
(٦١) قول ابن حزم « تحت حدٍّ واحد » : هذا لا يقوله هذان الإمامان فإن عندهما علم الله قديم ، وعلمنا حادث فكيف يشترك القديم مع الحادث فى حدٍّ واحد ، فلعل لهما كلامًا لم يفهمه ابن حزم فتخيل منه ذلك ، (نقلا عن هامش ب ص ١٣٦) ونحن نميل إلى هذا الرأى .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (مسميين) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (بخبر ما) .
(٦٤) فى (أ ، ب) : (غير الشئ) .
(٦٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (نفسه) الأولى .
(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وأمّا) .

لم يزل فكلام فاسد [محال] متناقض يبطل بعضه بعضًا لأنهم إذا قالوا : إنَّ علم الله تعالى ليس هو الله فقد أوجبوا بهذا القول ضرورة أنه غيره ، ثم إذا قالوا : ولا هو غيره فقد أبطلوا الغيرية ، وأوجبوا بهذا القول ضرورة أنه هو ، فصح أنه سواء قول القائل لا هو هو ولا هو(٦٧) غيره ، وقول القائل هو هو : وهو غيره فإنَّ معنى القضيتين(٦٨) واحد لا يختلف ، وكلا العبارتين باطل متناقض لا يعقل نفى وإثبات معًا . وهذا تخليط الممرورين نعوذ بالله من الخذلان ، والعجب من احتجاج بعضهم فى هذا الباطل بأن قال : الطول(٦٩) ليس هو الطويل ولا هو غيره .

قال أبو محمد : وهذا من أطم ما يكون من الجهل والمكابرة إذ لا يدرى هذا القائل : أنَّ الطويل جسم جوهر قائم بنفسه حامل لطوله ولسائر أعراضه ، وأن الطول عرض من الأعراض محمول فى الطويل غير قائم بنفسه ، فمن جهل أنَّ المحمول غير الحامل ، وأن القائم بنفسه هو غير ما لا يقوم بنفسه فهو عديم حس . وينبغى له أن يتعلّم قبل أن يهدِّد(٧٠). ونحن نريه الطين الطويل يدور فيذهب الطول والتربيع ويأتى التدوير ، والذى كان طويلًا باق بحسّه ، فهل يخفى على سائر التمييز أنَّ الذاهب غير الجائى(٧١)، وأن الفانى غير الباقى ، فبالضرورة نعلم أنَّ الطول غير الطويل ، ثم نقول لمن تعلّق بهذه العبارة الفاسدة أخبرونا : هل يخلو كل اسمين متغايرين من أحد وجهين ضرورة لا ثالث لهما ألبتة .. ؟ إمَّا أن يكون الاسمان واقعين معًا على شىء واحد يعبّر بذنيك الاسمين عن(٧٢) ذلك الشىء الذى علقا عليه . وإمَّا أن يكون الاسمان واقعين على شيئين اثنين يعبَّر بكل اسم منهما على حدته عن الشىء الذى علق عليه ذلك الاسم ؟

هذان وجهان لابدَّ من أحدهما ضرورة لكل اسمين ، وأىّ هذين كان فهو مبطل لتخليط من قال : لا هو هو ، ولا هو(٧٣) غيره ، وقد زاد بعضهم فى الشعوذة والسفسطة وإبطال(٧٤) الحقائق فأتى بدعوى فاسدة ، وذلك أن قال : لا يكون الشىء غير الشىء إلَّا إذا أمكن أن ينفرد أحدهما عن الآخر .

قال أبو محمد : وهذه دعوى مجرّدة لا دليل(٧٥) عليها ، فلو لم يكن إلَّا هذا السقط وهذا التمويه ، فكيف وهى قضية فاسدة .. ؟ لأنها توجب أنَّ كلية الأعرض ليست غير كلية

(٦٧) فى (أ ، ب) : (ولا غيره) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (هاتين) .
(٦٩) فى (أ ، ب) : (إن الطول) .
(٧٠) فى (أ ، ب) : أن يعلم قبل أن يهدر .
(٧١) فى (أ ، ب) : (الآتى) .
(٧٢) فى (أ ، ب) : (على) .
(٧٣) فى (أ ، ب) : (ولا غيره) .
(٧٤) فى (أ ، ب) : (وإفساد) .
(٧٥) فى (أ ، ب) : (بلا دليل) .

الجواهر ، لأنه لا سبيل إلى انفراد الجواهر عن الأعراض ، ولا انفراد الأعراض عن الجواهر ، فكفى فسادًا بكل هذيان أدّى إلى مثل هذا التخليط .

قال أبو محمد : حدُّ التغاير فى الغيرين : هو كل(٧٦) شيء أخبر عنه بخبر مّا ، لا يكون ذلك الخبر فى ذلك الوقت خبرًا عن الشيء الآخر فهو بالضرورة غير ما لا يشاركه فى ذلك الخبر ، وليس فى كل ما يعلم ويوجد شيئان يخلوان من هذا الوصف بوجه من الوجوه ، وهذا مقتضى لفظ الغير فى اللغة ، وبالله تعالى التوفيق .

مع أنَّ هذا أمر يعلم بضرورة الحسّ والعقل .

وحدُّ الهوية : هو أنَّ كلَّ ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه ، إذ ليس بين الهوّية والغيرية(٧٧) وسيطة يعقلها أحدٌ ألبتة ، فما خرج عن أحدهما دخل فى الآخر ولابدّ .

[وأيضًا فكل اسمين مختلفين لا يخبر عن مسمى أحدهما بشيء إلَّا كان ذلك الخبر خبرًا عن مسمى الاسم الآخر(٧٨)] ولابدَّ أبدًا فمسماهما واحدٌ بلا شك ، فإذ قد صح فساد هذا القول فلنقل بعون الله تعالى فى عبارة الأشعرى الأخرى ، وهو قوله : « لا يقال هو هو(٧٩)، ولا يقال هو غيره » . فنقول : إنه لم يزد فى هذه العبارة على أن قال : « لا يقال فى هذا شيء » .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأنه لابدَّ ضرورة من أحد هذين القولين أو قول ثالث وهو نفى الغيرية ، وإن لم يطلق هو هو ، أو نفى الهوية ، وإن لم يطلق أنه غيره فسقط هذا القول(٨٠) أيضًا إذ ليس فيه بيان الحقيقة .

وأمّا قول أبى الهذيل : إن علم الله تعالى هو الله فإنها تسمية منه للبارى تعالى باستدلاله فلا يجوز أن يسمَّى(٨١) الله تعالى ولا يوصف(٨٢) باستدلال ألبتة ؛ لأنه بخلاف كلِّ ما خلق فلا دليل يوجب تسميته بشيء من الأسماء التى يسمّى بها شيء من خلقه ، ولا أن يوصَف بصفة يوصف بها شيء من خلقه ، [ولا أن يخبر عنه بما يخبر به عن شيء من خلقه ؛ إلَّا أن يأتى نص

---

(٧٦) فى (أ ، ب) : (أن كل) .

(٧٧) الهُوِيَّه : تسبه إلى الضمير (هو) فى مقابل النسبة إلى كلمة (غير) وحقيقة الهوية عند الفلاسفة يقصد بها ماهية الشيء وحقيقته .

(٧٨) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) .

(٧٩) فى (أ) : وهو قوله (هو هو) بحذف (لا يقال) والمعنى عليه لا يستقيم فهو يريد أن يبطل قول الأشعرى . وهذا لا يتأتى إلا بذكر (لا يقال) .

(٨٠) الكلام من قوله « أو قول ثالث إلى هذا القول » لم يذكر فى (أ) .

(٨١) فى (أ ، ب) : (أن يخبر عن) .

(٨٢) فى (أ ، ب) : (ولا أن يسمى) .

بشيء من ذلك فيوقف عنده[٨٣]] فمن وصفه تعالى بصفة يوصف بها شيء من خلقه ، أو سمّاه باسم يسمّى به شيء من خلقه استدلالًا على ذلك بما وجد فى خلقه فقد شبّهه تعالى بخلقه ، وألحد فى أسمائه ، وافترى الكذب .

ولا يجوز أن يسمّى الله تعالى ، ولا أن يخبر عنه إلّا بما سمّى به نفسه ، أو أخبر به عن نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، أو صحّ به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقّن ولا مزيد ، وحتى ولو كان[٨٤] المعنى صحيحًا ، فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ ، وقد علمنا يقينا أنه تعالى بنى السماء [قال تعالى : والسماء بنيناها بأيد[٨٥]] .

ولا يجوز أن يسمّى بنّاء . وأنه تعالى خلق أصباغ النبات والحيوان ، وأنه تعالى قال : « صبغة الله[٨٦]» .

ولا يجوز أن يسمى صبّاغا ، وهكذا كل شيء لم يسمّ به نفسه ، وليس يجب أن يسمّى الله تعالى بأنه هو علمه ، وإن صحّ يقينا أن المراد بقوله تعالى أن له علمًا ليس هو غيره لما ذكرنا ، وبالله تعالى التوفيق ، وقد صحّ أنّ ذات الله تعالى ليست غيره ، وأنّ وجهه ليس غيره ، وأن نفسه ليست غيره ، وأنّ هذه الأسماء لا يعبّر بها إلّا عنه عزّ وجل لا عن شيء غيره تعالى ألبتة ، ولا يجوز أن يقال إنه تعالى ذات ، ولا أنه وجه ، ولا أنه نفس ، ولا أنه علم ، ولا أنه قدرة ، ولا أنه قوّة لما ذكرنا من امتناع أن يسمّى بما لم[٨٧] يسمّ به نفسه عزّ وجل[٨٨].

وأمّا علم المخلوقين فهو شيء غيرهم بلا شك لأنه يذهب ويعاقبه جهل ، والبارى تعالى لا يشبهه غيره ، ولا شيء من خلقه ألبتة[٨٩] فى شيء من هذه الأشياء ألبتة بل هو تعالى خلاف خلقه فى كلّ وجه فوجب أن علمه تعالى ليس غيره ، قال تعالى : « لَيْسَ كمثلِه شيء[٩٠]» .

قال أبو محمد : فإن قال لنا قائل إذَنْ العلم عندكم ليس هو غير الله تعالى ، وأن قدرته ليست غيره ، وأن قوته ليست غيره تعالى ، فأنتم إذن تعبدون العلم والقدرة والقوة ؟

---

(٨٣) الكلام الذى بين القوسين لم يذكر ف (ح) .
(٨٤) فى (أ ، ب) : (وإن كان) .
(٨٥) الذاريات : ٤٧ .
(٨٦) سورة البقرة : ١٣٨ .
(٨٧) فى (أ ، ب) : (أن يسمّى عالم) وهو تحريف ظاهر .
(٨٨) فى (أ ، ب) : (عن رجل) وهو تحريف ظاهر لقوله (عز وجل) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : لم تذكر جملة (ولا شيء من خلفه ألبتة) .
(٩٠) سورة الشورى : ١١ .

فجوابنا فى ذلك وبالله تعالى التوفيق : إننا إنما نعبد الله تعالى بالعمل الذى أمرنا به لا بما سواه ، ولا ندعوه إلّا كما أمرنا تعالى ، قال الله عزّ وجل : « ولله الأسماءُ الحُسْنى فادْعُوه بها ، وذَرُوا الذين يُلْحِدونَ فى أسْمَائه[٩١]» .

وقال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدوا الله مُخْلِصينَ له الدِّين[٩٢]» .

فنحن لا نعبد إلّا الله تعالى كما أمرنا ، ولا نقول إننا نعبد العلم لأنَّ الله تعالى لم يطلق لنا أن نطلق هذا اللفظ ، ولا أن نعتقده .

ثم نسألهم[٩٣] عما سألونا عنه بعينه ، فنقول لهم : أنتم تقرّون أنّ وجه الله تعالى وعين الله ، ويد الله ، ونفس الله ، ليس شىء من ذلك غير الله تعالى بل كل[٩٤] ذلك عندكم هو الله ، فأنتم إذن تعبدون الوجه ، والعين ، واليد ، والذات ؟!

فإن قالوا نعم . قلنا لهم : فقولوا فى دعائكم يا يد الله ارحمينا ، ويا عين الله ارضى عنا ، ويا ذات الله اغفرى لنا ، فإيّاك نعبد . وقولوا : نحن خلق وجه الله ، وعبيد عين الله ، فإن جسروا على ذلك فنحن لا نجيز الإقدام على ما لم يأذن به الله ، ولا نتعدّى حدوده ، فإن شهدوا فلا نشهد معهم . « ومَنْ يَتَعَدَّ حُدُود الله فَقَدْ ظَلَم نَفْسَه[٩٥]» .

والذى ألزمونا من هذا هو لازم لهم لابدَّ ، لأنه سؤال رضوه وصححوه ، ومن رضى شيئًا لزمه ، ونحن لم نرض هذا السؤال ولا صححناه فلا يلزمنا وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٩١) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٩٢) سورة البينة : ٥ .
(٩٣) فى (أ ، ب) : (نسالمهم) وهو تحريف .
(٩٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .
(٩٥) سورة الطلاق : ١ .

« الكلام فى سميع بصير وفى قديم »

قال أبو محمد(١): وأجمع المسلمون على أن القول بما جاء به القرآن(٢) من أنه(٣) تعالى : سميع بصير ، ثم اختلفوا فقالت طائفة من أهل السنّة والأشعرية(٤)، وجعفر بن حرب(٥) من المعتزلة ، وهشام بن الحكم(٦)، وجميع المجسمة - نقطع(٧) أنَّ الله سميع بسمع بصير يبصر .

وذهبت طوائف من أهل السنة منهم : الشّافعى ، وداود بن على الأصفهانى(٨) إمام أهل

---

(١) فى (أ) : زيادة (رضى الله عنه) .

(٢) فى (أ ، ب) : نص القرآن .

(٣) فى (أ) : من أن الله تعالى .

(٤) الأشاعرة : هم فرقة أسسها الإمام أبو الحسن الأشعرى بعد أن اختلف مع المعتزلة وقد وضح مذهبهم ومآخذه على المعتزلة فى مقدمة كتابه (الإبانه) ، ويقرر الأشعرى أنَّ الأشاعرة جاءوا لإحياء آراء الإمام أحمد ، ومن مبادئهم أنهم يرون أن تكون للصالحين كرامة ، ويأخذون ما جاءت به السنة من عقائد ، وللمذهب الأشعرى أنصار كثيرون منهم : أبو بكر الباقلانى المتوفى ٤٠٣ هـ ، والإمام الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ ، والإمام البيضاوى المتوفى ٧٠١ هـ ، والسيد الشريف الجرجانى المتوفى ٨١٦ هـ . (تاريخ المذاهب الإسلامية : للشيخ محمد أبو زهره : جـ ١ ص ١١٠) .

(٥) جعفر بن حرب : (١٧٧ - ٢٣٦ هـ) : هو جعفر بر حرب الهمدانى من أئمة المعتزلة من أهل بغداد أخذ الكلام عن أبى الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتبا ، قال الخطيب البغدادى : إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالواثق العباسى ، قال المسعودى : وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام . (الأعلام : للزركلى) .

(٦) راجع ص

(٧) فى (خ) : (بقطع) .

(٨) داود الظاهرى : هو داود بن على بن خلف الأصبهانى أبو سليمان الملقب بالظاهرى أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسن ، وإعراضها عن التأويل والرأى والقياس ، وكان داود أول من جهر بهذا القول ، سكن بغداد ، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها ، قال ثعلب : كان عقل داود أكبر من علمه ، وله تصانيف كثيرة أوردها النديم . توفى ٢٧٠ هـ (الأعلام) .

الظاهر[٩]، وعبد العزيز بن مسلم الكنانى[١٠] رضى الله عنه ، وغيرهم – إلى أن الله سميع بصير ، ولا نقول بسمع ولا ببصر ، لأن الله تعالى لم يقله[١١]، ولكن سميع بذاته ، بصير بذاته .

قال أبو محمد : وبهذا نقول . ولا يجوز إطلاق سمع ولا بصر حيث لم يأت به نصٌّ لما ذكرنا آنفًا لا يجوز أن يخبر عنه تعالى إلَّا[١٢] بما أخبر به عن نفسه .

واحتجّ من أطلق على الله تعالى السمع والبصر : بأن قال لا يعقل السميع إلا بسمع ولا[١٣] البصير إلا ببصر . ولا يجوز أن يسمَّى بصيرًا إلا من له بصر ، ولا يسمّى سميعًا إلَّا من له سمع .

واحتجوا أيضًا فى هذا وما ذهبوا إليه « من أنَّ الصفات متغايرة » – بأنه[١٤] لا يجوز أن يقال إنه تعالى يسمع المبصرات ، ولا أنه يبصر المسموعات من الأصوات . وقالوا : هذا لا يعقل .

قال أبو محمد : وكلا[١٥] هذين الدليلين شغبى فاسد .

أمّا قولهم : لا يعقل السميع إلا بسمع ، ولا البصير[١٦] إلا ببصر . فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق .

أما فيما بيننا فنعم ، وكذلك أصلًا لم نجد قط فى شيء من العالم الذى نحن[١٧] فيه سميعًا إلَّا بسمع ، ولا وُجد فيه بصيرٌ إلا ببصر – فإنه لم يوجد فيه[١٨] سميع إلَّا بجارحة يسمع بها ، ولا وجد فيه قط عالم إلَّا بضمير فلزمهم أن يجُروا على الله عزَّ وجلَّ هذه الأوصاف . وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وهم لا يقولون هذا ، ولا يستجيزونه .

---

(٩) فى (أ) : لا توجد كلمة (الأصفهانى إمام أهل الظاهر) .

(١٠) هو عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنانى المكى ، فقيه مناظر ، كان من تلاميذ الشافعى يلقب بالغول لدمامته ، وقدم بغداد فى أيام المأمون فجرت بينه وبين بشر المريسى مناظرة فى القرآن . من تصانيفه كتاب يسمى « الحيدة » ورسالة فى مناظرة « بشر المريسى » توفى عام ٢٤٠ هـ . (الأعلام ٥٠ / ٢٧٠) .

(١١) فى (ح) : لم تذكر جملة (لأن الله تعالى لم يقله) .

(١٢) فى (أ ، ب) : (ما لم يخبر عن نفسه) .

(١٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (ولا يعقل) .

(١٤) فى (أ) : من أنه .

(١٥) فى (أ ، ب) : و(خ) : (وكل) .

(١٦) فى (أ ، ب) : (ولا يعقل البصر) .

(١٧) فى (خ) : (نجد) بدلًا من (نحن) وهو تحريف .

(١٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (قط أيضا فيه) .

وأمّا المجسمة : فإنهم أطلقوا هذا وجوَّزوه ، وقد مضى نقض قولهم بعون الله تعالى وتأييده ، ويلزم الطائفتين كلتيهما إذا قطعوا بأنَّ(١٩) له تعالى سمعًا وبصرًا لأنه سميع بصير ، ولا يمكن أن يكون سميع بصير ، إلَّا إذا سمع وبصر ، لا سيَّما وقد صحّ النصُّ بأن له تعالى عينًا وأعينا أن يقولوا : إنه ذو حدقة ، وناظر ، وطباق فى العين ، وذو أشفار ، وأهداب لأنه لم(٢٠) يشاهد فى العالم ، ولا يمكن ألبتة أن تكون عينٌ لذى(٢١) عين يرى بها ويبصر إلَّا هكذا ، وإلَّا فهى عينٌ ذاتُ عاهةٍ ، أو كعيون بعض الحيوان التى لا يطبقها(٢٢). وكذلك لا يكون فى المعهود ، ولا يمكن ألبتة أن يكون سميعٌ فى العالم إلَّا بأُذنٍ ذاتِ صِماخٍ ، فيلزمهم أن يثبتوا هذا كلَّه ، وإلَّا فقد أبطلوا استدلالهم ، وزوّروا(٢٣) استشهادهم بالمعهود والمعقول . فإن أطلقوا هذا كلّه تركوا مذهبهم ، وخرجوا إلى أقبح قول المجسّمة مما لا يرضى به أكثر المجسمة . وقد ذكرنا فساد قولهم قبلُ . والحمد لله رب العالمين .

فإذا جوَّزوا أن يكون البارى تعالى سميعًا بصيًرا بغير جارحة ، وهذا خلاف ما عهدوا فى العالم ، وجوزوا أن يكون له تعالى عين بلا حدقة ولا ناظرٍ ولا طباق ، ولا أهدابٍ ، ولا أشفار - وهذا أيضًا خلاف ما عهدوا فى العالم فلا ينكروا قول من قال : إنه سميع لا بسمع ، بصيرٌ لا ببصر ، وإن كان ذلك بخلاف ما عهدوا فى العالم .

على أن بين القولين فرقا واضحًا ، وهو أننا نحن لم نلتزم أن نحل تسميته عز وجل قياسًا على ما عندنا(٢٤)، بل ذلك حرام لا يجوز ، ولا يحل ، لأنه ليس فى العالم شىء يشبهه عزَّ وجل فيقاس(٢٥) عليه . قال تعالى : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير(٢٦) » .

فقلنا(٢٧): إنه سميع بصير لا كشىء من البصراء ، ولا السامعين ممَّا فى العالم ، وكل سميع وبصير فى العالم فهو ذو سمع وبصر ، فالله تعالى بخلاف ذلك بنص القرآن فهو سميع كما قال ، لا يسمع كالسَّامعين ، وبصير كما قال لا يبصر كالمبصرين ، لا يسمَّى ربنا تعالى إلَّا بما سمَّى به نفسه فقط(٢٨)، ولا يخبر عنه إلَّا بما أخبر به عن نفسه(٢٩) فقط .

قال تعالى : « وهو السميع البصير » .

---

(١٩) فى (أ ، ب) (بأن لله تعالى) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : (لأننا نشاهد فى العالم)
(٢١) فى (أ) : الذى - وهو تحريف .
(٢٢) فى (ح) : لعله يطبقها .
(٢٣) فى (أ ، ب) : و(زودوا) بالدال وهو تحريف
(٢٤) فى (أ ، ب) : على ما عهدنا .
(٢٥) فى (ح) : فيقال عليه .
(٢٦) سورة الشورى : ١١ .
(٢٧) فى (أ ، ب) : نعم . إنه سميع بصير .
(٢٨) فى (أ) : سقطت كلمة (فقط) .
(٢٩) فى (ح) . سقط قوله (ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به عن نفسه) .

فقلنا : نعم . هو السميع البصير[٣٠]، ولم يقل تعالى : إن له سمعًا وبصرًا . فلا يحلُّ لأحدٍ أن يقول : إن له سمعًا وبصرًا . فيكون قائلًا على الله تعالى بلا علم ، وهذا لا يحل ، وبالله تعالى نعتصم .

وأما خصومنا : فإنهم أطلقوا : أنه لا يكون إلّا كما عهدوا فى العالم[٣١] من كل سميع وبصير فى أنه ذو سمع وبصرٍ[٣٢]، فيلزمهم ضرورة ألا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير فى[٣٣] أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر بها ولابدَّ . ولولا تلك الجارحة ما سمى أحدٌ فى[٣٤] العالم سميعًا ولا بصيرًا ، ولا أبصر أحدٌ شيئًا ، فإن ذكروا قول الله تعالى: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِها ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِها ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بها ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُون[٣٥]» .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق :

هذه الآية أعظم حجة عليكم لأن الله تعالى نصَّ فيها على أنهم لم يروا بعيونهم ما يتعظون به ، ولا سمعوا بآذانهم ما يقبلونه من الهدى ، فلما كانت العيون والآذان ، لا ينتفع بهما[٣٦]، استحقوا[٣٧] الذَّم والنكال – فلولا أن العين والأذن بهما يكون السمع والبصر ضرورة لابدَّ لا بشىء دونهما – ما استحق الذَّم[٣٨] من رزق أذنًا وعينًا سالمتين ، فلم يسمع بهما ويبصر ما يهتدى به بعون الله عزَّ وجل له ، وما كان يكون معنى لذكر الله عزّ وجل العينَ والأذنَ فى السمع والبصر بهما لو جاز أن يكون سمعٌ وبصرٌ دونهما ، فبطل قولهم بالقرآن ضرورة ، وبالحسِّ وبديهة العقل ، والحمد لله رب العالمين .

وأمَّا ما موَّهوا به من قولهم : إنه لو[٣٩] أنَّ له سمعًا وبصرًا لجاز أن يقال : إنه يسمع الألوان ، ويرى الأصوات ، فهذا كلام لا يطلق فى كل شىء على عمومه ، لأننا إنما خوطبنا بلغة العرب ، فلا يجوز أن نستعمل غيرها فيما خوطبنا به ، والذى ذكرتم من رؤية الأصوات ، وسماع

---

(٣٠) سقط هذا التعبير من (خ) من أول (فقلنا نعم . هو السميع البصير) .
(٣١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فى العالم) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : (فى أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر) .
(٣٣) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (ألا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير فى) .
(٣٤) فى (أ) : (من) بدلا من (فى) .
(٣٥) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (بها) .
(٣٧) فى (أ ، ب ، خ) : استحق .
(٣٨) فى (ح) : سقطت كلمة (الذم) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (لولا) .

الألوان لا يطلق فى اللغة التى بها(٤٠) خوطبنا فيما بيننا ، فليس لنا أن ندخل فى اللغة ما ليس فيها إلَّا أن يأتى بذلك نص ، فنغلبه(٤١) على اللغة .

ثم نقول : إنه لو قال قائل : إنه تعالى سميع للالوان ، بصر بالاصوات بمعنى انه(٤٢) عالم بذلك لكان ذلك(٤٣) جائزًا ولما منع من ذلك برهان ، فنحن نقول سمعنا(٤٤) الله عزَّ وجل يقول كذا وكذا ، ورأينا الله تعالى يقول كذا وكذا ، ويأمر بكذا ويفعل كذا ، بمعنى علمنا . فهذا لا ينكره أحد ، ولا فرق بين هذا وبين ما سألوا عنه .

وأيضًا فإن الله عز وجل يقول : « أَوَلَمْ يَرَوْا إلى الطَّيرِ فوقَهم صَافَّاتٍ ويَقْبضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إلا الرَّحْمَنُ ، إنَّه بكلِّ شىءٍ بصير »(٤٥).

وهذا عموم لكل شىء كما قلنا ، فلا يجوز أن يخص به شىءٌ دون شىءٍ إلَّا بنص آخر أو إجماع ، أو ضرورة ، ولا سبيل إلى شىءٍ من هذا فصح ما قلناه وبالله تعالى التوفيق .

وقال تعالى : « يعلم السِّرَّ وأَخْفَى »

فصح أن بصيرًا وسميعًا وعليمًا(٤٦) بمعنى واحد .

ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق : إنه تعالى بإجماعٍ منَّا ومنكم هو السميع البصير ، وهو أحدٌ غير متكثّر ، ولا نقول إنَّ السميع(٤٧) للألوان ، البصير بالأصوات إلَّا على الوجه الذى قلناه . وليس(٤٨) يوجب أنَّ السميع غير البصير ، فالذى أردتم(٤٩) ساقط ، وإنما اختلفت معلوماته ، وإنما هو تعالى واحد ، وعلمه بها كلها واحد ، يعلمها كلَّها بذاته ، لا بعلمٍ(٥٠) هو غيره ألبتة ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : أتقولون إنَّ الله عزَّ وجل لم يزل سميعًا بصيرًا ؟

---

(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بها)
(٤١) فى (أ ، ب) : (فنقبله) وهو تحريف .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (بمعنى عالم بها) .
(٤٣) فى (ح) : سقطت (ذلك) .
(٤٤) فى (أ) . (سمعت)
(٤٥) سورة الملك : ١٩ .
(٤٦) فى (خ) لم تذكر كلمة (عليما) .
(٤٧) فى (أ ، ب) : أنه السميع البصير بالأصوات .
(٤٨) فى (أ ، ب) . وليس ذلك .
(٤٩) فى (أ ، ب) : فالذى أردتم إلزامه ساقطة .
(٥٠) فى (أ ، ب) : (لا يعلم) وهو تحريف .

قلنا : نعم ، لم يزل تعالى سميعًا بصيرًا ، عفوًّا غفورًا ، عزيزًا قديرًا[٥١] وهكذا كل ما جاء فى القرآن فيه[٥٢]، « وكان الله سميعًا بصيرًا »

ونحو ذلك ، لأن قوله عزَّ وجل « كان » إخبارٌ عن ما لم يزل ، وإذا أخبر بذلك عن نفسه لا عمن سواه ، فإن قالوا : أتقولون : لم يزل الله خالقًا خلَّاقًا رازقًا .

قلنا : لا نقول هذا ، لأن الله تعالى لم ينص على أنه كان خالقًا خلَّاقًا ، رازقًا[٥٣] رزاقًا لكنا نقول : لم يزل الخلَّاق الرزَّاق ، ولم يزل الله تعالى لا يخلق ولا يرزق ثم خلق ورزق من خلق ، وهذا يوجب ضرورة أنها أسماء « أعلام » لا مشتقة لأنه لو كان « خالق ورازق » مشتقين من خَلَقَ ورَزَق ، لكان لم يزل ذا خلق يخلقه ويرزقه[٥٤].

فإن قيل : فإنَّ السميع والبصير ، والرحمن ، والرحيم ، والعفوَّ والغفور والملك ، كلّ ذلك يقتضى مسموعًا ومبصرًا ، ومرحومًا ، ومغفورًا له ، ومعفوًّا عنه ومملوكًا .

قلنا : المعنى فى « سميع وبصير » عن الله تعالى هو المعنى فى (عليم) ولا فرق . وليس ما يظن أهل العلم من أنَّ له سمعًا وبصرًا مختصَّين[٥٥]بالمسموع والمبصر تشبيهًا بخلقه سوى علمه ، لأنَّ الله تعالى لم ينصَّ على ذلك فيلزمنا أن نقوله : ولا يجوز أن يخبر عن الله تعالى بغير ما أخبر به[٥٦] عن نفسه لأن الله تعالى يقول : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ ، وَهُوَ السَّمِيُع الْبَصِيَر » .

فصحَّ أنه تعالى : « سميعٌ ليس كمثله شيءٌ من السَّامعين ، بصيرٌ لا كمثل شيء[٥٧] من البصراء .

فإن قال قائل : أتقولون إنَّ الله تعالى لم يزل يسمع ويرى ويدرك ؟

قلنا : نعم ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قال : « إنَّنى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى »[٥٨].

وقال تعالى : « وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصار »[٥٩].

وقال تعالى : « والله يَسْمَع تَحَاوُرَكُمَا »[٦٠].

---

(٥١) فى (أ ، ب) : بزيادة (رحيما) .

(٥٢) فى (أ) : بـ (كان الله) كما جاء (كان الله سميعا بصيرًا) .

(٥٣) سقط الكلام فى (خ) من قوله : (قلنا لا نقول هدا ، لأن الله تعالى لم ينص على أنه كان خالقا خلّاقا ، رازقا .

(٥٤) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وهذا يوجب ضرورة أنها أسماء ... إلى قوله (ويرزقه) » .

(٥٥) فى (خ) : سقطت كلمة (مختصين) .

(٥٦) فى (أ) : سقطت كلمة (به) .

(٥٧) فى (خ) : لم يذكر الكلام من أول قوله : « فصح أنه تعالى إلى قوله : لا كمثل شيء » .

(٥٨) سورة طه : ٤٦ .

(٥٩) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٦٠) سورة المجادلة : ١ .

وصحَّ الإجماع بقول « سمع الله لمن حمده » ، وصحَّ النص ، « ما أَذِنَ الله لِشيءٍ ما أذن لنَبيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يتَغنَّى بالْقُرآنِ »[٦١].

فنقول : إنه يسمع ويرى ، ويدرك كل ذلك بمعنى واحد ، وهو معنى يُعلم ولا فرق .

وأما الإذن لنبيٍّ حسن الصَّوت ، فهو من الإذن بمعنى القبول ، كما يأذن الحاجب للمأذون له فى الدُّخول ، وليس من الأُذن التى هى الجارحة ، ولو كان[٦٢] ما تظنون لكان بصره للمبصرات ، وسمعه للمسموعات محدثًا ، ولكان غير سميع حتى سمع ، وغيرَ بصير حتَّى أبصر ، ولم يدرك حتَّى أدرك . وحاشا لله من هذا ، فكل هذا[٦٣] بمعنى العلم ، ولا مزيد .

فإن قيل : فإنَّ الله تعالى يقول : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ ويخْتارُ »[٦٤].

قلنا : نعم . وخلق الله تعالى : فعلٌ له محدَث ، واختياره تعالى هو خلقه لا غيره . وليس هذا من « يسمع » و« سمع » و« يرى » و« يدرك » فى شيء ، لأنَّ معنى كل هذا ومعنى العلم سواء . ولا يجوز أن يكون معنى (يخلق ويختار) معنى العلم .

وأمَّا العفوُّ ، والغفور ، والرحيم ، والحليم ، والملك ، فلا يقتضى وجود[٦٥] شيءٍ من هذا وجود مرحوم معه ، ولا معفوٍّ عنه ، مغفور له معه ، ولا مملوك مرحوم عنه معه ، بل هو تعالى : رحيم بذاته ، عفوٌّ بذاته ، غفور بذاته ، ملك بذاته ، مع النص الوارد بأنه تعالى : كان كذلك ، وهى أسماء أعلام له عزَّ وجل .

فإن ذكروا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : « ما بينهم وبين أن يروه إلَّا رداء الكبرياء على وجهه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره »[٦٦].

ففى هذا الخبر إبطال لقولهم ، لأن[٦٧] البصر منتهٍ ذو نهاية وكل ذى نهاية محدود ، وكل محدود محدث[٦٨] وهم لا يقولون هذا ، ومعناه : أن البصر قد يستعمل فى اللغة بمعنى الحفظ .

---

(٦١) رواه البخارى فى فضائل القرآن رقم ١٩ ، وفى باب التوحيد ٣٢ ، ومسلم فى المسافرين ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، وأبو داود فى الوتر ، والنسائى فى الافتتاح ، والدارمى فى الصلاة وفضائل القرآن ، وابن ماجة فى الإقامة .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (كما) تظنون .

(٦٣) فى (خ) : وكل بمعنى العلم .

(٦٤) القصص : ٦٨ .

(٦٥) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (وجود) .

(٦٦) الحديث : رواه مسلم فى الإيمان رقم ٣٩٣ ، وابن ماجة فى المقدمة رقم ١٣ ، وأحمد بن حنبل : ٤ / ٤٤ ، ٤٠٥ . ولفظ الحديث عند مسلم : « إن الله عزَّ وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، (وفى رواية أبى بكر النار) ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

(٦٧) فى (أ ، ب) : لأن فيه أن البصر .

(٦٨) فى (خ) : لم يذكر (وكل ذى نهاية محدود ، وكل محدود محدث) .

قال النابغة :

رأيـــتك ترعـــــالى بعين بصيرةٍ وتبـــعث حرَّاسًا علـــيَّ وناظـــرًا[٦٩]

فمعنى هذا الخبر ، لو كشف تعالى الستر[٧٠] الذى جعل دون سطوته لأحرقت عظمته ما انتهى إليه حفظه ، ورعايته من خلقه . وكذلك قول عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات » .

إنما هو بمعنى : أنَّ علمه وسع كل ذلك : « يعلم السِّرَّ وأَخْفَى »[٧١] ثم نزيد[٧٢] بيانًا بعون الله تعالى فنقول : إنَّ قولكم لا يُعقل سميع إلا بسمع ، ولا بصيرٌ إلا ببصر »

فإن كان هذا صحيحًا يوجب أن يقال : إنَّ لله تعالى[٧٣] سمعًا وبصرًا فإنه لا يعقل من له مكر إلَّا وهو ماكر ، ولا من كان من الماكرين إلَّا وهو ماكر ، ولا يعقل أحدٌ ممن[٧٤] يستهزىء إلَّا وهو مستهزءى ، ولا يعقل أحد ممن يكيد إلَّا وهو كيَّاد . ولا يعقل أحد ممن له كيد ومكر إلا وهو كيَّادٌ وماكر ، ولا خادع إلَّا ويسمى : الخادع[٧٥].

ولا يعقل من نَسِيَ إلَّا وهو ناسٍ وذو نسيان ، وهذا هو الذى لا سبيل إلى[٧٦] أن يوجد فى العالم خلافه . وقد قال تعالى : « وَأَكِيدُ كَيدًا »[٧٧].

وقال تعالى : « اللهُ يسْتَهْزِئُ بِهِمْ »[٧٨].

وقال تعالى : « وَهُوَ خَادِعُهُمْ »[٧٩].

وقال تعالى : « أفأمنوا مكر الله »[٨٠].

---

(٦٩) النابغة : شاعر جاهلى ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى ، كنيته أبو أمامه ولقبه النابغة ، لقب به لنبوغه فى الشعر ، وإكثاره منه بعد ما احتنك ، وهذا البيت ضمن قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، وقيل : إن النعمان كان مريضا فقالها . ومطلعها :

كتمـــتك ليـــلًا بالجمـــوحين ساهـــرًا وهـــمَّين : همًّـــا مستكيـــا وظاهـــرًا

(ديوان النابغة الذبيانى – تحقيق كرم البستانى – دار صادر ببيروت : ص ٦٣ ، ٦٤)..

(٧٠) فى (خ) : سقطت كلمة (الستر) .

(٧١) سورة طه : ٧ .

(٧٢) فى (خ ، ب) : (تريد) بدلا من (نريد) وهو تحريف .

(٧٣) فى (أ ، ب) : (الله) .

(٧٤) فى (أ) : (مما) .

(٧٥) فى (أ) : ولا يكون خادع إلا يسمى الخادع الخداع وذو خدائع .

(٧٦) فى (ح) : لم تذكر كلمة (إلى) .

(٧٧) سورة الطارق : ١٦ .

(٧٨) البقرة : ١٥ .

(٧٩) النساء : ١٤٢ .

(٨٠) الأعراف : ٩٩ .

وقال تعالى : « ومَكَرُوا وَمَكَرَ الله ، والله خَيْر الماكرين »[٨١].

وقال تعالى : « وَمَكَرُوا مَكْرًا ، ومكرنا مَكْرًا »[٨٢].

وقال تعالى : « فللهِ المكْرُ جَميعًا »[٨٣].

وقال تعالى : « نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ »[٨٤].

وقال تعالى : « سَخِر الله مِنْهُم »[٨٥].

فيلزمهم إذا سمَّوا[٨٦] ربّهم ووصفوه من طريق استدلالهم (و) قياسهم[٨٧] وما شاهدوه فى الحاضر عندهم أن يسمّوه ماكرًا ، فيقولون : يا ماكر ارحمنا ، ويسمُّوا بينهم : « عبد الماكر » ، وكذلك القول فى الكيّاد والمستهزءى ، والخدّاع ، والناس ، والساخر . وإلَّا فقد تناقضوا وتلاعبوا بصفات ربهم تعالى وبدينهم .

فإن قالوا : هذه الصفات ذمٌّ وعيب ، وإنما نصفه عزَّ وجل بصفات المدح لزمهم مصيبتان عظيمتان[٨٨]؛ إحداهما : إطلاقهم أنَّ الله عزَّ وجل أخبر عن نفسه فى هذه الآيات بصفات الذَّم والعيب ، وهذا كفر .

والثانية : أن يصفوا ربَّهم بكل صفة مدح وحمد فيما بينهم ، وإن لم يأت بها نصٌّ ، وإلَّا فقد تناقضوا وقصَّروا[٨٩]، فيصفوه بأنه عاقل ، وأنه شجاع ، جلد ، سخى ، حسن الأخلاق ، نزيه النفس ، تام المروءة ، كامل الفضائل ، ذو هيئة[٩٠]، نبيل ، نعم المرء .

ويقولوا : إنَّه تيَّاهٌ قياسًا على أنه تعالى : جبّارٌ ، متكبر .

ويقولوا : إنه مستكبر[٩١]، فهو والمتكبر فى اللغة سواء . وذو تيه وعجب ، وزهو ، ولا فرق . بين هذا وبين المكر والكبرياء[٩٢] فإن فعلوا هذا خرجوا عن الإسلام بالإجماع إلَّا أن يعتذروا[٩٣]

(٨١) آل عمران : ٥٤ .
(٨٢) هذه الآية سقطت من (أ ، ب) وهى من سورة النمل : ٥٠ .
(٨٣) سورة الرعد : ٤٢ . وقد ذكرت فى الأصل محرفة (قل لله) .
(٨٤) سورة التوبة : ٦٧ .
(٨٥) سورة التوبة : ٧٩ .
(٨٤) سورة التوراة : ٦٧ .
(٨٥) سورة التوراة : ٧٩ .
(٨٦) فى (خ ، ب) : (سمعوا) بدلًا من (اسمّوا) .
(٨٧) فى (خ) : لم يذكر (استدلالهم قياسهم) .
(٨٨) لم تذكر (عظيمتان) فى (خ) .
(٨٩) فى (خ) : لم تذكر كلمة (وإلا فقد تناقضوا وقصروا) .
(٩٠) فى (خ) : سقطت كلمة (ذو هيئة) .
(٩١) فى (خ) : سقطت كلمة (إنه مستكبر) .
(٩٢) فى (خ) : سقط قوله (بين هذا وبين المكر والكبرياء) .
(٩٣) فى (أ ، ب) : (يُعْذروا) .

بشدَّة الجهل وظلمته وعماه ، وأن يفرُّوا عن ذلك ، ويتركوا[٩٤] ما دانوا به من تسمية الله تعالى ، ووصفه بأنَّ له سمعًا وبصرًا ، وسائر ما وصفوه تعالى به بآرائهم الفاسدة ممّا لم يأت به نص ، كقولهم : قديم ، ومتكلم ، ومريد ، وأن له تعالى : إرادة لم تزل ، وسائر ما اجترءوا[٩٥] عليه بغير برهان من الله عزَّ وجل .

وأيضًا : فإنَّ هذه الصفات التى منعوا منها لأنها بزعمهم صفات ذم ، فإن السمع والبصر والحياة أيضًا صفات نقصٍ لأنها أعراض دالَّة على الحدوث[٩٦] فيمن هى فيه .

فإن قالوا : ليست لله تعالى كذلك .

قيل لهم : ولا تلك الصفات أيضًا ، إذا أطلقتموها عليه أيضًا صفات ذم[٩٧] ولا فرق . ولقد قال لى بعضهم : إنما قلنا : إن الله تعالى يكيد ، ويستهزىء ويمكر ، وينسى ، وهو خادعهم ، وتشبيههم[٩٨] بأنه تعالى يقارضهم على هذه الأفعال منهم بجزاء يسمى بأسمائها .

فقلت له[٩٩]: نعم . هكذا نقول ، ولم ننازعك فى هذا فتستريح إليه ، بل قلنا لكم سمّوه تعالى : مستهزئا ، وكيَّادًا ، وخدَّاعًا ، وماكرًا ، وناسيًا ، وساخرًا على معنى أنه مقارضهم[١٠٠] على هذه الأفعال منهم بجزاء يسمى بأسمائها كما قلتم فى الأفعال[١٠١] سواء بسواء[١٠٢].

وقد قلتم : إنَّ الأفعال توجب لفاعلها أسماء فعلها ولا فرق[١٠٣]. فسكت خاسئًا . وهذا ما لا انفكاك منه . وبهذا وبما ذكرنا يعارض كل من قال : إننا سمّينا الله عزَّ وجل عالمًا لنفى الجهل . قادرًا لنفى العجز ، متكلمًا لنفى الخرس . وحيًّا لنفى الموت ؛ لأنهم[١٠٤] لا ينفكّون من هذا ألبتة .

وأمَّا نحن فلولا النص الوارد « بعليم » و« قدير » ، وعالم الغيب والشهادة ، وقادر على أن يخلق مثلهم ، والحى – لما جاز أن يسمى تعالى بشىء من هذا أصلًا ولا يجوز أن يقال حىٌّ بحياة ألبتة .

(٩٤) فى (أ ، ب ، خ) : (تركوا) وهو تحريف .
(٩٥) فى (خ) : (أخبروا عليه) وهو تحريف .
(٩٦) فى (خ) : (الحدث) .
(٩٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة (ذم) .
(٩٨) فى (أ ، ب) : (على معنى أنه) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : (لهم) .
(١٠٠) فى (أ ، ب) : (مقارض لهم) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : (كما قلتم فى يكيد ، ويستهزىء ، وينسى ، وهو خادعهم) .
(١٠٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (ولا فرق) .
(١٠٣) فى (أ ، ب) : سقطت (ولا فرق) .
(١٠٤) فى (أ ، ب) : (فإنهم) .

فإن قالوا : كيف يكون حىٌّ بلا حياة ؟

قلنا لهم : وكيف يكون حىٌّ غير حسَّاس ، ولا متحرك بإرادة ، ولا ساكن بإرادة .. ؟ هذا ما لا يعقل ألبتة . ولا يعرف ولا يتوهم ، ولا يجرون(١٠٥) عليه تعالى الحسَّ ، ولا الحركة ولا السكون .

فإن قالوا : إنَّ تسميتنا إيَّاه حكيمًا يغنى عن « عقل . وكريمًا يغنى عن سخىّ وجبارًا متكبرًا يغنى عن متجبر ، ومستكبر ، وتياهٍ وزاهٍ . وقويًا يغنى عن شجاع وجلد .

قلنا : هذا ترك منكم لما أصَّلتموه من إطلاق السمع والبصر والحياة والإرادة وأنه متكلم . واحتجاجك : بإن من كان سميعًا لابدَّ(١٠٦) له من سمع ، ومن كان بصيرًا لابدَّ(١٠٧) له من بصر . ومن كان حيًا لابدَّ له من حياة . ومن كان مريدًا فلابدَّ له من إرادة ، ومن كان له كلام فهو متكلم فأطلقتم كل هذا على الله تعالى بلا برهان .

فإذا(١٠٨) ناب عندكم ما ورد به النص من حكيم وقوىٍّ وكريم ومتكبر وجبار عن عاقل وشجاع وسخى ومتجبر ومستكبر وتيَّاه ، وزاه – فلم تجيزون أن تسمُّوا البارى عزَّ وجلَّ بشىء من هذا ؟ فكذلك فقولوا كما قلنا نحن إن سميعًا ، وبصيرًا وحيًا ، وله كلام ، ويريد ، يغنى عن تجويز ذكر السمع ، والبصر ، والإرادة ، ومتكلم ولا فرق .

هذا على أن قولكم : إنَّ قويًا يغنى عن شجاع خطأ ، فرب قوى غير شجاع ، وشجاع غير قوى . وكذلك أيضًا كان الرحمن يغنى عن الرَّحيم(١٠٩). والخالق يغنى عن البارى وعن المصوّر .

فإن قالوا : لا يجوز الاقتصار على بعض ما أتى به النص ، ولا يجوز التعدِّى إلى ما لم يأت به النص .

قلنا لهم : قد اهتديتم ، ووفقتم لرشدكم(١١٠)، ولقيتم ربّكم تعالى بحجة ظاهره فى أنكم لم تتعدّوا حدوده ، ولا ألحد تم فى أسمائه ، ولا خالفتم ما أمركم به وبالله تعالى التوفيق .

مع أنَّ الذى ألزمناهم هو : ألزم لهم ميا(١١١) التزموه لأن بالضرورة نعلم نحن وهم أن الفعل

---

(١٠٥) فى (أ ، ب) : زهم يجرون .
(١٠٦) فى (أ ، ب) : (فلا) .
(١٠٧) فى (أ ، ب) : (فلابد) .
(١٠٨) فى (أ ، ب) : (فإن) .
(١٠٩) فى (أ ، ب) : (رحيم) .
(١١٠) فى (خ) : سقط (ووفقتم لرشدكم) .
(١١١) فى (خ) : (بما) .

لا يقوم بنفسه ، ولابدَّ له[١١٢] ضرورة من أن يضاف إلى فاعله فلابدَّ أيضًا من إضافة الفاعل إليه ، على معنى وصفه بأنه تعالى[١١٣]: فعله .

هذا ما لا يقوم فى العقل وجود شيء من العالم بخلاف هذه الرتبة ، وقد وجدنا فى العالم أشياء كثيرة لا تحتاج إلى وصفها بصفة لتنفى عنها ضدَّ تلك الصفة كالسماء والأرض ، لا يجوز أن يوصف منها شيء بالبصر لنفى العمى ، ولا بالعمى لنفى البصر . فإذا لم نضطر إلى ذلك فى وصف الأشياء فيما بيننا بطل قياسهم البارى تعالى على بعض ما فى العالم ، وكان إطلاق شيء من جميع الصفات على خالق[١١٤] الصفات والموصوفين أبعد وأشد امتناعًا إلّا بما سمَّى به نفسه فَنَقِرُّ بذلك ، وندرى أنه حق . ولا نتعدَّاه إلى ما سواه . أفلا يستحى من التزم إذا وجد أشياء فى[١١٥] العالم توصف بالحياة لنفى الموت ، وبالبصر لنفى العمى ، فأجرى[١١٦] قياسه هذا الفاسد على ربه[١١٧] تعالى من أن تسميته مستهزئًا وكيَّادًا ، وقد قال تعالى : « إنه يستهزىء ويكيد » فهلَّا إذا وفقه الله تعالى للإمساك عن تصريف الفعل هاهنا جرى على ذلك التوفيق .. ؟ فلم يزد على ما[١١٨] نص الله تعالى عليه من سميع وبصير وحى شيئًا أصلًا ، ولكنَّ التناقض سهل على[١١٩] من لم يعتصم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، واستعمل رأيه وقياسه فى دينه ، وفيما يجريه على الله تعالى ، نعوذ بالله من الضلال والخذلان ، وبهذا يبطل إلزام من أراد من المعتزلة إلزامنا أن نسمى الله تعالى مسيئًا لخلقه السيئات ، وشرًّا[١٢٠] لخلقه الشرور .

قال أبو محمد[١٢١]: وقد شغب بعضهم فيما ادَّعوه أنَّ كل صفة أضافوها إلى الله تعالى فهو غير سائر صفاته – بأنّ الله تعالى موصوف بأنه لا يعلم[١٢٢] نفسه ، ولا يوصف بالقدرة على نفسه .

قالوا : فلو كان العلم والقدرة واحدًا لجريا فى الإطلاق مجرى واحدًا .

قال أبو محمد : وقد بينا بطلان هذا فى كلامنا قبل بعون الله عزَّ وجل .

---

(١١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (له) .
(١١٣) فى (أ ، ب) : (بأن فعله هذا ما لا يقوم) .
(١١٤) فى (خ) : (خلاف) وهو تحريف .
(١١٥) فى (أ ، ب) : (من) بدلًا من (فى) .
(١١٦) فى (أ ، ب) : (ولم يجر) وهو خطأ فى المعنى .
(١١٧) فى (أ) : سقطت كلمة (على ربه) .
(١١٨) فى (أ ، ب) : سقطت (ما) .
(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .
(١٢٠) فى (أ ، ب) : (وشرير الشرور) .
(١٢١) فى (أ ، ب) : بزيادة (رضى الله عنه) .
(١٢٢) فى (أ ، ب) : موصوف بأنه يعلم نفسه ، فسقطت كلمة (لا) .

ونزيد بعون الله تعالى بيانًا فنقول ، وبه نتأيّد :

إنَّ التغاير إنما يقع فى المعلومات ، والمقدورات ، لا فى القادر ولا فى العالم . ولا شك عندنا وعندهم فى أنَّ « العليم » و« القدير » - واحدٌ ، وهو تعالى « عليم بنفسه » ، ولا يقال عندهم قدير على نفسه ، فإذا لم يوجب هذا الحكم أن يكون القدير غير العليم ، فهو غير موجب أن يكون العلم غير القدرة بلا شك .

ثم نقول لهم : أخبرونا عن علم الله تعالى بحياة زيد قبل موته ، وبإيمانه قبل كفره ، هل هو العلم بموته وكفره أو هو غير العلم بذلك .. ؟

فإن قالوا : إنَّ العلم بموت زيد هو غير العلم بحياته ، وعلمه بإيمانه هو غير علمه بكفره ، لزمهم تغاير العلم ، والقول بحدوثه ، وهم لا يقولون هذا .

وإن قالوا : علمه تعالى بإيمان زيد هو علمه بكفره ، وعلمه بكفره هو علمه بإيمانه[١٢٣]، وعلمه بحياة زيد هو علمه بموته .

قيل : فإنَّ[١٢٤] تغاير المعلوم تحت العلم لا يوجب تغاير العلم فى ذاته عندكم ، فمن أين أوجبتم[١٢٥] أن تغاير المعلوم والمقدور موجب لتغاير العلم والقدرة .. ؟

والحقيقة من كل ذلك : أنه لا حقيقة أصلًا إلّا الخالق تعالى وخلقه ، وأنَّ كل ما[١٢٦] نصَّ الله تعالى عليه من وصفه لنفسه ، ومن أسمائه فلا يحل لأحدٍ أن يخبر عنه تعالى إلّا به ، ولا أن يسميه عزّ وجل إلّا به .

ونعلم أنَّ المراد بكل ذلك وأن كل ما نص الله عزّ وجل عليه من أسمائه وما أخبر به تعالى عن نفسه فهو حق ندين الله تعالى عزّ وجل بالإقرار به[١٢٧].

ونعلم أنَّ المراد بكل ذلك هو الله تعالى لا شريك له ، وأنها كلّها أسماء يعبَّر بها عنه تعالى ، ولا يرجع منها إلى شيءٍ[١٢٨] غير الله ألبتة . تعالى الله أن يكون معه شيء آخر غيره[١٢٩].

وقد أقرّ بعضهم بحضرتى أن مع الله تعالى سبعة عشر شيئًا متغايرة ، كلها ، قديم لم تزل ،

(١٢٣) فى (أ ، ب) : سقطت جملة (وعلمه بكفره هو علمه بإيمانه) .
(١٢٤) فى (أ ، ب) : (فإذا) .
(١٢٥) فى (أ ، ب) : (أوحيتم) وهو تحريف .
(١٢٦) فى (أ ، ب) : (ما لم ينص) .
(١٢٧) فى (أ ، ب) : سقطت العبارة من قوله : [إلا به] إلى قوله [الإقرار به] .
(١٢٨) فى (أ) : ولا يرجع منها شىء إلى غير الله .
(١٢٩) فى (ح) : لم يذكر [تعالى الله أن يكون معه شىء آخر غيره] .

وكلها غير الله تعالى . ورأيت فى كتاب لبعضهم : أنها خمسة عشر ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وذكروا : أن تلك الأشياء هى[١٣٠]: السمع ، والبصر ، واليد ، والوجه ، والكلام ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والعزة ، والرحمة ، والأمر ، والعدل ، والحياة ، والصدق .

قال أبو محمد : لقد قصروا من طريق النص ومن طريق العقل أيضًا عن أصولهم فأين لهم عن النفس ، والجلال ، والإكرام ، والجبروت ، والكبرياء ، واليدين والأعين ، والأيدى ، والقدم ، والجنب[١٣١]، والقوة .. ؟

فهذه كلها منصوص[١٣٢] عليها كالعلم والقدرة ، وأين هم عن : الحلم من حليم والكرم من كريم ، والعظمة من عظيم ، والتوبة من تواب ، والهبة من وهَّاب ، والقرب من قريب ، واللطف من لطيف[١٣٣]، والسعة من واسع ، والشكر من شاكر ، والمجد من مجيد ، والودّ من ودود[١٣٤]، والقيام من قيوم .. ؟ – وهذا كثير جدًّا ويتجاوز أضعاف الأعداد التى اقتصروا عليها بتحكيمهم بالضلال والإلحاد فى أسمائه عزَّ وجل[١٣٥].

وقد زاد بعضهم فيما ادعوه من صفات الذات : الاستواء ، والتكليم ، والقدم والبقاء .

ورأيت للأشعرى فى كتابه المعروف بالموجز : أن الله تعالى إذ قال : « إنك بأعيننا »[١٣٦].

إنما أراد عينين[١٣٧]. وبالجملة فكل من لم يخف الله عزَّ وجل فيما يقول ، ولم يستح من الباطل لم يبال بما يقول . وقد قلنا : إنه لم يأت نص بلفظ الصفة قط بوجه من الوجوه لأن[١٣٨] الله تعالى أخبرنا بأن علمًا وقوة ، وكلامًا ، وقدرة ، وهذا كله حق لا يرجع منه إلى شىء غير الله تعالى أصلًا . وبه نتأيد .

قال أبو محمد : ويقال لهم[١٣٩]: إنما سمّى الله تعالى « عليمًا » لأنّ له علمًا ، وحكيمًا لأن له حكمة ، وهكذا فى سائر أسمائه . وادَّعى أن الضرورة توجب ألّا يسمَّى عالمًا إلَّا من له علم ، وهكذا فى سائر الصفات إذا قستم الغائب بزعمكم تريدون الله عزّ وجل على الحاضر منكم ،

---

(١٣٠) ف (ح) : لم تذكر كلمة (هى) .
(١٣١) ف (أ ، ب) : (والحمد) بدلا من (والجنب)
(١٣٢) ف (خ) . « نصوص » .
(١٣٣) ف (خ) : لم يذكر (واللطف من لطيف) .
(١٣٤) ف (خ) : لم يذكر (والمجد من مجيد ، والود من ودود) .
(١٣٥) سقط الكلام من قوله : [ويتجاور أضعاف الأعداد] إلى [عز وجل] .
(١٣٦) سورة الطور : ٤٨ .
(١٣٧) الكلام من قوله : (ورأيت للأشعرى إلى (عينين)] سقط من (خ) .
(١٣٨) ف (خ) : (لكن) .
(١٣٩) ف (أ ، ب) : (لمن قال) .

فبالضرورة ندرى أنه لا علم عندنا إلّا ما كان فى ضمير ذى خواطر[١٤٠] وفكر تعرف به الأشياء على ما هى عليه .

فإن وصفتم ربكم تعالى بذلك ألحدتم ولا خلاف فى هذا من أحد ، وتركتم أقوالكم ، وإن منعتم من ذلك : تركتم أصلكم فى اشتقاق أسمائه تعالى من صفاتٍ فيه .

وأيضًا : فإنَّ حكيمًا ، وعليمًا ، ورحيمًا ، وقديرًا ، وسائر ما جرى هذا المجرى لا يسمى فى اللغة إلّا نعوتًا وأوصافًا ، ولا تسمَّى أسماء ألبتة .

وأما إذا سمّى الإنسان حكيمًا أو حليمًا أو حيًا ، وكان ذلك اسمًا له فهى[١٤١] حينئذ أسماء أعلام غير مشتقة بلا خلاف من أحد . وكل هذه فإنما هى لله عزّ وجل أسماء بنصّ القرآن ، ونص السنة والإجماع من جميع أهل الإسلام .

قال الله تعالى : « وَلله الأَسْماءُ الحُسْنَى فادُعوهُ بِها ، وذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فى أَسْمائِه سَيُجْزون ما كانُوا يَعْمَلُون »[١٤٢].

وقال تعالى : « قل ادعو الله أو ادْعُوا الرَّحْمَن أَيَّمًا تَدْعُوا فله الأَسماءُ الحُسْنَى »[١٤٣].

وقال تعالى : « هُوَ الله الّذى لا إلهَ إلّا هُو عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ هو الرَّحْمَنُ الرَّحيم ، هو الله الَّذى لا إلَهَ إلَّا هُوَ المِلِكُ القُدُّوسُ ، السَّلامُ المؤمِنُ المُهَيْمنُ العَزِيزُ الجبَّارُ المتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ الله الخالِقُ ، البارِىءُ المصوِّرُ له الأَسْمَاءُ الحُسْنَى »[١٤٤].

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله تسعةً وتسْعِين اسْمًا مائة إلّا واحدًا ، مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الجنَّة ، إنَّه وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ »[١٤٥].

ولم يختلف أحدٌ من أهل الإسلام فى أنها أسماء لله تعالى ، ولا فى أنها لا يقال : إنها نعوت له عزَّ وجل ، ولا أوصاف [لله ، ولو وجد فى المتأخرين من يقول ذلك لكان قولًا باطلًا ، ومخالفة

---

(١٤٠) فى (ح) : (حاطر) .
(١٤١) فى (أ ، ب) : (فهو) .
(١٤٢) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(١٤٣) سورة الإسراء : ١١٠ .
(١٤٤) سورة الحشر : ٢٤ .
(١٤٥) وروى هذا الحديث فى البخارى ومسلم ونصه : « لله تسعةٌ وتسعون اسما مائة إلّا واحدًا لا يحفظها أحد إلّا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » . ورواية البخارى فى الدعوات ١١ / ١٨٠ ، ١٩٢ ، ومسلم رقم ٢٦٧٧ فى باب الذكر والدعاء . (جامع الأصول فى أحاديث الرسول : مجد الدين أبى السعادات بن محمد بن الأثير الجزرى المتوفى ٦٠٦ تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط . طبعه الملاح ١٣٩٠ هـ .

لقول الله تعالى ولا حجة لأحدٍ(١٤٦) فى الدين ، دون رسول الله ﷺ](١٤٧) فإذ لا شكَّ فيما قلنا ، فليست مشتقة من صفة أصلًا .

ويقال لهم : إذا قلتم إنَّها مشتقة ، فقولوا لنا : من اشتقَّها .. ؟

فإن قالوا : إنَّ الله تعالى اشتقها لنفسه .

قلنا لهم : هذا هو القول على الله تعالى بالكذب ، الذى لم يخبر به عن نفسه ، وَقَفَوْتُم فى ذلك ما لم يأتكم به علم .

وإن قالوا : إن رسول الله ﷺ : اشتقها .

قلنا : كذبتم على رسول الله ﷺ . ولقد سمَّى الله بها نفسه قبل أن يخلق رسوله ﷺ أوحى بها إليه فقط(١٤٨). فصحَّ يقينًا أن القول بأنها مشتقة فرية على الله تعالى ، وكذب عليه ، ونعوذ بالله من ذلك ، وصح بهذا البرهان الواضح أنه لا يدل حينئذ « عليم » على « علم » ولا « قدير » على « قدرة » ، ولا « حى » على « حياة » . وهكذا فى سائر ذلك .

قال أبو محمد : وإنما قلنا بالعلم ، والقدرة ، والقوة ، والعِزَّة ، بنصوص أخر يجب الطاعة لها ، والقول بها ، ووجدنا المتأخرين من الأشعرية كالباقلانى(١٤٩) وابن(١٥٠) فورك وغيرهما قالوا : إنَّ هذه الأسماء ليست أسماء لله تعالى ولكنها تسميات له ، وأنه ليس لله إلا اسم واحد ، لكنه قول إلحادٍ ومعارضة لله عزَّ وجل بالتكذيب التى تلونا ، ومخالفة لرسول الله ﷺ ، فيما نصَّ عليه من عدد الأسماء ، وهتك لإجماع أهل الإسلام عامِّهم ، وخاصِّهم ، قبل أن تحدث هذه الفرقة .

* * *

(١٤٦) فى (أ ، ب) · (و أحد) .
(١٤٧) فى (خ) · لم يذكر الكلام من قوله : « لله ، ولو وجد فى المتأخرين ... إلى دون رسول الله ﷺ »
(١٤٨) فى (خ) : سقط قوله (أوحى بها إليه فقط) .
(١٤٩) راجع ص
(١٥٠) ابن فورك (ت ٤٠٦ هـ) :

هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى ، الأصبهانى ، أبو بكر واعظ عالم بالأصول والكلام من فقهاء الشافعية ، سمع الحديث وعلم الكلام بالبصرة وبغداد ، وأخذ يحدث بنيسابور ، وبنى فيها مدرسة ، وتوفى على مقربة منها . وفى النجوم الزاهرة : قتل محمد بن سبكتكين بالسم لقوله : كان رسول الله ﷺ رسولًا فى حياته فقط . من كتبه : مشكل الحديث وغريبه ، والحدود وأسماء الرجال . (الأعلام) .

فصـــل

[فيما أحدثه أهل الإسلام فى أسماء الله عزَّ وجل القديم[151]]

قال أبو محمد : وهذا لا يجوز أن يسمى عزّ وجل بما لم يسمٍّ به نفسه ، لأنه لم يصحّ به نصٌّ ألبتّة . وقد قال تعالى : « والقَمَرَ قدَّرناه مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كالعُرْجُونِ القديم »[152].

فصح أن القديم من صفات المخلوقين ، فلا يجوز أن يسمَّى الله تعالى بذلك ، وإنما يعرف القديم فى اللغة من القدمية الأزلية[153]، أى[154] أن هذا الشىء أقدم من هذا بمدة محصورة ، وهذا منفىٌّ عن الله عزَّ وجل . وقد أغْنِى الله عزّ وجل عن هذه التسمية بلفظة (أوّل) . فهذا هو الاسم الذى لا يشاركه تعالى فيه غيره ، وهو معنى أنه لم يزل .

وقد قلنا بالبرهان : إن الله لا يجوز أن يسمَّى بالاستدلال ، ولا فرق بين من قال : إنه يسمّى ربَّه تعالى جسمًا إثباتًا للوجود ، ونفيًا للعدم وبين من سمّاه « قديما » إثباتًا لأنه لم يزل ، ونفيًا للحدوث ، لأن كلا اللفظين لم يأت به نص .

فإن قال : من سماه جسمًا ألحد لأنه جعله كالأجسام .

قيل له : ومن سمَّاه قديمًا قد ألحد فى أسمائه ، لأنه جعله كالقدماء .

---

(١٥١) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .
(١٥٢) سورة يس : ٣٩ .
(١٥٣) فى (أ ، ب) : (الزمانية) بدلا من (الأزلية) .
(١٥٤) فى (خ) : لم تذكر كلمة (أى) .

فإن قيل : ليس فى العالم قدماء : أكذبه القرآن بما ذكرنا ، وأكذبته اللغة التى بها نزل القرآن ، إذ يقول كل قائل فى اللغة : هذا الشيء أقدم من هذا(١٥٥). وهذا أمر قديم ، وزمان قديم ، وشيخ قديم ، وبناء قديم . وهكذا فى كل شيء .

وأمَّا نفى خلق الإيمان فهذا أعجب ما أتوا به . وهل الإيمان إلا فعل المؤمن ، الظاهر منه ، يزيد وينقص ، ويذهب ألبتة ، وهو خلق الله تعالى .. ؟ وهذه صفات الحدوث(١٥٦) نفسها .

فإن قالوا : إنَّ الله تعالى هو المؤمن .

قلنا : نعم . هو المؤمن المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور(١٥٧).

فأسماؤه بذلك أعلام ، لا مشتقّة من صفات محمولة فيه عزَّ وجل . تعالى الله عن ذلك . إلَّا ما كان مشتقًّا(١٥٨) من فعل محدث – فهو ظاهر كالخالق والمصوّر .

فإن قلتم : إنها صفات لم تزل لربكم(١٥٩) أنه المصور بتصوير لم يزل ،فهذا(١٦٠) قول أهل الدَّهر مجرَّدٌ . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال بعضهم : إنَّ قولنا سميع بسمع ، بصير ببصر ، حيٌّ بحياة – لا يوجب تشابهًا ، ولا يكون الشيء شبهًا للشيء إلا إذا ناب منابه ، وسدَّ مسدَّه(١٦١).

قال أبو محمد : وهذا كلام فى غاية السخافة لأنه دعوى بلا برهان ، لا من لغة(١٦٢)، ولا من شريعة ، ولا من طبيعة ، وما اختلفت قط اللغات ولا(١٦٣) الطبائع ، ولا الأمم فى أنَّ الشَّبهة(١٦٤) بين المشبهات إنما هو بصفاتها فى الأجسام وبذواتها فى الأعراض . وأما النص(١٦٥) فإنَّ الله تعالى يقول :

(١٥٥) فى (أ) : (هذه) .
(١٥٦) فى (خ) : (الحدث) .
(١٥٧) فى (أ ، ب) : سقط (العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء) .
(١٥٨) فى (أ ، ب) : إلا ما كان مسمّى عزّ وجل لفعل فعله .
(١٥٩) فى (خ) : سقطت كلمة (لزمكم) .
(١٦٠) فى (أ) : وهذا .
(١٦١) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « قال أبو محمد ، وقال بعضهم إلى قوله : وسدَّ مسدَّه » .
(١٦٢) فى (أ ، ب) : سقطت (لا من لغة) .
(١٦٣) فى (أ ، ب) : سقطت (ولا) .
(١٦٤) فى (أ ، ب) : (النسبة) بدلا من (الشبه) .
(١٦٥) فى (أ) : سقطت كلمة (النص) .

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطيرُ بجناحَيهِ إلّا أُمَمٌ أَمْثالكم »[١٦٦].

فليت شعرى هل قال ذو مسكة[١٦٧] عقل : إن الحمير ، والكلاب ، والخنافس تنوب منابنا ، وتسدُّ[١٦٨] مسدَّنا .. ؟ وقال تعالى : حاكيًا عن الأنبياء عليهم السلام ، أنهم قالوا للكفار[١٦٩]: « إنْ نحنُ إلّا بشرٌ مثلكُمْ »[١٧٠].

فهل قال قط مسلم : إن الكفار ينوبون عن الأنبياء عليهم السلام ، ويسدّون مسدَّهم .. ؟

وقال تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان »[١٧١].

فهل قال ذو مسكة عقل : إنَّ الياقوت ينوب مناب الحور العين ، ويسدُّ مسدَّهن[١٧٢].. ؟

ومثل هذا فى القرآن كثير جدًّا ، وفى كلام كلِّ أمة . والعجب أنهم بعد أن أتوا بمثل[١٧٣] هذه العظيمة نسوا أنفسهم فجعلوا المتشابه فى بعض الأحوال يوجب شرع الشرائع قياسًا ، وهذا دين لم يأذن به الله تعالى ، فهم أبدًا فى الشيء وضده ، والبناء والهدم . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وحقيقة التماثل والتشابه هو : أنَّ كل جسمين اشتبها فإنما يشتبهان بصفة محمولة فيهما ، أو بصفات فيهما ، وكل عرضين فإنما يشتبهان بوقوعهما تحت نوع واحد كالحمرة والصفرة والخضرة[١٧٤] وهذا أمر يدرك بالعيان وأول الحسّ والعقل . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٦٦) سورة الأنعام : ٣٨ .
(١٦٧) فى (أ) : « ذو مسكة من عقل » بزيادة (من) .
(١٦٨) فى (أ ، ب) : « أو تسدنا » .
(١٦٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الكفار) .
(١٧٠) سورة ابراهيم : ١١ .
(١٧١) سورة الرحمن : ٥٨ .
(١٧٢) فى (خ) : (مسدَّهم) .
(١٧٣) فى (أ) : سقطت كلمة (بمثل) .
(١٧٤) فى (أ ، ب) : والحمرة أو الحمرة والخضرة .

« الكلام فى الحياة »

قال أبو محمد : قال قائلون : الاستدلال(١) أوجب أن البارى تعالى حيٌّ ، لأن الأفعال الحكيمة لا تقع إلّا من الحى ، وأنه(٢) لا يعقل إلّا ميّت(٣) أوحى ، فلما أبطل(٤) إمكان وقوع الفعل من الميت ، صحَّ وقوعه من الحى . ولابدَّ .

ثم انقسم هؤلاء قسمين ، فطائفة قالت : هو تعالى حيٌّ لا بحياة ، وقال(٥) آخرون بل هو تعالى حى بحياة .

واحتجت طائفة بأن قالت : لا يعقل حيٌّ(٦) إلّا بحياة . ولم يكن الحيُّ حيًّا ، إلّا لأن له حياة ، ولولا ذلك لم يكن حيًّا . ولو(٧) جاز أن يكون حيًا لا بحياة لجاز أن تكون حياة لا لِحى .

وقال آخرون(٨): لم يكن الحيُّ حيًّا لأن له حياة ، لكن لأنه فاعل(٩) قادر ، عالم فقط ، إذ(١٠) لا يكون العالم القادر الفاعل إلّا حيًّا .

---

(١) فى (أ ، ب) : وقالوا : إن الدليل أوجب .
(٢) فى (أ ، ب) : (وأيضا فإنه) .
(٣) فى (أ ، ب) : (حيّ أو ميت) .
(٤) فى (أ) : (قلنا : إمكان) .
(٥) فى (أ ، ب) : وطائفة قالت .
(٦) فى (أ) : واحتجت أنه لا يعقل أحد حيا .
(٧) فى (أ) : قالوا : ولو جاز .
(٨) فى (أ ، ب) : الطائفة الأولى .
(٩) فى (أ ، ب) : فاعل فقط عالم قادر .
(١٠) فى (أ) : (ولا يكون) بغير (إذ) .

قال أبو محمد : وكلا القولين فى غاية الفساد ، لأن اتفاق الطائفتين على أن سمّوا ربهم حيًّا من طريق الاستدلال ، إما لنفى الموت ، والجماد[١١] هنه ، وإمّا لأنه فاعل قادر ، عالم . ولا يكون الفاعل ، العالم ، القادر إلَّا حيًّا يلزمهم أن يطردوا استدلالهم هذا ، وإلَّا فهم متناقضون[١٢]، وذلك أنه[١٣] يلزمهم أن يقولوا : إنه تعالى جسم ، لأنهم لم يعقلوا قط فاعلًا ، ولا حكيمًا ، ولا عالمًا ، ولا قادرًا إلا جسمًا – فإذا لم يكن هذا دليلًا على أنه جسم فليس دليلًا على أنه حى .

وأيضًا : فإن اتفاقهم على ما ذكرنا موجب عليهم[١٤] أن يطردوا استدلالهم ، وإلَّا كانوا مناقضين مبطلين لاستدلالهم ، وذلك يوجب على من قال : حىٌّ لا بحياة أن يطردوا استدلالهم ، وإلَّا[١٥] فهو فاسد ، لأنه[١٦] لا يكون العالم ، القادر فيما بيننا إلَّا ذا حياة ، ولا يكون حيًّا إلَّا بحياة – لا يعقل غير هذا أصلًا .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من عكس قولهم .. ؟ فقال : إذا كان الحىّ لا يجب أن يقال[١٧] له حى من أجل أنه حى ، ولا أنه إذا كان حيًّا وجب أن يكون له حياة ، ولا أنه سمّى الحىَّ حيًّا لأن له حياة – فكذلك لم يجب أن يكون الفاعل فاعلًا لأنه حى لكن[١٨] لأن له فعلًا فقط ، ولا وجب أن يكون الفاعل فاعلًا لأنه قادر عالم ، لكن لأن له فعلًا ، وكذلك المؤلف ، لم يسمَّ مؤلفًا لأن فيه تأليفًا ولا يسمّى[١٩] الحكيم حكيمًا لإحكامه الفعل ، ولا وجب المؤلف : أن يكون محدثًا للتأليف الذى فيه ، هذا[٢٠].

على أنَّ من قال بعض هذه القضايا فهو أصحّ قولًا ممن قال : إن كان[٢١] الحىُّ حيًّا لا يقتضى بذلك الاستدلال ، أن يكون له حياة ، لأننا لم نجد قط حيًّا إلَّا بحياة ، ولا توهمنا ذلك إلَّا بالفعل ، ولا يتشكل فى العقل ألبتة . ولا يدخل فى الممكن بدليل ، وقد وجدنا العنكبوت ،

(١١) فى (أ ، ب) : (والجمادية) .
(١٢) « مناقضون » .
(١٣) فى (أ ، ب) : وإذا طردوا استدلالهم هذا لزمهم ولابد .
(١٤) فى (أ ، ب) : على الطائفة الأولى .
(١٥) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « مناقضين ، مبطلين لاستدلالهم إلى قوله .. أن يطردوا استدلالهم » .
(١٦) فى (أ ، ب) : (فنقول إنه) .
(١٧) فى (أ ، ب) : (إن له حياة) .
(١٨) فى (خ) : سقطت (لأنه حى لكن) .
(١٩) فى (أ ، ب) : ولا سمّى .
(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .
(٢١) فى (أ ، ب) : (إن كون) .

والنحلة ، والخطاف تُحكم أفعالها وبناءها بالطين والشّمع مسدَّسًا على رتبة واحدة بالنسج[٢٢]، ثم لا يجوز أن يسمَّى شئٌ منها حكيمًا .

فإن قال : إنما أقول إنه حى استدلالًا بأنه لا يموت ، والحى هو الذى لا يموت ، كان[٢٣] قد أتى بأسخف قولٍ ، وذلك يلزمه أن يقول : إننا لسنا أحياء لأننا نموت ، وأنه لا حىَّ فى العالم ، لأنَّ من قول هذا القائل : إنَّ الملائكة تموت ، فليس فى العالم حىٌّ على قوله .

وقد أتى بعضهم بهذيان ظريف فقال : قد وجدنا شيئًا فيه حياة وليس حيًّا وهو يدُ الإنسان ورجله .

قال أبو محمد : ولقد كان[٢٤] ينبغى لمن هذا مقداره من الجهل أن يتعلم قبل أن يتكلم . أما علم الجاهل أن الحياة إنما هى للنفس لا للجسد ، وأن الحىَّ إنما هو[٢٥] النفس لا الجسد . أما سمع قول الله تعالى : « فإنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ ولكنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتى فى الصُّدُور[٢٦]» .

وليت شعرى لو عكس عليه هذا السخف فقيل له : بل يد الإنسان حيَّة ولا حياة فيها ، بماذا كان ينفصل من هذا الجنون المطابق لجنونه .. ؟ ثم إذا[٢٧] بطل قول هؤلاء .

فنقولُ بحول الله تعالى وقوته للطائفة الأخرى التى قالت : إنه تعالى حى بحياة استدلالًا بالشّاهد : ما الفرق بينكم وبين من قال : إنه[٢٨] تعالى جسم .. ؟ لأن الأفعال لا تقع إلَّا من جسم ، فإنّه على أصولكم[٢٩] لا يعقل إلَّا جسم وعرض – فلما بطل إمكان الفعل من العرض ، صحَّ وقوعه من الجسم فقط ولابد . ولّما صحَّ أن العالِم لا يكون إلَّا جسمًا ذا ضمير ضرورة[٣٠] صحٍّ أنه تعالى جسم ذو ضمير . ولما صحَّ أنه قادر لا يكون إلَّا جسمًا صحَّ أنه جسم ، فبأى شيء راموا الانفصال به – عكس عليهم مثله سواء بسواء فى استدلالهم ، وما التزموه لزمهم .

فإن قالوا : إنَّ الله[٣١] تعالى أخبر أنه حى ، ولم يخبر أنه جسم .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق : وأنَّ الله تعالى لم يخبر بأن له حياة .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (وبالنسج) .
(٢٣) فى (خ) : سقطت كلمة (كان) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (فقط) وفى (خ) بزيادة (فقد) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (هى) .
(٢٦) سورة الحج : ٤٦ .
(٢٧) فى (أ ، ب) : (إذ قد بُطل) .
(٢٨) فى (أ ، ب) : (هو تعالى) .
(٢٩) فى (خ) : لم يذكر (على أصولكم) .
(٣٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ضرورة) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (إنه تعالى) .

فإن قالوا : إن الحى يقتضى أن له حياة .

قلنا لهم[٣٢]: والحى يقتضى أنه جسم ، وهكذا أبدًا .

فإن قالوا : إنه تعالى قال : « وَتَوَكَّلْ على الحىِّ الَّذى لا يموت[٣٣]» – فوجب أن يكون له حياة[٣٤].

قيل لهم : وإن وجب هذا – فقال تعالى : « لا تَأْخُذُه سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ »[٣٥].

فقولوا : إنه تعالى يقظان .

فإن قالوا : لم ينصَّ تعالى على أنه يقظان .

قيل لهم : ولا نصَّ على أن له حياة .

فإن قالوا : الحىُّ يقتضى حياة .

قيل لهم : ومن ليس نائمًا ، ولا وسنان فهو يقظان . ولا فرق .

ويقال لهم : أخبرونا ماذا نفيتم عنه تعالى بإيجاب الحياة له .. ؟ أنفيتم عنه بذلك الموتَ المعهود .. ؟ والمواتية المعهودة ، أم موتًا غير معهود ، ومواتيةً غير معهودة .. ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن قالوا : ما نفينا عنه إلَّا الموت المعهود ، والمواتية المعهودة[٣٦].

قلنا لهم : إنَّ الموت المعهود ، والمواتية المعهودة لا ينتفيان ألبتة إلَّا بالحياة المعهودة ، التى هى الحسُّ والحركة الإراديان[٣٧]. وهذا خلاف قولكم ، ولو قلتموه لأبطلنا قولكم بما أبطلنا به قول المجسمة .

وإن قالوا : ما نفينا عنه تعالى إلَّا موتًا غير معهود ، ومواتية غير معهودة .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق : هذا لا يعقل ، ولا يتُوهم ، ولا قام به دليل ولا يجوز أن ينتفى ما ذكرتم بحياة يقتضيها اسم الحى المعقول ، وهكذا نقول . فى قولهم : سميناه تعالى سميعًا لنفى الصمم ، وبصيرًا لنفى العمى ، ومتكلمًا لنفى الخرس .

---

(٣٢) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وأن الله تعالى لم يخبر بأن له حياة .. إلى (قلنا لهم) » .

(٣٣) سورة الفرقان : ٥٨ .

(٣٤) فى (أ) : (حيًّا بحياة) .

(٣٥) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣٦) فى (أ ، ب) : جاء هذا التعبير بغير أداة القصر (ما وإلا) .

(٣٧) فى (خ) : الارادية . وفى (أ ، ب) : (الحس والحركة والسكون) .

قلنا لهم : هل نفيتم بذلك كله الخرس المعهود ، والصمم المعهود ، والعمى المعهود ، أم صممًا لا يعهد ، وعمىً غير المعهود ، وخرسًا غير المعهود .. ؟

فإن قالوا : نفينا المعهود من كل ذلك .

قلنا : إنَّ الصمم المعهود لا ينتفى إلا بالسمع المعهود ،الذى هو بأذن سالمة ، والعمى المعهود لا ينتفى إلَّا بالبصر المعهود ، الذى هو حدقة سالمة ، والخرس المعهود لا ينتفى إلَّا بالكلام المعهود الذى هو صوت من لسان وحنك وشفتين .

فإن قالوا : بل نفينا من كلٍّ من ذلك غير المعهود .

قلنا : هذا لا يعقل ، ولا يتوهم ، ولا يصح به دليل ، ولا ينتفى بما أردتم نفيه به[٣٨]. وأيضًا : فإنَّ البارى تعالى : لو كان حيًّا بحياة لم يزل ، وهى غيره لوجب ضرورة أن يكون تعالى مؤلَّفًا مركبًا من ذاته وحياته ، [وسائر صفاته ولكان كثيرًا لا واحدًا][٣٩]، وهذا إبطال الإسلام . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وأما قولهم : إنما خاطبنا الله بما نعقل[٤٠]، ودعواهم أن فى بديهة العقل : أن الفاعل لا يكون إلا عالمًا بعلم هو غيره ، حيًّا بحياة هى غيره ، قادرًا بقدرة هى غيره ، متكلمًا بكلام هو غيره[٤١]، سميعًا بسمع هو غيره ، بصيرًا ببصر هو غيره[٤٢].

فإنا نقول – وبالله تعالى التوفيق[٤٣]: إن هذه القضية كما ذكروا ، ما لم يقم برهان على خلاف ذلك . ثم نسألهم : هل عقلتم قط ، أو توهمتم نارًا محرقة تنبت فى الشجر المثمر .. ؟ وهذه صفة جهنم التى إن أنكرتموها كفرتم .

وهل عقلتم قط طيرًا حيًّا يؤكل دون أن يموت ، أو يعَانَى بنارٍ ؟ وهذه صفة الجنة التى إن أنكرتموها كفرتم . ومثل هذا كثير ، وإنما الحق ألا نخرج عما عهدناه ، وما عقلناه ، إلَّا أن يأتى برهان[٤٤].

فإن قنعوا بهذا القدر من الدَّعوة ، فليقنعوا بمثل هذا من المجسّمة ، إذ قالوا : إنما خاطبنا الله

---

(٣٨) فى (ح) : سقط الكلام من قوله : « وهكذا نقول فى قولهم : سميناه تعالى سميعا لنفى الصمم ، وبصيرًا لنفى العمى ، ومتكلما لنفى الخرس .. إلى قوله : ولا يصح به دليل ، ولا ينتفى بما أراد نفيه به » .

(٣٩) فى (خ) : لم يذكر : « وسائر صفاته ، ولكان كثيرًا لا واحدًا » .

(٤٠) فى (ح) : لم يذكر (وأما قولهم إنما خاطبنا الله بما نعقل) .

(٤١) فى (ح) : لم يذكر (هو غيره) .

(٤٢) فى (خ) : لم يذكر (هو غيره) .

(٤٣) فى (أ) : (نتأيد)

(٤٤) فى (ح) : سقط الكلام من قوله : (القضية كما ذكروا ... إلى برهان)

تعالى بما نفهم ونعقل ، لا بما لا نعقل ، وقد أخبرنا تعالى أنه له عينًا ويدًا ووجهًا ، وأنه ينزل فى ظلل من الغمام .

قالوا : فكل هذا محمول على ما عقلنا من أنها جوارح وحركات ، وأنها جسم ، واقنعوا به منهم أيضًا ، إذ قالوا(٤٥): ببديهة العقل وأوله : عرفنا(٤٦)، ووجب ألا يكون الفاعل إلا جسمًا فى مكان .

وبضرورة العقل علمنا : أنه لا شىء إلا جسم وعرض ، وما لم يكن كذلك فهو عدم ، وإن لم يكن عرضًا فهو جسم . والبارى تعالى ليس عرضًا فهو جسم ولابدَّ . واقنعوا بمثل هذا من المعتزلة ، إذ قالوا فى إبطال الرؤية بضرورة العقل علمنا(٤٧): أنه لا يرى إلا جسم ملوّن ، وما كان فى حيِّز ، وإذ قالوا بضرورته(٤٨) وبديهته ، علمنا أنّ كلّ من فعل شيئًا فإنما يوصف به(٤٩)، وينسب إليه ؛ فلو أنه تعالى خلق الشَّر والظلم لنسبا إليه ، ووصف بهما ، واقنعوا بمثل(٥٠) هذا من الدَّهرية ، إذ قالوا : بضرورة العقل : علمنا أنه لا يكون شىء إلَّا من جسم(٥١).

* * *

قال أبو محمد : وكل طائفة من هذه الطوائف تدَّعى الباطل على العقول . والصحيح من هذا ، والحسبة فيه : هو أن كلَّ من ادَّعى فى شىء مَّا أنه يعرف ببديهة العقل ، وضرورته ، وأوله ، أن ينظر فى تلك الدعوى ، فإن كانت(٥٢) ترجع إلى الحواس المشاهدة ، فهى دعوى فاسدة كاذبة ، لأن العقول توجب أشياء لا تشكَّل فى الحواس ، كالألوان التى يتوهمها الأعمى ، ولا يتشكلها بحاسة وهو موقن بها بضرورة عقله ، لصحة الخبر وتواتره عليه بوجودها . وكالصوت الذى لا يتوهمه ألبتة ، ولا يتشكله مَنْ وُلد وهو(٥٣) أصَم ، وهو موقن بعقله بصحة الأصوات لتواتر الخبر عليه بصحتها . وإن كانت تلك الدَّعوى ترجع إلى مجرَّد العقل ، دون توسط الحواس – فهى دعوى صادقة ، وهذه الدعاوى التى ذكرنا عن الأشعرية ، والمجسمة ، والمعتزلة ، والدَّهرية – فإنَّما غلطوا فيها ، لأنهم نسبوا إلى أول العقل ما أدركوه بحواسِّهم .

---

(٤٥) ى (خ) : سقط الكلام من قوله : (إنما حاطبنا الله تعالى .. إلى إذ قالوا) .
(٤٦) فى (خ) : إن بديهة العقل وأوله علمنا .
(٤٧) فى (أ) : عرفنا .
(٤٨) ى (خ) : بضرورة العقل .
(٤٩) ى (خ) : لم تذكر كلمة (به) .
(٥٠) ى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بمثل)
(٥١) ى (أ ، ب) . لا يكون شيئا إلا من شىء أوفى منه .
(٥٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (مما) .
(٥٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وهو)

وقد قلنا : إنّ العقل يوجب ولابد معرفة(٥٤) أشياء لا تدرك بالحواس ، ولا سيما دعوى الدَّهرية ، فإنها تعارَض بمثلها من أنه بضرورة العقل وأوله علمنا أنه لا يمكن وجود جسم وعرض فى زمانٍ لا أوّل له ، وهذا هو الحق ، لا دعواهم التى عوّلوا فيها على ما شاهدوه بحواسهم فقط .

وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فيقال لهم : إذا سميتموه حيًّا لنفى الموت والمواتية عنه تعالى ، وقادرًا لنفى العجز ، وعالمًا لنفى الجهل – فيلزمكم ولابد أن تسموه حسَّاسًا لنفى الخَدَرَ عنه . وشمَّامًا(٥٥) لنفى الخشم عنه . ومتحركًا لنفى السكون والجمادية عنه ، وعاقلًا لنفى ضد العقل عنه ، وشجاعًا لنفى الجبن عنه .

فإن امتنعوا من ذلك كانوا قد ناقضوا(٥٦) فى استدلالهم فى تسميتهم إيَّاه حيًّا ، عالمًا ، قادرًا ، جواداً .

فإن قالوا : إنه لا يجوز أن يسمَّى بشىء مما ذكرنا لأنه لم يأت به نصٌّ .

قيل لهم : وكذلك لم يأت نص بأنَّ له تعالى حياة ، ولا أنه سمَّى حيًّا ، عالمًا ، قادرًا لنفى أضداد هذه الصفات عنه ، لكن لما جاء النص بأنه تعالى تسمَّى بالحىّ العالم القدير سميناه بذلك – ولولا النص ما جاز لأحدٍ أن يسمىَ الله تعالى بشىءٍ من ذلك ، لأنه كان يكون مشبِّهًا بخلقه ، لا سيما ولفظة الحىّ تقع فى اللغة على العالِم المميز(٥٧) بالحقائق .

قال تعالى : « لِيُنْذِرَ من كانَ حيًّا ، ويَحقَّ القولُ على الكافِرِين »(٥٨).

فأراد بالحى هاهنا : العالِم المميز بالإيمان ، المقرّ به .

وأيضًا : فإنهم يدَّعون أنهم ينكرون التشبيه ثم يرتكبونه(٥٩) أتم ركوب ، فيقولون : لما لم يكن الفعَّال عندنا إلَّا حيًّا ، عالمًا ، قادرًا – وجب أن يكون البارى تعالى ، الفاعل للأشياء حيًا ، عالمًا ، قادرًا – وهذا نصُّ قياسهم له تعالى على المخلوقات ، وتشبيهه تعالى بهم ، ولا يجوز عند القائلين بالقياس أن يقاس الشىء إلَّا على نظيره . وأما أن يقاس الشىء على خلافه من كل جهة وعلى ما لا يشبهه فى شىء ألبتة – فهذا ما لا يجوز أصلًا عند أحد ، فكيف والقياس كله باطل لا يجوز .. ؟

(٥٤) فى (خ) : سقطت كلمة (معرفة) .
(٥٥) فى (أ ، ب) : (وسمّاما) بالسين المهملة لنفى (الجسم) وهذا تحريف .
(٥٦) فى (خ) : (تناقضوا) .
(٥٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة (المميز) .
(٥٨) سورة يس : ٧٠ .
(٥٩) فى (أ ، ب) : (يركبونه) .

وأيضًا فإنَّ الحياة التى لا يعرف أحدٌ بالعقل حياة غيرها إنما هى الحسُّ والحركة(٦٠) الإرادية ، ولا يعرف أحدٌ الحيَّ إلَّا الحساسَ(٦١) المتحرك بإرادة — وهذا أمر يعرف بالضرورة ، فمن أنكر ذلك ، فقد أنكر الحسَّ والمشاهدة والضرورة ، وخرج عن أن يكلم(٦٢).

فإن قال قائل منهم : « إنَّ الموات قد يتحرك ، فلم يزد على أن أبان عن قوة جهله ، لأنه إنما قلنا الحركة الإرادية ، فإذا لم يفرق هذا الجاهل بين الحركة الإرادية والإضطرارية فينبغى(٦٣) أن يتعلم قبل أن يتكلم . وكل حركة ظهرت من غير حى ، فليست حركة إرادية له ، ولكنَّها تحريك المحرك له ، إمَّا البارى تعالى ، وإمَّا مَنْ دونه ، ومما يبطل قولهم ضرورة : أنه إنما سمِّى تعالى حيًّا لأنه عالم قادر ، ووجدنا أحياء كثيرة ليسوا علماء ، ولا قادرين كالأطفال حين ولادتهم ، وكالنائم المستثقل ، وكالمخدورين ، والجهّال(٦٤) المجانين ، وكضعاف الدور ، والصَّوادب(٦٥)، وما لا ينتقل عن محلّه كالوصل وغيره ، وكالمريض من سائر الحيوان — فهذه كلها أحياء ليس شيءٌ منها عالمًا ولا قادرًا ، فصح ضرورة ، أنه لا معنى للحياة مرتبط(٦٦) بالعلم والقدرة لكن الحق فى ذلك : أنَّ(٦٧) بعض الأحياء عالم قادر ، وليس كل حيٍّ عالمًا قادرًا ولا سبيل إلى وجود شيء(٦٨) غير حسَّاس ، ولا متحرك بإرادة .

فإن ذكروا : المغمى عليه — فذلك عائد عليهم لأنه ليس عالمًا ولا قادرًا .

وأما الحسُّ ففيه بالضرورة ، فلو جشَّ(٦٩) جشًّا قويًّا لتألم ، ولأخبر بذلك عند انتباه — وكذلك الحسُّ والحركة الإرادية باقيان لابدَّ فى بعض أعضاء المخدور والمغمى عليه ولابدَّ — وقد بيَّنا الواجب فى هذا وهو أنه لا يسمّى الله عزَّ وجلَّ ، ولا نخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شيء من خلقه ، ولا بخبر يشاركه فيه شيء من خلقه ، ولكن نقول : إنه تعالى لا يجهل شيئًا أصلًا ، وهذه صفةٌ لا يستحقها أحدٌ دونه تعالى . ونقول : لا يغفل ألبتة ، ولا يضل ، ولا يسهو ، ولا ينام ، ولا يتحيَّر ، ولا ينحل ، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، ولا ينسى ، وكل هذا فلا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلًا(٧٠).

---

(٦٠) فى (أ ، ب) . (والركة) وهو تحريف .
(٦١) فى (أ ، ب) : (بالحساس) .
(٦٢) فى (خ) : لم يذكر : (والضرورة ، وخرج عن أن يكلم) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (فينبغى له) .
(٦٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الجهال)
(٦٥) الصوادب .
(٦٦) فى (أ) : (يرتبط) .
(٦٧) فى (أ ، ب) : (أو) بدلًا من (أن) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : (حى) .
(٦٩) فى (خ) : (نحس نحسا) . جشَّ : جَشَّه : دقَّه وَكَسَره كأجشَّه وبالعصا : ضربه بها (المحيط) .
(٧٠) فى (خ) : سقطت كلمة (أصلا) .

ثم نقر بما جاء به[٧١] القرآن والسنن ، كما جاء لا نزيد فيه[٧٢] ولا ننقص منه ، ولا نُحِيله ، فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه .

وأما لفظ الصفة فى اللغة العربية ، وفى جميع اللغات ، فإنها[٧٣] عبارة عن معنى محمول فى الموصوف بها ، لا معنى للصفة غير هذا ألبتة . وهذا أمر لا يجوز إضافته إلى الله تعالى ألبتة إلَّا أن يأتى نص بشىء أخبر الله تعالى به عن نفسه فنؤمن[٧٤] به ، وندرى حينئذ أنه اسم علم لا مشتق من صفة ، وأنه خبر عنه تعالى لا يراد به غيره عزَّ وجلَّ ، ولا يرجع منه إلى[٧٥] سواه ألبتة – والعجب كل العجب أن يسمَّى[٧٦] الله تعالى حيًّا ، لأنهم لم يجدوا الفعل يقع إلَّا من حىٍّ ، ثم يقولون : إنه لا كالأحياء فعادوا إلى دليلهم فأفسدوه ، لأنهم إذا أوجبوا وقوع لفعل من حىّ ليس كالأحياء الذين لا تقع الأفعال إلَّا منهم ، فقد أبطلوا أن يكون ظهور الأفعال دليلًا ، على أنها من حىّ كما عهدوه [وإن كان بخلاف ما عهدوه فلا ينكرون وقوع الفعل ممن لا يسمَّى حيًّا – وإن كان بخلاف ما عهده][٧٧]، وقد علمنا يقيكنا أن القدرة من كل قادر فى العالم إنما هى عرض فيه ، وأنَّ الحياة فى الحىِّ المعهود بضرورة العقل عرض فيه أيضًا ، وأن العلم فى كل عالِم فى العالم كذلك ، وقد وافقونا على أن البارى تعالى بخلاف ذلك ، فإذ قد بطل أن يكون هذا موصوفًا بصفة القادر فيما بيننا والعالِم منا التى لولاها لم يكن العالم عالمًا ، والقادر قادرًا فإن الفعل فيما بيننا لا يقع إلَّا من أهل تلك الصفة ، فقد بطل ضرورة أن يسمَّى البارى تعالى باسم قادرٍ أو عالِمٍ أو حىٍّ استدلالًا بأن الفعل فيما بيننا لا يقع إلَّا من عالم قادر ، وإذ قد جوَّزوا وجود علم ليس عرضًا ، وحياةٍ ليس عَرَضًا ، وهذا أمر غير معقولٍ أصلًا ، فلا ينكرون وجود حىٍّ بلا حياة[٧٨]، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر[٧٩]، وكل هذا خروج عن المعهود – ولا فرق . وإنما يستجاز الخروج عن المعهود إذا جاء به نصٌّ من الخالق عزّ وجل ، أو قام به برهان ضرورى ، وإلا فلا . ولم يأت نصٌّ قط بلفظ الحياة ، ولا الإرادة ، ولا السمع ، ولا البصر ، واحتجَّ بعضهم فى معارضة من قال : إن الحىَّ لا يكون إلَّا حسَّاسًا متحركًا بإرادة ،لأننا لم نشاهد قط حيًا إلَّا حساسًا متحركًا بإرادة ، فقال هذا المعترض إن من اتفق له ألا يرى نباتًا إلَّا أخضر ، ولا أخضر إلا نباتًا فقطع بأن كل أخضر فهو نبات فقد أخطأ .

(٧١) ق (ح) . يذكر كلمة (به) .
(٧٢) ق (أ) . سقطت كلمة (فيه) .
(٧٣) ق (أ ، ب) : (فإنما) .
(٧٤) ق (ح) : (فيوقف عنده) .
(٧٥) ق (أ ، ب) : (إلا) .
(٧٦) ق (أ ، ب) : (أنهم يسمون) .
(٧٧) ق (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : (وإن كان بخلاف ما عهدوه إلى ما عهدوه) .
(٧٨) ق (أ ، ب) : « لا بحياة – ولابسمع – ولا ببصر » .
(٧٩) ق (أ ، ب) : (لا بسمع .. ولا ببصر)

قال أبو محمد : فأول ما يقال له : قل هذا لنفسك ، فى استدلالك بأنك لم ترقط فعَّالًا إلَّا حيًا ، عالمًا ، قادرًا – ولا فرق .

ثمُ نعوذ بعون الله تعالى إلى بيان ما شغبوا به ،مما لا يعرفون الفرق بينه وبين ما يقطع(٨٠) عليه – فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنَّ الأعراض تنقسم(٨١) قسمين ؛ أحدهما ذاتى ، لا يتوهم بطلانه إلَّا ببطلان حامله كالحسِّ والحركة الإرادية للحيِّ ، وكذلك احتمال الموت للإنسان مع إمكان التمييز للعلوم والتصرف فى الصناعات وما أشبه هذا .

ومن هذه الأعراض تقوم فصول الأشياء وحدودها(٨٢) التى تفرق بينها وبين غيرها من الأنواع التى تقع معها تحت جنس واحد – فهذا القسم مقطوع على وجوده فى كل ما وقع اسم حامله عليه(٨٣).

والقسم الثانى : غيريٌّ : وهو ما يتوهم بطلانه ولا يبطل بذلك ما هو فيه كاجترار البعير والغنم(٨٤)، وحلاوة العسل ، وسواد الغراب ؛ فإن وجد عسل مر – وقد وجدناه – لم يبطل بذلك أن يكون عسلًا ، وكذلك لو وجد غرابٌ أبيض – وقد وجد – لم يبطل بذلك أن يكون غرابًا . فمثل هذا القسم لا يقطع على أنه موجود ، ولابدَّ أبدًا . فهذا الفرق بين ما شغب به من النبات ، لأنه إن توهّم النبات أحمر أو أصفر لم يبطل أن يسمَّى نباتًا ، ولكنه إنْ توهّم أن يكون النبات غير نامٍ من الأرض ، ولا متغذٍّ برطوباتها ، منجذبًا نحو الهواء(٨٥) فإنه لا يكون نباتًا أصلًا .

وأيضًا فقد قال بعضهم : إنه قد يعرف البارى حيًّا من لا يعرفه حسَّاسًا متحركًا بإرادة .

قيل له : وقد يعرفه حيًّا من لا يعرف أنَّ له حياة ، وقد يعرفه جسمًا من لا يعرفه مؤلفًا ، ولا محدثًا ، وليس توهم الجهّال ما(٨٦) توهموه من الحماقات حجة على أهل العقول . والحمد لله رب العالمين .

* * *

(٨٠) فى (أ ، ب) : (يقع) .
(٨١) فى (أ) : (إلى قسمين) .
(٨٢) فى (خ) : لم يذكر (وحدودها) .
(٨٣) فى (ح) : (فيه) بدلا من (عليه) .
(٨٤) فى (أ ، ب) : لم يذكر (الغنم) .
(٨٥) فى (أ ، ب) : بجر الهواء – وهو تحريف .
(٨٦) فى (أ ، ب) : (لما) .

قال أبو محمد : برهانٌ(٨٧) ضرورى ، وهو أنَّ كل صفة فى العالم فهى ضرورة – ولا بدَّ . عرض بين الطرفين ، أو أحد ذينك الطرفين ، وإما ذات ضدٍّ فحاملها بالضرورة قابل للأضداد . ولا عالِم(٨٨) فى العالَم إلَّا والجهل منه متوهَّم ، ولا قادر فى العالم إلَّا والعجز منه مُتوهَّم ، ولا حىَّ فى العالم إلَّا والسكون والحركة والحسُّ ، والحذر متوَهَّمات كلُّها منه ، وقد علمنا أنَّ الله تعالى أرحم الرَّاحمين حقًّا لا مجازًا ، من أنكر هذا فهو كافر ، حلالٌ دمُه ومالُه ، وهو تعالى يبتلى الأطفال بالجدرى ، والأواكل(٨٩) والجن والذبحة والأوجاع حتى يموتوا . وبالجوع حتى يموتوا كذلك . ويفجع الآباء بالأبناء ، وكذلك الأمهات ، والأحياء بعضهم ببعض حتى يهلكوا ثُكلًا ، ووجدًا ، وكذلك الطير بأولادها ، وليس هذه صفة الرحمن(٩٠) بيننا – فصحَّ يقينًا أنها أسماءٌ لله تعالى ، سمَّى الله تعالى بها نفسه غير مشتقة من صفة محمولة فيه تعالى – وحاشا له من ذلك .

فإن قالوا : إن العالم ، القادر ، الحىَّ ، الأوَّل ، الرحيم – بخلاف هذا .

قيل لهم : صدقتم . وهذا إبطال منكم لاستدلالكم بالشاهد بينكم على تسمية البارى(٩١) تعالى وصفاته .

قال أبو محمد : وأمَّا وصفنا البارى تعالى بأنه أوَّلٌ ، حىٌّ ، خالق(٩٢)، فلا يلزمنا فى ذلك شىء مما ألزمناه خصومنا ؛ لأنه قد قام البرهان بأنه خالق ما سواه ، وليس فى العالَم خالق ألبتَّة بوجهٍ من الوجوه إلَّا البارى تعالى(٩٣).

وقد قام البرهان على أنه تعالى واحدٌ ، لا واحد فى العالم غيره ألبتة ، بوجه من الوجوه . وكلُّ ما فى العالم فمتكثر(٩٤) كثير لا واحد ، وقد قام البرهان على أنه تعالى الأول(٩٥) الذى لا أوّل فى العالم غيره ، وكل ما فى العالم ينافى الأول .

وقد(٩٦) قام البرهان على أنه تعالى : الحق بذاته ، وأنَّ كل ما فى العالم فإنما هو محقِّقٌ له تعالى . وإنما كان حقًّا بالبارى عزَّ جل ، ولولاه لم يكن حقًّا . فهذا هو البرهان الصحيح الثابت ، الذى لا يعارض ببرهانٍ ألبتة ، وهذا هو نفى التشبيه .

(٨٧) فى (أ ، ب) : (وبرهان) .
(٨٨) فى (أ ، ب) : (فلا عالم) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : وواكل .
(٩٠) فى (أ ، ب) : الرحمة .
(٩١) فى (أ) : سقطت كلمة (البارى) .
(٩٢) فى (أ ، ب) : بأنه (الواحد – الأول – الحق – الخالق) .
(٩٣) فى (أ ، ب) : سقط قوله (إلا البارى تعالى) .
(٩٤) فى (أ) : فمتكثر باحتمال القسمة والتحرّى – وكلمة (التحرى) تحريف وصوابها (والتجزؤ) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : جاءت العبارة هكذا : (والأول فى العالم ألبتة من الوجوه) .
(٩٦) فى (أ ، ب) : (وقام) .

ثم إننا ننفى عن البارى تعالى جميع صفات العالم ، فنقول :

إنه تعالى لا يجهل أصلًا ، ولا يغفل ألبتة ، ولا يسهو ، ولا ينام ، ولا يجبن[٩٧]، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، لأننا قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا : أنَّ الله تعالى بخلاف خلقه من كل وجه .

فإذْ ذلك كذلك – فواجب نفى كلِّ ما يوصف به شيء[٩٨] فى العالم عنه تعالى عن المعهود[٩٩].

وأمَّا إثبات الوصف أو[١٠٠] التسمية له تعالى ، فلا يجوز إلَّا بنصٍّ . ونخبر عنه تعالى فى[١٠١] أفعاله عزَّ وجل فنقول :

إنه تعالى يحيى الموتى ، ويميت الأحياء إلَّا أن يثبت[١٠٢] إجماعٌ فى إباحة شيء من ذلك . ولولا الإجماع على إباحة إطلاق بعض ذلك هاهنا لما أجزناه ونقول : إنه تعالى بكل شيء عليم ، لم يزل كذلك ، والمعنى فى هذا : أنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأشياء على حسب هيئة كل مخلوق منها ، لا على أن الأشياء لم تزل موجودة فى علمه ، بل[١٠٣] معاذ الله من هذا ، ولكن نقول : لم يزل تعالى يعلم أنه سيحدث كل ما يكون شيئًا إذا أحدثه على ما يكون عليه إذا كان – وبالله تعالى التوفيق .

---

(٩٧) فى (أ ، ب) : (ولا يحس) . وهو تحريف .
(٩٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (ممَّا) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : « على العموم » .
(١٠٠) فى (خ) : (والتسمية) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : (بأفعاله) .
(١٠٢) فى (أ ، ب) : (إلّا أن لا يثبت) .
(١٠٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (بل) .

« الرَّد على من سمّى الله بغير نص »

قال أبو محمد : ونجمع إن شاء الله تعالى هاهنا بيان الرَّد على من أقدم على أن يسمِّى الله تعالى بغير نصَ لكن بما دلَّه عليه عقله وظنه أنه حسن ومدح ، أو استدلالًا بما سمَّى به تعالى نفسه ، أو تصريفًا من ذلك ، أو قياسًا على ما شاهد من خلقه .

فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنّ الله تعالى : سمّى نفسه : الرحمن الرحيم ، فسمِّه أنت الرقيق من رقة النفس التى هى الرحمة ، فإن قال « الرحيم » يغنى عن ذلك .

قيل له : نقضت أصلك ، لأنَّ الحيَّ يغنى على هذا عن أن يقال : إن له حياة .

وأيضًا : فإن الرحمن يغنى عن الرحيم .

فإن قال : قد ورد النصُّ به .

قيل له : صدقت . فلا تتعدَّ[1] ما جاء به النص ، وامنع ما سواه .

وسمّى نفسه (العليم) فسمِّه : الدَّارى ، الحبر ، الفهم ، الذكى ، العارف ، النبيل فكل هذا مدح واحد[2] فى اللغة بمعنى (عليم) ولا فرق .

* * *

(١) فى (أ ، ب) : « ولا تتعدَّ » .

(٢) فى (أ ، ب) : ومعناه .

وسمَّى نفسه : « الكريم » فسمَّه : السخىَّ ، والجواد .

وسمَّى نفسه : « الحكيم » . فسمِّه : الناقد ، العاقل .

وسمَّى نفسه : (العظيم) : فسمِّه : الفخم ، الضخم .

وسمَّى نفسه : « الحليم » : فسمّه : المحتمل[٣]، المتأنى ، الصابر ، الصبور ، الصبَّار[٤].

وأخبر أنه « قريب » : فسمِّه : الدَّانى ، المجاور ، المياسر[٥].

وسمَّى نفسه : « الواسع » : فسمِّه : الرَّحْب ، العريض .

وسمَّى نفسه : « العزيز » . فسمِّه الرئيس .

وأخبر أنه « شاكر » و« شكور » . فسمِّه : الحامد ، والحمَّاد[٦].

وسمَّى نفسه « القهار » . فسمِّه : الظافر .

وسمَّى نفسه : « الآخر » . فسمِّه الثانى ، والتالى ، والخاتم[٧].

وسمَّى نفسه : « الظاهر » فسمِّه : البادى والمعلن .

وسمَّى نفسه : « الخبير[٨]» . فسمِّه : العارف والدَّارى .

وسمَّى نفسه : « الكبير » . فسمِّه : الرئيس والمتقدّم .

وسمَّى نفسه : « القدير » . فسمّه : المطيق والمستطيع .

وسمَّى نفسه : « العلىّ » . فسمِّه : العالى ، والرفيع ، والسَّامى .

وسمَّى نفسه : « البصير » . فسمِّه : المعاين .

وسمَّى نفسه : « الجبَّار » . فسمِّه : المتجبر ، الزَّاهى ، التيَّاه .

وسمَّى نفسه : « المتكبر » . فسمّه : المستكبر ، المتعاظم ، المتنحِّى .

وسمَّى نفسه : « البرّ » . فسمِّه : الزاكى ، والمواصل[٩].

---

(٣) فى (أ ، ب) : المجتمل) بالجيم .
(٤) فى (خ) : لم يذكر (الصبار) .
(٥) فى (خ) : (الياسر) .
(٦) فى (أ ، ب) : سقطت واو العطف .
(٧) فى (خ) : سقطت (الخاتم) .
(٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام (البادى والمعلن ، وسمّى نفسه الخبير فسمّه) .
(٩) فى (أ ، ب) : سقطت واو العطف .

وسمّى نفسه : « المتعالى » . فسمّه : المتعظم ، المترفع .

وسمّى نفسه : « الغنى » . فسمّه : الموسر ، الملىء ، المكثر ، الوافر .

وسمّى نفسه : « الولىّ » . فسمّه : الصديق ، المصادق ، الموالى[١٠]، الحبيب .

وسمّى نفسه : « القوى » . فسمّه : الجلد ، التجد ، الشجاع ، الجليد ، الشديد ، الباطش ، البطّاش[١١].

وسمّى نفسه : « الحىّ » . وأخبر أن له : « نَفْسًا » . فسمّه : المتحرّك ، الحسّاس . واقطع بأن له روحًا بمعنى النفس .

وسمّى نفسه : « السميع » « البصير » . فسمّه : الشمّام ، الذَّوَّاق .

وسمّى نفسه : « المجيد » . فسمّه : الشريف ، الماجد .

وسمّى نفسه : « الحميد » . فسمّه « المحمّد » ، « المحمود » ، « الممدوح » .

وسمّى نفسه : « الودود » . فسمّه : الوادّ ، المحبّ ، الحبيب ، الوديد .

وسمّى نفسه : « الصمد » . فسمّه : المصْمَت .

وسمّى نفسه : « الحق » . فسمّه : الصحيح ، الثابت .

وسمّى نفسه : « اللطيف » . فسمّه : الخفيف .

وذكر تعالى أن له : « مكرا » . وكيدًا[١٢]. فقل إنَّ له : دهاء ، ومكرًا[١٣]، وخبثًا[١٤]، وتحيُّلًا ، وخدائع .

فهذا كله فى اللغة ، وفيما بيَّنا سواء .

وسمّى نفسه « المبين[١٥]» . فسمّه : الواضح ، الباين[١٦]، اللائح ، البادى .

وسمّى نفسه : « المؤمن » . فسمّه : المسلم ، المصدِّق .

وسمّى نفسه : « الباطن » . فسمّه : الخفى ، الغائب ، المتغيّب .

---

(١٠) فى (أ ، ب) : (الوالى) .
(١١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (البطّاش) .
(١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (كيدا) .
(١٣) فى (أ ، ب) : (ونكرا) – وهو تحريف .
(١٤) فى (أ ، ب) : (وحسا) – وهو تحريف .
(١٥) فى (أ ، ب) : (المتين) وهو تحريف .
(١٦) فى (أ ، ب) : (البين) .

وسمّى نفسه : « الملك » ، والمليك . فسمّه : « السلطان » .
وصحَّ بالسنة : أنه يسمَّى « جميلا » . فسمّه : الصبيح ، الحسن .

قال أبو محمد : فإن أبى من كل هذا نقضَ أصله ، وكذلك إن قال : إن بعض ذلك يغنى عن بعض — لزمه إسقاط الحياة ، لأن (الحىّ) يغنى عن ذكر الحياه على هذا الأصل . ولزمه أن[١٧] يقول : إنه متكلم ، لأن الكلام مغن عن ذلك .

ولزمه أيضًا : إسقاط السمع والبصر ، إذا[١٨] استغنى بالسميع البصير .

ولزمه أيضًا : إسقاط ما جاء به النصُّ إذا كان بعضه يغنى عن بعض .

والملك يغنى عن مليك . وأَحَدٌ يغنى عن واحد ، وجبار يغنى عن متكبر . وخالق يغنى عن البارى . وهكذا سائر الأسماء[١٩]. فلم يبق إلَّا الرجوع إلى النصوص فقط ، فإذ قد صحّ هذا يقينًا بيننا[٢٠] فلا يحل أن يسمَّى الله عزَّ وجل : القديم ، ولا الحنَّان ، ولا المنّان ، ولا الفرد ، ولا الدَّائن ، ولا الباقى ، ولا الخالد ، ولا العالم ، ولا الدانى ، ولا الرّائى ، ولا السّامع . ولا المعتلى ، ولا العالى ، ولا المتدارك ، ولا الطالب ، ولا الغالب ، ولا الضار ، ولا النافع ، ولا المدرك ، ولا المبدىء ، ولا المعبد ، ولا الناطق ، ولا المتكلم[٢١]، ولا القادر ، ولا الوارث . ولا الباعث ، ولا القاهر ، ولا الجليل ، ولا المعطى ، ولا المنعم ، ولا المحسن ، ولا الحكم . ولا الحاكم ، ولا الوهّاب[٢٢]، ولا الغفار ، ولا المضل ، ولا الهادى ، ولا العدل ، ولا الرّضىّ . ولا الصادق ، ولا المتطوّل ، ولا المتفضل ، ولا المانّ ، ولا الجيد ، ولا الحافظ ، ولا البديع ، ولا الإله ، ولا المجمل ، ولا المحيى ، ولا المميت ، ولا المنصف[٢٣]، ولا بشىء لم يسمّ به نفسه أصلًا ، وإن كان فى غاية المدح عندنا ، أو كان متصرفًا من أفعاله تعالى إلا أن نخبر به[٢٤] عنه بكل هذا الذى ذكرنا على الإضافة إلى ما نذكر ، مع الوصف حينئذ ، والإخبار عن فعله — فهذا جائز حينئذ فيجوز أن نقول : عالم الخفيات ، عالم بكل شىء ، عالم الغيب والشهادة ، غالبٌ على

(١٧) فى (أ ، ب) : (ألا يقول) .
(١٨) فى (أ ، ب) : (لأنه) بدلا من (إذا) .
(١٩) فى (أ ، ب) : (فى سائر) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (يقينا) .
(٢١) فى (أ ، ب) : سقط (ولا المتكلم) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : (الواهب) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : « المصنف » .
(٢٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) .

أمره ، غالبٌ على من طغى[٢٥]، أو نحو هذا . القادر على ما يشاء . القاهر للملوك ، وارث الأرض ومن عليها ، المعطى لكل ما بأيدينا ، الواهب لنا كلَّ ما عندنا ، المنعم على خلقه ، المحسن إلى أوليائه ، الحاكم بالحق ، المبدى لخلقه ، المعيد له ، المضل لأعدائه ، الهادى لأوليائه ، العدل فى حكمه ، الصادق فى قوله ، الراضى عمن أطاعه ، الغضبان على من عصاه ، الساخط على أعدائه ، الكاره لما نهى عنه[٢٦]، بديع السماوات والأرض ، إله الخلق ، محيى الأحياء والموتى ، ومميت الأحياء والموتى ، المنصف ممن ظلم ، بانى الدنيا وداحيها ، ومسوّيها ، ونحو هذا ، لأنّ هذا كله إخبار عن فعله تعالى ، وهذا مباح لنا بإجماع ، وهو من تعظيمه تعالى ، ومن دعائه عزَّ وجل ، وليس لنا أن نسميه إلا بنص ، وكذلك نقول : إن لله تعالى « كيدًا ، ومكرا ، وكبرياء » وليس هذا من المدح فيما بيننا ، بل هو فيما بيننا ذم ، ولا يحل أن يقال : إن لله تعالى عقلًا ، وشجاعة ، وعفة ، وذكاء ، وفهمًا ، ودهاء[٢٧]، وهذا غاية المدح فيما بيننا . فبطل أن يراعى فيما يخبر به عن الله تعالى ما هو عندنا أو ما هو ذمٌّ عندنا ، بل بما جاء[٢٨] فى النص فقط . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ومن البرهان على هذا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة غير واحد ، من أحصاها دخل الجنة »[٢٩].

فلو كانت هذه الأسماء التى منعنا منها جائز أن تطلق لكانت أسماء الله تعالى أكثر من مائة ونيف – فهذا باطل لأن قول رسول الله ﷺ : « مائة غير واحد » . مانع من أن يكون له أكثر من ذلك ، ولو جاز كان قوله عليه السلام كذبًا ، وهذا كفر ممن أجازه . وبالله تعالى التوفيق .

وقال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها »[٣٠].

---

(٢٥) ف (أ ، ب) : « كل من طغى » .
(٢٦) ف (خ) : سقط الكلام من قوله : « الراضى عمن أطاعه – إلى قوله : لما نهى عنه » .
(٢٧) ف (أ ، ب) : سقطت (وفهما ودهاء) .
(٢٨) ف (أ ، ب) : سقطت كلمة (بما جاء) .
(٢٩) سبق تحقيق هذا الحديث وتخريجه راجع ص   من هذا الجزء .
(٣٠) سورة البقرة : ٣١ .

فأسماؤه بلا شك كما هى داخلة فيما علمه آدم ، وتخصيص كلامه عليه السلام لا يحل ، فإذ ذلك كذلك فمن الذى اشتقها من الصفات .. ؟

فإن قالوا : هو اشتقها .

كذبوا على الله تعالى جهارًا ، إذ أخبروا عنه بما لم يخبر به تعالى عن نفسه وهذا عظيم نعوذ بالله منه ، وهذه كلها براهين كافية لمن عقل . وبالله تعالى التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

« الكلام فى الوجه ، واليد ، والعين ، والقدم ، والتنزل ، والعزّة ، والرحمة ، والأمر ، والنفس ، والذات ، والقوة ، والقدرة ، والأصابع[١] »

قال أبو محمد : قال الله[٢] تعالى : « ويَبْقَى وَجْهُ ربِّكَ ذو الجَلالِ والإكرام »[٣] فذهب المجسمة إلى الاحتجاج بهذا فى مذهبهم .

وقال الآخرون : وجه الله تعالى إنما يراد به : الله عزّ وجل .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق الذى قام البرهان بصحته ، لما أبطلنا[٤] من القول بالتجسيم .

وقال أبو الهذيل : وجه الله هو الله .

قال أبو محمد : وهذا لا ينبغى أن يطلق ، لأنه تسمية ، وتسمية الله تعالى لا تجوز إلَّا بنص ، ولكنا نقول : وجه الله ليس هو غير الله تعالى ، ولا نرجع منه إلى شىء سوى الله تعالى . برهان ذلك قول الله حاكيًا عن من رضى قوله : « إنَّما نطعمكم لوجه الله »[٥].

---

(١) فى (خ) : لم يذكر (الأصابع) .
(٢) فى (أ) : عز وجل .
(٣) سورة الرحمن : ٢٧ .
(٤) فى (أ ، ب) : لما قدمنا من إبطال القول .
(٥) سورة الإنسان : ٩ .

فصح يقينا : أنهم لم يقصدوا غير الله تعالى به .

وقوله عزَّ وجل : « فأيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله »(٦).

إنما معناه : فثمَّ الله تعالى بعلمه ، وقبوله لمن توجَّه إليه(٧).

وقال تعالى : « يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهم »(٨).

وقال تعالى : « لما خلقتُ بيدى »(٩).

وقال تعالى : « ممَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أنْعَاما »(١٠).

وقال : « بَلْ يَدَاه مَبْسُوطتان »(١١).

وقال رسول الله ﷺ : « المقسطون عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين »(١٢).

فذهبت المجسمة إلى ما ذكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه .

وذهبت المعتزلة : إلى أن « اليد » : النعمة . وهذا(١٣) أيضًا لا معنى له ، لأنها دعوى بلا برهان .

وقال الأشعرى : إنَّ المراد بقول الله تعالى : « أيدينا » إنما معناه « اليدان » وأن ذكر « الأعين » ، إنما معناه « عينان » . وهذا باطل مُدْخِل فى قول المجسمة . بل نقول :

إنَّ هذا إخبار عن الله عزَّ وجل ، لا يُرْجَع من ذكر اليد إلى شيءٍ سواه تعالى . ونقرُّ أن(١٤) لله تعالى – كما قال – يدًا ، ويدين ، وأيدٍ ، وعينًا ، وأعينًا كما قال عزَّ وجل : « ولِتُصنَع عَلَى عينى »(١٥).

وقال تعالى : « فإنَّكَ بأعْيُنِنَا »(١٦).

---

(٦) سورة البقرة : ١١٥ .

(٧) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « فأينما تولوا .. إلى : لمن توجه إليه » .

(٨) سورة الفتح : ١٠ .

(٩) سورة ص : ٧٥ .

(١٠) سورة يس : ٧١ .

(١١) سورة المائدة : ٦٤ .

(١٢) هذا الحديث رواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينه ، ونصه : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » ، ورواه ابن كثير فى تفسيره عند قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا حـ ٦ ص ٣٧٧ .

(١٣) فى (أ ، ب) : « وهو » بدَلا من (هذا) .

(١٤) فى (خ) : سقطت : « ونقر أن » .

(١٥) سورة طه : ٣٩ .

(١٦) سورة الطور : ٤٨ .

ولا يجوز لأحدٍ أن يصف الله تعالى : بأنَّ له عينين لأن النصَّ لم يأت بذلك ونقول : إنَّ المراد[١٧] بما ذكرنا – الله عزَّ وجل لا شيء غيره .

وقال تعالى حاكيًا عن قول قائل : يا حَسْرتا على ما فرَّطْتُ فى جنب الله »[١٨].

وهذا معناه فيما يقصد به – الله[١٩] عزَّ وجل . وفى جانب[٢٠] عبادته ، وصحَّ عن رسول الله ﷺ : « وكلتا يديه يمين ، وعن يمين الرحمن »[٢١].

فهو مثل قوله : « وَمَا مَلكتْ أيمانُكم »[٢٢]. يريد « وما ملكتم » .

ولما كانت اليمين فى لغة العرب : يراد بها الحظ للأفضل كما قال : الشَّماخ[٢٣]:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقَّاها عرابة باليمين

يريد أنه يتلقاها بالسعى الأعلى ، كان قوله : « وكلتا يديه يمين » أى كل ما يكون منه تعالى من الفضل – فهو الأعلى .

وكذلك صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ جهنم لا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه »[٢٤].

وصح أيضًا فى الحديث : « حتى يضع فيها رجلَه » .

ومعنى هذا ما قد بينه رسول الله ﷺ[٢٥] فى حديث آخر صحيح أخبر فيه أن الله تعالى بعد[٢٦] يوم القيامة يخلق خلقًا يدخلهم الجنة ، وأنه تعالى يقول للجنّة والنار ، لكل واحدةٍ منكما ملؤها »[٢٧].

---

(١٧) ق (أ) : نكل ما ذكرنا .

(١٨) سورة الزمر ٠ ٥٦ .

(١٩) ق (أ ، ب) : (إلى الله) .

(٢٠) فى (أ ، ب) : (حنب) .

(٢١) رواه مسلم فى باب الإمارة ٠ ١٨ ، والترمذى ق تفسير سوره ٥ ، ٣ ، وابن ماجه فى المقدمه : ١٣ .

(٢٢) سورة النساء : ٣٩

(٢٣) هو الشماخ بن ضرار الذبيانى ، وقد جاء هذا البيت ضمن قصيدته التى مدح بها عرابة بن أوس من بنى مالك بن الأوس ، صحابى جواد ، والقصيدة ق ديوان الشماخ رقم ١٨ ومطلعها :

كلا يَوْمِىْ طُواله وصلُ أروى ظنونٌ آن مُطرحُ الظنون

(ديوان الشماخ ٠ ٣٣٦) .

(٢٤) وقد رواه الترمذى ق حديث طويل فى باب صفة أهل الجنة وأهل النار وفيه : « ويبقى أهل النار فيطرح فيها منهم فوج فيقال : هل امتلأت ؟ فنقول : هل من مزيد ؟ حتى إدا أوعبوا فيها ، وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض » (سنن الترمذى حـ ٤ ص ٩٦ باب صفة أهل الجنة وأهل النار) ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٢٥) فى (خ) : « سقط الكلام من قوله : « وصح عن رسول الله ﷺ : وكلتا يديه يمين إلى قوله : « ما قد بينه رسول الله ﷺ » .

(٢٦) ق (أ) : لم تذكر كلمة (بعد) .

(٢٧) رواه البخارى ق تفسير سورة « ق » ، وق باب التوحيد رقم ٢٥ ، ورواه مسلم فى باب حنة ٣٤ ، ٣٥ .

فمعنى القدم فى الحديث المذكور : إنما هو كما قال تعالى : « أنّ لَهم قدم صِدْق عند ربهم »[٢٨].

يريد سالف صدق ، فمعناه الأمة التى تقدم فى علمه تعالى أنه يملأ بها جهنم ، ومعنى « رجله » مثل[٢٩] ذلك ، لأن « الرجل » : الجماعةُ فى اللغة أى يضع فيها الجماعةَ التى سبق فى علمه أنه يملأ جهنم بها .

وكذلك الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال : إنَّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله تعالى »[٣٠].

أى بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عزَّ وجل ونعمه ، إمَّا كفاية تسرُّه ، وإمّا بلاء يأجره عليه . والإصبع فى اللغة : النعمة . وقلب كل أحدٍ بين توفيق الله وجلاله ، وكلاهما حكمة . وأخبر عليه السلام : أنَّ الله تعالى يبدو للمؤمنين يوم القيامة فى غير الصورة التى عرفوه[٣١] عليها[٣٢]» .

وهذا ظاهر بيّن ، وهو أنّهم يرون صورة الحال من الهول ، والمخافة غير الذى[٣٣] كانوا يظنون فى الدنيا .

وبرهان صحة هذا القول : قوله عليه السلام فى الحديث المذكور غير الذى عرفتموه بها . وبالضرورة نعلم أننا لا نعلم لله عزَّ وجل فى الدنيا صورة أصلًا فصحَّ ما ذكرنا[٣٤] يقينًا . وكذلك القول فى الحديث الثابت : « خلق الله آدم على صورته »[٣٥] فهذه إضافة ملك ، يريد الصورة التى تخيرها الله عزَّ وجل ليكون آدم مصورًا عليها . وكلّ فاضلٍ فى طبقته ، فإنه ينسب إلى الله عزَّ وجل ، ويضاف[٣٦] إليه . كما نقول بيت الله عزَّ وجل عن الكعبة . والبيوت كلها بيوت الله . ولكن

---

(٢٨) سورة يونس : ٢ .

(٢٩) فى (أ ، ب) : نحو ذلك .

(٣٠) روى مسلم هذا الحديث بسنده عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » . (راجع مسلم ٢٦٥٤ فى القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب) وأخرجه الترمذى رقم ٢١٤١ فى القدر ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(٣١) فى (أ ، ب) : (عرفوها) .

(٣٢) روى هذا الجزء من الحديث فى البخارى ومسلم فى حديث طويل فيه : « فيأتيهم الله عز وجل فى غير الصورة التى كانوا يعرفون » مسلم رقم ١٨٢ فى الإيمان . باب معرفة طريق الرؤية ، والترمذى فى صفة الجنة رقم ٢٥٦٠ .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (عير التى يظنون) .

(٣٤) فى (أ ، ب) : (ما ذكرناه) .

(٣٥) النص : « فإن الله خلق آدم على صورته » كما جاء فى مسند أحمد بن حنبل الباب الثانى ٣٤٤ ، ورواه البخارى حـ ١١ / ٢ ، ٣ فى الاستئذان باب بدء السلام ، وفى الأنبياء باب خلق آدم صلواتُ الله عليه وذريته ، ومسلم رقم ٢٨٤١ باب يدخل الجنة أقوام وأفئدتهم مثل أفئدة الطير » .

(٣٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله (ويضاف إليه) .

لا يطلق على شيء منها هذا الاسم ، كما يطلق على المسجد الحرام وكما نقول فى جبريل وعيسى عليهما السلام « روح الله » والأرواح كلها لله تعالى ، ملك له ، وكما نقول[٣٧] فى ناقة صالح عليه السلام : « ناقة الله » . والنوق كلُّها لله تعالى . فعلى هذا المعنى قيل : على صورة الرحمن . والصور كلها لله ، وهى ملك له ، وخلق له ، وقد رأيت لابن فورك ، وغيره من الأشعرية فى الكلام فى هذا الحديث أنهم قالوا فى معنى قوله عليه السلام : « إنَّ الله خلق آدم على صورته » إنما هو على صفة الرحمن من الحياة ، والعلم والاقتدار ، واجتماع صفات الكمال فيه ، وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه ، وجعل له الأمر والنهى على ذرِّيته كما كان لله ذلك .

قال أبو محمد : هذا نص كلام أبى جعفر السمنانى[٣٨] قاضى الموصل الضرير[٣٩] عن شيوخه حرفًا حرفًا ، وهذا كفر مجرد لا مرية فيه ، لأنَّه سوَّى بين الله عزَّ وجل وبين[٤٠] آدم فى الحياة ، والعلم ، والاقتدار ، واجتماع صفات الكمال فيهما والله يقول : « ليس كمثله شيء » . ثم لم يقنعوا بهذا حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله تعالى . ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام ، فى أنَّ سجودهم لله تعالى سجود عبادة ، ولآدم سجود تحية وإكرام .

ومن قال : إن الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عزَّ وجل فقد أشرك ، ثم زاد فى الأمر والنهى لآدم على ذريته كما هو لله عزَّ وجل ، وهذا شرك لا خفاء به . ولو أردنا[٤١] أن نعرف ما هى صفات الكمال ، التى ذكر هذا الإنسان أنها اجتمعت فى آدم كما اجتمعت فى الله عزَّ وجل ؟ إن هذا الإلحاد والاستخفاف بالله تعالى ، لا ندرى كيف تكلم ، وأنطق لسانه من يعرف أن الله تعالى لم يكن له كفوًا أحد .. ؟ ووالله إن صفات الكمال فى الملائكة لأكثر منها فى آدم ، وإنَّ صفات الاثنين التى شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجن ، ولا فرق بين الحياة والعلم والقوَّة والتناسل ، وغير ذلك ، فالكل على هذا على صورة الله تعالى .

هذا القول الملعونُ قائله . ونعوذ بالله من الضلال ، وكذلك ما صحَّ عن النبى ﷺ : عن يوم القيامة : « إن الله عزَّ وجل يكشف عن ساق ، فيخرون سجَّدا »[٤٢].

فهو كما قال عزَّ وجل : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود »[٤٣].

---

(٣٧) فى (أ ، ب) : « وكالقول » .
(٣٨) فى (أ ، ب) : « السمعانى » بالعين ، وقد ترجمنا له فى ص .
(٣٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قاضى الموصل الضرير) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة : (وبين) .
(٤١) فى (أ ، ب) : (ولوددنا) .
(٤٢) أخرجه البخارى فى تفسير سورة « ن » باب « يوم يكشف عن ساق » . وفى تفسير سورة النساء ، وفى التوحيد ، باب : وجوه يومئذ ناضرة » ، ورواية مسلم المطولة أخرجها فى صحيحه رقم ١٨٣ فى الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية ، وكذلك أحمد فى مسنده حـ ٣ : ١٦ ، ١٧ ، وقد ورد فى رواية البخارى : « يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة » .
(٤٣) سورة القلم : ٤٢ .

وإنما هذا[٤٤] إخبار عن شدة الأمر ، وهول[٤٥] الموقف ، كما يقال : « قد شمَّرت الحرب عن ساقها » .

قال جرير[٤٦]:

ألا رُبَّ سامى الطَّرْفِ من آلِ مازِنٍ   إذا شمَّرت عَنْ ساقها الحربُ شمّرا

والعجب ممن ينكر هذه الأخبار الصحاح ، وإنما جاءت بما جاء به القرآن نصّا ، ولكن من ضاق علمه أنكر ما لا علم له به ، وقد عاب الله هذا فقال :

« بل كذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بِعلْمه ، ولمّا يأتِهم تأْوِيلُه »[٤٧].

واختلف الناس فى الأمر ، والرَّحمة ، والعزَّة .

فقال قوم : هى صفات ذات لم تزل .

وقال آخرون : لم يزل الله تعالى : هو[٤٨] الله العزيز ، الحكيم[٤٩]، بذاته .

وأمّا الرَّحمة ، والأمر : فمخلوقان .

قال أبو محمد : والرجوع عند الاختلاف إنما هو إلى القرآن ، وكلام الرسول ﷺ . قال تعالى : « فإن تَنَازَعْتُم فى شَىْءٍ فردُّوه إلى الله والرَّسُولِ ، إن كُنْتُم تُؤْمِنُونَ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ »[٥٠].

ففعلنا فوجدنا الله تعالى يقول : « وكان أَمْرُ الله مَفْعُولًا »[٥١].

والمفعول مخلوق بلا شك[٥٢].

وقال الله عزَّ وجل : « والله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه »[٥٣].

---

(٤٤) فى (أ) : (هو) بدلا من (هذا) .

(٤٥) فى (أ) : (هو) بدلًا من (هول) وهو تحريف .

(٤٦) جرير : هو ابن عطية بن حذيفة من بنى كليب بن يربوع ، مات باليمامة وعمره نيفا وثمانين سنة ، وكنيه : أبو حررة ، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين ، ويشبه من شعراء الجاهلية الأعشى ، كان من أشد الناس هجاء . وهذا البيت من قصيدة مدح بها هلال بن أحوز المازنى ، وافتخر بأبناء اسماعيل ، وهجا الفرزدق . وقد ورد هذا البيت محرفا فى النسخ المطبوعة راجع الديوان : ص ٤٦٩ - تحقيق د / نعمان محمد طه - دار المعارف بمصر) .

(٤٧) سورة يونس : ٣٩ .

(٤٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هو) .

(٤٩) وفى (خ) : لم يذكر (الحكيم) .

(٥٠) سورة النساء : ٥٩ .

(٥١) سورة النساء : ٤٧ .

(٥٢) فى (أ ، ب) : (بلا خلاف) .

(٥٣) سورة يوسف : ٢١ .

وبلا شك فى أن المغلوب عليه مخلوق ، وأنه غير الغالب عليه .

وقال تعالى : « لا تَدْرِى لعل اللهالله يُحْدِثُ بعد ذلكَ أمرًا »(٥٤).

وهذا بيان جلى ، لا إشكال فيه على أنَّ الأمر محدثٌ .

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يُحدِثُ من أمره ما يشاء »(٥٥)

فصح بيقين أن أمر الله تعالى محدث مخلوق .

فقالت الأشعرية : لم يزل الله تعالى آمرًا لكل من أمره بما يأمره به إذا وُجد .

قال أبو محمد : وهذا باطل متيقن ، لأنه لو كان ذلك كذلك لكان الله عزَّ وجل لم يزل آمرًا لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ، لم يزل آمرًا لنا بألّا نصلى إلى بيت المقدس لكن إلى الكعبة ، فيكون آمرًا بالفعل للشىء والترك له معًا . وهذا تخليط جلَّ عنه الله .

وأيضًا : فإنه يلزمهم فى نهى الله تعالى عما نهى عنه : أنّه لم يزل ، لأنه لا فرق بين أمره تعالى وبين نهيه .

فإن قالوا : بل نهيه محدث ، وأمره قديم .

قلنا لهم : ما قولكم فيما انعكس عليكم .

فقال : بل نهيه لم يزل ، وأما أمره فمحدث .

وكلا القولين تخليط .

وأيضًا : فإنهم مُقَرُّون بأن القديم لا يتغير ولا يبطل ، وقد صحَّ أمره لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ، ثم قد بطل الأمر بذلك ، وعُدم وانقطع ، فلو كان أمره تعالى لم يزل لوجب ألا يبطل ولا يعدم ، وهذا كفر مجردٌ ممن أجازه .

وإن قالوا : إنَّ أمره تعالى لنا بالصلاة إلى بيت المقدس باق أبدًا لم يسقط ولا نسخ ، ولا بطل ، ولا أحاله بأمر آخر - كفروا بلا خلاف .

---

(٥٤) سورة الطلاق : ١ .

(٥٥) فى (أ ، ب) : « ما شاء » . ورواه البخارى فى باب (توحيد) : ٤٣ ، والنسائى فى باب (سهو) : ٢٠ .

والذى يدخل على هذا القول الفاسد أكثر من هذا ، قوله[٥٦] تعالى : « قُل الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّى »[٥٧].

فلو كان الأمر غير مخلوق ، ولم يزل لكان الروح كذلك لأنه منه ، ومعاذ الله من هذا ، ولا خلاف بين المسلمين فى أنَّ أرواحهم مخلوقة ، وكيف لا يكون كذلك وهى معذَّبة فى النار ، أو منعمة فى الجنة . وقال تعالى : « يَوْمَ يقومُ الرُّوحُ والملائكة صفًّا ، لا يتكلّمون إلَّا مَنْ أَذِنَ له الرَّحْمنُ وقال صَوَابا »[٥٨].

وصحَّ عن رسول الله ﷺ : « سبُّوح ، قدُّوسٌ ، ربُّ الملائكة والرّوح[٥٩]» .

قال أبو محمد : والمربوب مخلوق ، بلا شك ، فإن اعترض معترض بقول الله عزَّ وجل : « أَلَا لَهُ الخلقُ والأَمْر[٦٠]» .

ورام بهذا إثبات أن الخلق غير الأمر ، فلا حجة له فى هذا لأنَّ الله عزَّ وجل قال : « يأيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غرَّكَ بِربّكَ الكَرِيمِ ، الَّذِى خَلقَكَ فسوّاكَ فعدَلك فى أىِّ صُورَةٍ ما شَاءَ ركَّبَكَ[٦١]» .

فقد فرَّق الله تعالى فى هذه الآية بين الخلق والتسوية ، والتعديل والتصوير ولا خلاف فى أنَّ كلّ ذلك خلق الله عزَّ وجل ، مخلوق[٦٢].

وقال تعالى : « خَلَقكُمْ ، ثم رَزَقكم ، ثم يُمِيتُكم ، ثم يُحْيِيكُم[٦٣]» .

فعطف تعالى الرزق ، والإماتة ، والإحياء على الخلق بلفظة « ثم » . فلو كان عطف الأمْر على الخلق دليلًا على أنَّ الأمر غير الخلق لوجب ولابدَّ أن يكون الرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والتصوير ، كلها غير الخلق ، وغير مخلوقات ، وهذا لا يقوله مسلم ، فبطل استدلالهم على أنَّ الأمر غير مخلوق لعطفه على الخلق . وقد عطف تعالى : جبريل على الملائكة ، فليس العطف على الشيء مخرجًا له عنه إذا قام برهان على أنه داخل فيه . وقد قام برهان النصِّ بأنَّ أمر الله تعالى مخلوق ، وأنه قدر مقدور ، مفعول .

---

(٥٦) فى الأصل « وقاَل تعالى » .
(٥٧) الاسراء : ٨٥ .
(٥٨) سورة النبأ : ٣٨ .
(٥٩) رواه أبو داود فى الصلاة : ١٤٧ ، والنسائى فى التطبية ١٠ ، ٧٥ ، وأحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٦ / ٥٣ ، ٩٤ .
(٦٠) سورة الأعراف : ٥٤ .
(٦١) سورة الانفطار : ٨ .
(٦٢) فى (أ) : « خلق مخلوق » .
(٦٣) سورة الروم : ٤٠ .

وأما إذا لم يأت برهان يدخل المعطوف فى المعطوف عليه فهو غيره بلا شك – هذا حكم اللغة وبالله تعالى التوفيق[٦٤].

وأمّا العِزَّة فقد قال الله تعالى : « سبحان ربِّك ربِّ العِزّةِ عمَّا يَصِفون[٦٥] » .

قال أبو محمد : والمربوب مخلوق بلا شك ، وليس قوله تعالى : « فَلِلَّه العِزَّة جَميعًا[٦٦] » .

بموجب أنَّ العِزَّة لم تزل ، لأنه تعالى قال : « فَلِلَّه المَكْرُ جميعًا[٦٧] » .

وقال تعالى : « قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جميعًا[٦٨] » .

وليس هذان النصّان بلا خلاف موجبين أنَّ الشفاعة غير مخلوقة[٦٩]، إلّا أن هاهنا عِزَّة ليس غير الله تعالى ، فهى غير مخلوقة ، وهى التى صحَّ عن النبى ﷺ : أنَّ جبريل عليه السلام حلف بها فقال : « وعزتك » فى حديث خلق الجنة والنَّار[٧٠].

قال أبو محمد : ومن الباطل أن يحلف جبريل بغير الله عزَّ وجل .

وأمّا الرحمة : فقد قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله خلق مائة رحمة ، فقسم فى عباده رحمة واحدة فبها يتراحمون ، ورفع التسع والتسعين ليوم القيامة يرحم بها عباده[٧١] » أو كما قال عليه السلام .

وهذا رفع للإشكال جملة ، فى أنَّ الرحمة مخلوقة ، ولا خلاف بين أحد من الأمة فى أن إدخال الله تعالى[٧٢] الجنة من أدخله فيها برحمته ، وأن بعثه[٧٣] محمدًا ﷺ رحمة لمن آمن به ، وكل ذلك مخلوق بلا شك .

---

(٦٤) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وأما إذا لم يأت برهان إلى قوله : التوفيق » .
(٦٥) سورة الصافات : ١٨٠ .
(٦٦) سورة فاطر : ١٠ .
(٦٧) سورة الرعد : ٤٢ .
(٦٨) سورة الزمر : ٤٤ .
(٦٩) فى (أ) : غير مخلوق .
(٧٠) رواه أبو داود فى باب السنة : ٢٥ باب خلق الجنة والنار ، ونصه عن أبى هريرة أن رسول الله قال : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال أىْ ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد إلّا دخلها ثم حفها بالمكاره ، ثم قال يا جبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ . (سنن أبى داود : ٥ / ٢٥) .
(٧١) وقد روى هذا الحديث عدة روايات ، وأقرب هذه الرواية ما رواه مسلم ونصه : « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة » رواه البخارى ١٠ / ٣٦٢ فى باب الأدب ، وفى الرقاق : باب الرجاء مع الخوف ومسلم رقم ٢٧٥٢ فى التوبة – باب سعة رحمة الله تعالى ، والترمذى رقم ٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦ فى الدعوات .
(٧٢) فى (أ) : « عز وجل » .
(٧٣) فى (أ) : « بعثته » .

وأما القدرة ، والقوة . فقد قال عزَّ وجل : « أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً[٧٤] » .

وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمزانى ، حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخى ، حدثنا الفربرى[٧٥]، حدثنا محمد[٧٦] بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم[٧٧] بن المنذر حدثنا معن[٧٨] بن عيسى ، حدثنا عبد الرحمن[٧٩] بن أبى الموال . سمعت محمد بن المنكدر[٨٠]، يحدث عبد الله بن الحسن[٨١]، قال : أخبرنى جابر[٨٢] بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ ، يعلم أصحابه الاستخارة ، فذكر الحديث وفيه : « اللهم إنّى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك[٨٣] » .

قال أبو محمد : والقول فى القدرة ، والقوّة ، كالقول فى العلم سواء بسواء فى اختلاف الناس على تلك الأقوال ، وتلك الحجج ولا فرق ، وقولنا فى هذا هو ما قلناه هنالك من أنَّ القدرة ،

(٧٤) سورة فصلت : ١٥ .

(٧٥) الفربرى : هو محمد بن يوسف راوية صحيح البخارى ، قال النووى : روينا عن الفربرى أنه قال : سمع الصحيح من البخارى سبعون ألف رجل فما بقى أحد يرويه غيرى ، ونسبته إلى فِرَبْر بكسر الفاء وسكون الباء : قرية ببخارى . (ميزان الاعتدال) . وله سنة ٢٣١ . وتوفى سنة ٣٢٠ هـ .

(٧٦) راجع ص

(٧٧) هو : إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام بن حويلد بن أسد الأسدى الحزامى ، قال عثمان الدرامى : رأيت ابن معين كتب عن إبراهيم بن المنذر أحاديث ظنتها المغازى . وقال بعض : هو أعرف بالحديث من إبراهيم بن حمزة إلّا أنه خلط فى القرآن ، فلم يردَّ عليه أحمد السلام . قال الخطيب : أما المناكير فقلما توجد فى حديثه إلا أن يكون عن المجهولين . ومع هذا فإن يحيى بن معين وغيره من الحفاظ كانوا يرضونه ويوثقونه . قال يعقوب بن سفيان : مات سنة ٢٣٦ هـ فى المحرم . صدر من الحج فمات فى المدينة وقال بعض : مات سنة ٢٣٥ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر . طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ص ١٦٦) .

(٧٨) معن بن عيسى : هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعى مولاهم القزاز المدنى روى عن مالك وإبراهيم بن طحان ، وعنه ابنه معين ، وأبو بكر بن أبى شيبه ، وخلق قال أبو حاتم : أثبت أصحاب مالك وأوثقهم : معن بن عيسى . وقال ابن سعيد : كان ثقة كثير الحديث ثبتا مأمونا . (طبقات الحفاظ : للسيوطى ص ٢٠٤) . مات بالمدينة سنة ١٩٨ هـ .

(٧٩) عبد الرحمن بن أبى الموال . هو : زيد ، وقيل : عبد الرحمن بن زيد بن أبى موال أبو محمد مولى آل على روى عن محمد بن كعب القرظى ، ومحمد بن المنكود الزهرى ، وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى وفائد مولى عبادل ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، والحسين بن على بن الحسين ، وأبى جعفر الباقر - وعنه : الثورى وهو من أقرانه ، وخالد بن مخلد وعبد العزيز بن عبد الله الأوسى ، ويحيى بن حسان ، ومطرف بن عبد الله . قال أبو طالب عن أحمد كان يروى حديثا منكرا عن ابن المنكدر عن جابر فى الاستخارة ، ليس أحد يرويه غيره . (تهذيب التهذيب : ٦ / ٢٨٢) .

(٨٠) محمد بن المنكدر : هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَير (بالتصغير) بن عبد العزّى القرشى التيمى (من بنى تيم بن مرة) المدنى ، زاهد من رجال الحديث ، من أهل المدينة ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . له نحو مائتى حديث . قال ابن عيينه : ابن المنكدر من معادن الصدق قيل توفى سنة ١٣٠ هـ وقيل سنة ١٣١ هـ . (الأعلام ٧ / ٣٣٣) .

(٨١) عبد الله بن الحسن : هو ابن الحسن بن على أبى طالب الهاشمى القرشى ، أبو محمد ، تابعى من أهل المدينة ، قال الطبرى : كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار فأعطاه ألف ألف درهم ، وعاد إلى المدينة ، ثم حبسه بها المنصور عدة سنوات ، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم ، ونقله إلى الكوفة ، فمات سجينا فيها ، كما حققه الخطيب البغدادى سنة ١٤٥ هـ . (الأعلام ٤ / ٢٠٧) .

(٨٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى : صحابى من المكثرين فى الرواية عن النبى ﷺ . وروى عنه جماعة من الصحابة ، له ولأبيه صحبة غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى أواخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى ، يؤخذ عنه العلم روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا . توفى سنة ٧٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ٩٢) .

(٨٣) روى هذا الحديث فى سنن ابن ماجه ، باب ما جاء فى صلاة الاستخارة رقم ١٨٨ ، ورقم الحديث ١٢٨٣ وقد رواه الترمذى أيضًا فى باب الوتر : ١٨ ، والبخارى فى التهجد : ٣٥ ، والدعوات : ٤٩ والتوحيد : ١٠ .

والقوَّة حق لله تعالى ، وليستا غير الله تعالى ، ولا يقال هما الله تعالى . وقال تعالى : « كَتَبَ عَلَى نفسه الرَّحمة[٨٤]» وقال تعالى : « ويُحَذِّرُكُم الله نَفْسَه[٨٥]» .

فنفس الله تعالى إخباره عنه لا عن شىء غيره أصلًا ، فإن ذكر ذاكر قول الله عزَّ وجل ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه يقول لربه تعالى : « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فى نَفْسِكَ إنَّكَ أنت علَّامُ الغُيوب[٨٦]» قلنا هذا على ظاهره ، وعلى الحقيقة لأن كل غيب فهو معلوم فى علم الله تعالى العليم بكل شىء فجرى الكلام على ما يتخاطب به الناس مما لا يتوصلون إلى العبارة عما يريدون إلا به ، وهذا معهود من القول ، أن يقول القائل نفس الشىء وحقيقته يراد بذلك الشىء لا ما سواه ، وكذلك القول فى الذات ولا فرق ، فقوله عليه السلام : « ولا أعلم ما فى نفسك » . إنما معناه بلا شك : ولا أعلم ما عندك ، وما فى علمك . وصح عن رسول الله ﷺ : أنه أخبر أن الله تعالى يتنزل فى كل ليلة إذا بقى ثلث الليل إلى السماء الدنيا[٨٧]» .

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فعل يفعله الله عزَّ وجل فى سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء ، وأنَّ تلك الساعة من مظانّ القبول والإجابة ، والمغفرة للمستغفرين ، والتائبين ، وهذا معهود فى اللغة . تقول نزل[٨٨] فلان عن حقه بمعنى وهبه لى وتطول به على . ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علّق التنزل المذكور بوقت محدود فصح أنه فعل محدث فى ذلك الوقت ، مفعول حينئذ . وقد علمنا أنَّ ما لم ينزل[٨٩] فليس متعلقًا بزمان ألبتة . وقد بيَّن رسول الله ﷺ فى بعض ألفاظ الحديث المذكور – ما ذلك الفعل المذكور – وهو أنَّه ذكر عليه السلام : أن الله عزَّ وجل يأمر ملكًا ينادى فى ذلك الوقت بذلك . وأيضًا فإن ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب ، يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه ، فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى فى ذلك لأهل كل أفق .

وأمَّا من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله ، فى إبطال القول بالجسم بعون الله وتأييده . ولو انتقل تعالى لكان محدودًا ، مخلوقًا ، مؤلفًا ، شاغلًا لمكان ، وهذه صفة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

---

(٨٤) سورة الأنعام : ١٢ .

(٨٥) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٨٦) المائدة : ١١٦ .

(٨٧) وقد روى هذا الحديث بروايات متعددة ، وأقرب الروايات إلى ما رواه ابن حزم هى رواية مسلم : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول من يدعونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرلى فأغفر له . ٢٤ باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل ، والإجابة فيه ، ورقم الحديث ٧٥٨ ورواه أيضًا البخارى فى التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، وأخرجه ابن ماجه باب : ما جاء فى أى ساعات الليل أفضل .

(٨٨) فى (خ) : « تنزل» .

(٨٩) فى (أ ، ب) : (ما لم يزل) وهو تحريف .

وقد حمد الله عزَّ وجل لإبراهيم(٩٠) خليله ، ورسوله ، وعبده ﷺ ، إذْ بيَّن لقومه بنقلة القمر أنه ليس ربًّا . قال تعالى : « فلمَّا أَفَلَ قال : لا أُحِبُّ الآفلين(٩١) » .

وكل منتقل عن مكان فهو آفل عنه . تعالى الله عن هذا . وكذلك القول فى قوله تعالى : « وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صفًّا صفًّا(٩٢) » .

وقوله تعالى : « هَلْ ينظرونَ إلا أن يأتيهم الله فى ظُلَلٍ مِن الغَمَامِ والملائكةُ وقُضِىَ الأَمْرُ(٩٣) » .

فهذا كله على ما بينا من أن المجىء والإتيان ، يوم القيامة فعل يفعله الله عزَّ وجل فى ذلك اليوم ، يسمَّى ذلك الفعل مجيئًا وإتيانًا ، وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : « وَجَاءَ رَبُّكَ » إنما معناه : وجاء أمر ربك .

قال أبو محمد : لا تعقل الصفة(٩٤) والصفات فى اللغة التى بها نزل القرآن وفى سائر اللغات ، وفى وجود العقل ، وضرورة الحسّ ، إلا أعراضاً محمولة فى الموصوف(٩٥) بها ، فإذا جوَّزوها غير أعراض بخلاف المعهود فقد تحكَّموا بلا دليل إذْ إنما صاروا(٩٦) إلى مثل هذا فيما ورد به النص ، ولم يرد قط نصٌّ بلفظ الصفات ، ولا بلفظ الصفة ، فمن المحال أن يؤتى بلفظ لا نصَّ فيه يعبَّر به عن خلاف المعهود . وقال تعالى : « لِلَّذِين لَا يُؤْمِنونَ بالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ولله المثَلُ الأَعْلَى ، وهو العزيزُ الحكيم(٩٧) » .

ثم قال تعالى : « فَلَا تَضْرِبُوا لله ٱلْأَمْثَالَ إنَّ الله يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٩٨) » . فلو ذكروا الأمثال مكان الصفات لِذِكْرِ الله تعالى لفظة المثل لكان أولى . ثم قد بيَّن الله تعالى غاية البيان بأن قال : « فلا تضربوا لله الأمثال » .

وقد أخبر تعالى : بأن له المثل الأعلى ، فصحَّ ضرورة أنه لا يضرب له مثل إلا ما أخبر به تعالى فقط ، ولا يحل أن يزاد على ذلك شىءٌ أصلًا . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٩٠) فى (أ) : « إبراهيم » .
(٩١) سورة الأنعام : ٧٦ .
(٩٢) سورة الفجر : ٢٢ .
(٩٣) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٩٤) فى (خ) : لم تذكر كلمة (الصفة) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : فى الموصوفين .
(٩٦) فى (أ ، ب) : « يصار » .
(٩٧) سورة النحل : ٦٠ .
(٩٨) سورة النحل : ٧٤ .

« الكلام فى الماهيَّة[١] »

قال أبو محمد : ذهبت طوائف من المعتزلة إلى أنَّ الله تعالى لا ماهية له وذهب أهل السنة ، وضرار بن عمرو إلى أنَّ لله تعالى ماهية قال ضرار : لا يعلمها غيره .

قال أبو محمد : والذى نقول به . وبالله تعالى التوفيق : أن له تعالى ماهية ، وهى أَنِيَّتُه نفسها ، وأنه لا جواب لمن سأل : ما هو البارى .. ؟

إلا ما أجاب به موسى عليه السلام إذ سأله فرعون : وما ربُّ العالمين ؟

ونقول : إنه لا جواب هاهنا إلَّا فى علم الله تعالى ، ولا عندنا إلَّا ما أجاب به موسى عليه السلام لأنَّ الله تعالى حمد ذلك منه ، وصدَّقه[٢] فيه . ولو لم يكن جوابًا صحيحًا تامًا لا نقص فيه لما حمده الله .

واحتجَّ من أنكر الماهية بأن قال : لا تخلو الماهية من أن تكون هى الله عزَّ وجل ، أو تكون غيره ، فإن كانت غيره ، والماهية لم تزل ، فلم يزل مع الله تعالى غيره ، وهذا كفر[٣].

وإن كانت هى[٤] هو ، وكنا لا نعلمها ، فقد صرنا لا نعلم الله عزَّ وجل ، وهذا إقرار بأننا نجهله ، والجهل بالله تعالى كفر به .

---

(١) فى (أ) : « المائية » بالهمزة وهو تحريف شنيع ، ومن العجب أن هذا التحريف تكرر فى هذا الفصل كثيرًا .
(٢) فى (خ ، ب) : وصدّق فيه .
(٣) فى (أ ، ب) : « شرك وكفر » .
(٤) فى (أ ، ب) : « هو وهى » .

وقالوا : لو أمكن أن تكون له ماهية لكانت له كيفية .

قال أبو محمد : وهذا من جهلهم بحدود الكلام ، ومواقع الأسماء على المسمّيات . وماهية[٥] الشيء إنما هى الجواب فى سؤال السائل بما هو . وهذا سؤال عن حقيقة الشيء وذاته ، فمن أبطل الماهية فقد أبطل حقيقة الشيء المسئول عنه بما هو ؟ لكن أول مراتب الإثبات فيما بيَّنا هى الأنية ، وهى إثبات وجود الشيء فقط ، وهذا أمر قد علمناه وأحطنا به ، ولا يتبعض العلم بذلك فيعلم بعضه ، ويجهل بعضه بل[٦] يتلو الأنية ، التى هى جواب السائل بهل فيما بيَّنا[٧] السؤال بما هو .. ؟ .

وأمَّا البارى عزَّ وجل فالسؤال عنه بما هو .. ؟ هو السؤال بهل ، وهو والجواب فى كليهما واحد . فنقول : هو حق واحد ، أحد[٨]، أوَّل ، لا يشبهه شىء من خلقه . وإنما اختلفت الأنية ، والماهية فى غير الله تعالى لاختلاف الأعراض فى المسئول عنه ، وليس الله تعالى كذلك ، ولا هو حامل أعراضًا أصلًا . هاهنا نقف ، ولا نعلم أكثر ، ولا هاهنا أيضًا شىءٌ غير هذا إلَّا ما علَّمنا ربنا تعالى من سائر أسمائه ، كالعليم والقدير ، والمؤمن ، والمهيمن ، وسائر أسمائه . وقد أخبر تعالى على لسان نبيه ﷺ : « أن له تسعة وتسعين اسمًا ، مائة غير واحد[٩]» .

وقال تعالى : « ولَا يُحِيطون به علما[١٠]» .

قال أبو محمد : وهذا كلام صحيح على ظاهره ، إذ كل ما أحاط به العلم فهو متناهٍ محدود وهذا منفى عن الله عزَّ وجل ، وواجب فى غيره لوقوع العدد المحاط به فى أعراض كل ما دونه تعالى ، ولا يحاط بما لا حدود له ، ولا عدد له ، فصحَّ يقينًا أننا نعلم الله عزَّ وجلَّ حقًا ، ولا نحيط به علمًا ، كما قال تعالى .

قال أبو محمد : فالأنّية فى الله تعالى هى الماهية التى أنكرها أهل الجهل بحقائق القرآن[١١] والسنن . نحمد الله عزَّ وجل على ما منَّ به علينا من تيسيرنا لاتباع كلامه[١٢]، وتدبّره وطلب سنن نبينا محمد ﷺ والوقوف عندهما ، ومعرفتنا بأنَّ العقل لا يحكم به على خالقه ، لكن نفهم به أوامره تعالى ، نميز به حقائق ما خلق فقط ، وما توفيقنا إلَّا بالله .

(٥) فى (أ ، ب) : « إذْ ماهية » .
(٦) فى (أ) : « ثم » بدلا من (بل) .
(٧) فى (أ) : « بيّننا » .
(٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أحد) .
(٩) ورد هذا الحديث فى البخارى فى باب التوحيد : ١٢ ، وفى الدعوات : ٦٩ . وجاء فى مسلم فى باب الذكر : ٥ ، ٦ وجاء فى الترمذى فى باب الدعوات : ٨٣ ، وفى ابن ماجه فى الدعاء : ١٠
(١٠) سورة طه : ١١٠ .
(١١) فى (أ ، ب) : « بحاتق الأمور وبالقرآن » .
(١٢) فى (أ ، ب) : (كتابه) .

وأما قولهم : لو كانت له ماهية لكانت له كيفية ، فكلام قوم جهالٍ بالحقائق ، وقد بيَّنا وبان لكل ذى عقل أنَّ السؤال بما هو الشىء ؟ غير السؤال بكيف هو الشىء ؟ وأن المسئول عنه بأحدى اللفظتين المذكورتين ، غير المسئول عنه بالأخرى . وأن الجواب عن إحداهما غير الجواب عن الأخرى .

وبيان ذلك : أن السؤال بما هو الشىء[١٣].. ؟ إنما هو سؤال عن ذاته واسمه . وأن السؤال بكيف .. ؟ إنما هو سؤال عن حاله وأعراضه . وهذا لا يجوز أن يوصف به البارى تعالى ، فلاح الفرق ظاهراً . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٣) فى (أ ، ب) · لم يذكر كلمة (الشىء) .

« الكلامُ فِي السُّخْطِ ، والرِّضَا ، وَالعَدْلِ ، والصِّدْقِ ، والمُلْكِ والخَلْقِ والجُودِ ، والإرادةِ ، والسَّخاء ، والكرم ، وما يُخبِر عَنُه تعالى بالقُدرةِ عليه ، وكيفَ يَصحّ السؤالَ فى ذلك كلّه .. ؟

قال أبو محمد : نقول : لم يزل الله تعالى عالمًا بأنه سيسخط على الكفار ، وسيرضى على المؤمنين ، وسيعذّب بالنّار من عصاه ، وسيُنَعّم بالجنة من أطاعه ، وسيعدل إذا حكم ، وسيصدق إذا أخبر ، ولم يزل عالمًا بأنه سيخلق ما يخلق ، وأنه رب ما يخلق من العالمين ، ومالك كل شيء ، ويوم الدِّين ، وأن له ملك كل ما يخلق ، لأن كل ما ذكرنا يقتضى وجود كلٍّ ما علق به ، وكلُّ ما علق به محدث لم يكن ثم كان . ولم يزل تعالى عليمًا بكل ذلك ، وأنه سيكون كل ما يكون على ما هو كائن عليه إذا كوَّنه . وأمَّا الإرادة فقد أثبتها قوم من صفات الذَّات وقالوا : لم تزل الإرادة ، ولم يزل الله تعالى .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لبرهانين ضروريين .

أحدهما : أنَّ الله تعالى لم ينص على أنه مريد ، ولا على أن له إرادة ، وقد قدَّمنا البرهان فيما سلف من كتابنا هذا[1]، على أنه لا يجوز أن يشتق لله تعالى أسماء ولا صفات ، وأوردنا

---

(١) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هذا) .

من ذلك ، أنه لا يقال : إنه تعالى متبارك ، ويقال : تبارك الله ، ولا يقال إنه مستهزئ ، ويقال : « الله يستهزىء بهم » . ولا أنه عاقل وكذلك لا يجوز أن يقال : إنه تعالى باق ، ولا دائم ، ولا ثابت ، ولا سخى ، ولا جواد لأنه تعالى لم يُسمِّ به نفسه ، لكن يقال : المتعالى ، كما قال تعالى ويقال(٢): هو الكريم الغنىُّ ، ولا يقال : الموسر ، ويقال : هو القوى ، ولا يقال : الجلد ، ويقال : لم يزل ، ولا يزال(٣)، هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، ولا يقال هو : الخفى ، ولا الغائب ، ولا البارز ، ولا المشتهر . ويقال : هو الغالب على أمره ، ولا يقال هو الظافر . والمعنى فى كل ما ذكرنا من اللغة واحد ، فمن أطلق عليه تعالى بعض هذه الصفات والأسماء ، ومنع من بعضها فقد ألحد فى أسمائه عز وجل ، وأقدم إقدامًا عظيمًا . نعوذ بالله من ذلك .

وأيضًا : فإن الإرادة من الله تعالى لو كانت لم تزل ، لكان المراد : لم يزل بنص القرآن ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قال : « إنَّمَا أَمْرُه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون(٤)» .

فأخبر تعالى : أنه إذا أراد الشيء كان ، وأجمع المسملون على تصويب قول من قال : ما شاء الله كان . والمشيئة هى الإرادة ، فصح بما ذكرنا صحة لا شك فيها ، أنَّ الواجب أن يقال : أراد الله كما قال تعالى : « إذا أراد شيئًا » .

ونقول : إنه تعالى : يريد ما أراد ، ولا يريد ما لم يرد . كما قال تعالى : « يريد الله بكم اليُسْر ، ولا يريد بكم العسر(٥)» .

وقال تعالى : « أُولئِكَ الذين لم يرد الله أن يطهِّر قلوبهم(٦)» .

« وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مردَّ له(٧)» .

وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ الله أن يَهْدِيَه يشْرَحْ صَدْرَه للإسلَام ، وَمَنْ يُرِدْ أن يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْرَه ضيِّقًا حَرَجًا(٨)» .

فنحن نقول كما قال الله تعالى : أراد ، ويريد ، ولم يرد ، ولا يريد . ولا نقول : إن له تعالى إرادة ، ولا أنه مريد ، لأنه لم يأت نصٌّ من الله تعالى بذلك ، ولا من رسوله ﷺ . ولا جاء ذلك

(٢) فى (خ) : سقطت كلمة (ويقال) .
(٣) فى (أ) : (ولا زال) .
(٤) سورة يس : ٨٢ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٦) سورة المائدة : ٤١ .
(٧) سورة الرعد : ١١ .
(٨) سورة الأنعام : ١٢٥ .

قط من أحدٍ من السلف الصالح(٩) رضى الله عنهم . وإنما أطلق هذا الإطلاق الفاحش قوم من الخوالف المسمَّين بالمتكلمين . الخوفُ عليهم أشدُّ(١٠) من رجاء السلامة لهم ، لا قدم صدق لهم فى الإسلام ، ولا فى الورع ، ولا فى الاجتهاد فى الخير ، ولا فى العلم بالقرآن ، ولا بسنن رسول الله ﷺ ، ولا بما أجمع المسلمون عليه ، ولا بما اختلفوا فيه ، ولا بأقوال الصّحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ولا بحدود الكلام ، ولا بحقائق ماهيات المخلوقات ، وكيفيَّاتها ، فهم يتبعون ما تراءى لهم ، ويقتحمون المهالك بلا هدى من الله عزَّ وجل . ونعوذ بالله من ذلك ، وقد قال تعالى : « وَلَوْ رَدُّوه إِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَه الذين يَسْتَنْبِطونه منهم(١١)» .

فنص تعالى على أن من لم يَرُدَّ ما اختُلِفَ فيه إلى كتابه ، وإلى كلام رسوله ، ﷺ ، وإلى إجماع العلماء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ولا من سلك سبيلهم بعدهم ، فلم يعلم ما استنبطه بظنه ورأيه ، وليس ننكر المحاجة على القصد إلى تبيين الحق وتبينه ، بل هذا هو العمل الفاضل الحسن وإنما ننكر الإقدام فى الدّين بغير برهان من قرآن أو سنة ، أو إجماعٍ ، بعد أن أوجبه برهان الحس ، وأوَّل بديهة العقل ، والنتائج الثابتة من مقدماته الصحيحة ، من صحة التوحيد ، والنبوة . فإذا ثبت(١٢) ما ذكرنا ، فضرورة العقل توجب الوقوف عند جميع ما قاله لنا الرسول الذى بعثه الله تعالى إلينا ، وأمرنا بطاعته ، وألَّا يعُترض عليه بالظنون الكاذبة ، والآراء الفاسدة ، والقياسات(١٣) السخيفة ، والتقليد المهلك .

فإن قال قائل : وما الذى يمنع من أن نقول : لم يزل الله مريدًا لما أراد كَوْنَه إذا كوَّنه . ؟

قلنا وبالله تعالى التوفيق : يمنع من ذلك أن الله عز وجل أخبر نصًّا : بأنه إذا أراد شيئًا كوَّنه فكان ، فلو كان تعالى لم يزل مريدًا ، لكان لم يزل ما يريد وهذا إلحاد .

ويقال لهم أيضًا : ما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم ، فقال : لم يزل الله تعالى غير مريد لأن يخلق حتى خلق ، وهذا لا انفكاك منه .

* * *

(٩) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (الصالح) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (أقوى) بدلًا من (أشد)
(١١) سورة النساء : ٨٣ .
(١٢) فى (أ ، ب) : (ثبتا بما ذكرنا) .
(١٣) فى (ح) : سقطت كلمة : (والقياسات) .

قال أبو محمد : ولو أن قائلًا يقول إن الخلق هو المراد كونه من الله تعالى فهو مراد الله تعالى ، وهو الإرادة نفسها ، وأنه لا إرادة له إلّا ما خلق لما أنكرنا ذلك وإنما ننكر قول من يجعل الإرادة صفة ذات لم تزل ، لأنه يصف الله تعالى بما لم يصف الله تعالى به نفسه ، وقول من يجعلها صفة فعل ، وأنها غير الخلق لأنه يلزمه أنَّ تلك الإرادة إمَّا مرادة مخلوقة ، وإما غير مرادة ، ولا مخلوقة .

فإن قال : هى مرّادة مخلوقة .

قيل له : أهى مرادة بإرادة هى غيرها ، ومخلوقة بخلق هو غيرها .. ؟ أم لا بإرادة ولا بخلق .. ؟

فإن قال قائل[١٤]: هى مراده لا[١٥] بإرادة ، وأتى بالمحال الذى يبطله العقل ، ولم يأت به نصٌّ . فيلزمه الوقوف عنده ، وكذلك قوله : مخلوقة بغير خلق .

وإن قال : هى مرادة بإرادة هى غيرها ، ومخلوقة بخلق هو غيرها ، لزمه فى إرادة الإرادة ، وخلق خلقها ما ألزمناه فى الإرادة وفى خلقها وهكذا[١٦] أبدًا . وهذا يوجب وجود محدثات لا نهاية لعددها أبدًا[١٧]، وهذا هو قول الدَّهرية الذى أبطله الله تعالى بضرورة العقل ، والنص على ما بينا فى صدر كتابنا[١٨] هذا ، وبالله تعالى التوفيق .

وإن قال قائل[١٩]: إن الإرادة ليست مرادة ، ولا مخلوقة أتى بقول يبطله ضرورة[٢٠] العقل لأن القول بإرادة غير مرادة محال ، غير موجود ، ولا يعقل[٢١] ولا يحسُّ فيما بيننا ، ولا بدليل فيما غاب عنهم[٢٢]. فهو قول مجرد[٢٣] الدعوى ، فهو باطل ضرورة . وكذلك يلزمه إن قال : إنها محدثة غير مخلوقة ما يلزم من قال : إن العالم محدث لا مُحدِث له ، وقد تقدّم بطلان هذا القول بالبراهين الضرورية . وبالله تعالى التوفيق .

وأمَّا تسمية الله عزَّ وجل جوادًا ، أو سخيًا[٢٤]، أو وصفه[٢٥] تعالى : بأن له جودًا ،

(١٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قائل) .
(١٥) فى (أ ، ب) : « هى مرادة بلا إرادة » .
(١٦) فى (خ) : سقطت كلمة (وهكذا) .
(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أبدا) .
(١٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .
(١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قائل) .
(٢٠) فى (خ) : سقطت كلمة (ضرورة) .
(٢١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (يعقل) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : (عنا) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (بمجرد) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : حوادا سخيا بغير (أو) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (صفته) .

وسخاء ، فلا يحل ذلك ألبتة . ولو أن المعتزلة المقدمين على تسمية ربهم : جوادًا ، وأن له(٢٦) جودًا - يكون لهم علم بلغة العرب ، أو بحقيقة(٢٧) الأسماء ، ووقوعها على المسمّيات ، أو بمعانى الأسماء بالصفات - ما أقدموا على هذه العظيمة ، ولا وقعوا فى الاقتداء(٢٨) بالكفاز القائلين : إن علة خلق الله تعالى لما خلق إنما هى جوده حتى أوقعهم ذلك فى القول بأنّ العالم لم يزل ، ولكن المعتزلة قوم(٢٩) معذورون بالجهالة(٣٠) عذرًا يبعدهم عن الكفر ، ولا يخرجهم عن الإيمان لا عذرًا يسقط عنهم الملامة لأن التعليم(٣١) لهم معروض ممكن ، ولكن لا هادى لمن أضلّ الله عزَّ وجل . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : والمانع لهم(٣٢) من ذلك وجهان :

أحدهما : أنه تعالى لم يسمّ بذلك نفسه ولا وصف به نفسه ، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يتعدّى حدود الله تعالى ، لا سيمّا فيما لا دليل فيه إلّا النص فقط .

والوجه الثانى : أنَّ الجود ، والسخاء ، فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ، وبها نتفاهم مرادَنا إنما هما لفظان واقعان على بذل الفضل عن الحاجة ، لا يعبَّر بلفظ الجود والسخاء إلّا عن هذا المعنى ، وهذا المعنى مبعد عن الله عزَّ وجل ، لأنه تعالى لا يحتاج إلى شيء فيكون له فضل يبذله ، فيسمَّى ببذله له سخيًّا ، وجوادًا ، ويوصف من أجل ذلك(٣٣) بجود وسخاء . أو يكون بمنعه بخيلًا ، أو شحيحًا ، أو موصوفًا ببخل أو بشحٍّ .

* * *

قال أبو محمد : ولا يختلف اثنان(٣٤) من كل من فى العالم فى أن أمرأً له ماءٌ عذبٌ حاضرٌ كثير(٣٥)، لا يحتاج إليه ، وطعام عظيم فاضل به إليه ، ورأى رجلًا من عرض الناس ، أو عبدًا من عبيده يموت جوعًا أو(٣٦) عطشًا فلم يسقه ، ولا أطعمه فإنه فى غاية البخل والشح ، والقسوة ،

---

(٢٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وأن له جودًا) .
(٢٧) فى (ح) : (تحقيق) .
(٢٨) فى (أ) ، (ح) : « الايتا » هو تحريف ظاهر .
(٢٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قوم) .
(٣٠) فى (أ ، ب) : (بالجهل) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (التعلم) .
(٣٢) سقطت كلمة (لهم) من (أ ، ب) .
(٣٣) فى (أ ، ب) : « بذله » .
(٣٤) فى (خ) : « إنسان » .
(٣٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كثير) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (و) بدلًا من (أو) .

والظلم ، والله تعالى يرى كثيرًا من عباده ، وأطفالًا من أطفالهم لا ذنب لهم ، وهم يموتون جوعًا أو عطشًا ، وعنده مخارج[٣٧] السماوات وخزائن الأرض ، ولا يرحمهم بنقطة ماء ، ولا لقمة طعام حتى يموتوا جوعًا وعطشًا[٣٨] ولا يوصف لذلك ببخل ، ولا بظلم ، ولا بقسوة بل هو أرحم الراحمين[٣٩] والرحمن ، والكريم ، الذى لا يظلم ، ولا يجور ، كما سمّى نفسه – فبطل قياسهم الفاسد فى الصفات الغائبَ على الشّاهد . وبطل أن يوصف الله عز وجل بشىء من كل[٤٠] ذلك ، وليس لأحد أن يحيل الأسماء اللغوية عن موضعها فى اللغة إلا أن يأتى نصٌّ بإحالة شىء من ذلك عن موضوعه[٤١] فيوقف عنده ، ومن تعدَّى هذا الحكم فإنه مبطل للتفاهم كله ، نعم ، وللحقائق بأسرها ، لأنه[٤٢] لا يعجز أحدٌ أن يسمِّىَ الحقَّ باطلًا ، والباطل حقًا ، وأن يحيل الأسماء كلَّها عن موضوعها ، وهذا خروج عن الشرائع والمعقول ولكنَّا نقول : إنه كريم ، كما قال تعالى . ولا يبعد عنَّا أن تسمى نعم الله تعالى على عباده كرمًا ، وأن الله تعالى كريم – نستحسن إطلاق ذلك ، ونسميها أيضًا فضلًا -- قال الله عزَّ وجل : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٤٣]» .

وقد ثبت النص بأن[٤٤] له تعالى كرمًا ، وحدَّثنا عبد الرحمن[٤٥] بن عبد الله بن خالد حدثنا إبراهيم[٤٦] بن أحمد ، أنبانا الفربرى ، حدثنا البخارى قال : لى خليفة[٤٧] بن خياط ، حدثنا يزيد[٤٨]

---

(٣٧) فى (أ ، ب) : « مخادع » .
(٣٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جوعا وعطشا) .
(٣٩) فى (خ) : سقطت كلمة (أرحم الراحمين) ، وفى (أ ، ب) (والرحيم) بدلًا من (والرحمن) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .
(٤١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عن موضوعه) .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (إلا أنه) .
(٤٣) سورة الحديد : ٢١ .
(٤٤) فى (خ) : (لأن) .
(٤٥) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حكيم بن حزام الأسدى ، روى عن عمرو بن شعيب ، وعنه روى ابنه المغيرة . (تهذيب التهذيب : ٦ / ٢٠٦) .
(٤٦) هو : إبراهيم بن أحمد البلخى المعروف بالمستملى ، فاضل من أهل بلخ ، له كتاب معجم الشيوخ توفى سنة ٣٧٦ هـ . (الأعلام ١ / ٢٥٧) .
(٤٧) هو : خليفة بن خياط بن خليفة الشيبانى البصرى ، أبو عمرو ، ويعرف بخباب ، محدث نسابة ، من تصانيفه : التاريخ عشرة أجزاء ، والطبقات ثمانية أجزاء ، وكان مستقيم الحديث ، من متيقظى رواته . توفى عام ٢٤٠ هـ . (الأعلام : ١ / ٣٦١) .
(٤٨) هو : يزيد بن زريع ، أبو معاوية البصرى ، محدث البصرة فى عصره ، قال عنه أحمد بن حنبل : ما أتقنه وما أحفظه !! لقد كان ريحانه البصرة . وقال عنه ابن سعد : كان ثقة حجة ، كثير الحديث ، وقد اشتغل أبوه فى ولاية الأبلة . توفى سنة ١٨٢ هـ . (الأعلام : ٩ / ٢٣٥) .

ابن زريع ، حدثنا سعيد[٤٩] عن قتادة[٥٠]، عن أنس[٥١] بن مالك وعن معتمر[٥٢] بن سليمان قال : سمعت أبى يحدث عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « لا يزال يلقى فيها ، وتقول هل من مزيد ، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيُزْوى بعضها إلى بعض وتقول قَدٍ قَدٍ ، وعزتك ، وكرمك[٥٣]» .

قال أبو محمد : وقد اضطرب الناس فى السؤال عن أشياء ذكروها وسألوا : هل يقدر الله عليها أم لا .. ؟

واضطربوا أيضًا فى الجواب عن ذلك .

قال أبو محمد : ونحن إن شاء الله تعالى مبينون بحوله وقوته وجه تحقيق السؤال عن ذلك ، وتحقيق الجواب فيه دون خلط[٥٤]، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنَّ السؤال إذا حقق بلفظ يفهم السائل منه مراد نفسه ، ويفهم المسئول مراد السائل عنه فهو سؤال صحيح . والجواب عنه لازم ومن أجاب عنه بأن هذا سؤال فاسد ، وأنه محال فإنما هو جاهل بالجواب ، منقطع متسلل عنه .

وأما السؤال الذى يفسد بعضه بعضًا ، وينقض آخره أوله فهو سؤال فاسد لم يحقق بعد ، وما لم يحقق السؤال عنه فلم يسأل عنه ، وما لم يسأل عنه فلا يلزم فيه[٥٥] جواب على تمثله[٥٦]، فهاتان قضيتان جامعتان ، وكافيتان فى هذا المعنى ، لا يشذ عنهما شيء منه إلّا أنه لابدَّ من جواب ببيان حوالته لا على تحقيقه ، ولا على تشكله ولا على توهمه . وبالله تعالى التوفيق .

ثم نُحِدُّ المسئول عنه فى هذا الباب[٥٧] بِحدٍّ جامع بحول الله وقدرته ، فيرتفع الإشكال فى هذه المسألة إن شاء الله . فنقول وبالله تعالى نتأيّد :

---

(٤٩) هو : سعيد بن جبير أبو عبد الله ، تابعى ، كان أعلمهم على الإطلاق ، وهو حبشى الأصل من موالى بنى والبة بن الحارث ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، ثم كان ابن عباس إذ أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، قال : أتسألوننى وفيكم ابن أم دهماء يعنى (سعيد بن جبير) خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان فقتله الحجاج بواسط عام ٩٥ هـ رحمه الله . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٢) .

(٥٠) راجع ص

(٥١) راجع ص

(٥٢) هو : معتمر بن سليمان بن طرخان ، من موالى بنى مرة ، أبو محمد ، كان فى اليمن ، وانتقل إلى البصرة ، وصار محدثا لها فى عصره ، وكان حافظا ثقة ، نقل ابن حجر عن ابن خراش أنه ثقة . له كتاب فى المغازى ، حدّث عنه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل . توفى سنة ١٨٧ هـ . (الأعلام : ٩ / ٢١٧) .

(٥٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

(٥٤) فى (أ ، ب) : « تخليط » .

(٥٥) فى (أ ، ب) : « عنه » .

(٥٦) فى (أ ، ب) : « مثله » .

(٥٧) فى (ح) : (نحد السؤال ... يُحدُّ بحدٍّ) .

إنَّ الشيء المسئول عنه فى هذا الباب إن كان إنما سأل السائل عن القدرة على إحداث فعل مبتدأ ، أو على إعدام فعل مبتدأ فالمسئول عنه مقدور عليه ، ولا نحاشى شيئًا ، والسؤال صحيح . والجواب عنه بنعم لازم .

وإن كان المسئول عنه ما لا ابتداء له : فالسؤال عن تغييره أو إحداثه أو إعدامه سؤال متفاسد ، لا يمكِّن السائل عنه فهم معنى سؤاله ، ولا تحقيق سؤاله وما كان هكذا فلا يلزم الجواب عنه على تحقيقه ، ولا على تشكله ، لأن الجواب عن التشكل لا يكون إلَّا عن جواب[٥٨] عن سؤال ، وليس هاهنا سؤال أصلًا ، فلا جواب[٥٩].

ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إنَّ من الواجب أن نبيِّن بحول الله تعالى وقوَّته : ما المحال .. ؟ وعلى أى شيء[٦٠] تقع هذه اللفظة . وعن ماذا يعبَّر عنها[٦١].. ؟ فإن من قطع[٦٢] بشيء ولم يعرف تحقيق معناه فهو فى غمرات من الجهل ، فنقول وبالله تعالى نتأيّد :

إنَّ المحال ينقسم أربعة أقسام لا خامس لها :

أحدها : محال بالإضافة .

والثانى : محال بالوجود[٦٣].

والثالث : محال فيما بيننا فى بنية العقل عندنا .

والرابع : محال مطلق .

فالمحال بالإضافة مثل : نبات اللحية لابن ثلاث سنين ، وإحباله أمرأة ، وكلام الأبله الغبى فى دقائق المنطق ، وصوغه الشعر العجيب ، وما أشبه هذا . فهذه المعانى موجودة فى العالم ممن هى ممكنة منه ، ممتنعة[٦٤] من غيرهم .

وأما المحال فى الوجود : فكانقلاب الجماد حيوانًا ، والحيوان جمادًا ، أو حيوانًا آخر ، وكنطق الحجر ، واختراع الأجسام ، وما أشبه ذلك ، فإن هذا النوع[٦٥] ليس ممكنًا عندنا ألبتة ، ولا موجودًا ، ولكنه متوهم فى العقل ، متشكل فى النفس كيف يكون لو كان . وبهذين القسمين يأتى الأنبياء عليهم السلام فى معجزاتهم الدالة على صدقهم فى النبوة .

(٥٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جواب) .
(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فلا جواب) .
(٦٠) فى (أ ، ب) : (وعلى أى معنى) .
(٦١) فى (أ ، ب) : (بها) .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (قام) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (فى الوجود) .
(٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة : « ممتنعة من غيرهم » .
(٦٥) فى (أ ، ب) : (هذا كله) .

وأمَّا المحال فيما بيننا فى بنية العقل : فككون المرء قائمًا قاعدًا معًا فى حينٍ واحد وكسؤال السائل : هل يقدر الله تعالى على أن يجعل المرء قاعدًا لا قاعدًا معًا .. ؟ وسائر ما لا يتشكل فى العقل فيما يقع فيه التأثير لو أمكن فيما دون البارى عزَّ وجل – فهذه الوجوه الثلاثة من سأل عنها أيقدر الله تعالى عليها فهو سؤال صحيح مفهوم ، معروف وجهه ، يلزم الجواب عنه بنعم أن الله قادر على ذلك كله . إلا أن المحال فى بنية العقل فيما بيننا ، لا يكون ألبتة فى هذا العالم لا معجزة لنبى ولا غير ذلك ألبتة ، هذا واقع فى النفس بالضرورة ، ولا يبعد أن يكون الله تعالى يفعل هذا فى عالم له آخر .

وأما المحال المطلق : فهو كل سؤال أوجب على ذات البارى تغييرًا فهذا هو المحال لعينة الذى ينقض بعضه بعضًا ، ويفسد آخره أوّله ، وهذا النوع لم يزل محالًا فى علم الله تعالى ، ولا هو ممكن فهمه لأحد ، وما كان هكذا فليس سؤالًا ، ولا سأل سائله عن معنى مفهوم(٦٦) أصلًا ، وإذا لم يسأل فلا يقتضى جوابًا على تحقيقه أو توهمه ، لكن يقتضى جوابًا بنعم ، أو بلا . لئلَّا ينسب بذلك إلى وصفه تعالى بعدم القدرة الذى هو العجز بوجهه أصلًا .

وإن كنا موقنين بضرورة العقل بأن الله تعالى لم يفعله قط ، ولا يفعله أبدًا . وهذا مثل من سأل : أيقدر الله تعالى على نفسه ؟ أو على أن يجهل ، أو على أن يعجز ، أو على أن يحدث مثله .. ؟ أو على إحداث ما لا أول له .. ؟ فهذه سؤالات يفسد بعضها بعضًا تشبه كلام الممرورين ، والمجانين ، وكلام من لا(٦٧) يفهم . وهذا النوع لم يزل الله تعالى يعلمه محالًا ممتنعًا باطلًا قبل حدوث العقل وبعد حدوثه .

وأما المحال فى العقل فهو القسم الثالث : الذى ذكرنا قبل ، فإن العقل مخلوق ، محدث خلقه الله تعالى بعد أن لم يكن ، وإنما هو قوة من قوى النفس ، عرض محمول فيها أحدثه الله تعالى ، وأحدث رتبة على ماهى عليه ، مختارًا لذلك تعالى . وبضرورة العقل نعلم أن من اخترع شيئاً لم يكن قط لا على مثال سلف ، ولا عن ضرورة أوجبت عليه اختراعه لكن اختار أن يفعله(٦٨) ، فإنه قادر على ترك اختراعه ، قادر على اختراع غيره مثله ، أو خلافه ، ولا فرق بين قدرته على بعض ذلك ، وبين قدرته على سائره ، فكل ما خلقه تعالى محال فى العقل فقط ، فإنما كان محالاً مذ جعله الله تعالى محالاً ، وحين أحدث صورة العقل لا قبل ذلك ، فلو شاء الله تعالى ألا(٦٩) يجعله محالاً لما كان محالاً .

---

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (مفهوم) .
(٦٧) فى (خ) : (مالا) .
(٦٨) فى (خ) : لم يذكر كلمة (لكن اختار أن يفعله) .
(٦٩) فى (خ) : (أن يجعله) .

وكذلك من سأل هل يقدر الله تعالى على أن يجعل شيئًا موجودًا معدومًا معًا فى وقت واحد .. ؟ أو جسمًا فى مكانين .. ؟ أو جسمين فى مكان .. ؟ وكل ما(٧٠) أشبه هذا – فهو سؤال صحيح ، والله تعالى قادر على كل ذلك ، لو شاء أن يكوِّنه لكوَّنه . ومن البرهان على ذلك ما نراه فى منامنا مما لا شك(٧١) أنه محال فى حال اليقظة ممتنع يقينًا ، ونراه(٧٢) فى منامنا ممكنًا محسوسًا مرئيًا ببصر النفس(٧٣)، مسموعًا بسمعنا فبالضرورة يدرى كل ذى حسٍّ سليم(٧٤) أن الذى جعل المحال ممكنا فى النوم قادر على أن يوجده ممكنًا فى اليقظة .

وكل من سأل : هل الله تعالى قادر على أن يتخذ ولدًا .. ؟

فالجواب : أنه تعالى قادر على ذلك ، وقد نصَّ عزّ وجل على ذلك فى القرآن قال الله تعالى : « لو أراد أَنْ يتَّخِذَ ولدًا لا اصْطَفى مِمَّا يخلُق ما يشاء ، سُبْحَانه هو الله الواحد القهار(٧٥)» .

وقال تعالى : « لَوْ أَرَدْنا أنْ نَتَّخِذ لهوًا لاتخذناه من لَدُنَّا إنْ كُنَّا فاعلين(٧٦)» .

قال أبو محمد : ومن لم يطلق أن الله عزَّ وجل يقدر على ذلك ، وحَسَّن قوله ، بأن قال لا يوصف الله بالقدرة على ذلك فقد قطع بأن الله عزَّ وجل لا يقدر ،إذ لا واسطة فيمن يقدر(٧٧) ولا يقدر ألبتة ، فلابدَّ من أحدهما ضرورة ، فمن قدر(٧٨) على شىء مَّا ، ثم وصف فى شىء آخر بأنه لا يقدر عليه فقد خرج من أنه لا يقدر عليه ، وإذا وصف فى شىء بأنه لا يقدر عليه ، فقد خرج بأنه يقدر عليه(٧٩)، وإذا وجب أنه لا يقدر عليه فقد ثبت أنه عاجز ضرورة عما لا يقدر عليه ، ولابدَّ . ومن وصف الله عزَّ وجل بالعجز فقد كفر .

وأيضًا فإن من قال : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال فقد جعل قدرته سبحانه وتعالى متناهية ، وجعل قوته عزَّ وجل منقطعة محدودة وملزومة بذلك ضرورة أن قوته تعالى متناهية ، عرض ، وأنه تعالى فاعل بطبيعة فيه متناهية ، وهذا تحديدٌ للبارى عزَّ وجل ، وكفر به مجرد وإدخالٌ له فى جملة المخلوقين .

---

(٧٠) فى (ح) : « أو أشبه ذلك » .
(٧١) فى (خ) : « نشك » .
(٧٢) فى (خ) : « فنراه » .
(٧٣) فى (خ) : العين .
(٧٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (سليم) .
(٧٥) سورة الزمر : ٤ .
(٧٦) سورة الأنبياء : ١٧ .
(٧٧) فى (أ ، ب) : « فيمن يوصف بالقدرة » .
(٧٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « ولا يقدر ألبتة ، فلابد من أحدهما ضرورة فمن قدر » .
(٧٩) فى (أ ، ب) : سقط الكلام : « وإذا وصف فى شىء بأنه لا يقدر عليه فقد خرج بأنه يقدر عليه » .

ومعنى قولنا : « إن الله تعالى يقدر على المعلوم والمحال إنما هو على(٨٠) ما نبينه إن شاء الله تعالى : »

وهو أن سؤال السائل عن المحال ، والمعدوم – هو بلا شك سؤال موجود مسموع ملفوظ به . فجوابنا له هو أننا حققنا : أن الله تعالى قادر على أن يخلق لذلك اللفظ معنى يوجده ، وهذا جواب صحيح معقول ، وهذا قولنا وليس إلّا هذا القول . وقول عليٍّ الأسوارى الذى يقول : إن الله تعالى لا يقدر على غير ما علم أنه يفعله جملة(٨١).

وأمّا كل(٨٢) من خالفنا ، وخالف الأسوارىَّ فلابد له من الرجوع إلى قولنا أو الوقوع فى قول الأسوارى ، وإن زعم أنه(٨٣) متى وصف الله تعالى بالقدرة على شىء لم(٨٤) يفعله من إبراء مريض ، أو خلق شىء ، أو تحريك شىء ساكن ، فإنه قد(٨٥) وصفه بالقدرة على إحالة علمه ، وتكذيب حكمه ، وهذا هو المحال – فقد قال بقولنا ولابدَّ . أو(٨٦) بقول الأسوارى ولابدّ .

وأما كل سؤال أدَّى إلى القول فى ذاته عزّ وجل – فإننا نقول : إن كل ما سأل عنه سائلٌ لا يحاشى شيئًا فإن الله تعالى قادر عليه ، غير عاجز عنه إلّا أن من السؤالات سؤالات لا يُستحل(٨٧) سماعها ، ولا يحلّ(٨٨) النطق بها ، ولا يحل(٨٩) الجلوس حيث يلفظ بها ، وهى كل ما فيها كفر بالبارى عز وجل أو(٩٠) استخفاف به ، أو بنبى من أنبيائه ، أو بملك من ملائكته ، أو بآية(٩١) من آياته .

وقد قال تعالى : « وقد نزّل عليكُمْ فى الكتابِ أنْ إذا سَمِعتم آياتِ الله يُكْفر بها ويُسْتهزأ بها فلا تقعدوا مَعَهُم حتَّى يخوضوا فى حديثٍ غيرِه ، إنكم إذًا مثلُهم(٩٢)» .

---

(٨٠) ف (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .

(٨١) ف (خ) : سقط الكلام من (وقول على الأسوارى إلى جملة) . والأسوارى هو أبو على عمرو بن فائد الأسوارى ، من كبار المتكلمين من أهل البصرة ، وكان منقطعا إلى محمد بن سليمان بن على الهاشمى ، وهو من الأساورة ، لقى عمرو بن عبيد وأخذ عنه ، وله مع عمرو مناظرات . توفى بعد المائتين بشىء يسير . قال عمرو بن فائد لأبى المنذر سلام القارى بحضرة محمد بن سليمان : ممن الحق . قال سلام : من الله . قال فمن المحق : قال : الله . قال : ممن الباطل ؟ قال : من الله . قال : فمن المبطل فسكت سلام وانقطع .. (الفهرست – الفن الأول من المقالة الخامسة : ٢٠٥) .

(٨٢) ف (أ) : سقطت كلمة (كل) .

(٨٣) فى الأصل (لأنه) .

(٨٤) ف (أ ، ب) : (ولم يفعله) .

(٨٥) ف (أ ، ب) : (قدر) .

(٨٦) ف (خ) : « وبقول الأسوارى » .

(٨٧) ف (ح) : « لا يستحل » .

(٨٨) ف (أ ، ب) : (ولا يستحل) .

(٨٩) ف (ح) : لم تذكر كلمة (يحل) .

(٩٠) ف (أ ، ب) : (واستخفاف) بدلا من (أو) .

(٩١) ف (خ) : لم يذكر كلمة (أو بآية) .

(٩٢) سورة النساء : ١٤٠ .

وقال عز وجل : « قُلْ أَبالله وآياتِه وَرَسُولِه كنتُم تَسْتَهزِئُون ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم[٩٣]» .

قال أبو محمد : ولو أن سائلًا سألنا : هل الله قادر على أن يمسخ هذا الكافر قردًا أو[٩٤] كلبًا .. ؟

لقلنا : نعـم .

ولو أنه أراد أن يسألنا هذا السؤال : فيمن يلزمنا تعظيمه من ملك أو نبى ، أو صاحب نبى ، أو مسلم فاضل .. ؟

لم يحل لنا الاستماع إليه . ولكنا قد أجبناه جوابًا كافيًا ، بأن الله قادر على كل ما يُسأل عنه ، لا يحاشى شيئًا ، فمن تمادى بعد هذا الجواب الكافى – فإنما غرضه التشنيع فقط والإيهام[٩٥]، وهذا[٩٦] من دلائل العجز فى المناظرة ، والانقطاع . والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : والناس فى هذا الباب على أقسام :

فمبدؤها من الطرف : قول من قال : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على غير ما يفعل ، وهو قول علىٍّ الأسوارىّ[٩٧] أحد شيوخ المعتزلة . واعلموا أنه لابد لكل من منع أن يقدر الله تعالى على محال ، أو على شىءٍ مما يُسأل عنه ، فلابد له[٩٨] ضرورة من المصير إلى هذا القول . أو ظهور تناقضه وتفاسد قوله ، وخروجه إلى المحال البحت[٩٩] الذى فرَّعنه بزعمه على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : وقد قالت طائفة بمعنى هذا القول إلَّا أنها استشنعت عبارة الأسوارىّ فقالت : إن الله تعالى قادر على كل شىء . ولكن إن سألنا سائل فقال : أيقدر الله تعالى على أمر كذا مع تقدّم علمه بأنه لا يكون .. ؟ قالوا : فالجواب أنه تعالى لا يوصف بالقدرة على ذلك .

قال أبو محمد : وهذا الإنخفاء لأنهم أوجبوا قدرته وأعدموها على شىء واحد ، وهو الباطل بلا خفاء .

---

(٩٣) سورة التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .
(٩٤) فى (أ ، ب) : (وكلبا) بدلا من (أو) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : « والتمويه » .
(٩٦) فى (أ ، ب) : « وهذان » .
(٩٧) فى (خ) : وهو قول « الأسوارى » .
(٩٨) كلمة (له) سقطت من (أ) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : « البحث » .

وقالت طائفة : إنَّ الله تعالى قادر على غير ما فعل إلَّا أنه لا يوصف بالقدرة على أصلح مما فعل بعباده ، وهو قول جمهور المعتزلة .

وقالت طائفة : إن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلّا أنه لا يقدر على الظلم ، ولا على الجور ، ولا على اتخاذ الولد ، ولا على إظهار معجزة على يد كذّاب ، ولا على شىء من المحال ، ولا على نسخ التوحيد – وهذا قول النظامى(١٠٠) وأصحابه ، والأشعرية ، وإن كانوا مختلفين فى ماهية الظلم .

وقالت طائفة : إن الله تعالى قادر على غير ما فعل ، وعلى الجور ، والظلم ، والكذب إلا أنه لا يقدر على المحال مثل : أن يجعل الشىء معدومًا موجودًا معًا ، وقائمًا قاعدًا معًا ، أو فى مكانين معًا ، وهذا هو قول البلخى(١٠١)، وطوائف من المعتزلة .

قال أبو محمد : والذى عليه أهل الإسلام كلهم ومن سلف من الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم قبل أن تحدث هذه الضلالات ، وهذا الإقدام الشنيع الذى لولا ضلال من ضلَّ به ، ما انطلقت ألسنتنا به ، ولا سمحت أيدينا بكتابته ، ولكنا نحكيه حكاية الله (عن) ضلال(١٠٢) من ضل ، فقال : « المسيح بن الله » ، و« العزير بن الله » ، و« يد الله مغلولة » . و« الله فقير ونحن أغنياء » . و« إذ قال للإنسان اكفر » . وكما أنذر رسول الله ﷺ بأن الناس لا يزالون يتساءلون فيما بينهم ، حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله » .. ؟

فقول أهل الإسلام عامتهم وخاصتهم قبل ما ذكرنا ، هو أن الله تعالى : فعّال لما يشاء ، وعلى كل شىء قدير ، وبهذا جاء القرآن ، وبهذا نقول(١٠٤). وكل مسئول عنه ، وإن بلغ الغاية من المحال فُهِم أو لم يفُهم ، فالله تعالى قادر عليه .

قال أبو محمد : وقال لى بعضهم : إنَّ القرآن إنما جاء بأنَّ الله تعالى يفعل ما يشاء ، ونحن لا ننكر هذا ، وإنما نمنع أن يوصف الله تعالى بالقدرة على ما لا يشاء ، وبالقدرة على ما ليس

(١٠٠) هو : إبراهيم بن سيار بن هانىء · أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، تبحر فى علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها ، من طبيعيين وإلاهيين ، انفرد بآراء خاصة ، تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظاميه نسبة إليه ، متّهم بالزندقة ، وله كتب كثيرة فى الفلسفة والاعتزال كتب عنه محمد عبد الهادى أبو ريده كتابه . إبراهيم بن سيار النظام . (الأعلام : ١ / ٣٦) .

(١٠١) هو : شقيق بن إبراهيم بن على الأزدى ، البلخى ، أبو على ، زاهد ، صوفى من مشاهير المشايخ فى خراسان ، ولعله أول من تكلم من الصوفيه فى علوم الأحوال بكورخراسان وكان من كبار المجاهدين . استشهد فى غزوة كولان بما وراء النهر عام ١٩٤ هـ . (الأعلام جـ ٣ - ٢٤٩) .

(١٠٢) فى (خ) : لم يذكر : « ولكنا نحكيه حكاية الله عن ضلال »

(١٠٣) روى هذا الحديث فى البخارى باب الاعتصام : ٣ ، بدء الخلق : ١١ ، وفى مسلم فى باب الإيمان : ٢١٢ ، ٢١٤ وفى أبى داود : السنة : ١٩ ، وقد جاء فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أنه فى داود فى باب السنة : ١٨ ، ولكنى وجدته فى السنة : ١٩ باب فى الجهميه والحديث رقم ٤٧٢١ ولفظه كما جاء فى أبى داود · عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله .

(١٠٤) فى (أ ، ب) · سقطت : (وبهذا نقول) .

بشيء . فقلت له : « يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِر[١٠٥]» فعمَّ عز وجل ، ولم يخص ، فلا يحل لأحد تخصيص قدرته تعالى أصلًا .

وقال تعالى : « قل إن الله قادِرٌ عَلَى أنْ ينزِّل آية[١٠٦]» .

وقال تعالى : « ولو تقوَّل عَلَيْنا بَعْضَ الأَقَاويلِ لَأَخَذْنَا مِنْه بِالْيمَين ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْه الْوَتين[١٠٧]» .

وقال تعالى : « إِنَّا لَقادِرُون عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُم ، وَمَا نَحنُ بمَسْبُوقين[١٠٨]» .

وقال تعالى : « وَمَا نحنَ بِمُسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نبَدِّل أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فيما لَا تَعْلَمُون[١٠٩]» .

وقال تعالى : « ولولا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمَنِ لِبُيوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهُرُون[١١٠]» .

وقال تعالى : « أولَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى[١١١]» .

وقال تعالى : عن نوح النبى ﷺ أنه قال : « استغفروا ربكم إنَّه كان غفارًا ، يرسل السَّمَاء عليكم مِدْرارًا ، ويمددكم بأموالٍ وبنين ، ويجعل لكم جناتٍ ، ويَجْعل لكم أنهارًا[١١٢]» .

مع قوله تعالى : « إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَن[١١٣]» .

وقال تعالى : « قُلْ هُوَ الْقَادِرُ على أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكِم ، أو يَلْبِسَكُمْ شِيعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بعض[١١٤]» .

وقال تعالى : « عسى رَبُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجًا خيرًا منكن[١١٥]» .

---

(١٠٥) سورة الرعد : ٢٦ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكرها : « يرزق من يشاء ويقدر » .
(١٠٦) سورة الأنعام : ٣٧ .
(١٠٧) سورة الحاقة : ٤٤ .
(١٠٨) سقطت هذه الآية من (أ) . وهى رقم ٤٠ ، ٤١ سورة المعارج .
(١٠٩) سورة الواقعة : ٦١ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكرها : « إنا لقادرون على أن نبدل أمثالكم » .
(١١٠) سورة الزخرف : ٣٣ .
(١١١) سورة يس : ٨١ .
(١١٢) سورة نوح : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(١١٣) سورة هود : ٣٦ .
(١١٤) سقط من (أ ، ب) قوله تعالى : « أو يلبسكم شيعا ، ويذيق بعضكم بأس بعض » سورة الأنعام : ٦٥ .
(١١٥) سورة التحريم : ٥ .

فهذا نص على أن يفعل خلاف ما قد سبق فى علمه من هَدْىِ من عِلم أنه لا يهديه ومن تعذيب من علم أنه لا يعذَّب أبدًا ، وتبديل أزواج قد علم أنه لا يبدّلهن أبدًا ، وكل هذا نص على قدرته تعالى على إبطال علمه الذى لم يزل ، وعلى تكذيب قوله الذى لا يكذب أبدًا . ومثل هذا فى القرآن كثير . فمن أعجب قولًا ، وأتم ضلاله ممن يوجب بقوله : إن الله تعالى كذب ، وإنه تعالى مع ذلك غير قادر على الكذب . مع قوله تعالى : « عِنْدَ مليكٍ مقتدر(١١٦) » .

وقال تعالى : « وهو العليم القدير(١١٧) » .

وقوله تعالى : « فإنَّ الله كانَ عفوًّا قديرًا(١١٨) » .

فأطلق تعالى لنفسه القدرة ، وعمَّ ولم يخص ، فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه .

قال أبو محمد : فإن قال قائل منهم(١١٩): فما يؤمنكم إذ هو تعالى قادر على الظلم والكذب والمحال من أن يكون قد فعله ، أو لعلة سيفعله فتبطل الحقائق كلها ، ولا تصح ، ويكون كل ما أخبرنا به كذبًا .

قال أبو محمد : وجوابنا فى هذا هو أن الذى أمَّننا من ذلك ضرورةُ المعرفةُ التى قد وضعها(١٢٠) الله تعالى فى نفوسنا ، كمعرفتنا أن ثلاثة أكثر من اثنين ، وأن المميِّز مميِّز ، وأن البغال لا تتكلم(١٢١) فى النحو ، والشعر ، والفلسفة ، وسائر ما استقر فى النفوس علمه ضرورة ، وإلَّا فليخبرونا ما الذى أمَّنهم ما ذكرنا ، ولعله قد كان أو سيكون ولا فرق ، فإذ قد صحّ إطباق كل من يقر بالله من جميع الملل(١٢٢) أنَّ هذا العالم ليس فى بنيته كون المحال المذكور فيه مع موافقته أكثر المخالفين لنا – على أن هذا كله – فإنَّ الله تعالى قادر عليه ولكن لا يفعله ، فالذى أمّنهم من أنه تعالى يفعله هو الذى أمننا من أن يفعل(١٢٣) ما قالوا لنا فيه ، لعله قد فعله ، أو سيفعله ، ولا فرق – وأن هذا العالم ليس فى بنيته كون المحال المذكور فيه . وأنه تعالى لا يجور ، ولا يكذب .

---

(١١٦) سورة القمر : ٥٥

(١١٧) فى (خ) : (عليما قديرا) . سورة الروم : ٥٤ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ترك الواو هكذا (هو العليم القدير) .

(١١٨) سورة النساء : ١٤٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل هكذا (وكان الله عفوًّا قديرًا) .

(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (منهم) .

(١٢٠) فى (أ ، ب) : (وصفها) بالصاد .

(١٢١) فى (أ ، ب) : (لا تحمل) .

(١٢٢) فى (ح) : سقط الكلام من قوله : « وإلا فليخبرونا ما الذى أمنهم ما ذكرنا ، ولعله » إلى قوله (من جميع الملل) .

(١٢٣) فى (أ ، ب) : « نفعل » .

والضرورة(١٢٤) الموجبة علينا(١٢٥) القول بحدوث العالم ، وبأن له صانعًا لا يشبهه لم يزل ، وبأن ما ظهر من الأنبياء عليهم السلام فمن عنده تعالى ، وأن تلك المعجزات موجبة تصديقهم ، وهم أخبرونا أنَّ الله تعالى لا يكذب ولا يظلم ، وأنه تعالى قد أخبرنا بأنه قد تمت كلماته صدقًا وعدلًا لا مبدل لكلماته ، وأنه تعالى قادر ، وليس كل ما يقدر عليه يفعله ، وأيضًا فإن كان السائل عن هذا متدينًا بدين الإسلام أو النصارى ، أو اليهود أو المجوس ، أو الصائبين أو البراهمة ، أو كل من يدين بأن الله حق فإنهم مجمعون على أن الله تعالى لا يظلم ، ولا يكذب . وكل من نفى الخالق فليس فيهم أحدٌ يقول إنه يظلم أو يكذب ، فقد صح إطباق جميع سكان الأرض قديمًا وحديثًا لا نحاشى أحدًا على أنَّ الله تعالى لا يظلم ولا يكذب ، فلو لم يكونوا مضطرين إلى القول بهذا لوجد فيهم ، ولو واحد يقول بخلاف ذلك ، ومن المحال أن تجتمع طبائعهم كلهم على هذا إلَّا لضرورة وضعها الله عزّ وجل فى نفوسهم كضرورتهم إلى معرفة ما أدركوه بحواسهم ، وبداية عقولهم .

وأيضًا فنقول لمن سأل هذا السؤال : إيمكن أن يكون إنسان فى الناس قد توسوس ، وأوهمته ظنونه الكاذبة ، وتخيله الفاسد ، وهوسه أن الأشياء على خلاف ما هى عليه .. ؟ وأن الناس على خلاف ما هم عليه .. ؟ ويُتصوّر عنده هذا الظنُّ الفاسد أنه حق لا شك فيه ، أم ليس يمكن أن يكون هذل فى العالم .. ؟

فإن قالوا : لا يمكن أن يكون هذا فى العالم – أتوا بالمحال البحت ، وكابروا .

فإن قالوا : بل هو ممكن موجود فى الناس كثيرٌ مَنْ هذه(١٢٦) صفته .

قيل لهم : فما يؤمنكم من أن تكونوا بهذه الصفة .. ؟

ونقول : لمن يؤمن بالله العظيم منهم : أيقدر الله تعالى على أن يُحيل حواسَّك(١٢٧) كما فعل بصاحب الصفراء الذى يجد العسل مرًّا كالعلقم ، وبصاحب ابتداء الماء النازل فى عينيه فيرى خيالات لا حقيقة لها ، وكمن فى سمعه آفة فهو يسمع طنينًا لا حقيقة له أم لا يقدر .. ؟

فإن قالوا : يقدر .

قيل له : فما يؤمنك من أنك بهذه الصفة .. ؟

---

(١٢٤) فى (أ ، ب) : وبالضرورة .
(١٢٥) فى (أ ، ب) : (علمنا) .
(١٢٦) فى (ح) : (من هذه الصفة) .
(١٢٧) فى (أ) : (حواسه) .

فإن قالوا : كل من يحضر(١٢٨) يخبرنى أنّى لست(١٢٩) من أهل هذه الصفة .

قيل له : وهكذا يظن ذلك الموسوِس ، ولا فرق ، فإنه لابدَّ أن يقول(١٣٠): إنّى أرى أنّى بخلاف هذه الصفة ضرورة ، وعلمًا يقينًا .

قلنا له : بمثل هذا سواء بسواء ؛ آمنا أن يكون الله تعالى يظلم أو يكذب أو يحيل طبيعة لغير نبىٍّ ، أو يحيل ما لا يستحيل(١٣١) ولا فرق .

قال أبو محمد : ويقال لجميع هذه الفرق ، حاشا من قال بقول « علىٍّ الأسوارى » هل شنعتم على علىٍّ الأسوارى إلا(١٣٢) أنه وصف الله تعالى : بأنه لا يقدر على غير ما فعل .. ؟ فقد وصفه بالعجز ولابدَّ .

فلابدَّ من : نعـــم .

فيقال لهم : فإنَّ هذا نفسه يلزمكم(١٣٣) فى قوله(١٣٤): بأنه لا يقدر على الظلم ، والكذب ولا على المحال ، ولا على نفسه ، ولا(١٣٥) على أصلح ممَّا فعل بعباده ضرورة . ولا ينفكون من ذلك .

فإن قلتم : إنَّ(١٣٦) هذا لا يلزمنا .

قيل لكم : ولا يعجز علىٌّ الأسوارىُّ عن أن يقول أيضًا : إنَّ هذا لا يلزمنى وهذا ما انفكاك منه .

ويقال لهم : إذا أخبر الله عزَّ وجل أنه سيقيم السَّاعة ، وسيميت زيدًا يوم كذا ، أيقدر على أن لا يميته فى ذلك اليوم ، وعلى أن يميته قبل ذلك اليوم أم لا .. ؟

فإن قالوا : لا . لحقوا بقول الأسوارىّ .

---

(١٢٨) فى (خ) : (حضرنى) . وفى (ب) : (إن كل من يحضرنى) .
(١٢٩) فى (أ ، ب) : (بأن لست) .
(١٣٠) فى (خ) : (فإذ ... تقول) .
(١٣١) فى (أ ، ب) : « أو يفعل المحال مع قدرته على ذلك » .
(١٣٢) فى (ب) : (لأنه) .
(١٣٣) فى (أ ، ب) : لازم لكم .
(١٣٤) فى (أ ، ب) : فى قولكم .
(١٣٥) فى (أ ، ب) : (أو لا) .
(١٣٦) فى (خ) : لم يذكر (إن) .

وإن قالوا : نعم . أقرُّوا بأنه[١٣٧] يقدر على تكذيب قوله ، وهذا هو القدرة على الكذب الذى[١٣٨] أبطلوا .

ونسألهم أيضًا : إذا أمرنا الله تعالى بالدعاء ومنه ما قد عُلِم : أنه لا يجيب الدَّاعىَ به . هل أمرنا بالدُّعاء من ذلك فيما لا يستطيع ولا يقدر عليه .. ؟ أم فيما يقدر عليه .. ؟

فإن قالوا : فيما لا يقدر عليه ، لحقوا بالأسوارى ، وأوجبوا على الله تعالى القول بالمحال ، إذْ زعموا أنه أمرنا بأن نرغب إليه فى أن يفعل ما لا يقدر عليه – تعالى الله عن ذلك .

وإن قالوا : بل فيما يقدر عليه ، أقرّوا أنه يقدر على إبطال علمه والذى يَدخل على[١٣٩] قولهم هذا الذى هو الكفر المجرد من إبطال دلائل التوحيد وإبطال حدوث العالم ، وخلاف لإجماع غيرُ قليل .

فإن قال : على الأسوارى : لا يلزمنى إثبات العجز بنفى القدرة بل أنفى عنه الأمرين جميعًا كما قلتم أنتم : إنَّ نفيكم عنه تعالى الحركة لا يلزمه السكون ، ونفى السكون لا يلزمه الحركة ، كما تنفون عنه الضدين جميعًا من الشجاعة والجبن وسائر الصفات التى نفيتموها ، وأضدادها .

قال أبو محمد : فنقول وبالله التوفيق : إن هذا تمويه ضعيف لأننا نحن فى نفى هذه الصفات عنه تعالى جارون على سنن واحد فى نفى جميع صفات المخلوقين عنه كلِّها ، وأنتم قد أثبتم له قدرة على أشياء ، ونفيتم عنه قدرة على غيرها ، فثبت[١٤٠] ضرورة إثبات العجز عنه فى الأشياء التى وصفتموها بعدم القدرة عليها ، وأما نحن فلو وصفناه بالشجاعة فى شيء أو بالحركة فى وجه مَّا ، أو وصفناه بالعقل فى شيءٍ مَّا[١٤١] ثم نفينا عنه هذه الصفات فى وجه آخر للزمنا حيث وصفناه بشيءٍ منها – نفىُ ضدِّها وللزمنا حيث نفينا عنه ضدَّها أن نثبتها له ولابدَّ ، كما فعلنا فى الرَّحمة والسخط فإننا إذا وصفناه بالرحمة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد نفينا عنه عزَّ وجل السخط عليه . وإذا نفينا عنه الرحمة[١٤٢] لأبى جهل فقد أثبتنا له بذلك السخط عليه ، وهذا برهان ضرورى ، فإن موَّه مموِّه فقال : ألستم تقولون إنَّ الله تعالى لا يعلم الحىَّ ميتًا ، فهل تثبتون له بنفى العلم هاهنا الجهل .

قلنا له : وهذا أيضًا تمويه آخر ، بل أوجبنا له بذلك العلم حقًا ، لأننا إذا نفينا عنه العلم

(١٣٧) فى (ب) : (أنه) .
(١٣٨) فى (أ ، ب) : (التى) .
(١٣٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على قولهم) .
(١٤٠) فى (أ ، ب) : « فوجب » .
(١٤١) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « أو بالحركة فى وجه مَّا ، أو وصفناه بالعقل فى شىء مَّا » .
(١٤٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الرحمة) .

بخلاف ما الأشياء ، أثبتنا له العلم بحقيقة ما الأشياء[١٤٣]. وهل هاهنا شىء يجهل أصلًا .. ؟ وإنما الجهل بشىء حق لا يعلمه[١٤٤] الجاهل فقط .

قال أبو محمد : وقد قلنا لمن ناظرنا منهم : إنكم تثبتون لله تعالى علمًا لم يزل ، فأخبرونا هل يقدر الله تعالى على أن يميت اليوم من علمه أنه لا يميته إلَّا غدًا .. ؟ وهل يقدر ربكم على أن يزيل الآن بِنْيَةً عن مكانٍ قد علم أنها لا تزل إلَّا غدًا .. ؟ وعلى رحمة من مات مشركًا ، مع قوله تعالى : إنه لا يرحمه أصلًا ، أم لا يقدر على ذلك .. ؟

فقال لنا منهم قائل : إنه يقدر على ذلك .

فقلنا له : قد أقررتم أنه يقدر على إحالة علمه الذى لم يزل ، وعلى تكذيب كلامه وهذا إبطال قولكم صُراحًا .

وقال منهم قائلون : إنه تعالى قادر على ذلك ، ولو فعله لكان قد سبق فى علمه أنه سيكون كما فعله .

قلنا لهم : لم نسألكم إلَّا هل يقدر على ذلك مع تقدُّم علمه أنه لا يكون .. ؟ فضجروا هاهنا ، وانقطعوا ، ولجأ بعضهم إلى القطع بقول الأسوارى فى أنه لا يقدر على ذلك .

فقلنا لهم : إذا كان تعالى لا يقدر على شىءٍ غير ما فعل ، ولا على نقل بِنْيَةً عن موضعها ، فهو إذًا مضطر مجبر ، أو ذو طبيعة جارية على سنن واحد !! نعم . ويلزم الأسوارى ومن قال بقوله : أن استطاعة الله ليست قبل فعله ألبتة ، وإنما هى مع فعله ولابد ، لأنه لو كان مستطيعًا قبل الفعل لكان قادرًا على أن يفعل ، فى الوقت الذى علم أنه لا يفعل فيه ، وهذا خلاف قوله نصًا . وهو يقول : إن الإنسان مستطيعٌ قبل الفعل ، فهو أتم طاقة وقدرة من الله تعالى ويلزمه أيضًا القول بحدوث قدرة الله تعالى ، ولابدّ ، إذ لو كانت قدرته لم تزل لكان قادرًا على الفعل قبل أن يفعل ولابدَّ . وهذا خلاف قوله ، وهذا كفر مجرد إذ يقول : إن الإنسان قادر على غير ما علم الله تعالى أن يفعله ، والله تعالى لا يقدر على ذلك ، فإن هؤلاء جمعوا إلى[١٤٥] تعجيز ربهم تعالى القول بأنهم أقوى منه تعالى . وهذا أشد ما يكون من الكفر والشرك ، والحماقة .

قال أبو محمد : وكلهم يقول بهذا المعنى ، لأن جميعهم يقول : إن كل مخلوق فهو قادر

---

(١٤٣) يقصد أننا إذا نفينا عنه سبحانه وتعالى العلم بخلاف ما وجدت عليه الأشياء فقد أثبتنا له العلم بحقيقة هذه الأشياء ، لأن (ما) سيأل بها عن حقيقة الشىء وماهيته .

(١٤٤) سقطت فى (أ) : (لا يعلمه) .

(١٤٥) فى (خ) : (على) .

على كل[١٤٦] ما يفعله ، من اتخاذ ولد ، وحركة وسكون ، وغير ذلك ، وإن البارى لا يقدر على شيء من ذلك . وهذا كفر وحشيٌّ جدًّا .

قال أبو محمد : وسألناهم أيضًا فقلنا لهم : أتقرون أن الله تعالى لم يزل قادرًا على أن يخلق .. ؟ أم تقولون : إنه لم يزل غير قادر على أن يخلق ثم قدر .. ؟

فقول كل من لقينا منهم ، وقول جميع أهل الإسلام : أن الله عزَّ وجل لم يزل قادرًا على أن يخلق .

قال أبو محمد : وهم وجميع أهل الإسلام منكرون على من قال من أهل الإلحاد أنَّ الله تعالى لم يزل يخلق[١٤٧]. قاطعون بأن لم يزل يخلق محال فاسد[١٤٨].

قال أبو محمد : وصدقوا فى ذلك إلا أنهم إذا أقروا أن قول من قال : إنه لم يزل يخلق محال ، وأقروا أنه لم يزل قادرًا على ذلك ، فقد أقروا بصحة قولنا وأنه تعالى قادر على المحال ، ولابدَّ من هذا أو الكفر ، أو[١٤٩] القول بأنه تعالى لم يزل غير قادر . والحمد لله على هداه لنا إلى الحق .

قال أبو محمد : وسألناهم أيضًا فقلنا لهم : هل يجوز عندكم أن يدعى الله تعالى فى أن يفعل ما لا يقدر على سواه ، أو فى ألَّا يفعل ما لا يقدر على فعله[١٥٠]؟

فإن قالوا : نعم . أتوا بالمحال .

وإن قالوا : لا يجوز ذلك .

قيل لهم : فقد أمرنا الله تعالى أن ندعوه فنقول : « ربنا[١٥١] احكم بالحق » « وَلَاتُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِه[١٥٢]» .

وهو عندكم لا يقدر على الحكم بغير الحق ، ولا على[١٥٣] أن يحملنا ما لا طاقة لنا به .

قال أبو محمد : ومن عجائب الدنيا أنهم يسمعون الله تعالى يقول : « وَقَالَت اليَهُودَ عُزَيْرٌ بْنُ اللهِ[١٥٤]، وَأَنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَه[١٥٥]، وأن الله هو المسيحُ بْنُ مَرْيم[١٥٦]، والله فَقِيرٌ ونَحْنُ

---

(١٤٦) فى (خ) : سقطت كلمة (كل) .
(١٤٧) فى (أ ، ب) : (خالقا) .
(١٤٨) فى (أ ، ب) : (متفاسد) .
(١٤٩) فى (أ ، ب) : (والقول) .
(١٥٠) فى (خ) : « على سواه » .
(١٥١) فى (أ ، ب) : (رب) . والنص : « رَبِّ احْكُمْ بالْحَقِّ » : ١١٢ الأنبياء .
(١٥٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(١٥٣) فى (أ ، ب) : سقطت (على) .
(١٥٤) سورة التوبة : ٣٠ .
(١٥٥) سورة المائدة : ٧٣ . والنص : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا : إنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » .
(١٥٦) سورة المائدة : ١٧ . والنص القرآنى : « لقد كفر الذين قالوا : إنَّ الله هُوَ المسيحُ بن مريم » .

أَغْنِيَاءُ[١٥٧]. وَيَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ[١٥٨]. وَكَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْانْسَانِ اكْفُرْ[١٥٩]» .

ولا يشك مسلم فى أن هذا كله كذب ، فأى حماقة أشنع من قول من قال : إن الله قادر على أن يقول كل ذلك حاكيًا ، ولا يقدر أن يقوله من غير أن يقول ما قيل . هذه الأقوال من إضافتها إلى غيره ، وهذا قول يغنى ذكره وسخافته عن تكلف[١٦٠] الرد عليه .

قال أبو محمد : ثم سألناهم فقلنا لهم : من أين علمتم أن الله تعالى لا يقدر على الكذب أو المحال ، أو الظلم ، أو غير ما فعل .. ؟

فلم تكن لهم حجة أصلًا إلَّا أن قالوا : لو قدر على شيء من ذلك لما أمنا أن يكون فَعَله أو لعلّة سيفعله .

فقلنا لهم : ومن أين أمنتم أن يكون قد فعله أو لعلة سيفعله .. ؟ فلم تكن لهم حجة أصلًا ، إلَّا أن قالوا : إن الله لا يقدر على فعله .

قال أبو محمد : فحصل من قولهم[١٦١] هذا أن حجتهم أنه تعالى لا يقدر على الظلم والكذب والمحال ، وغير ما فعل ، أنه لا يقدر على شيء من ذلك ، فاستدلُّوا على قولهم بذلك القول نفسه ، وهذه سفسطة تامة ، وحماقة ظاهرة ، وجهل قوى لا يرضى به لنفسه إلا سخيف العقل ، ضعيف الدين ، فلابدَّ لهم[١٦٢] ضرورة من أن يرجعوا إلى قولنا ؛ فى أنه بالضرورة علمنا أنه لا يفعل من ذلك ، كما علمنا أن زريعة العنب لا يخرج منها الجوز ، وأن ماء الفرس لا يتولد منه جمل .

قال أبو محمد : وأما نحن فإن برهاننا على صحة قولنا أن البرهان قد قام على أنه تعالى لا يشبهه من خلقه شيء[١٦٣] من الأشياء ، والخلق عاجزون عن كثير من الأمور جملة[١٦٤] والعجز من صفات المخلوقين ، فهو منتف عن الله[١٦٥] عزّ وجل جملة . وليس فى الخلق قادر بذاته على كل مسئول عنه ، فوجب أن البارى تعالى هو الذى على كل مسئول عنه ، وكذلك لما كان[١٦٦]

---

(١٥٧) سورة آل عمران : ١٨١ . والنص : « لقد سمع الله قول الذين قالوا : « إنَّ الله فقير ونحن أغنياء » .
(١٥٨) سورة المائدة : ٦٤ . والنص القرآنى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » .
(١٥٩) سورة الحشر : ١٦ . والنص القرآنى : « كمثل الشيطان » بدون (الواو) .
(١٦٠) فى (خ) : (تكليف) .
(١٦١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قولهم) .
(١٦٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لهم) .
(١٦٣) فى (خ) : « فى شيء » .
(١٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة (جملة) .
(١٦٥) فى (أ ، ب) : (منفى) .
(١٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت (لما كان) .

الكذب والظلم من صفات المخلوقين ، وجب يقينًا أنهما منفيان عن البارى تعالى فهذا هو الذى آمننا من أن يكذب أو يظلم أو يفعل غير ما علم أنه يفعله . وإن كان تعالى قادرًا على كل ذلك .

وقلنا لهم أيضًا : إذا كان عزَّ وجل لا يوصف بالقدرة على إبطال علمه ، ولا يوصف(١٦٧) بالقدرة على إماتته اليوم من علم أنه لا يميته إلَّا غدًا ، لأنه لا قدرة له على ذلك ، ولو كان له قدرة على(١٦٨) ذلك لوصف بها ، فإذا جاء غدٌ فأماته فله قدرة على إماتته حينئذ ، فقد حدثت له قدرة بعد أن لم تكن . وهذا يوجب أن قدرته تعالى حادثة ، وهذا خلاف قولهم .

قال أبو محمد : وفى هذا أيضًا محال آخر ، وهو أنه إذا حدثت له قدرة بعد أن لم تكن فمن أحدثها له .. ؟ أهو أحدثها لنفسه .. ؟ أم غيره أحدثها له .. ؟ أم حدثت بلا مُحدِث .. ؟

فإن قالوا : هو أحدثها لنفسه سئلوا : بلا قدرة أَحْدَثَ لنفسه القدرة .. ؟ أم بقدرة أخرى .

فإن قالوا : أحْدَثَ لنفسه قدرةً بلا قدرة أتوا بالمحال .

وإن قالوا : بل بقدرة . أثبتوا قدرة لم تزل ، بخلاف قولهم .

وإن قالوا : غيره أحدثها له ، أو حدثت بلا محدثٍ – لحقوا بقول الدَّهرية ، وكفروا ، وفى قولهم هذا من خلاف المعقول ، وخلاف القرآن ، وخلاف البرهان ما تضيق به نفوس المؤمنين . والحمد لله على معافاته لنا مما ابتلاهم به .

وإن قالوا(١٦٩): لو فعل تعالى كل ذلك كيف كان يسمَّى .. ؟

قلنا : هذا سؤال سخيف عمَّا لا يكون أبدًا ، وهو كمن سأل : لو طار الإنسان كم ريشة كانت تكون له .. ؟ وما أشبه هذا من الحماقة المأمون كونها . وتسمية الله(١٧٠) تعالى نفسه المقدسة إليه لا إلينا . وبالله تعالى التوفيق .

وقال أبو هذيل العلَّاف(١٧١): إنَّ لِماَ يقدر الله تعالى عليه كُلًّا وآخرًا – كما لَهُ أَوَّلٌ ؛

---

(١٦٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (فكان لا يوصف) .
(١٦٨) فى (أ ، ب) : « على ذلك قدرة » .
(١٦٩) فى (أ ، ب) : « وقالوا » .
(١٧٠) فى (أ ، ب) : « البارى تعالى إليه لا إلينا » وسقطت كلمة (نفسه المقدسة) .
(١٧١) مرت ترجمته فى ص

فلو خرج آخره إلى الفعل – ولا يخرج – لم يكن الله تعالى قادرًا على شىءٍ أصلًا ، ولا على فعل شىء بوجه من الوجوه .

وقال عبد الله بن أحمد بن محمود(١٧٢) الكعبى : ما نعلم أحدًا يعتقد هذا اليوم إلا يحيى(١٧٣) بن بشر الأرجائىُّ . وادّعى أنَّ أبا الهذيل تاب عن هذا القول .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرّد لا خفاء به ، لأنه يجوِّز على ربِّه تعالى الكون فى صفة الجماد ، أو المخدور ، أو المفلوج ، مع صحة الإجماع المتيقن(١٧٤) على خلاف هذا القول الفاسد مع خلافه للقرآن ولموجب العقل ، وبديهته كذا عنده . وأظنه(١٧٥) قد شبهه تعالى بالمخلوقين .

قال أبو محمد : وأمّا الأسوارى فجعل ربَّه تعالى مضطرًا بمنزلة الجماد ولا فرق . لا قدرة له على غير ما فعل . وهذه حال دون حال البق والبراغيث .

وأما أبو الهذيل : فجعل ربه تعالى قدرته متناهيته ، بمنزلة المختارين من خلقه ، وهذا هو التشبيه حقًا .

وأمّا النظّام والأشعرية : فكذلك أيضًا ، وجعلوا قدرة ربهم تعالى متناهية يقدر على شىء ، ولا يقدر على آخر . وهذه صفة أهل النقص .

وأمّا سائر المعتزلة : فوصفوه تعالى بأنه لا نهاية لما يقدر عليه من الشر ، وأن قدرته على الخير متناهية ، وهذه صفة شرٍّ ، وطبيعة خبيثة جدًّا نعوذ بالله منها إلابشر(١٧٦) بن المعتمر ، فقوله فى هذا كقول أهل الحق ، وهو ألَّا تتناهى قدرته أصلًا والحمد لله رب العالمين .

« تم بحمد الله الجزء الثانى من كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم ، ويليه الجزء الثالث وأوله الكلام فى الرؤية » .

وبالله التوفيـــق

---

(١٧٢) هو : عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى من بنى كعب ، البلخى الخراسانى ، أبو القاسم ، أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى (الكعبية) ، وله آراء ومقالات فى الكلام انفرد بها ، وهو من أهل بلخ ، أقام ببغداد مدة طويلة ، وتوفى ببلخ ، له كتب منها « التفسير » و« تأييد مقالة أبى الهذيل » و« أدب الجدل » و« تحفة الوزراء » و« محاسن آل طاهر » و« مفاخر خراسان » و« الطعن على المحدثين » أثنى عليه أبو حيان التوحيدى . وقال الخطيب البغدادى : صنف فى الكلام كتبا كثيرة ، وانتشرت كتبه ببغداد . وقال السمعانى : من مقالته أن الله تعالى ليس له إرادة وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها . طبقات المعتزلة

(١٧٣) هو : من أصحاب أبى الهذيل ، ورد ذكره فى طبقات المعتزلة فى غير موضع ، وقد عدَّ من الطبقة السابعة التى منها ثمامة بن الأشرس ، وأبو عبد الله الدباغ ، وروى عن أبى الهذيل : القول بتناهى الحركات ثم روى أنه تاب من ذلك ، وحكى عنه : أن لأبى الهذيل ستين كتابًا فى الرد على المخالفين فى دقيق الكلام وجليله . (فرق وطبقات المعتزلة : ٥٥ ، ٥٧ ، ٨٣) .

(١٧٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (المتيقن) .

(١٧٥) فى (خ) : سقطت كلمة (وأظنه) .

(١٧٦) هو : بشر بن المعتمر ، البغدادى ، أبو سهل ، فقيه معتزلى ، مناظر ، من أهل الكوفة . قال الشريف المرتضى يقال : إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه ، تنسب إليه الطائفة البشرية ، له مصنفات فى الاعتزال . مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ . طبقات المعتزلة .

فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
	كان فى المهد صبيًا ، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركًا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا .	مريم	١٧ – ٣١	١٤٨
١٢	إنما أمره إذا اراد شيئًا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	
١٣	من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله . فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .	الصف	١٤	٢٠٩
١٤	إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .	آل عمران	٥٥	٢٠٩
١٥	قال تعالى : وجاء ربك والملك صفًا صفًا .	الفجر	٢٢	٢٠٩
١٦	قال تعالى : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة .	البقرة	٢١٠	٢٠٩
١٧	قال تعالى : لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم .	الأنفال	٦٣	٢٣١
١٨	قال تعالى : وجادلهم بالتى هى أحسن .	النحل	١٢٥	٢٣٦
١٩	قال تعالى : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا .	هود	٣٢	٢٣٦
٢٠	قال تعالى : قل هاتو برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٢٣٧
٢١	قال تعالى : فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان .	الرحمن	٣٣	٢٣٧
٢٢	قال تعالى : ويأبى الله إلّا إن يتم نوره ولو كره الكافرون	التوبة	٣٢	٢٣٨
٢٣	قال تعالى : يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل	الزمر	٥	٢٤١
٢٤	قال تعالى : وجعلنا آية النهار مبصرة	الإسراء	١٢	٢٤١
٢٥	قال تعالى : سبع سماوات طباقًا	الملك	٣	٢٤٢
٢٦	قال تعالى : ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق	المؤمنون	١٧	٢٤٢
٢٧	قال تعالى : وسع كرسيه السموات والأرض	البقرة	٢٥٥	٢٤٢
٢٨	قال تعالى : الرحمن على العرش استوى	طه	٥	٢٤٣
٢٩	قال تعالى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا من كل شيطان مارد	الصافات	٧٢٦	٢٤٣
٣٠	قال تعالى : ألم ترو كيف خلق الله سبع سماوات طباقًا وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا	نوح	١٥ ، ١٦	٢٤٤
٣١	قال تعالى : تبارك الذى جعل فى السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرا	الفرقان	٦١	٢٤٤
٣٢	قال تعالى : وكل فى فلك يسبحون	يس	٤٠	٢٤٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
٥٩	يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة	البقرة	٢١٠	٢٧٧
٦٠	تجلى ربه	الأعراف	١٤٣	٢٧٧
٦١	الله نور السماوات والأرض	النور	٣٥	٢٧٩
٦٢	إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى .	النجم	٢٣	٢٨٣
٦٣	ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه	الطلاق	١	٢٨٤
٦٤	سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين	الصفات	١٨٠	٢٨٥
٦٥	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم	المجادلة	٧	٢٨٧
٦٦	ونحن أقرب إليه من حبل الوريد	ق	١٦	٢٨٧
٦٧	ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون	الواقعة	٨٥	٢٨٧
٦٨	الرحمن على العرش استوى	طه	٥	٢٨٨
٦٩	ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه	الطلاق	١	٢٨٩
٧٠	ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلما	القصص	١٤	٢٩١
٧١	ثم استوى إلى السماء وهى دخان	فصلت	١١	٢٩١
٧٢	ألا أنه بكل شىء محيط	فصلت	٥٤	٢٩١
٧٣	ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية	الحاقة	١٧	٢٩١
٧٤	آمنا به كل من عند ربنا	آل عمران	٧	٢٩١
٧٥	الذين يحملون العرش ومن حوله	غافر	٧	٢٩١
٧٦	ويفعلون ما يؤمرون	النحل	٥٠	٢٩١
٧٧	إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده	فاطر	٤١	٢٩٢
٧٨	أنزله بعلمه	النساء	٢٦٦	٢٩٣
٧٩	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين	محمد	٣١	٢٩٥
٨٠	حتى نعلم المجاهدين منكم	محمد	٣١	٢٩٧
٨١	فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى	طه	٤٤	٢٩٧
٨٢	ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه	الأنعام	٢٨	٢٩٨
٨٣	أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن	هود	٣٦	٢٩٨
٨٤	ليبلوكم أيكم أحسن عملا	الملك	٢	٢٩٩
٨٥	ثم لتكونوا شيوخًا	غافر	٦٧	٢٩٩
٨٦	عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون	الأعراف	٢٩	٣٠٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
٨٧	وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا	الإسراء	٤ – ٨	٣٠٠
٨٨	ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء	البقرة	٢٥٥	٣٠٠
٨٩	وما أوتيتم من العلم إلا قليلا	الإسراء	٨٥	٣٠١
٩٠	هذا خلق الله	لقمان	١١	٣٠١
٩١	ولا يحيطون به علمًا	طه	١١٠	٣٠١
٩٢	فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون	النحل	٦١	٣٠٢
٩٣	قال رب احكم بالحق	الأنبياء	١١٢	٣٠٢
٩٤	والسماء بنيناها بأيد	الذاريات	٤٧	٣٠٧
٩٥	صبغة الله	البقرة	١٣٨	٣٠٧
٩٦	ليس كمثله شىء	الشورى	١١	٣٠٧
٩٧	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه	الأعراف	١٨٠	٣٠٨
٩٨	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الذين	البينة	٥	٣٠٨
٩٩	ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه	الطلاق	١	٣٠٨
١٠٠	ليس كمثله شىء وهو السميع البصير	الشورى	١١	٣١١
١٠١	لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون .	الأعراف	١٧٩	٣١٢
١٠٢	أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شىء بصير .	الملك	١٩	٣١٢
١٠٣	يعلم السر وأخفى	طه	٧	٣١٣
١٠٤	إننى معكما أسمع وأرى	طه	٤٦	٣١٤
١٠٥	وهو يدرك الأبصار	الأنعام	١٠٣	٣١٤
١٠٦	والله يسمع تحاوركما	المجادلة	١	٣١٤
١٠٧	وربك يخلق ما يشاء ويختار	القصص	٦٨	٣١٥
١٠٨	يعلم السر وأخفى	طه	٧	٣١٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
١٠٩	وأكيد كيدًا	الطارق	١٦	٣١٦
١١٠	الله يستهزىء بهم	البقرة	١٥	٣١٦
١١١	وهو خادعهم	النساء	١٤٢	٣١٦
١١٢	فأمنوا مكر الله	الأعراف	٩٩	٣١٦
١١٣	ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا	النمل	٥٠	٣١٧
١١٤	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	آل عمران	٥٤	٣١٧
١١٥	قل لله المكر جميعًا	الرعد	٤٢	٣١٧
١١٦	نسو الله فنسيهم	التوبة	٦٧	٣١٧
١١٧	سخر الله منهم	التوبة	٧٩	٣١٧
١١٨	إنك بأعيننا	الطور	٤٨	٣٢٢
١١٩	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون	الأعراف	١٨٠	٣٢٣
١٢٠	قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى	الإسراء	١١٠	٣٢٣
١٢١	هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى	الحشر	٢٤	٣٢٣
١٢٢	والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم	يس	٣٩	٣٢٥
١٢٣	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم	الأنعام	٣٨	٣٢٧
١٢٤	إن نحن إلا بشر مثلكم	إبراهيم	١١	٣٢٧
١٢٥	كأنهن الياقوت والمرجان	الرحمن	٥٨	٣٢٧
١٢٦	فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور	الحج	٤٦	٣٢٧
١٢٧	وتوكل على الحى الذى لا يموت	الفرقان	٥٨	٣٣٢
١٢٨	لا تأخذه سنة ولا نوم	البقرة	٢٥٥	٣٣٢
١٢٩	لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين	يس	٧٠	٣٣٥
١٣٠	وعلم آدم الأسماء كلها	البقرة	٣١	٣٤٥
١٣١	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	الرحمن	٢٧	٣٤٧
١٣٢	إنما نطعمكم لوجه الله	الإنسان	٩	٢٤٧
١٣٣	فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة	١١٥	٣٤٨
١٣٤	يد الله فوق أيديهم	الفتح	١٠	٣٤٨
١٣٥	لما خلقت بيدى	ص	٧٥	٣٤٨
١٣٦	مما عملت أيدينا أنعامًا	يس	٧١	٣٤٨

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	الآية	الصفحة
١٣٧	بل يداه مبسوطتان	المائدة	٦٤	٣٤٨
١٣٨	ولتصنع على عينى	طه	٣٩	٣٤٨
١٣٩	فإنك بأعيننا	الطور	٤٨	٣٤٨
١٤٠	يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله	الزمر	٥٦	٣٤٩
١٤١	وما ملكت أيمانكم	النساء	٣٩	٣٤٩
١٤٢	أن لهم قدم صدق عند ربهم	يونس	٢	٣٥٠
١٤٣	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود	القلم	٤٣	٣٥١
١٤٤	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله	يونس	٣٩	٣٥٢
١٤٥	فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر	النساء	٥٩	٣٥٢
١٤٦	وكان أمر الله مفعولا	النساء	٤٧	٣٥٢
١٤٧	والله غالب على أمره	يوسف	٣١	٣٥٢
١٤٨	لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا	الطلاق	١	٣٥٣
١٤٩	قل الروح من أمر ربى	الإسراء	٨٥	٣٥٤
١٥٠	يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا	النبأ	٣٨	٣٥٤
١٥١	ألا له الخلق والأمر	الأعراف	٥٤	٣٥٤
١٥٢	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك	الإنفطار	٨	٣٥٤
١٥٣	خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم	الروم	٤٠	٣٥٤
١٥٤	سبحان ربك رب العزة عما يصفون	الصافات	٨٠	٣٥٥
١٥٥	فلله العزة جميعًا	فاطر	١٠	٣٥٥
١٥٦	فلله المكر جميعًا	الرعد	٤٢	٣٥٥
١٥٧	قل لله الشفاعة جميعًا	الزمر	٤٤	٣٥٥
١٥٨	أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة	فصلت	١٥	٣٥٦
١٥٩	كتب على نفسه الرحمة	الأنعام	١٢	٣٥٧
١٦٠	ويحذركم الله نفسه	آل عمران	٢٨	٣٥٧
١٦١	تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب	المائدة	١١٦	٣٥٧
١٦٢	فلما أفل قال لا أحب الآفلين	الأنعام	٧٦	٣٥٨
١٦٣	وجاء ربك والملك صفًا صفًا	الفجر	٢٢	٣٥٨
١٦٤	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر	البقرة	٢١٠	٣٥٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
١٦٥	للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم	النحل	٦٠	٣٥٨
١٦٦	فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون	النحل	٧٤	٣٥٨
١٦٧	ولا يحيطون به علمًا	طه	١١٠	٣٦٠
١٦٨	إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	٣٦٤
١٦٩	أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم	المائدة	٤١	٣٦٤
١٧٠	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	البقرة	١٨٥	٣٦٤
١٧١	وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له	الرعد	١١	٣٦٤
١٧٢	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا .	الأنعام	١٢٥	٣٦٤
١٧٣	ولو ردوه إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم	النساء	٨٣	٣٦٥
١٧٤	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .	الحديد	٢١	٣٦٨
١٧٥	لو أراد أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار .	الزمر	٤	٣٧٢
١٧٦	لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين	الأنبياء	١٧	٣٧٢
١٧٧	وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذًا مثلهم .	النساء	١٤	٣٧٣
١٧٨	قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .	التوبة	٦٥ ، ٦٦	٣٧٤
١٧٩	يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر	الرعد	٢٦	٣٧٦
١٨٠	قل إن الله قادر على أن ينزل آية	الأنعام	٣٧	٣٧٦
١٨١	ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين	الحاقة	٤٤	٣٧٦
١٨٢	إنا لقادرون على أن نبدل خيرًا منهم وما نحن بمسبوقين	المعارج	٤٠ ، ٤١	٣٧٦
١٨٣	وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون	الواقعة	٦١	٣٧٦
١٨٤	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون	الزخرف	٣٣	٣٧٦
١٨٥	أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى	يس	٨١	٣٧٦
١٨٦	استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا	نوح	١٠ — ١٢	٣٧٦

فهرس الأحاديث النبوية

رقم	فهرس الحديث	الصفحة
٢٤	إن الله يحدث من أمره ما يشاء	٣٥٣
٢٥	سبوح قدوس رب الملائكة والروح	٣٥٤
٢٦	وعزتك فى حديث خلق الجنة والنار	٣٥٥
٢٧	إن الله خلق مائة رحمة فقسم فى عباده رحمة واحدة فيها يتراحمون ، ورفع التسع والتسعين ليوم القيامة يرحم بها عبادة أو كما قال عليه السلام	٣٥٥
٢٨	اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك	٣٥٦
٢٩	يتنزل الله تعالى كل ليلة إذا بقى ثلث الليل إلى سماء الدنيا	٣٥٧
٣٠	لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قدِ قدِ ، وعزتك وكرمك	٣٦٩
٣١	الناس لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ..؟	٣٧٥

فهرس الفِرَقْ

فهرس الأماكن والبلدان

فهــرس الأعــلام

حرف النون

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنى

ثبت بالمراجع

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١	القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣	صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقى نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية
٤	سنن الترمذى	حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥	سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقى [عيسى البابى الحلبى وشركاه]
٦	سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبى القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧	سنن أبى داود	راجعه على عدة نسخ محمد محيى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨	جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩	كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاس [مكتبة التراث الإسلامى – حلب]
١٠	المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه – أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١	الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى [دار إحياء الكتب العربية]
١٢	سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤	مفتاح كنوز السنة د . ا . ى فنسنك	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى ادارة ترجمان السنة – لاهور ١٣٩٧ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى	ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره [أ . ى . ونسنك و ى . ب . منسخ [مطبعة بريل لندن ١٩٦٧]
١٦	البداية والنهاية لابن كثير	الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت
١٧	دائرة المعارف الإسلامية	أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]
١٨	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر	تحقيق على محمد البيجاوى [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]
١٩	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة
٢٠	وفيات الأعيان لابن خلكان	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]
٢١	تهذيب التهذيب لابن حجر	للإمام ابن حجر العسقلانى
٢٢	المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]
٢٣	الإعلام للزركلى	الطبعة الثالثة
٢٤	جمهرة أنساب العرب لابن حزم	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]
٢٥	جوامع السيرة لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]
٢٦	طوق الحمامة فى الألفة والآلاف	تحقيق الدكتور الطاهر مكى [دار المعارف بمصر]
٢٧	المفاضلة بين الصحابة لابن حزم	تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى [بيروت سنة ١٩٤٠ م]
٢٨	نقط العروس لابن حزم	تحقيق الدكتور شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٩	أعلام النساء لعمر كحالة	الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ
٣٠	الإحاطة فى أخبار غرناطة	لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م
٣١	بغية الملتمس	أحمد بن يحيى العتبى دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م
٣٢	تراجم إسلامية	محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجى]
٣٣	تذكرة الحفاظ	الذهبى [طبعة حيدر أباد الهند]
٣٤	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى بيروت
٣٥	تاريخ الفكر الأندلسى	ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]
٣٦	تاريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين
٣٧	ابن حزم – حياته وعصره وآراؤه وفقهه	الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربى]
٣٨	ابن حزم الأندلسى	الدكتور زكريا إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٦ م أعلام العرب
٣٩	دولة الإسلام فى الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ
٤٠	طبقات الشافعية للأسنوى	تحقيق عبد الله الجابورى بغداد ١٣٩١ هـ
٤١	عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه	دار مكتبة الحياة بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٤٢	معجم الأدباء لياقوت الحموى	طبعة دار المأمون
٤٣	مروج الذهب للمسعودى	تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ
٤٤	المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى	تحقيق محمد العريان – القاهرة – سنة ١٣٦٨ هـ
٤٥	تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى	حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م
٤٦	تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء اسماعيل ابن كثير	طبع دار احياء الكتب العربية
٤٧	التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى	المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ
٤٨	الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى	دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان
٤٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل	للإمام محمود بن عمر الزمخشرى – ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ
٥٠	الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى	ط . دار الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٧ هـ
٥١	زاد المسير فى علم التفسير – عبد الرحمن ابن الجوزى	المكتب الإسلامى – على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى – أمير دولة قطر المعظم
٥٢	فى ظلال القرآن	سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت
٥٣	تفسير القرآن الحكيم	محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة النجاح الطبعة الأولى
٥٤	تفسير النسفى	للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ
٥٥	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ
٥٦	التفسير والمفسرون	د . محمد حسين الذهبى – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ
٥٧	معترك الأقران فى أعجاز القرآن	للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى
٥٨	تأويل مشكل القرآن	شرحه ونشره : السيد أحمد صقر – الطبعة الثانية – دار التراث – القاهرة ١٣٩٣ هـ
٥٩	فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير	تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
	كتب العقيدة	
٦٠	المواقف	للقاضى : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر – ١٣٢٥ هـ
٦١	المقاصد	سعد الدين التفتازانى . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام
٦٢	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٥٩ م
٦٣	الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة – ١٣٨٠ هـ
٦٤	رسالة فى ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم	تحقيق الاستاذ سعيد الأفغانى سنة ١٩٦٠ دمشق
٦٥	أصول الفكر الفلسفى عند الرازى	د . عبد اللطيف محمد العبد – مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م
٦٦	الأسفار المقدسة	د . على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر سنة١٩٧١ م .
٦٧	آراء بن العربى الكلامية	عمار طالبى : الشركة الوطنية – الجزائر
٦٨	إغاثة اللهفان	لابن القيم الجوزيه – تحقيق محمد حامد الفقى
٦٩	أصول الدين	للبغدادى : الطبعة الأولى – استنابول – مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ
٧٠	تحقيق ما للهند من مقولة	للبيرونى ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ
٧١	تبين كذب المفترى	لابن عساكر : ط دار الكتاب العربى : بيروت ١٣٩٩ هـ
٧٢	التلمود	ظفر الإسلام خان ط . الثالثة – دار النفائس
٧٣	التوراه السامرية	ترجمة الكاهن السامرى – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ
٧٤	تهافت الفلاسفة	لحجة الإسلام الغزالى – طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا
٧٥	جذوة المقتبس	للحميدى : الدار القومية – ١٩٦٦ م
٧٦	رسائل فلسفية	للرازى : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ
٧٧	الرد الجميل	للغزالى : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .
٧٨	الإشارات لابن سينا	ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا
٧٩	الفكر الدينى الإسرائيلى	د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ
٨٠	الفرق بين الفرق	للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمد على صبيخ – القاهرة
٨١	ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى	د . عوض الله حجازى : سنة ١٣٨٠ هـ
٨٢	مناهج الجدل فى القرآن الكريم	د . زاهر عواض الألمعى : مطابع الفرزدق التجارية – الرياض
٨٣	المعجم الفلسفى	د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٨٤	محاضرات فى النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى
٨٥	الملل والنحل	للشهرستانى : تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٣٦٦ هـ
٨٦	المسيحية	للدكتور أحمد شلبى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٧	مقالات الإسلاميين	لأبى الحسن الأشعرى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٨	المغنى	للقاضى عبد الجبار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – بإشراف د . طه حسين
٨٩	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د . على سامى النشار . دار المعارف الطبعة السابعة – ١٩٧٧ م
٩٠	مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوى . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية – ١٩٧٩ م
٩١	معارج القبول لشرح سلم الوصول فى التوحيد	لتشيح حافظ بن أحمد الحكمى من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية
٩٢	الحقيقة فى نظر الغزالى	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط ثالثة
٩٣	الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٤	فتح المجيد – شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية بيروت
٩٥	المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق – دار التراث الإسلامى – بيروت
٩٦	فى التوحيد ، ديوان الأصول	لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى : تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٧	الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى – دار المعارف مصر ط ثانية
٩٨	الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٩	الابانة عن أصول الديانة	لأبى الحسن الأشعرى . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود – دار الأنصار – مصر
١٠٠	شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠١	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى – مطابع نجد التجارية – الرياض

فهرس الموضوعات